



المسائل والفوائد والقواعد

النجفية

في

معارف الإمامية

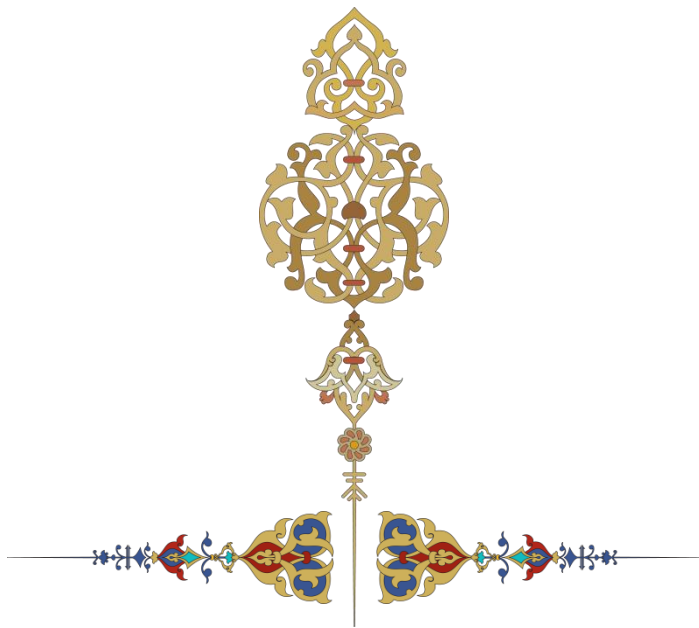
الجزء الأول

بقلم

الشيخ كامل بدر الحلفي



المسائل
والفوائد والقواعد النجفية
في
معارف الإمامية



المسائل والفوائد والقواعد
النجضية
في
معارف الإمامية

الجزء الأول

بقلم

الشيخ كامل بدر الحلفي

أسم الكتاب /

المَسَائِلُ وَالضَّوَائِدُ وَالقَوَاعِدُ
النَّجْفِيَّةُ

فِي

مَعَارِفِ الإِمَامِيَّةِ

ج ١

بقلم /

الشيخ كامل بدر الحلي

سنة الطبع /

١٤٤٧ هـ - ٢٠٢٦ م

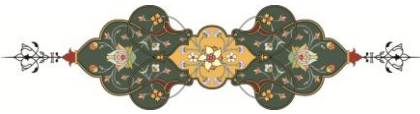
الطبعة / الثانية

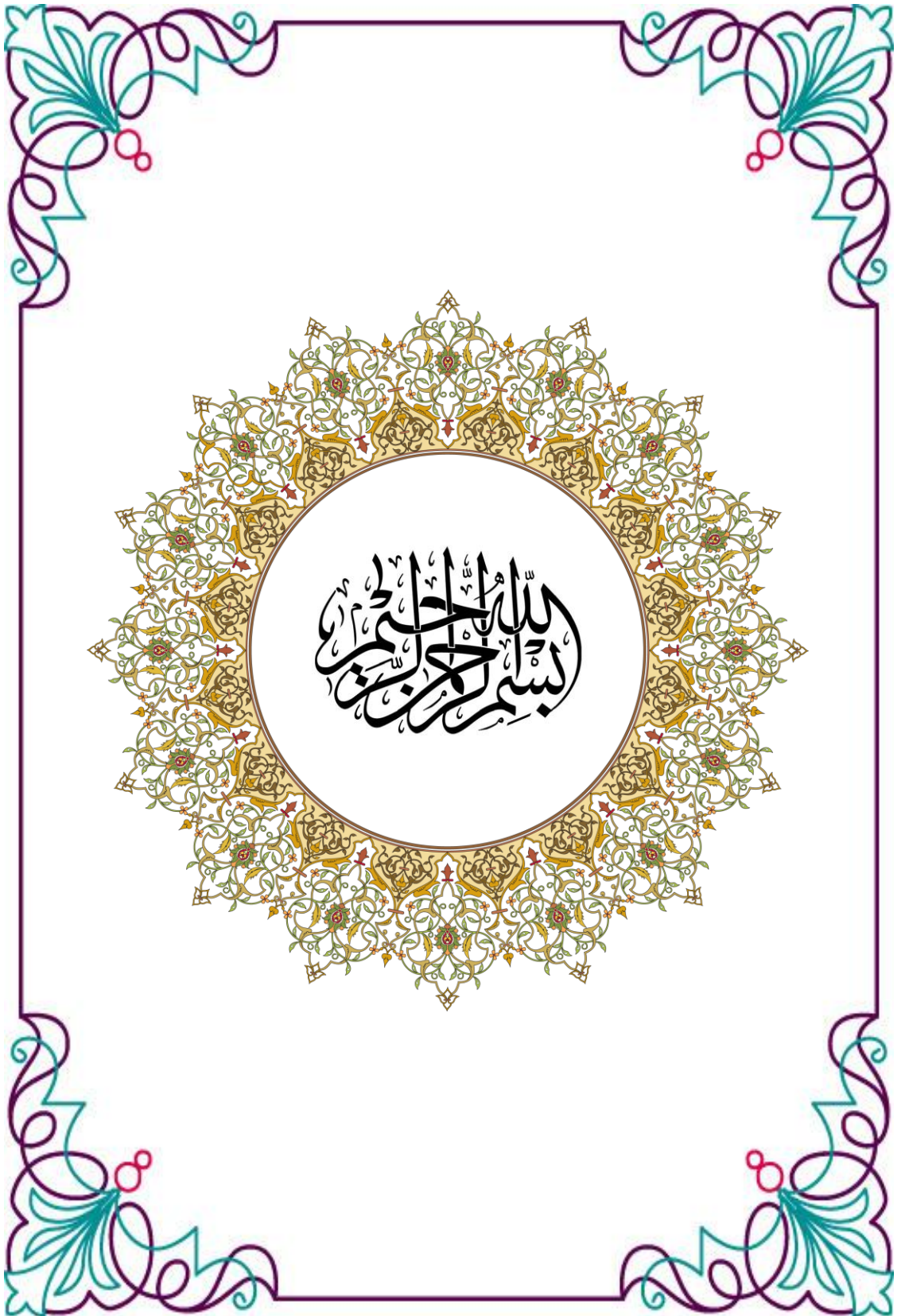
منقحة ومزودة

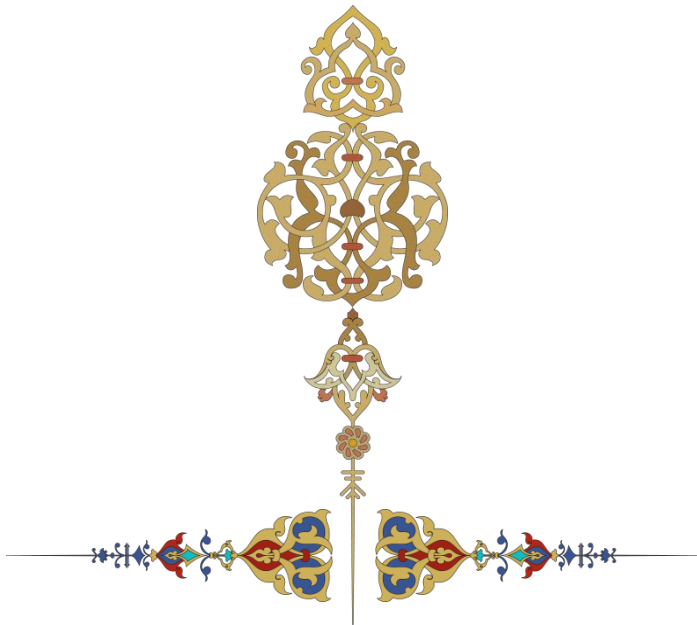
التنضيد والإخراج الفني:

المهندس / يوسف الخزعلي

(٠٧٨١١٣٥٢٠٧٣)









[المقدمة]

الحمدُ لِلَّهِ الْمُؤْتِنِ عَنِ الْإِدْرَاكِ بِمَا ابْتَدَعَ مِنْ تَصْرِيفِ الذَّوَاتِ ،
 الْخَارِجِ بِالْكَبْرِيَاءِ وَالْعِظْمَةِ مِنْ جَمِيعِ تَصَرُّفِ الْحَالَاتِ ، مُحَرَّمٍ عَلَى بَوَارِعِ
 نَاقِبَاتِ الْفِطْنِ تَحْدِيدِهِ ، وَعَلَى عَوَاقِمِ ثَاقِبَاتِ الْفِكْرِ تَكْيِيفِهِ ، وَعَلَى غَوَائِصِ
 سَابِحَاتِ النَّظَرِ تَصْوِيرِهِ . وَالصَّلَاةَ وَالسَّلَامَ عَلَى مُحَمَّدٍ عَبْدِهِ وَرَسُولِهِ ،
 الْمُخْرَجِ مِنْ أَكْرَمِ الْمَعَادِنِ مَحْتَدًا ، وَأَفْضَلِ الْمَنَابِتِ مَنبِتًا ، مِنْ أَمْنَعِ ذُرْوَةِ
 وَأَعَزِّ أَرْوَمَةِ ، مِنْ الشَّجَرَةِ الَّتِي صَاغَ اللَّهُ مِنْهَا أَنْبِيَاءَهُ ، وَانْتَجَبَ مِنْهَا أُمَنَاءَهُ ،
 الطَّيِّبَةَ الْعُودَ ، الْمَعْتَدِلَةَ الْعُمُودَ ، الْبَاسِقَةَ الْفُرُوعَ ، النَّاصِرَةَ الْغُصُونِ ، الْيَانِعَةَ
 الشَّامَ ، الْكَرِيمَةَ الْحِشَا ، فِي كَرَمٍ غُرَسَتْ ، وَفِي حَرَمٍ أُنبِتَتْ ، وَفِيهِ تَشَعَّبَتْ
 وَأَثْمَرَتْ وَعَزَّتْ وَامْتَنَعَتْ فَسَمَّتْ بِهِ وَشَمَخَتْ ، وَعَلَى آلِهِ الْقُبَّةِ الَّتِي طَالَتْ
 أَطْنَابَهَا ، وَاتَّسَعَتْ فَنَاوِئُهَا ، مَنْ ضَوَى إِلَيْهِمْ نَجَا إِلَى الْجَنَّةِ ، وَمَنْ تَخَلَّفَ عَنْهُمْ
 هَوَى إِلَى النَّارِ ، مَعْدِنَ الْكَرَمِ ، وَمَوْضِعَ الْحِكْمِ ، وَقَادَةَ الْأُمَّمِ إِلَى الْخَيْرِ

والنَّعيم ، نور الأنوار ، ومحلّ سرِّ الأسرار ، وعنصر الأبرار ، ومعلن الأَخيار. واللَّعنة الدَّائمة أبد الآباد ودهر الدُّهور على أعدائهم وشانئهم وظالمهم ومتابعهم وغاصبي حقوقهم ومنكري فضائلهم ومناقبهم ، ومناوئي شيعتهم من الأوَّلين والآخريين.

وبعد: فقد كُنْتُ ومنذُ مُدَّة وبحمد الله ومَنِّه وكرمه مُشغلاً بتحرير أهم المسائل والفوائد والقواعد العقائديَّة والمعرفيَّة والعقليَّة الحديثة ، المُستفاد بعضها من الأبحاث الدَّائرة في يومنا هذا في أروقة السَّاحة المعرفيَّة لدى أتباع مدرسة أهل البيت ﷺ في حوزة النجف الأشرف ، وبعضها الآخر جهود وتحقيقات خاصَّة ؛ لا سيما جملة القضايا والأبحاث المُختصَّة بطبقات حقائق أهل البيت ﷺ الصَّاعدة ، والتي لم يُنسب بها قبل هذه المنشورات بنبرة شفَّةٍ قَطُّ.

وكان الهدف من هذا الجهد إبراز أهم الأبحاث والتَّحقيقات - العلميَّة والعقائديَّة والمعرفيَّة والعقليَّة - المُستجدَّة في يومنا هذا ؛ والمُستفادة من بيانات الوحي القطعيَّة ، والمعبيَّة عن عقول أتباع مدرسة أهل البيت ﷺ طوال القرون الماضية ، وقد تجمَّعت لديَّ (وبحمد الله) مئات من تلك المسائل والفوائد والقواعد ، أوقعتها تحت عنوان عام: (المسائل والفوائد والقواعد النجفية في معارف الإمامية) ، منتشرة على سِتَّة مقاصد ، مشتملة على نيِّفٍ وستين باباً ومبحثاً عاماً ، وبالشَّكل التَّالي:

المقصد الأوَّل: قواعد أصول الفقه في علم الكلام. ويُعبَّر عنه أيضاً

ب: (نظريّة المعرفة) ، أو (منطق المعرفة).

وفيه: تسعة أبواب:

الباب الأوّل: أعظم ضرورة في العلم ضرورة اختيار نوع المنهج. ويُعبّر عنه أيضاً ب: (ضرورة تمهيد المنهج في البحث العقائدي والمعرفي).

الباب الثّاني: لسان ومصطلحات المعرفة والنظام اللغوي فيها. ويُعبّر عنه أيضاً ب: (نظام القراءات في النّصّ الديني).

الباب الثّالث: قواعد في أصول الحجّية والمعرفة العقائديّة. ويُعبّر عنه أيضاً ب: (قواعد نظميّة في المعرفة).

الباب الرّابع: الفوارق بين المدارس المعرفيّة.

الباب الخامس: الغلو والتّقصير.

الباب السّادس: أدلّة البحوث المعرفيّة.

الباب السّابع: وظائف العقل.

وفيه: فصلان:

الأوّل: وظائف مُطلق العقل وحُجّيته واعتباره.

الثّاني: وظائف العقل العملي والعقل النظري.

الباب الثّامن: ما يرتبط بالإدراك والدّهن.

الباب التاسع: درجات الحسّ والمعرفة.

المقصد الثاني: القواعد العامة في عالم التكوينيّات. ويُعبّر عنه أيضاً ب:
(الإلهيّات بالمعنى الأعم).

وفيه: أحد عشر باباً:

الباب الأوّل: القواعد النظميّة في معرفة التكوينيّات.

الباب الثاني: القواعد العامة للأجسام.

الباب الثالث: تقسيم العوالم.

الباب الرّابع: المُجرّدات. معنى: (اللّطيف).

الباب الخامس: السّببيّة والمُسبّبيّة.

الباب السّادس: الإبداع.

الباب السّابع: المادّي.

الباب الثامن: عالم الخيال.

الباب التاسع: الجسوميّة وطبقاتها. (الملائكة).

الباب العاشر: عالم الذرّ والميثاق.

الباب الحادي عشر: الرّوح والنّفس.

المقصد الثالث: الإلهيّات بالمعنى الأخصّ.

وفيه: بابان:

الباب الأوَّل: التَّوْحِيد.

وفيه: ثلاثة فصول:

الفصل الأوَّل: التَّوْحِيد وأقسامه.

وفيه: ثلاثة أمور:

الأمر الأوَّل: إثبات معرفة الذات الإلهية الأزلية المقدسة.

الأمر الثاني: الرؤية.

الأمر الثالث: المعرفة بالآيات ومرادفات الإلهية العقلية ، ونفي التَّجْسِيم والتَّعْطِيل.

الفصل الثاني: الصِّفَات والأَسْمَاء الإلهية.

وفيه: ثلاثة أمور:

الأمر الأوَّل: مُطْلَق الصِّفَات والأَسْمَاء الإلهية.

الأمر الثاني: الصِّفَات الإلهية الذَّاتِيَّة.

الأمر الثالث: الصِّفَات الإلهية الفِعْلِيَّة.

الفصل الثالث: الأَفْعَال الإلهية ؛ (البحوث التفصيلية لعالم التَّكْوِين).

الباب الثاني: العدل الإلهي.

وفيه: ثلاثة فصول:

الفصل الأوّل: القضاء والقدر.

الفصل الثّاني: الأمر بين الأمرين.

الفصل الثّالث: البداء.

المقصد الرّابع: النبوة.

وفيه: تسعة أبواب:

الباب الأوّل: النبوة العامّة.

الباب الثّاني: النبوة الخاصّة لسيد الأنبياء ﷺ.

الباب الثّالث: مقامات سيد الأنبياء ﷺ.

الباب الرّابع: المعراج.

الباب الخامس: حقيقة الوحي.

الباب السّادس: أقسام الحجج.

الباب السّابع: الدّين والملة والشريعة والنحلة.

الباب الثّامن: الأديان والملل والنحل.

الباب التّاسع: الكُتب السماويّة ، وحقيقة القرآن الكريم ؛ ومراتبه

وبحوثه المرتبطة بالعقائد.

المقصد الخامس: الإمامة.

وفيه: ثلاثة عشر باباً:

الباب الأول: الإمامة والولاية الإلهية.

الباب الثاني: مقامات وشؤون وأحوال أهل البيت عليهم السلام.

الباب الثالث: مقامات وشؤون وأحوال أمير المؤمنين عليه السلام.

الباب الرابع: مقامات وشؤون وأحوال وحجّة فاطمة الزهراء عليها السلام.

الباب الخامس: مقامات وشؤون وأحوال سيّد شباب أهل

الجنة عليه السلام.

الباب السادس: مقامات وشؤون وأحوال الإمام زين العابدين والباقر

والصّادق عليهم السلام.

الباب السابع: مقامات وشؤون وأحوال الإمام الكاظم والرّضا

والجواد عليهم السلام.

الباب الثامن: مقامات وشؤون وأحوال الإمامين العسكريين عليهم السلام.

الباب التاسع: مقامات وشؤون وأحوال الإمام المهدي عليه السلام.

الباب العاشر: الدائرة الإصطفائية، والقواعد العامّة في الاصطفاء.

الباب الحادي عشر: أفراد الدائرة الإصطفائية الثانية.

الباب الثاني عشر: مصحف فاطمة عليها السلام.

الباب الثالث عشر: المذاهب ، والوحدة ، والتقريب .

المقصد السادس: المعاد.

وفيه: تسعة أبواب:

الباب الأول: القضاء والقدر ؛ (الآجال والأرزاق).

الباب الثاني: عالم الموت.

الباب الثالث: عالم البرزخ.

الباب الرابع: عالم الرجعة ؛ (آخرة عالم الدنيا).

الباب الخامس: عالم القيامة.

الباب السادس: الميزان والحساب.

الباب السابع: الشفاعة.

الباب الثامن: الجنة والنار.

الباب التاسع: ما بعد الجنة والنار.

[خاتمة]

تنبيهات:

وفي الختام يجدر صرف النظر إلى التنبيهات التالية:

التنبيه الأول:

بيان واقع

إنَّ السَّاحةَ العلميَّةَ والمعرفيَّةَ لدى أتباع مدرسة أهل البيت عليهم السلام ، بل البشريَّةَ ستشهد (إن شاء الله تعالى) على إثر هذه الجهود والمسائل طفرة نوعيَّة - علميَّة وعقائديَّة ومعرفيَّة وعقليَّة - لم تُشْهد من قبل قطُّ ، لاسيما الأبحاث المتعلِّقة بطبقات حقائق أهل البيت عليهم السلام الصَّاعدة. وهذا ما لا يخفى على النَّاقد المُنصف البصير ، بعد مراجعته لأوَّها وآخرها ، وتدبَّر في معانيها وحقائقها ، وعمل نظره في ملحمة التَّحليل وسندان التَّعمُّق ، وغاص في بحر التَّفكير ، فإنَّه سيجد كم هائل من المعلومات والمعارف والعقائد والحقائق الوحيانيَّة المهولة الخطيرة التي كانت قبل هذا اليوم ومنذُ قرونٍ مُعنيَّة ، ولم يُنسب بها بنبرة شفِّة ، ولم يشمَّ رائحتها قبل هذه المنشورات أحد قطُّ.

وهذا ليس من باب التَّبجُّح ، وإنَّما لبيان واقع ، والتَّحدُّث بنعمة الله وأهل البيت (صلوات الله عليهم) ، وإبراز مفخرة وبناء حضاري وعلمي ومعرفي وعقائدي وعقلي حصل في العصر الرَّاهن في جامعة العلم الكبرى ؛ حوزة النجف الأشرف العلميَّة ، وإِلفات نظر المُتلقي ؛ كيما لا يتفاجأ بنوعيَّة وجرأت الطرح المُستفاد من بيانات الوحي القطعيَّة ؛ بالقطع الوحياني والعقلي ، بل واللفظي ، والمتكئة قراءتها ونتائجها على آليات علميَّة ومعرفيَّة ، منها: التَّرادف بأنحائه الثلاثة - اللفظي ، والعقلي (المعنوي) ، والوجودي - ،

لاسيما الترادف العقلي ، والقائمة على وفق المحكمات والموازن والقواعد والضوابط والمعادلات: الوحيانية والعلمية والعقلية والمعرفية ، ومن ثم لا يُقال: لا تقولوا ما لم يقله الأوائل.

نعم ، من لوازم وطبيعة الطفرات العلمية والمعرفية لاسيما العقائدية حصول الأخذ والردّ فيها ، بل قد يحصل الطعن في رجالها ، كما حصل ذلك في الأزمان السالفة.

وهذه الجهود المبذولة وإن لم يُقدّر عطاؤها في هذا العصر ، بل قد تُسوّف وتُتقزّم وتُحارب ؛ لغاية في نفس يعقوب قضاها ، لكنّه ستأتي (إن شاء الله تعالى) أجيال لاحقة - بعد أن تنقشع عنها الموانع ؛ ك: قُصور الفهم والتدبّر ، والجهل المركّب ، والقناعات المُسبّقة ، والأمراض النفسية كالشكّ والريبة وما شاكلهما - تُقدّر هذه الجهود لا محالة. وهذا هو حال كلّ طرفة علمية وعقائدية ومعرفية وعقلية تحصل في حينها ، فالتفت.

التنبيه الثاني:

العقائد والمعارف الإلهية علوم تكوينية

آليات التوصل إلى النتائج في أبواب المعارف آليات تكوينية

إنّ العقائد والمعارف الإلهية: حقائق تكوينية كونية من أكوان وعوالم غيبية صاعدة ، ومن ثمّ لا ينفع معها إلا البراهين العقلية المُستفادة من متون ومضامين بيانات الوحي المعرفية العقلية ؛ فلذا لا يوجد في صناعة علم

العقائد والمعارف الإلهية إطلاق وعموم وتقييد وتخصيص بمنفصل ، وإلا فدليل على بطلان الصنعة والتتائج ؛ كحال بقية القواعد والعلوم العقلية ، نعم يوجد فيها خروج تخصّصي ونسبي ومُجمل ومفصّل ، ومن ثمّ وجوه الجمع بين الأدلة المتعارضة أو الدلالات المتعارضة في أبواب المعارف تختلف عن وجوه الجمع في باب فقه الفروع.

وعليه: فلا يصحُّ الإشكال على النتائج المتحصّلة منها بآليات علم فقه الفروع ؛ كضعف سند الدليل ؛ لأنّ فقه الفروع علم إعتباري ، وآلياته آليات إعتبارية ؛ فلذا يصحُّ فيه التّقييد والتّخصيص. وضعف الطّريق والسند واعتباره لا دخالة له في تحصيل البرهان العقلي والوحياني من المتون والمضامين. فالتفت.

بل التّواتر السّندي لا يغني ولا يُسمن من جوع ، ولا ينفع في أبحاث العقائد ؛ لأنّه يُورث اليقين الحسيّ ؛ وهو في معرض الخطأ ، والمطلوب في أبحاث العقائد تحصيل اليقين العقلي الذي لا يقبل الخطأ ، واستفادة اليقين العقلي لا يُفرّق فيه بين الدليل المتواتر والضعيف سنداً ؛ لأنّ اليقين العقلي يدور مدار متون ومضامين الأدلة بغضّ النّظر عن أسانيدها ؛ ومن باب ما ورد في بيان أمير المؤمنين عليه السلام: «لا تنظر إلى مَنْ قال ، وانظر إلى ما قال»^(١).

ويُضاف إليه: أنّ الدليل المتواتر سنداً قد يكون متنه ظنيّ الدلالة ، فعاد

(١) كتر العمّال ، ١٦ : ١٩٧ / ح ٤٤٢١٨ .

إلى الظنّ ، وهو لا ينفع في أسس وأصول العقائد بالإجماع. نعم ، إن كان متنه ومضمونه مفيداً لليقين العقلي كان حُجَّةً في أبواب العقائد وغيرها ، لكنّه لا لكونه متواتراً سنداً ، بل لكون متنه ومضمونه أورث القطع العقلي. فتدبّر جيّداً.

ثمّ إنّّه يجب على مَنْ ليس له باعٌ عقليٌّ في صناعة وأبحاث العقائد ترك أبحاث وتحقيقات هذا الباب ، ولا يلججه ولا يتصدّى له ، وليترك المجال لأهله.

بعد الالتفات: أنّ لغة بيانات الوحي المعرفية: لغة عقلية وحيانية ، وهي أعظم من نتاج العقل البشري الأرضي بما لا يتناهى.

[المراد من حُجِّية المتن والمضمون]

والمراد من حُجِّية المتن ليس حُجِّية الدلالة ، وإنّما - المراد -: نفس نظام المعلومات المودعة في متن الدليل ، فيدرس الفقيه أو الباحث ذلك المتن والمضمون - بغضّ النظر عن الدليل ودلالته ؛ وصدوره وسنده وجهته ؛ والكتاب الذي ورد فيه المتن والمضمون - ويعرضه على مُحكمات القرآن الكريم ، ومُحكّات السُنّة الشريفة القطعية ، ومُحكّات وبديهيّات العقل ، ومُحكّات وبديهيّات الوجدان التي لا يختلف عليها وجدان بشر ، ويوزنه مع منظومة معادلات وقواعد الدين والشريعة ؛ فإذا أورث له ذلك العرض: القطع واليقين بمطابقة هذا المتن والمضمون لتلك المُحكّات أخذ به ، وكانت

حُجِّيَّة ذلك المتن عقلية وحيائية ذاتية.

ثُمَّ إِنَّ تَحْصِيلَ حُجِّيَّةِ الْمَتْنِ وَالْمُضْمُونِ لَيْسَتْ إِلَّا مِنْ شَأْنِ الْفُقَهَاءِ الْمُتَضَلِّعِينَ فِي فِقْهِ الْفُرُوعِ ، وَعِلْمِ الْكَلَامِ ، وَعِلْمِ الْعُقَائِدِ وَالْمَعَارِفِ الْإِلَهِيَّةِ ، وَعِلْمِ الْأَخْلَاقِ وَالْأَدَابِ وَالنِّظَامِ الرُّوْحِيِّ وَالْأَخْلَاقِيِّ وَالْأَدَابِيِّ الدِّينِيِّ ، وَعِلْمِ التَّفْسِيرِ ، وَعِلْمِ السِّيَرِ ، وَغَيْرِهَا . بِخِلَافِ حُجِّيَّةِ السَّنَدِ ؛ فَإِنَّهَا يُمَكِّنُ مَعْرِفَتَهَا مِنْ قَبْلِ عَامَّةِ النَّاسِ ، وَتَدُورُ مَدَارَ الْحَافِظَةِ ، كَمَا أَشَارَتْ إِلَى ذَلِكَ بَيِّنَاتُ الْوَحْيِ ، أَمَّا حُجِّيَّةُ الْمَتْنِ وَالْمُضْمُونِ فَتَحْتَاجُ إِلَى حَصُولِ مِطَابَقَةِ لُحُكْمَاتِ وَأُصُولِ وَأُسُسِ وَقَوَاعِدِ وَمَعَادِلَاتِ الشَّرْعِ وَالدِّينِ ، وَهَذِهِ لَيْسَتْ مِنْ إِخْتِصَاصِ إِلَّا الْفَقِيهِ الْمُتَضَلِّعِ فِي شَتَّى الْعُلُومِ الشَّرْعِيَّةِ وَالدِّينِيَّةِ ؛ فَحُجِّيَّةُ الْمَتْنِ وَالْمُضْمُونِ لَا تَدُورُ مَدَارَ فِقَاهَةِ الْفَقِيهِ فَحَسَبَ ، بَلْ وَتَضَلُّعُهُ فِي كَافَّةِ الْعُلُومِ الشَّرْعِيَّةِ وَالدِّينِيَّةِ .

إِذَنْ: حُجِّيَّةُ الْمَتْنِ وَالْمُضْمُونِ تَتَطَلَّبُ فِقَاهَةَ وَتَضَلُّعَ الْفَقِيهِ بِذَلِكَ الْعِلْمِ الَّذِي يُخْتَصُّ بِهِ ذَلِكَ الْمَتْنُ وَالْمُضْمُونُ ؛ فَلَوْ لَمْ يَكُنْ لِلْفَقِيهِ بَاعٌ بِالْعِلْمِ الَّذِي يُخْتَصُّ بِهِ الْمَتْنُ وَالْمُضْمُونُ فَمَنْ أَيْنَ يَعْرِفُ حُجِّيَّةَ الْمَتْنِ وَالْمُضْمُونِ وَعَدْمَهَا . فَتَأَمَّلْ .

وهذا بحث تصوُّريٌّ وتصديقيٌّ لا يتوقَّفُ على حُجِّيَّةِ صدور الخبر

وسنده .

التنبيه الثالث:

دين الله لا يُصاب بالعقول

إنَّ العقل بمفرده يتيه في مباحث وأبواب العقائد والمعارف الإلهية ومباحث وأبواب فقه الفروع ؛ لكونها خارجة عن حريمه وعالمه ومكنته ، فلا بُدَّ له من الإِهْتِدَاءِ والإِقتِدَاءِ ببيانات الوحي ، ونشب أظفاره بكُلِّ ما أُوتِيَ من قوَّةٍ والإلتصاق بها ، بل كُلِّما ارتقت وتصاعدت معاني وحقائق أصول الدين والعقائد والمعارف الإلهية ؛ ومعاني وحقائق الأخلاق والآداب والسُّنن ؛ والأعمال والحالات والرياضيات الروحية والنفسية ؛ ومعاني وحقائق فروع الدين كُلِّما ازدادت حاجته أكثر وأعظم إلى هدي بيانات الوحي.

التنبيه الرابع:

المطالب العقائدية أشقُّ وأصعب من مطالب فقه الفروع

إنَّ مباحث وأبواب العقائد بحورٌ مَوَّاجَةٌ ، متلاطمة وخطيرة جدًّا ، وبحوثها صعبة ومُعقَّدة وخطيرة وعظيمة جدًّا ؛ أصعب وأخطر وأعظم من أبحاث فقه الفروع بمليار مرَّة ، ومن ثَمَّ سُمِّيت العقائد بـ: (الفقه الأكبر) ؛ فلذا يُراد لها جهود ضخمة تُبذل من قِبَلِ أجيال العلماء والفضلاء والباحثين وطلبة العلوم الدينية.

[لكل باب عقائدي لغته الخاصة]

ثُمَّ إِنَّ كُلَّ بَابٍ عَقَائِدِيٍّ يَحْتَاجُ لَهُ إِلَى لُغَتِهِ الْخَاصَّةِ ؛ فَمَبَاحِثُ التَّوْحِيدِ شَكْلٌ ، وَمَبَاحِثُ النُّبُوَّةِ شَكْلٌ آخَرَ ، وَمَبَاحِثُ الْإِمَامَةِ شَكْلٌ ثَالِثٌ ، وَمَبَاحِثُ الْمَعَادِ شَكْلٌ رَابِعٌ ، وَمَبَاحِثُ عِلْمِ الْخِلَافِ شَكْلٌ خَامِسٌ ، وَمَبَاحِثُ الْمَذَاهِبِ وَالْأَدْيَانِ شَكْلٌ سَادِسٌ ، وَمَبَاحِثُ الْكُتُبِ السَّمَاوِيَّةِ شَكْلٌ سَابِعٌ ، وَهَلُمَّ جَرًّا .

وقد يصير الشَّخْصُ مُتَنَمِّرًا فِي بَابٍ وَفِي لُغَةٍ وَأُمِّيًّا فِي بَابٍ آخَرَ وَلُغَةٍ أُخْرَى . وَمَعْنَاهُ : أَنَّ الْبَحْثَ الْعَقَائِدِيَّ صَعْبٌ وَمُعَقَّدٌ وَشَاقٌّ جِدًّا .

التنبيه الخامس :

لأبد من التحرر من ضيق المشرب في متابعة الحقيقة

إِنَّ مَنْ يُرِيدُ تَحَرِّيَ حَقِيقَةً فَعَلَيْهِ التَّحَرُّرُ مِنْ ضَيْقِ الْمَشْرَبِ وَالْمَدْرَسَةِ الَّتِي يَنْتَمِي إِلَيْهَا ، لَكِنِ الْوَاقِعُ يَشْهَدُ عَكْسَ ذَلِكَ ؛ مَعَ أَنَّ كَثِيرًا مِنَ الْمَدَارِسِ الْبَشَرِيَّةِ - كَالْمَدْرَسَةِ الْفَلَسْفِيَّةِ - مَأْخُوذٌ فِي شَعَارِهَا عَدَمُ التَّعَصُّبِ .

وَمِنْ ثَمَّ كَثِيرٌ مِنَ الْإِشْكَالَاتِ وَالْإِعْتِرَاضَاتِ وَالشُّبُهَاتِ الْوَارِدَةِ وَالنَّاشِئَةِ عَلَى مَشْهَدِ الثَّقَافَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ وَالْإِيمَانِيَّةِ حَصَلَتْ نَتِيجَةُ الْبِنَاءِ عَلَى قَنَاعَاتٍ مَرْسُومَةٍ فِي الْمَدَارِسِ الْمَعْرِفِيَّةِ الْبَشَرِيَّةِ - كَ : الْمَدْرَسَةِ : الْفَلَسْفِيَّةِ وَالْكَلَامِيَّةِ وَالْعَرَفَانِيَّةِ وَالتَّفْسِيرِيَّةِ - .

التنبيه السادس:

المعرفة الحقة هي العملة الصعبة

إنَّ المعرفة الحقة هي العملة الصعبة في عالم: القبر ، والبرزخ ، والرَّجعة، والقيامة ، والآخرة الأبدية وما بعدها.

التنبيه السابع:

خطورة آثار الهوية العقائدية

تلون الأخلاق والآداب والفضائل بتلون العقائد

إنَّ أكبر وأعظم مُجند وأكبر وأعظم مُسخر للمخلوق على الإطلاق: الهوية العقائدية؛ فإنها تُجند جملة طبقات حقيقة المخلوق.

إذن: العقيدة أعظم وأخطر ميزان وآلية لتجنيد المخلوقات وانتماءاتها إلى أيِّ مسيرٍ كان.

ومنهُ يتَّضح: أنَّ فلسفة جمال الأخلاق وحسن الفضائل لا تكون إلا بتوسط العقائد الحقة.

إذن: جمال الفضائل في الأخلاق والآداب والأعمال مُترشَّح من جمال العقيدة.

التنبيه الثامن :

العقيدة رؤية عامة لجميع الأزمان

للعقيدة تداعيات وأمواج خطيرة على أوضاع المخلوق

العقيدة أمرٌ مصيريُّ

إنَّ العقيدة ليست تُراث لتأريخ مضى ، وإنما هي رؤية لحاضر راهن والمستقبل واعد ؛ فهي رؤية عامة تختصُّ وتشمل الوضع الرَّاهن والمستقبل الواعد والمستقبل البعيد المدى الآتي ، ومن ثمَّ تكون لها تداعيات خطيرة وأمواج جسيمة على وضع المخلوق الرَّاهن وعلى وضعه في المُستقبل ؛ فلذا العقيدة ليست أمرًا خيارياً وندبياً ، بل أمرٌ مصيريُّ .

وهذه القضية يجب الالتفات إليها والعصُّ عليها بضرِّسٍ قاطعٍ في جملة أبواب العقائد والمعارف ، لاسيما في أساسيات وأصول العقائد ، كالإعتقاد بأهل البيت (صلوات الله عليهم) ، لاسيما طبقات حقائقهم الصَّاعدة .

التنبيه التاسع :

خارطة المعارف والعقائد الإلهية

إنَّ الباحث إذا بنى خارطة بحوثه المعرفية والعقائدية على ما رَقمه المتكلمون فسيرتطم لا محالة بمازق معرفية وعقائدية كثيرة جداً ؛ لأنَّ الخريطة والفهرسة المعرفية والعقائدية التي رسمها جملة من علماء كلام

الإمامية ؛ وساروا عليها نشأت نتيجة إنشغالهم بالجدل والحوار الكلامي مع المذاهب الإسلامية ، فألجأتهم هذه الحواريات التي لا انقطاع لها إلى نوع تبويب ؛ ورسم خارطة للمعارف والعقائد الإلهية ؛ يفهمها ويلتفت إليها الطرف الآخر. ومعناه: أنهم اضطروا إلى تنزيل الخطاب الكلامي والخطاب العقائدي إلى مستوى معارف وعقائد الطرف ، مع أنه ليس لديه من الإسلام إلا استقبال الكعبة فقط.

وهذا ما صرّحت به بيانات الوحي ، منها:

بيان الإمام الصادق صلوات الله عليه: «... لا والله ، ما هم على شيءٍ مما جاء به رسول الله ﷺ إلا استقبال الكعبة فقط»^(١).

وعليه: فكيف يمكن رسم خارطة وثقافة للمعارف والعقائد الحقّة المُصَحَّرَة في بيانات الوحي الإلهي على وفق هذه الوضعيّة التجاذبية الكلاميّة؛ وإلا فستحصل لا محالة لأصحاب هذه الخرائط والثقافات مشاكل وأزمات معرفيّة وعقائديّة لا حصر ولا منتهى لها. بل سببت وتُسبب هذه المنهجية وهذه الثقافات طامات معرفيّة وعقائديّة أشدّ خطراً وضرراً وفتكاً بأهل البيت (صلوات الله عليهم) من خطر وضرر وفتك يزيد بن معاوية وجيشه (عليهم لعائن الله) وما فعلوه بسيد الشهداء صلوات الله عليه وبأهل بيته وصحبه ؛ لأنّ تلك قتلت الأبدان ، وحرمت أصحابها الحياة الدنيويّة الزائلة ،

(١) بحار الأنوار ، ٦٥ : ٩١ / ح ٢٦ . المحاسن : ١٥٦ .

بخلاف هذه ؛ فإنَّها تقتل : أرواح أهل البيت (صلوات الله عليهم) ؛ وعلومهم وعقائدهم ومعارفهم ، وتحرم أتباعهم ، بل جملة البشرية ، بل طُرِّ المخلوقات الحياة الأخروية الأبدية ، ومن ثمَّ لا قياس بين الخطرين والضَّرين والفتكين.

وكانت هذه القضية هي السبب في إعراض أو غفلة مُتكلِّمي الإمامية ، وأصحاب العقائد والمعارف عن كثير من أبواب وأبحاث العقائد والمعارف الثابتة في بيانات الوحي الوافرة الباهرة.

وعلى هذا قس : علم الفلسفة ؛ فإنَّ تبويبه وفهرسته ورسم خارطته جرت على وفق نتاج بشري ، بل اعترف أصحابها^(١) بذلك ؛ فقالوا : إنَّ الفلسفة تعني : معرفة حقائق الأشياء بقدر الطَّاقة البشريَّة.

وبين المعرفة على قدر الطاقة البشريَّة ؛ والتي مهما علت لأبَدَّ أن تكون محدودة ومتناهية ، وبين المعرفة على وفق طاقة الوحي غير المتناهية وغير المحدودة فارق من دون قياس ؛ فإنَّ الثابت في محلِّه أنَّه لا توجد نسبة رياضية بين المحدود وغير المحدود ، فإنَّه مهما علت ووضعت للمحدود من قيم وأرقام إذا قيس لغير المحدود لأبَدَّ أن تكون قيمة المحدود صفرًا على جهة الشمال ؛ وإلا - أي : إذا جُعِلَ للمحدود قيمة وإن كانت ضئيلة جدًا كالواحد مقابل الترليون - لانقلبت ماهية غير المتناهي وغير المحدود وصارت متناهية

(١) مرجع الضمير : (الفلسفة).

ومحدودة ، وبطلان ، بل استحالة إنقلاب الماهية من الواضحات ، بل وخلف الفرض أيضاً.

ومن ثمّ التبويبات الجارية في علم الفلسفة - سواء أكانت فلسفة: مشاء أو إشراق أو حكمة متعالية أو فلسفات غربية حديثة أو فلسفات ألسنية أو فلسفات الهرمونطيقيا (الهرمونتيكيا) التعددية أو فلسفات الكلام الجديد - وحسب المباحث المعرفية والعقائدية ؛ وحشر مواد الوحي في هذه التبويبات البشرية كارثة علمية. وليس في هذا التعبير رجزٌ حماسيٌّ ، بل بكلّ هدوء وبكلّ قناعة أنّه: كارثة علمية ومعرفية وعقائدية.

وهذه القضية لا بدّ من التنبّه إليها دائماً ؛ فإنّ أصل الفهرسة في علم: (الفقه) و(الأصول) و(الكلام) و(الفلسفة) و(التفسير) و(العرفان) وغيرها، بل وفي أيّ أيّدولوجية حديثة أو قديمة نتاج بشريّ محدود ، وتبويباتها لا تشمل عالم الحقيقة غير المتناهية ، ولا تتسع لِمَا هو موجود في تراث الوحي أبداً ، بل قوالب وبنود أبواب معارف وعقائد النتاج البشري في علم: (الكلام) و(الفلسفة) و(العرفان) و(التفسير) تختلف عن قوالب وبنود بيانات الوحي ، ومن ثمّ يُحاول الكثير من الباحثين في المعارف والعقائد ليّ أعناق العبائر والقوالب الوحيانية ذات السعة والقوّة والمتانة والرّصانة اللّامتناهية ؛ ليستبدلها أو يحشرها في قوالب النتاج البشري ؛ الهزيلة والهشة والضّيقة.

وبالجملة: أنّ الأطر والقوالب التي ينبغي أن يُسبح بها في عالم المعاني

اللامتناهية ، واستكشاف الحقائق العيانية غير المحدودة: أطر وقوالب وحيانية ، وهي تختلف عن أطر البشر ؛ فإنَّ قوالب المعاني الوحيانية أطر تكوينية غير متناهية ، تُباين قدرة وسعة ودقَّة أطر وقوالب المعاني البشرية ، فإنَّها إعتبارية متناهية. وهذه قضية بالغة الأهمية والثمره والخطورة. فالتفت تربت يدك.

وإلى هذا تشير بيانات الوحي ، منها:

١- بيان قوله جلَّ وتقدَّس: ﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ﴾^(١).

٢- بيان قوله تقدَّس ذكره: ﴿مَا عِنْدَكُمْ يَنْفَدُ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ بَاقٍ﴾^(٢).

ودلالاتها واضحة.

والإضطرار يجرُّنا للتوسُّع في هذه القضية ؛ لنبيِّن كيفية بُعد الثقافة الإسلامية المنتشرة بين المؤمنين فضلاً عن المسلمين عن حقيقة معارف وعقائد وثقافة الوحي الأصيلة والوسيلة والشفافة. بل أحياناً يكون النتاج المعرفي والعقائدي البشري حجاباً ومانعاً عن الوصول إلى سعة الحقيقة. نعم الشبهات والإثارات على النتاج البشري تُنبه الإنسان إلى أنَّ النتاج الوحياني شيء آخر غير النتاج البشري.

(١) لقمان: ٢٧.

(٢) النحل: ٩٦.

التنبيه العاشر:

حقيقة الدين

الدين شامل لجملة العوالم وكافة المخلوقات الالامتناهية

إنَّ الدين عبارة عن منظومة ونظام تحكُّم ، راسم للعلاقة بين الخالق ﷻ وجملة المخلوقات ، ومن ثمَّ لا يختصُّ بعالمٍ مُعيَّن ، ولا ببعض المخلوقات - كالجنِّ والإنسِ - ، بل شامل للجميع .

بخلاف الشريعة ؛ فإنَّها مُتخصِّصة بعالم الدنيا وبالثقلين - الجنِّ والإنسِ - .

لكن: كثير من أصحاب كُتُب: علم الفقه ، وعلم الكلام وعلم التفسير وغيرها يخلطون بين الدين والشريعة .

والفارق بينهما:

إنَّ الدين يُطلق ويُراد به: مجموع العقائد والمعارف الإلهية ، وأركان الفروع ، وأصول الأخلاق والآداب ، وأصول واجبات ومحرمات فقه الفروع . وهو شامل لكافة العوالم وجملة المخلوقات ، ومن ثمَّ يكون دين الأنبياء ﷺ واحداً لدى الجميع ، وهو دين الإسلام .

وهذا ما تُشير إليه بيانات الوحي ، منها:

١- بيان قوله عزَّ من قائل: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ وَمَا اخْتَلَفَ

الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بِنِعْمِ رَبِّهِمْ ﴿١﴾ .
 ٢- بيان قوله جَلَّ قَوْلُهُ: ﴿أَفَغَيْرَ دِينِ اللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُ أَسْلَمَ مَنْ
 فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ﴾ (٢) .

ودلالاتها واضحة .

بخلاف الشريعة ؛ فإنَّها تُطلق ويُراد بها: تفاصيل الفروع ، وهي
 مُتَّصَةٌ بِالْإِنْسِ وَالْجِنِّ ، وَبِعَالَمِ الدُّنْيَا بِنَشَاتِهِ الثَّلَاثِ - عَالَمِ الدُّنْيَا الْأُولَى ،
 وَعَالَمِ الْبَرْزَخِ ، وَعَالَمِ آخِرَةِ الدُّنْيَا (الرَّجْعَةِ) - ، وَلِكُلِّ نَبِيٍّ شَرِيعَتُهُ الْخَاصَّةُ .

وهذا ما تُشير إليه بيانات الوحي الأخرى ، منها:

بيان قوله عزَّ قَوْلُهُ: ﴿لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَا جَا﴾ (٣) .

ودلالته واضحة .

إِذْنُ: الدِّينِ بِمَنْظُومَتِهِ وَمَعَارِفِهِ وَعَقَائِدِهِ لَا يَخْتَصُّ بِعَالَمِ الدُّنْيَا الْأُولَى ،
 بَلْ يَشْمَلُ جَمَلَةَ الْعَوَالِمِ وَالنَّشَاتِ ؛ وَكَافَّةَ الْمَخْلُوقَاتِ ؛ لِكَوْنِهِ الرَّابِطَةُ بَيْنَ
 الْخَالِقِ ﷻ وَجَمِيعِ الْمَخْلُوقَاتِ .

وعليه: فالموقعية العقائدية والمعرفية المرتبطة تداعياتها بالدِّين تكون

(١) آل عمران: ١٩ .

(٢) آل عمران: ٨٣ .

(٣) المائدة: ٤٨ .

أعظم هولاً ، وأخطر أثراً ، وأعظم فائدةً من الموقعية العقائدية المرتبطة تداعياتها بالشريعة .

وحيث إن ولاية أهل البيت (صلوات الله عليهم) ومقاماتهم من الدين ، بل من أصوله وأسس وأركانه فلا تختص بالنشأة الأرضية ، بل شاملة لكل العوالم وكافة المخلوقات غير المتناهية من بداية الخلق والوجود إلى ما لا نهاية له ، وتداعياتها أخطر وأعظم هولاً من دون قياس .

التنبية الحادي عشر :

تَعْصِي البَعْض عن قَبول ما ورد في حقَّ أهل البيت عليهم السلام

العجب مِمَّن يدَّعي ويزعم انتسابه إلى مدرسة أهل البيت (صلوات الله عليهم) وهو لا يقبل بيانات الوحي الواردة في حقهم ، ويرفض طرق العامة فضلاً عن طرق الخاصة ، وكأنه يقطع نفسه عن تراث السنة الشريفة .

وقد حكمت كلمة المسلمين بالإجماع على مَنْ يقطع نفسه عن هذا التراث العظيم والخطير بـ: الخروج عن ملة المسلمين ؛ فإنَّ أقلَّ وأدنى مراتب الإسلام ؛ ولا يصير الشخص من عبدة الشيطان^(١) قبوله بالروايات المتواترة بين الفريقين .

والإنسان وإن كان حرّاً في ذلك ، لكن: عليه أن يعلن عن نفسه ،

(١) مشكلة (إبليس) وأزمته السرمديّة في الخلق ، التي تذكرها بيانات الوحي لبدء طريق الشرّ تكمن في عدم الولاية لولي الله ﷺ .

ويكون صريحاً مع الآخرين ، ولا يخدعهم ، ولا يُشبهه ولا يُزيّف عليهم: أنّه من المتشبهين ببيانات الثقلين ، والصدق هو الأهم ، والخداع معيب ودجل ومكر وخديعة.

وإلى أصحاب هذا الخطّ تشير بيانات الوحي ، منها:

بيان سيّد الأنبياء ﷺ: «... أيّها النّاس ، مالكم إذا ذكر إبراهيم وآل إبراهيم أشرقت وجوهكم ، وإذا ذكر محمد وآل محمد قست قلوبكم وعبست وجوهكم؟! والذي نفسي بيده لو عمل أحدكم عمل سبعين نبياً لم يدخل الجنّة حتّى يحبّ هذا أخي عليّاً وولده ، ثمّ قال ﷺ: إنّ لله حقّاً لا يعلمه إلا أنا وعليّ ، وإنّ لي حقّاً لا يعلمه إلا الله وعليّ ، وله حقّ لا يعلمه إلا الله وأنا»^(١).

ودلالته واضحة ؛ فإنّ أصحاب هذا الخطّ والمنهج والمسلك ومن جرى على شاكلتهم يُحاولون بكلّ ما أُوتوا من صنعة - بدعوى التّحقيق - بهدم كلّ ما ورد من شؤونٍ وأحوالٍ ومقاماتٍ وفضائلٍ وكمالاتٍ في حقّ أهل البيت (صلوات الله عليهم) تحت ذريعة: الغلو ؛ وما شاكله من ادّعاء: ضعف السند أو الدلالة أو عدم المقبوليّة ؛ وإنّ كان ذلك ثابتاً بعشرات ، بل بمئات الطُّرق والبيانات الوحيانيّة والسّير والنقول التاريخيّة وما شاكلها ، وكانت دالاتها صريحة وواضحة كالشمس الضاحية ولا غبار

(١) بحار الأنوار ، ٢٧: ١٩٦ / ح ٥٦ . الروضة: ١٤٧ .

عليها ، وفي مقابل ذلك لا يتورعون ولا تجد هذه الحساسية موجودة عندهم في حق بقية المخلوقات ، فيتشبهون من دون أي تقوى بكل شاردة وواردة ، كشيء الغريق بالطحلب ؛ لإثبات مقامات وكرامات وفضائل وكمالات لبقية المخلوقات ، ولا يعتنون بسندها ولا بدالاتها ، فما عدا مما بدا .

التنبيه الثاني عشر:

أعظم ظلامة لأهل البيت عليهم السلام جفوتهم في علومهم

إن أعظم ظلامة وقطيعة تحصل بيننا وبين أهل البيت (صلوات الله عليهم): هجرانهم وجفوتهم في علومهم ؛ لاسيما العقائدية والمعرفية ، وأعظم وأكبر وصال وصلة تحصل بيننا وبينهم عليهم السلام - والذي أمرنا الله تعالى بصلته - ، وأعظم وأخطر رحم نصلها ونتواصل معها: الإتصال بهم (صلوات الله عليهم) والتواصل معهم في علومهم لاسيما العقائدية والمعرفية .

التنبيه الثالث عشر:

زيادة المعرفة بأهل البيت عليهم السلام

إن زيادة معرفة المخلوق بأهل البيت عليهم السلام توجب علو مراتبه ودرجاته؛ وعلو تكامل جوهره .

التنبيه الرابع عشر:

تعظيم المخلوق

إنَّ تعظيم المخلوق مهما بلغ إذا كان على وفق الموازين والأسس والأصول والقواعد الوحيانية لا يكون إلا عين التوحيد ، وليست فيه شائبة ورائحة الغلو والتأليه. فالتفت.

التنبيه الخامس عشر:

التعامل مع معارف أهل البيت عليهم السلام

التقصير أشدُّ جرماً ومُؤاخِذةً وانحطاطاً من الغلوِّ

ينبغي الالتفات: أننا نتعامل في هذه المسائل والمطالب المعرفية مع علوم أهل البيت عليهم السلام ومعارفهم وعقائدهم ، وهي جسيمة وعظيمة وخطيرة جداً ، بعض مراتبها لا يحتملها ملكٌ مُقَرَّبٌ - ك: جبرئيل عليه السلام - ولا نبيٌّ مرسلٌ - ك: النبيِّ إبراهيم عليه السلام - ولا مؤمنٌ مُتَحَنٌّ - ك: سلمان رضوان الله عليه -.

فانظر: بيانات الوحي ، منها:

بيان الإمام الصادق عليه السلام ، عن أبي الصّامت ، قال: «... إنَّ حديثنا صعبٌ مُستصعبٌ ، شريفٌ كريمٌ ، ذكوانٌ ذكيٌّ وعرٌ ، لا يحتمله ملكٌ مُقَرَّبٌ ، ولا نبيٌّ مرسلٌ ، ولا مؤمنٌ مُتَحَنٌّ. قلت: فَمَنْ يحتمله جُعِلَتْ فداك؟

قال: مَنْ شئنا يا أبا الصامت. قال أبو الصامت: فظننتُ أَنَّ لله عبادةً هم أفضلُ مِنْ هؤلاء الثلاثة^(١).
ودلالته واضحة.

لكن: الشكَّ والترديد فيها - بعد قيام الدليل القطعي عليها - يكشف عن وجود تقصير وعداء ونصب خفيٍّ لأهل البيت عليهم السلام.
فلاحظ: بيانات الوحي ، منها:

بيان أمير المؤمنين عليه السلام: «... لا تسمُّونا أرباباً وقولوا في فضلنا ما شئتم؛ فإنكم لن تبلغوا من فضلنا كُنْه ما جعله الله لنا ، ولا معشار العشر ؛ لأننا آيات الله ودلائله ... ولو قال قائل: لم ، وكيف ، وفيم؟ لكفر وأشرك ؛ لأنَّه لا يُسأل عمَّا يفعل وهم يُسألون ... مَنْ آمَنَ بما قلتُ وصدَّقَ بما بيَّنتُ وفسَّرتُ وشرحتُ وأوضحتُ ونورَّتُ وبرهنتُ فهو مؤمنٌ مُمتحن ، امتحن الله قلبه للإيمان ، وشرح صدره للإسلام ، وهو عارفٌ مُستبصر ، قد انتهى وبلغ وكمل ، وَمَنْ شكَّ وعند وجد ووقف وتحيرَّ وارتاب فهو مُقصرٌ وناصب ...»^(٢).

ودلالته واضحة ، بعد الالتفات: أَنَّ النصب والعداء لأهل البيت عليهم السلام وان عدَّه بعض العامة: خمسة عشرة دركة ؛ لكن واقعه لا حدَّ ولا مُنتهى له ، وليس له إلا لظى. وعلى المخلوق تحديد موقفه من طبقات حقائق أهل

(١) بحار الأنوار ، ٢: ١٩٢/ح ٣٤.

(٢) المصدر نفسه ، ٢٦: ١ - ٧/ح ١.

البيت ﷺ ومن معارفهم وعلومهم ؛ فإنه على أقل تقدير أنّ الإبتعاد عنهم ﷺ وعن علومهم ومعارفهم لاسيما العقائدية تقصير جليّ ، وهو أشدُّ ذنباً وجُرمًا وانحطاطاً من الغلوّ فيهم ﷺ وفيها.

والوجه: أنّ الباري ﷻ طعن في قرآنه الكريم على النصارى ونعتهم بالضالين ؛ لغلوهم في النبيّ عيسى عليه السلام ، لكنّه جلّ شأنه طعن في قرآنه الكريم أيضاً على بني إسرائيل بأشدّ من ذلك ونعتهم بـ: (المغضوب عليهم) ؛ وذلك لتقصيرهم في معرفته عليه السلام ، وبين التعبيرين بون شاسع ، يكشف عن مدى جرم وشناعة وانحطاط التّقصير ؛ لاسيما في معرفة علوم أهل البيت ﷺ وحقائقهم لاسيما طبقاتها الصّاعدة.

وعليه: فليلتفت الهارب من شائبة الغلوّ في أهل البيت ﷺ ومعارفهم وعلومهم أنّ لا يرتطم من حيث لا يشعر بمحذور التّقصير ، وهو الأشنع والأشدُّ جرماً وانحطاطاً ومؤاخذه لاسيما في حقّ أهل البيت ﷺ وعلومهم ومعارفهم لاسيما العقائدية ؛ وذلك عن طريق الإبتعاد وعدم التّعرّض لمعارفهم وعقائدهم ﷺ الواردة في طبقات حقائقهم لاسيما الصّاعدة. والنّجاة تكمن في الجادّة الوسطى ، وهي: (الأمّريّين الأمرين) ، وذلك عن طريق الأخذ ببيانات الوحي الواردة في حقّهم بعد عرضها على مُحكمات الشّرع والدين.

بل ورد في بيانات الوحي: أنّ التّقصير في حقّ أهل البيت صلوات الله عليهم وعقائدهم ومعارفهم ومقاماتهم وشؤونهم وأحوالهم أشنع وأشدُّ جرماً - والعياذ بالله تعالى - من النصب ؛ لأنّ النصب عداء لشيعتهم ؛

بخلاف التقصير فإنه عدااء لهم ﷺ ، وأي جرمٍ أعظم وأخطر من هذا.

فانظر: بيانات الوحي ، منها:

١- جواب الإمام الصادق ﷺ عن سؤال المُفضَّل بن عمر ، قال: «... يا مولاي ، مَنْ المُقَصِّرَة ... ؟ قال: يا مُفضَّل ، هم الَّذِينَ هَدَاهُم اللهُ إِلَى فضل علمنا ، وَأَفْضَى إِلَيْهِمْ سَرَّنا فَشَكُّوا فِينا ، وَأَنْكَرُوا فَضْلنا ... قال المُفضَّل: يا مولاي ، أليس قد روينا عنكم أَنَّكم قَلْتُم ... والتَّالِي نلحقه بنا ، قال: ... التَّالِي هم من خيار شيعتنا ، القائلين بفضلنا ، المُستمسكين بحبل الله وحبلنا ، الَّذِينَ يزدادون بفضلنا علماً ، وَإِذا ورد على أَحدهم خبر قبله وعمل به ولم يشكَّ فيه ، فَإِنَّ لم يطقه رَدُّه إِلَيْنا ، ولم يرد علينا ...»^(١).

٢- بيانه ﷺ أيضاً: «... النَّاصِبَة أَعْدائُكُمْ ، والمُقَصِّر أَعْدائُنَا ؛ لِأَنَّ النَّاصِبَة تُطالبكم أَنْ تُقَدِّمُوا عَلَيْنَا أبا بكر وَعُمَر وَعِثْمَان ، ولا يعرفوا من فضلنا شيئاً ، والمُقَصِّرَة قد وافقوكم على البراءة مِمَّنْ ذكرونا ، وعرفوا فضلنا فَأَنْكَرُوهُ وَجحدوه ، وقالوا: هذا ليس لهم ؛ لِأَنَّهم بشرٌ مِثْلنا ، وقد صدقوا أَنَّنَا بشرٌ مِثْلهم إِلَّا أَنَّ الله بما يُفَوِّضُه إِلَيْنا من أمره ونهيه فنحن نفعل بإذنه ...»^(٢).

ودلالاتها واضحة. ومن ثمَّ وجب على العاقل - لاسيما مَنْ تَزَيَّى بجلباب العلم - بذل قصار جهده للخروج عن هذه الدائرة وعنوان التقصير وما يصاحبه من الأمراض النفسية والمعنوية - ك: الجهل المُركَّب ،

(١) الهداية الكبرى: ٤٣١.

(٢) عوالم العوالم: ٧٧/٥.

والقناعات المُسبَّقة ، والشكُّ والرَّيبة والتردُّد في قبول ما قام عليه الدليل من مقامات لأهل البيت صلوات الله عليهم وشؤونهم وأحوالهم .
والإنسان وإن كان حُرّاً في تصرُّفاته واعتقاداته لكننا أحببنا التَّنبيه على ذلك .

التَّنبيه السادس عشر :

نكتة عدم استيعاب عقول المخلوقات لشؤون أهل البيت عليهم السلام

إنَّه لَمَّا كانت هذه المعارف الإلهية بكرة لم تُفتق من قبل قطُّ بهذا الشكل والبيان الموجود في سلسلة المعارف الإلهية هذه ، ولم يُنسب بها بنت شفة مع أنَّ بيانات الوحي زاخرة بها فمن الطبيعي يحصل فيها توقُّف وتردُّد لدى مَنْ يُخبر من ضعيفي الإيمان بمقاماتهم صلوات الله عليهم وبصفاتهم وأسمائهم وكمالاتهم وفضائلهم وشؤونهم وأحوالهم ؛ وإن قام عليها الدليل القطعي .

مضافاً: أنَّ ما جادت به يد ساحة القدس الإلهية على أهل البيت صلوات الله عليهم عطايا لا تتحمَّل تصوُّرها طاقة وقابلية مخلوق قطُّ ، ولا يمكن خطورها على بالٍ قطُّ فمن الطبيعي أيضاً حصول توقُّف وتردُّد لدى من يطَّلع عليها من ضعيفي الإيمان أو يُخبر بها وإن قام عليها الدليل القطعي .
بعد الالتفات: أنَّ لازم ذلك التوقُّف والشكُّ والتردُّد: إلحاد وشرك وكفر بالله (العزیز الجبار) . وهذا ما نبَّهت عليه وحذرت منه بيانات الوحي ،
منها:

١- إطلاق بيان الحديث القدسي: «... يا مُحَمَّد ... وعزِّي وجلالي ،

لو لقيني جميع خلقي يشكُّونَ فيكَ طرفة عين ، أو يبغضون صفوتي من دُرِّيتِكَ لأدخلتهم ناري ولا أبالي...»^(١).

٢- بيان سيّد الأنبياء ﷺ: «إِنَّ حَدِيثَ آلِ مُحَمَّدٍ صَعِبٌ مُسْتَصْعَبٌ ، لَا يُؤْمِنُ بِهِ إِلَّا مَلَكٌ مُقَرَّبٌ ، أَوْ نَبِيٌّ مُرْسَلٌ ، أَوْ عَبْدٌ امْتَحَنَ اللَّهَ قَلْبَهُ لِلإِيمَانِ... وَإِنَّمَا الْهَالِكُ: أَنْ يُحَدِّثَ بِشَيْءٍ مِنْهُ لَا يَحْتَمِلُهُ فَيَقُولُ: وَاللَّهِ ، مَا كَانَ هَذَا شَيْئًا ، وَالإِنكَارُ هُوَ الْكُفْرُ»^(٢).

٣- بيانه ﷺ في وصيته لابن عباس الواردة في حقِّ أمير المؤمنين صلوات الله عليه: «... يَا بَنَ عَبَّاسٍ إِحْذَرِ أَنْ يَدْخُلَكَ شَكٌّ فِيهِ ؛ فَإِنَّ الشَّكَّ فِي عِلِّيٍّ كُفْرٌ بِاللَّهِ تَعَالَى»^(٣).

٤- بيان الإمام الباقر عليه السلام ، عن جابر بن يزيد ، قال: «... يَا جَابِرُ ، حَدِيثُنَا صَعِبٌ مُسْتَصْعَبٌ ، أَمْرٌ ، ذِكْوَانٌ ، وَعَرٌّ أَجْرَدٌ ، لَا يَحْتَمِلُهُ وَاللَّهِ إِلَّا نَبِيٌّ مُرْسَلٌ ، أَوْ مَلَكٌ مُقَرَّبٌ ، أَوْ مُؤْمِنٌ مُتَحَنٌ ، فَإِذَا وَرَدَ عَلَيْكَ يَا جَابِرُ شَيْءٌ مِنْ أَمْرِنَا فَلَانَ لَهُ قَلْبَكَ فَاحْمَدِ اللَّهَ ، وَإِنْ أَنْكَرْتَهُ فَرَدَّهُ إِلَيْنَا أَهْلَ الْبَيْتِ ، وَلَا تَقُلْ: كَيْفَ جَاءَ هَذَا؟ وَكَيْفَ كَانَ؟ وَكَيْفَ هُوَ؟ فَإِنَّ هَذَا وَاللَّهِ الشَّرْكَ بِاللَّهِ

(١) بحار الأنوار ، ١٨: ٣٩٧/ح ١٠٠. اليقين في أُمرة أمير المؤمنين عليه السلام: ٨٩-٩١.

(٢) بحار الأنوار ، ٢: ١٨٩/ح ٢١.

(٣) المصدر نفسه ، ١٦: ٣٢٠/٧٤. مجالس ابن الشيخ: ٦٤-٦٥. فضائل شاذان بن جبرئيل: ٥-٧. الروضة: ١٥٦.

العظيم»^(١).

ودلالاتها واضحة.

وبالجملة: لعظم هول ما أُعطي لأهل البيت صلوات الله عليهم وعظم خطره يحصل لدى من يطلع عليها أو يُخبر بها وإن كان بدليل قطعيّ يقينيّ توفيقاً أو شكّاً أو تردّداً أو إحداءاً أو شركاً أو كفراً بعضه جليّ، والآخر خفيّ على دركات لا متناهية، مشمولة ببيان قوله تعالى: ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ﴾^(٢)، يرجع إلى مدى تحمّل قابليّات واستعدادات المخلوق.

التنبيه السابع عشر:

الإصلاح الأكبر يكمن في بث البصيرة

إعداد الكلّ لمركزيّة المعصوم من أهل البيت عليه السلام

إنّ الإصلاح الأكبر يقوم على بث البصيرة في الأمة الإسلاميّة والإيمانيّة، بل في كافّة البشريّة. وأكبر طريق صلاح وإصلاح: إعداد الكلّ لمركزيّة المعصوم عليه السلام، وبث منهاج أهل البيت (صلوات الله عليهم)، لكن: لا باليّة تُنفر الطرف.

(١) بحار الأنوار، ٢: ٢٠٨/ح ١٠٢.

(٢) يوسف: ١٠٦.

وهذا الطريق يحتاج إلى توازن ، وهو صعب ومستصعب . والمُحكّم في المقام قاعدة: (لا يسقط الميسور بالمعسور).
وهذه بحوث معرفية مُعقّدة.

التنبيه الثامن عشر:

الإعاقة الفكرية والروحية أخطر من الإعاقة البدنية

إنّ الإعاقة الفكرية والروحية أخطر من دون قياس من الإعاقة البدنية؛ لأنّ الإعاقة البدنية لا تُعيق المخلوق عن التّكامل ، بخلاف الإعاقة الفكرية والروحية ؛ فإنّها تُعيقه عن التّكامل ، بل قد يحصل من صاحبها دماراً للبشرية.

التنبيه التاسع عشر:

فائدة وثمرة التّعريف على ماهية الإمامة الإلهية والإمام

ربّما يتساءل المثقّفون ومن يستأنس باللغة الأكاديمية: عن النفع والفائدة والثمرة من وراء التعريفات والتصوّرات الماورائية لمعرفة الدّين والعقائد والمعارف الإلهية ، لاسيما معرفة ماهية وحقيقة الإمامة الإلهية ، وماهيات وحقائق أهل البيت (صلوات الله عليهم) ، ولماذا هذا التحليق والعروج والتّطلّع؟ وأيّ اتّصال وارتباط بين معرفة هذه الحقائق والماهيات وبين حياتنا، بل وحياة البشرية المعاصرة والمستقبلية؟

والجواب: أنَّ حقيقة هذه التساؤلات ناشئة من حصر حياة البشر بهذه النشأة والكوكب الأرضي ، والحال: أنَّ الإنسان مرَّ وسيمرَّ في قوس النزول والصعود بعدة عوالم ، وهي أخطر وأعظم هولاً من هذا العالم وهذه النشأة الأرضية ، كذ: عالم: (البرزخ الصاعد) ، و(الرجعة - آخرة الدنيا -) ، و(القيامة) ، و(الآخرة الأبدية) ، وعوالم ما بعدها. والعقائد والمعارف الإلهية الحقَّة ؛ ومعرفة ماهياتها وحقائقها عبارة عن خارطة طريق لمستقبل المخلوقات عبر هذه العوالم.

بعد الالتفات: أنَّ كلمة البشر قائمة على عدم فناء الرُّوح.

وعليه: فإذا كان الإنسان عاقلاً ومؤمناً ، وكيِّساً وذكياً وحكيماً فعليه فهم خارطة مُستقبله عبر العوالم التَّالية ، وإلَّا كان حاله كحال الطفل ، بل البهيمة.

وهذا ما تشير إليه بيانات الوحي ، منها:

١- بيان الإمام الصادق صلوات الله عليه: «النَّاسُ إثنان: عالمٌ ومُتعلِّمٌ، وسائر النَّاسِ همجٌ، والهمج في النَّارِ»^(١).

والهمج - بالتحريك - جمع: همجة ، وهي: ذباب صغير كالبعوض يسقط على وجوه الغنم والحمير وأعينها. كذا ذكره الجوهرى^(٢).

(١) بحار الأنوار ، ١: ١٨٧/ح ٣.

(٢) المصدر نفسه.

٢- بيان أبي جعفر صلوات الله عليه: «... ففضل إيمان المؤمن بحمله:
﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ﴾^(١) وبتفسيرها على مَنْ لَيْسَ مِثْلَهُ فِي الْإِيمَانِ بِهَا كَفَضْلِ الْإِنْسَانِ عَلَى
الْبَهَائِمِ...»^(٢).

ودلالاتها واضحة.

ومن الله سبحانه وتعالى نستمد العون والتّوفيق ، وصلىّ الله على
سيدّ الأنبياء وسائر أهل البيت الغرّ الميامين ، النّجباء المكرمين.

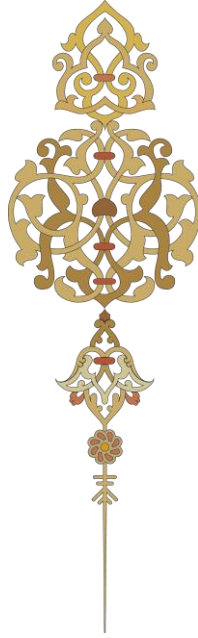
من جوار مرقد أمير المؤمنين عليه السلام

الشيخ كامل بدر الحلفي



(١) القدر: ١ .

(٢) بحار الأنوار ، ٢٥ : ٧٤ / ح ٦٣ . كنز الفوائد: ٣٩٥ - ٣٩٨ .



المقصد الأول

قواعد أصول الفقه في علم الكلام

منهج المعرفة

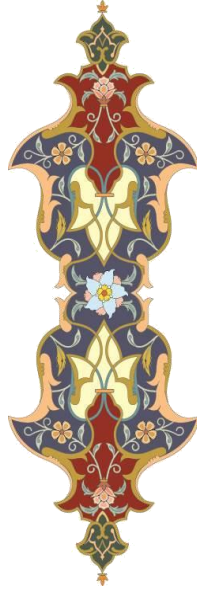
نظرية المعرفة

منطق المعرفة^(١)

وفيه : تسعة أبواب

(١) ينبغي الالتفات: أنَّ هذه العناوين الأربعة مترادفة على معنى واحد. ونكتة التكرُّر والتعدُّد ؛ لأجل الإيضاح ، وهذا ما سيتكرَّر (إن شاء الله تعالى) في كثير من عناوين المسائل والمطالب التالية. فالتفت.





البَابُ الأوَّلُ

أعظم ضرورة في العلم ضرورة اختيار نوع المنهج
ضرورة تمهيد المنهج في البحث العقائدي والمعرفي^(١)

وفيه : تسع مسائل

و

سبع وسبعون فائدة

(١) هذان العنوانان مترادفان على معنى واحد. ونكتة التكرُّر ؛ لأجل الإيضاح. كما تقدّم.



المسألة: (١)

[البَحْثُ الْمَنْهَجِيُّ وَخُطُورَتُهُ فِي أَبْوَابِ الْمَعَارِفِ]

إنَّ المنهجيةَ والمنهجَ^(١): نظام تحكُّم في معرفة عوالم الإنسان ومساره ومصيره^(٢)، وتضيء وتكشف مسافات ومساحات عوالمية

(١) البحث المنهجي هو السبب المؤدِّي لإختلاف وتشتُّت مدارس ومذاهب البشر الفكرية والمعرفية.

(٢) يجدر صرف النظر في المقام إلى القضايا التالية:

القضية الأولى:

حقيقة ذات المخلوق

هناك تساؤل مطروق في الأروقة العلمية والمعرفية عن حقيقة ذات المخلوق - سواء أكان المخلوق نفسياً أم روحياً أم عقلياً - ؛ فإنه حينما يتحدَّث عن ذاته يقول: نفسي، وروحي ، وعقلي ، وقلبي ، وشهوتي ، وغضبي ، وهلمَّ جرّاً ؛ فهل أنَّ حقيقته تكمن في مجموع هذه القوى؟ أو أنَّ حقيقته على طبقات ؛ فهذه القوى طبقات لها؟ أو أنَّ حقيقته شيء آخر وراء هذه القوى؟

→ فيه خلاف.

ذهب بعض إلى الأوّل ؛ وأتمّها عبارة عن حيثيّات وزوايا لجوهر واحد.

وذهب آخر إلى الثاني.

وذهب ثالث إلى الثالث.

والحقُّ وما يُستفاد من بيانات الوحي هو الثالث ، ومن ثمّ ما ينسبه المخلوق لذاته مرافق لها ، فمثلاً: للإنسان نفس وشهوة وغضب وروح وإيمان وعقل وقلب وسرّ وخفيّ وأخفى وهلمّ جرّاً ، ولكلّ من هذه القوى والغرائز وغيرها أرواح ، فله روح لنفسه ، وروح لشهوته ، وروح لغضبه ، وروح لعقله ، وروح لإيمانه ، وروح لقلبه ، وروح لسرّه ، وروح لخفيّه ، وروح لأخفاه ، وهلمّ جرّاً. وحقيقة الإنسان وجوهره وفصله الأخير روح أُخرى وراء هذه الأرواح أكثر بطوناً وخفاءً تقوم بتسخيرها.

إذن: حقيقة المخلوق وهويّته وتشخصه تكمن بفصله الأخير ، وهو أكمل شيء فيه ، لا يبدنه ولا يهادّته ولا بصورته ولا بجنسه ، لأنّ البدن والمادّة بطبقاتها تتبدّل بين فترة وأخرى كماء النهر الجاري ، مع أنّ حقيقة المخلوق باقية على حالها ، فزيدية زيد ليست ببدنه ولا بقواه النّازلة أو الصّاعدة ، بل بشيءٍ آخر وراء ذلك. وعلى هذا قس حال الملك والجنّ وكافة الحيوانات وجميع النباتات ، بل جملة المخلوقات.

القضية الثانية:

حقيقة الإنسان على طبقات

إنّ طبيعة خلقه وحقيقة الإنسان: بناء وجودي ذو عوالم وطبقات تتصاعد تلوّناً بتصاعد وتلطّف عوالم عالم التّكوين ؛ فإنّه وهو في هذا العالم وفي هذه النّشأة الدّنيويّة الأرضيّة له طبقة من وجوده الدّنيوي الحسيّ غير المرئي - إضافة إلى طبقة ←

→ بدنه الغليظ - ، وله طبقة أخرى من وجوده في عالم البرزخ ، وله طبقة ثالثة من وجوده في عالم السماء الأولى ، وله طبقة رابعة من وجوده في عالم السماء الثانية ، وهلمَّ جرّاً حتّى السماء السابعة ، بل وبعدها ، : بل له طبقة من وجوده في عالم القيامة ، وله طبقة من وجوده في عالم الآخرة الأبدية ، وبعد هذه الأبدان والحقائق والطبقات من وجوده تأتي مرتبة النفس ، وبعدها مرتبة الروح ، ثمَّ مرتبة وطبقة العقل ، ثمَّ مرتبة وطبقة القلب ، ثمَّ مرتبة وطبقة السرّ ، ثمَّ مرتبة وطبقة الخفي ، ثمَّ مرتبة وطبقة الأَخْفَى ، وعندها نهايات عالم المادّة ، لكنّها ليست نهايات جغرافيّة ، وإنّما نهايات وحدود وجوديّة ، فالوجود يشتدّ فيتلطّف حتّى تنعدم المادّة.

إِذَنْ: المقصود من الإِنْتِهَاء في المقام: إِنْتِهَاء حدود وجود المادّة وانعدامها ، فالمادّة تتلطّف وتتلطّف ويشتدُّ تلطّفها حتّى تضيع حدودها وتنعدم ، وهنا موقعيّة (سدرة المنتهى) ، ثمَّ تأتي بعدها وجودات وحقائق نوريّة مُجرّدة تجرّداً تامّاً عن المادّة فضلاً عن الجسميّة.

ومِمَّا تقدّم تتّضح كثير من بيانات الوحي ، منها:

١- بيان سيّد الأنبياء ﷺ في حديث المعراج مُحاطباً أمير المؤمنين صلوات الله عليه: «... يا عَلِيّ ، ليلة أُسري بي إلى السماء رأيتُ نساء من أمتي في عذاب شديد ... رأيتُ امرأة مُعلّقة بشعرها يغلي دماغ رأسها ، ورأيتُ امرأة مُعلّقة بلسانها والحميم يُصبُّ في حلقها ، ورأيتُ امرأة مُعلّقة بئديها ، ورأيتُ امرأة تأكل لحم جسدها والنّار توقد من تحتها ، ورأيتُ امرأة قد شدّ رجلاها إلى يديها وقد سلّط عليها الحيّات والعقارب ...». بحار الأنوار ، ٨ : ٣٠٩ - ٣١٠ / ح ٧٥. عيون أخبار الرضا عليه السلام : ١٨٤ - ١٨٥ .

ودلالته قد اتّضحت ؛ فإنّه بعدما لم تقم القيامة ولم يُسعّر جحيم الآخرة الأبدية كيف رأى ﷺ تلك النسوة من أمته يُعدّبن ويُفعل بهنَّ وبأبدانهنَّ ولحومهنَّ وشعورهنَّ وأيديهنَّ وأرجلهنَّ ذلك العذاب والانتقام الإلهي؟! وما ذلك إلّا ما ←

→ ذكرناه ؛ من أن لكل إنسان - وهو في هذه النشأة الأرضية - أبداناً بعدد عوالم عالم الأجسام والمادة ، وتلك الأبدان يترتب عليها وتُمسخ وتتلون بما يفعله الإنسان وهو في هذه النشأة الأرضية ، وتُبتُّ عن طريق تلك الأبدان ومراتب وطبقات ذاته: أعماله وأفعاله وصور حقيقته لجملة العوالم بثاً حياً ، وتُشاهد أفعاله وصور وواقع حقيقته من قبل مخلوقات كافة العوالم.

٢- بيان أمير المؤمنين صلوات الله عليه: «إنَّ أرواح القدرية تُعرض على النار غدواً وعشيّاً حتّى تقوم الساعة ، فإذا قامت الساعة عُدُّبوا مع أهل النار بأنواع العذاب ، فيقولون: يا ربنا عذبتنا خاصّة وتُعدِّبنا عامّة...». مختصر البصائر: ٣٥٣/ح ٣٨٦-١١.

٣- بيان شعره صلوات الله عليه:

وأنتَ الكتابُ المبينَ الَّذي بأحرفه يظهر المضمّر
وتزعم أنك جُرمٌ صغير وفِيكَ انطوى العالمُ الأكبر.

الديوان المنسوب لأمير المؤمنين عليه السلام / قافية الراء: ٧٥.

٤- بيان الإمام الصادق (صلوات الله عليه) ، عن أبي بصير ، قال: «حججتُ مع أبي عبد الله عليه السلام فلما كُنَّا في الطَّواف قلتُ له: جِعِلْتُ فداك يا بن رسول الله ، يغفر الله لهذا الخلق؟ فقال: يا أبا (يا أبا/خ. ل) بصير ، إنَّ أكثرَ مَنْ ترى قردة وخنازير. قال: قلتُ له: أرنبيهم. قال: فتكلّم بكلماتٍ ثُمَّ أمرَّ يده على بصري فرأيتهم قردة وخنازير ، فهالني ذلك ، ثُمَّ أمرَّ يده على بصري فرأيتهم كما كانوا في المرّة الأولى. ثُمَّ قال: يا أبا مُحَمَّد ، أنتم في الجنة تُحبرون...». بصائر الدرجات ، ٢: ١٨/ح ٩٦٩-٤. دلائل الإمامة ، للطبري: ٢٨٢-٢٨٣/ح ٢٢٦.

ودلالته - كدلالة سابقه - قد اتّضحت أيضاً ؛ فإنَّ أبا بصير قد رأى بعض أبدان المخالفين وحقائقهم في العوالم غير المرئية ، وهكذا بيان قوله صلوات الله عليه: ←

→ «أنتم في الجنة تجبرون»، فإنه دالٌّ - بقرينة السياق ، والإفصاح عن حقائق وأبدان المخالفين غير المرئية ، وبقرينة استعمال صيغة الفعل المضارع (تجبرون) - على أن المؤمنين يتمتعون الآن بالجنة الأبدية وهم في عالم النشأة الأرضية من خلال أبدانهم وحقائقهم الصاعدة في طبقة عالم الجنة الأبدية.

انتقال الإنسان من عالم لآخر انتقال لطبقات حقيقته لا حقيقته

وَمَا تَقَدَّمَ يَتَّضِحُ: أَنَّ انْتِقَالَ الْإِنْسَانَ مِنَ الْعَوَالِمِ النَّازِلَةِ لِلِإِلْتِحَاقِ بِالْعَوَالِمِ الصَّاعِدَةِ - كَعَالَمِ الْقِيَامَةِ ، وَعَالَمِ الْآخِرَةِ الْأَبَدِيَّةِ - انْتِقَالٌ وَتَرْقِيٌّ طَبَقَاتِ أَجْسَامِهِ وَأَرْوَاحِهِ النَّازِلَةِ ؛ لِتَلْتَحِقَ بِتِلْكَ الطَّبَقَاتِ الصَّاعِدَةِ ، وَإِلَّا فَطَبَقَةُ الْآخِرَةِ الْأَبَدِيَّةِ مِنْ وَجُودِهِ وَحَقِيقَتِهِ مَوْجُودَةٌ فِي الْآخِرَةِ الْأَبَدِيَّةِ مِنْذُ أَنْ خُلِقَ فِي الْعَوَالِمِ السَّالِفَةِ مِنْ بَدَايَةِ الْخَلْقَةِ.

فَاتَّضَحُ: أَنَّ حَقِيقَةَ الْإِنْسَانِ - لَيْسَ كَمَا ظَنَّهُ الْبَعْضُ تَنْتَقِلُ بِتَمَامِهَا مِنْ عَالَمٍ لِآخَرَ ، وَإِنَّمَا - تَنْتَقِلُ طَبَقَاتُهَا النَّازِلَةُ لِتَلْتَحِقَ بِطَبَقَاتِهَا الصَّاعِدَةِ ، فَالطَّبَقَاتِ النَّازِلَةِ مِنْ وَجُودِهِ وَحَقِيقَتِهِ هِيَ الَّتِي تَنْتَقِلُ مِنْ عَالَمٍ لِآخَرَ ؛ لِتَلْتَحِقَ بِطَبَقَاتِ وَجُودِهِ وَحَقِيقَتِهِ الصَّاعِدَةِ ، وَلِتَصِلَ فِي نِهَايَةِ الْمَسِيرِ إِلَى رَأْسِ هَرَمِ حَقِيقَتِهِ الصَّاعِدَةِ ؛ وَبَدَايَةِ انْتِقَالِ مَرَاتِبِهِ وَطَبَقَاتِ حَقِيقَتِهِ النَّازِلَةِ ، الْمُشَارِ إِلَيْهَا فِي بَيَانَاتِ الْوَحْيِ ، مِنْهَا:

بيان القاعدة المعرفية التكوينية المستفاد من بيانات الوحي ، وهي: «أَنَّ نَقْطَةَ الْبَدْءِ لِكُلِّ مَخْلُوقٍ هِيَ نَقْطَةُ النِّهَايَةِ».

فانظر: بيانات الوحي المشيرة لهذه القاعدة ، منها:

١- بيان سيّد الأنبياء ﷺ: «... مِنْهُ بَدَأْنَا وَإِلَيْهِ نَعُودُ...». الهداية الكبرى: ٤٤٨ - ٤٥١/ح ٥٦. صحيفة الأبرار، ١: ٢٠٨-٢١١/ح ١٠.

٢- بيان جواب الإمام الباقر عليه السلام عن سؤال أبي إسحاق الليثي ، قال: «... قُلْتُ: يَا بَنَ رَسُولَ اللَّهِ ، فَمَا صَنَعَ بِالطَّيْنَتَيْنِ؟ قَالَ: ... أَلَيْسَ إِذَا غَابَتِ الشَّمْسُ اتَّصَلَ ذَلِكَ ←

→ الشُّعاع بالقرص حتى يعود إليه؟ قلت: نعم ، قال: كذلك يعود كل شيء إلى سنخه وجوهره وأصله...» بحار الأنوار ، ٥ : ٢٢٨ - ٢٣٣ / ح ٦ . علل الشرائع: ٢٠١ - ٢٠٣ .

٣- بيان الإمام الصادق عليه السلام: «إِنَّ اللَّهَ خَلَقَنَا مِنْ طِينَةٍ عَلِّيِّينَ ، وَخَلَقَ قُلُوبَنَا مِنْ طِينَةٍ فَوْقَ عَلِّيِّينَ ، وَخَلَقَ شَيْعَتَنَا مِنْ طِينَةٍ أَسْفَلَ مِنْ ذَلِكَ ، وَخَلَقَ قُلُوبَهُمْ مِنْ طِينَةٍ عَلِّيِّينَ ... وَخَلَقَ عِدْوَنَا مِنْ طِينَةِ سَجِّينَ ، وَخَلَقَ قُلُوبَهُمْ مِنْ طِينَةِ أَسْفَلَ مِنْ سَجِّينَ ، وَإِنَّ اللَّهَ رَادٌّ كُلَّ طِينَةٍ إِلَى مَعْدِنِهَا ؛ فَرَادَهُمْ إِلَى عَلِّيِّينَ ، وَرَادَهُمْ إِلَى سَجِّينَ». بحار الأنوار، ٥ : ٢٤٩ / ح ٤٠ .

٤- بيانه عليه السلام أيضاً: «... أَنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى أَخَذَ طِينَةً مِنَ الْجَنَّةِ ، وَطِينَةً مِنَ النَّارِ فَخَلَطَهَا جَمِيعاً ثُمَّ نَزَعَ هَذِهِ مِنْ هَذِهِ ... وَهُمْ يَعُودُونَ إِلَى مَا خُلِقُوا مِنْهُ». بحار الأنوار، ٥ : ٢٥١ / ح ٤٥ . المحاسن: ١٣٦ - ١٣٧ .
ودلالة الجميع واضحة.

وهذا أحد تأويلات بيان قوله تعالى: ﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾ [البقرة: ١٥٦] ؛ فَإِنَّ اللّام فِي هَذَا الْبَيَانِ الشَّرِيفِ الدَّاخِلَةِ عَلَى كَلْفِ الْجَلَالَةِ (الله) بِمَعْنَى: (من) فيكون معناه: إِنَّا مِنْ اللَّهِ وَمِنْ تِلْكَ الْحَقِيقَةِ الْأَزَلِيَّةِ وَالْمَرْتَبَةِ الصَّاعِدَةِ بِدَأْنِ سِيرِنَا الْعَوَالِمِي ، وَإِلَى تِلْكَ الْحَقِيقَةِ الْأَزَلِيَّةِ وَتِلْكَ الْمَرْتَبَةِ الصَّاعِدَةِ رَاجِعُونَ ، بَعْدَ طَيِّ مَرَاتِبٍ وَطَبَقَاتٍ حَقَائِقُنَا النَّازِلَةِ عَوَالِمِ الْخَلْقَةِ النَّازِلَةِ ؛ لِتَلْتَحِقَ بِتِلْكَ الْمَرْتَبَةِ الصَّاعِدَةِ وَبِذَلِكَ الْعَالَمِ الْعُلُويِّ مَرَّةً أُخْرَى.

ويعبر أهل المعرفة عن هذه الحقيقة والمرتبة الصاعدة من وجود الإنسان بـ: (جنة الذات).

إذَنْ: طبيعة حقيقة الإنسان على طبقات متعددة بتعدد طبقات عوالم التكوين. وهذا أصل شريف وعظيم وخطير في معرفة الإنسان لنفسه ولغيره من سائر المخلوقات.

→ وهذا أحد معاني بيان سيّد الأنبياء ﷺ: «مَنْ عَرَفَ نَفْسَهُ فَقَدْ عَرَفَ رَبَّهُ». بحار الأنوار ، ٦٦ : ٢٩٣ ، وبيان جوابه ﷺ عن سؤال: «... كيف الطَّرِيقُ إِلَى معرفة الحقِّ؟ فقال: معرفة النَّفْسِ ...» بحار الأنوار ، ٧٠ : ٧٢ / ح ٢٣.

والمراد من عنوان (النَّفْس) المأخوذ في هذين البيانين الشَّرِيفين وما شاكلهما ليس بمعناها الأخصّ - وهي إحدى طبقات ومراتب حقيقة الإنسان - بل بمعناها الأعمّ الشّامل لكافة طبقات ومراتب حقيقة الإنسان ، فيكون معناهما: من عرف ذاته وحقيقته بتام مراتبها فقد عرف ربّه.

حقيقة عروج سيّد الأنبياء ﷺ ببدنه ونفسه لا بنوره

ومنه يتّضح: إنّ الذي كان يعرج به سيّد الأنبياء ﷺ في معارجه ليس نوره الشَّرِيف - لأنّ ذلك النور موجود في مقامه المنيع ولم يتجافى حتّى يعرج ذلك النور وتلك الحقيقة الصّاعدة أو ينزل - وإنّها طبقات ومراتب حقيقته ﷺ النّفسانيّة النّازلة مع بدنه الشَّرِيف هي التي تعرج وتنزل.

وإلى هذا تُشير بيانات الوحي ، منها:

بيان الإمام الصّادق صلوات الله عليه: «أَوَّلُ مَنْ سَبَقَ مِنَ الرُّسُلِ إِلَى بَلِي رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، وكان بالمكان الذي قال له جبرئيل - لَمَّا أُسْرِيَ بِهِ إِلَى السَّمَاءِ -: تَقَدَّمَ يَا مُحَمَّدُ ، فقد وطأت موطئاً لم يطأه ملكٌ مُقَرَّبٌ وَلَا نَبِيٌّ مُرْسَلٌ . ولولا أنّ روحه ونفسه كانت من ذلك المكان لَمَّا قَدَرَ أَنْ يَبْلُغَهُ ، فكان من الله ﷻ كما قال الله: ﴿قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى﴾ [النجم: ٩] ، أي: بل أدنى...». بحار الأنوار ، ٥ :

٢٣٦ / ح ١٢ . تفسير القمي: ٢٢٩ - ٢٣٠ .

→ القضية الثالثة:

ارتباط العوالم الصاعدة بوجود الإنسان في هذه النشأة الأرضية

إنَّ للعوالم السَّالفة الَّتِي مَرَّ بها الإنسان - كعالم الذَّرِّ والميثاق - نسب وشبكات وأمواج وذبذبات وطُرق اتِّصال مع نشأتنا الأرضية هذه ، لا زالت فعَّالة وقائمة على قدم وساق ، وبثُّها على مدار السَّاعة ؛ تشحن أرواح البشر في يقظتهم ومنامهم ، وتُعبئها بملفَّات على حسب قابليَّة أصحابها وتوجُّهاتهم وصحائف أعمالهم وأخلاقهم ، وهذا ليس معناه سلب اختيار المخلوق ، بل عالم نسبة الأرواح.

ومعناه: أنَّ الإنسان لم يُبتر عن تلك العوالم ، وأمره: (أمرين أمرين).

وهذا المبحث أحد مصاديق بيان القاعدة المعرفية الوحيانية: «لا جبر ولا تفويض ، ولكن أمرين أمرين». أصول الكافي ، ١/ ب ٥٢: ١٠٨/ ح ١٣.

والنتيجة: أنَّ التأثيرات على عالم الرُّوح بيد قدرة إلهية ، والبدن يد الرُّوح.

القضية الرابعة:

التراتب بين أصل حقيقة المخلوق ، وتعلُّق المشيئة الإلهية به ، وخلقته

هناك فارق وتقدُّم رتبي ووجودي بين مرتبه أصل تقرُّر حقيقة ذات المخلوق ، ومرتبة شيئية المخلوق وتعلُّق المشيئة الإلهية به ، ومرتبة تكوُّن المخلوق وخلقته ؛ فمرتبة أصل تقرُّر حقيقة ذات المخلوق مُتقدمة رتبةً ووجوداً على مرتبة شيئية الأشياء وتعلُّق المشيئة الإلهية بها ، ومرتبة شيئية الأشياء وتعلُّق المشيئة الإلهية بها مُتقدمة رتبةً ووجوداً على مرتبة تكوين الأشياء وخلقتها ، وهذا ما أشارت إليه بيانات الوحي ، منها:

→ ١- قوله تعالى: ﴿هَلْ أُنِى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينَ مِنْ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئًا مَذْكُورًا﴾ [الإنسان: ١].

ودلالته واضحة ؛ فإنه ناظرٌ إلى أصل تقرر حقيقة الإنسان قبل خلقته ، بل وقبل تعلق المشيئة الإلهية به .

٢- بيان زيارة فاطمة الزهراء صلوات الله عليها: «يا مُتَحَنِّئَةً اِمْتَحَنَكِ اللهُ الَّذِي خَلَقَكَ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَكَ فَوَجَدَكَ لِمَا اِمْتَحَنَكَ صَابِرَةً...». تهذيب الأحكام ، ٦ : ٩ - ١٠ / ١٩ - ١٢ .

فالإمتحان الإلهي للسيدة الزهراء عليها السلام أُسند إلى أصل ذاتها لا إلى خلقها أو تعلق المشيئة الإلهية بخلقها ذاتها عليها السلام ، وعالم أصل تحقق ذات المخلوق أسبق رتبة وأقدم وجوداً من عالم تعلق المشيئة الإلهية لخلق المخلوق ، وبالأولى أسبق رتبة وأقدم وجوداً من خلقها عليها السلام .

القضية الخامسة:

طبقات حقيقة الإنسان محبوكة في ذاته وموزونة بشكل هندسي

إن جميع مراتب وطبقات خلقه الإنسان محبوكة وموزونة على وفق هندسة خلقية تكوينية قامت بها يد الساحة الإلهية .

وهذا ما تشير إليه بيانات الوحي ، منها:

١- بيان قوله جلَّ اسمُه: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَتِيمُ وَلَكِنْ أَكْثَرُ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الروم: ٣٠].

٢- بيان أمير المؤمنين صلوات الله عليه: «... فبعث فيهم رُسُلَهُ ، وواتر إليهم أنبياءه ، ليستأدوهم ميثاق فطرته ، ويُذكروهم منسِيَّ نعمته ، ويحتجُّوا عليهم ←

→ بالتبليغ ، ويثيروا لهم دفاثن العقول ، ويروهم آيات المقدرة ...». نهج البلاغة ،
خ ١ : ٤٥ - ٤٦ .

ودلالتها قد اتضحت .

ومما تقدم يتضح :

أجهل الجهالات جهل الإنسان بنفسه

١- إنَّ من الأسس المهمة الاستفادة من بيان حديث جنود العقل والجهل للإمام الصادق عليه السلام (أصول الكافي ، ١ : ١٧ - ١٨ / ح ١٤) : أنَّ حقيقة الإنسان وذاته ذو حقائق ومراتب وطبقات وشخصيات متعدّدة إلى ما شاء الله ، لكن هذه الحقائق والمراتب والشخصيات لا يلتفت إليها الإنسان ولا يفهمها إلا إذا عرف أنَّه ذو حقائق وطبقات مختلفة .

وأجهل الجهالات التي يرتطم بها الإنسان الجهل بنفسه التي بين جنبه .

وهذا ما يوضّح : بعض أسرار إصرار بيانات الوحي الحاتّة على وجوب معرفة الإنسان لنفسه .

روح الإنسان بل وأرواحه على طبقات

٢- إنَّ الاستفادة من بيانات الوحي : أنَّ للروح الواحدة أو الأرواح لشخص الإنسان الواحد كينونات وطبقات وعوالم مُنتشرة في عوالم الخلقة ، فلها كينونة وطبقة من حقيقتها في عالم السماء الأولى ، وأخرى في عالم السماء الثانية وهلمَّ جرّاً إلى السابعة ، بل وفوقها ، ولها كينونة وطبقة في عالم القيامة ، وأخرى في عالم الآخرة الأبدية ، وثالثة فوق عالم الآخرة الأبدية ، وهلمَّ جرّاً ، فلإنسان في كلِّ سماءٍ وعالمٍ كينونة وحقيقة ، ومن ثمَّ تُبثُّ معتقداته ومعارفه وأخلاقه وأفعاله وأعماله وكلُّ ما يقوم به بثّاً حياً في تلك العوالم ، ويُبصر ويُشاهد على المكشوف - وهو في ←

→ عالمه ونشأته كهذا العالم وهذه النشأة الأرضية - من قِبَلِ مَنْصَتِ المراقبة الملكوتية وسكان تلك العوالم وأهل الملكوت.

وهذا بابٌ واسعٌ وبحثه طويل الذيل ، يفتح منه فهماً غائراً وخطيراً لأبواب معرفية عديدة ، لكنه متروك - كغيره من الأبواب والبحوث المعرفية الخطيرة - ولم يخض فيه أصحاب المدارس المعرفية البشرية - كالفلاسفة والمتكلمين والعرفاء والصوفية - إلا إجمالاً وكخطوة عامة.

ولو لم تذكر بيانات الوحي هذه المباحث لَمَا أمكن لبشر قَطُّ شم رائحتها.

إِذَنْ: روح الإنسان لا تعيش بتمام مُقدَّراتها في كيان عالم الدنيا فحسب ، بل هناك مراتب وطبقات منها - والإنسان في هذه النشأة الأرضية - تعيش وتتعايش وتتعمم في عوالم الحلقة الصاعدة ، فتعيش وتتعايش وتتعمم في عالم البرزخ ، وفي عالم السماء الأولى ، وعالم السماء الثانية وهلمَّ جراً حتى السابعة وبعدها ، وفي عالم الآخرة الأبدية - الجنة والنار الأبديتين - ، وفي عوالم ما بعد عالم الآخرة الأبدية ، وهي عوالم - جنان أو نيران - معنوية ، بل ولها قنوات اتصال مع عالم الملكوت ، بل وعالم ملكوت الملكوت إلى الساحة الربوبية.

النفس والروح حقيقة واحدة والتفاوت في الطبقات

ثمَّ إِنَّه يجدر الالتفات: أَنَّ حقيقة النفس والروح حقيقة واحدة ، لكنها على مراتب وطبقات مُتعددة إلى ما شاء الله ، ولها إطلاقات ، فإن لوحظت المراتب النازلة والتعلُّق بالبدن الأغظ أطلق عليها: (نفس) ، وإن لوحظت المراتب الصاعدة وتعلُّقها بالبدن الألف أطلق عليها: (روح) ، وهي على مراتب وإطلاقات مُتعددة أيضاً ؛ فروح الفرد الإنساني ذا طبقات بعضها فوق الجنة الأبدية ودون العرش ، وبعضها الآخر دون ذلك ، ومن ثمَّ أفعال الإنسان وتصرفاته ومعارفه ومعتقداته تُشاهد من قِبَلِ مخلوقات تلك العوالم ، ففعل الحرام والحلال مُنكشف لديها ، وأبراج المراقبة تُبَيِّنُ الصُّورَ بئاً حياً.

→ القضية السادسة:

كينونة الإنسان الأصليّة

يُطلق في بيانات الوحي عنوان: (عالم الأظلة) ويُراد منه: كينونة الإنسان الأصليّة، والطينة والنشأة والكينونة الأصليّة للرّوح، وهي دون العرش، وبرج التّحكّم في جملة ما دونها من نشآت المخلوق، وتتصرّف فيه وفي طبقات روجه، بل أرواحه، وتُمسك بما دونها من أرواح الشّخص الواحد.

ومنه يتّضح:

دخول طبقات حقائق أهل البيت عليهم السلام في جميع شرائر المخلوقات

أولاً: أحد تفاسير: «أرواحكم في الأرواح» - الوارد في بيان الزيارة الجامعة لأهل البيت صلوات الله عليهم: «السّلام عليكم يا أهل بيت النّبوة... بأبي أنتم وأُمّي ونفسي وأهلي ومالي، ذكركم في الذّاكرين، وأسماؤكم في الأسماء، وأجسادكم في الأجساد، وأرواحكم في الأرواح، وأنفسكم نفسكم في النفوس، وآثاركم في الآثار، وقبوركم في القبور...» / بحار الأنوار، ٩٩: ١٣٢ /: أنّ الرّوح الألف في تتصرّف في الرّوح الأغلظ؛ كحال تتصرّف الجسم الألف في الجسم الأغلظ، وأرواح أهل البيت عليهم السلام لَمّا كانت أطف الأرواح كانت داخله فيها دخول اللطيف في الأغلظ، لكن لا بالمزاحة والمزاولة، وخارجة عنها، لكن لا بالمباينة والمزايلة، وتتصرّف فيها تتصرّف الألف في الأغلظ.

وعلى هذا قس ما شاكل هذه الفقرة من فقرات هذه الزيارة الشريفة.

الإنسان في سير ملكوتيّ مُستمر

ثانياً: أنّ الإنسان في حال يقظته ومنامه في سير ملكوتي على قدم وساق، وفي حالة توجّه دائم وحركة وسير مُستمر - سواء أكان لربّه أو لبطنه أو لفرجه أو... - إمّا أنّ يعرج من خلاله أو يتسافل. وهذا عبارة عن المشهد الرّوحي للإنسان.

حقيقة روح الإنسان ونوره أعظم من السموات

ثالثاً: أن السموات وإن كانت من حيث الجسم أعظم من الإنسان ، لكنّه من حيث الروح والنور أعظم منها بكثير ، بل من دون قياس .

وهذا ما تُشير إليه بيانات الوحي ، منها:

بيان شعر أمير المؤمنين (صلوات الله عليه) - المتقدّم :-

وَأَنْتَ الْكِتَابُ الْمُبِينُ الَّذِي بِأَحْرَفِهِ يَظْهَرُ الْمَضْمُرُ
وَتَزْعُمُ أَنَّكَ جُرْمٌ صَغِيرٌ وَفِيكَ أَنْطَوَى الْعَالَمُ الْأَكْبَرُ

ومن ثمّ المهارة أن يكتشف الإنسان نفسه ؛ وأنّه أيّ معدنٍ نفيسٍ أدع فيه لتمييزه عن سائر المخلوقات .

معرفة حقيقة الإنسان باب عظيم للمعارف الإلهية

رابعاً: - تقدم - أن معرفة النفس باب عظيم من أبواب المعارف والعقائد الإلهية .

وهذا ما تُشير إليه بيانات الوحي ، منها:

بيان سيّد الأنبياء ﷺ - المتقدّم :- «مَنْ عَرَفَ نَفْسَهُ فَقَدْ عَرَفَ رَبَّهُ» .

ومن باب أوّل عرف نبيّه وإمامه ومعه ، وجملّة أبواب المعارف والعقائد الإلهية وأصول الدّين .

لكنّ: معرفة النفس لا تقتصر على ذلك من حيث إنّها آية من آيات الخلق الإلهية ، بل تشمل حيثيّة كونها بوابة وأرضيّة لبناء النّظام المتكامل الخلقّي والأخلاقي ، قال تعالى: ﴿سُتْرِهِمْ آيَاتِنَا فِيهِ الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَبَيِّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ﴾ [فصلت: ٥٣] ، ومن ثمّ فلا يُفتش الإنسان عمّا هو خارج فحسب ، بل وعمّا هو داخل ذاته .

→ وهذا ما تُشير إليه بيانات الوحي ، منها:

بيان شعر أمير المؤمنين (صلوات الله عليه) - المتقدّم أيضاً - :

وداؤك فيك وما تشعر ودأؤك منك وما تُبصرُ
وأنت الكتاب المبين الذي بأحرفه يظهر المضمّر
وتزعم أنك جرمٌ صغير وفيك انطوى العالم الأكبرُ

ودلالته قد اتّضحت .

إذّن: معرفة النفس - بمعناها الشّامل لجميع طبقات الرّوح وحقيقة الإنسان - باب عظيم: للمعارف والعقائد الإلهية والإيمان والتكامل ، ولجملة برامج الرياضة الرّوحية والتّهذيب الخُلقي . وتكامل الإنسان: علماً وخُلُقاً وعملاً يتمُّ ببركة معرفة خريطة النّفس والرّوح .

وهذا يدلُّ على أنّ جهاز النّفس الوجودي جهاز ذو عُرفٍ وبيوت ومنازل وأقسام وأغوار مخفية كثيرة جدّاً لا يعرفها ولا يُحيط بتمامها إلاّ باريها ﷻ وأهل البيت صلوات الله عليهم ، وعُرف التّحكّم في كيان الإنسان إلى ما شاء الله تعالى ، ومن يعرفها يستطيع أن يتكامل ، ويتمكّن من قبض الأرواح كعزرائيل ؑ ، وإحياء الموتى كإسرافيل ؑ ، وغير ذلك . وهذه مقامات ومنازل .

وبالجملة: الاستفادة من معاجز بيانات الوحي المعرفية: أنّ باب معرفة النّفس باب عجيب وغريب ، وأثمن الكنوز الأبديّة ، ولوحة النّفس أثمن الكنوز الأبديّة يجدر بالخلوق التنقيب واستخراج دررها ولألؤها ، وهي التي تبقى مع الإنسان أبد الآباد ودهر الدّهور وفي جملة منازل عوالمه غير المتناهية ، وهي كنز وأعظم هبة وهبتها وتمتعها به يد السّاحة الإلهية المقدّسة .

التجريد حقيقة معنوية

خامساً: أن ما ورد في بيان سيّد الأنبياء ﷺ: «حاسبوا أنفسكم قبل أن تُحاسبوا ، وزنوها قبل أن تُوزنوا ، وتجهزوا للعرض الأكبر» / بحار الأنوار ، ٦٧ : ٧٣ / ح ٢٦ / برهان وحياني أخذ لحقيقة مفروغ منها ، وهي: أن حقيقة الإنسان وراء نفسه وروحه وذاته.

ونظرية التجريد وإن كانت تُبحث كمُحسنات لفظية في علم البلاغة - وأن شيئاً واحداً يُجرّد عن نفسه ، فتتعدّد الحقيقة الواحدة - لكنّ بحثها في أبواب المعارف بحث عن أمر تكويني وعن حقيقة معنوية.

معنى نظرية التجريد في الرّوح

ثمّ إنّه ليس معنى نظرية (التجريد في الرّوح) - أي: تجريد الإنسان عن ذاته - بمعنى التّلطّف ، بل شيء وراء ذاته ، ولو وصل الإنسان لهذه الحقيقة لرّبما ولج في الملكوت عياناً ، لا من خلال أفكاره ، بل حقيقة.

وهذه القضية لم يهتد إليها الفلاسفة ، نعم ذكرت مدرسة الحكمة المتعالية شيئاً من أبحاثها ؛ مع أنّ بيانات الوحي طافحة بها وبأبحاثها ؛ وفكّكت بين أصل الإنسان وذاته.

خطورة النفس الإنسانية

معرفة النفس باب عظيم للمعرفة الإلهية

سادساً: أنّ معرفة النفس باب عظيم مهول وعجيب وغريب وخطير جداً يلج المخلوق منه إلى معرفة الباري ﷻ ، ومعرفة التوحيد والنّبوة والإمامة والمعاد.

→ ولوحة النفس أثنى الكنوز الأبدية فيجدر بال مخلوق التنقيب فيها واستخراج دررها ولألؤها ، وهي التي تبقى مع المخلوق أبد الآباد ودهر الدهور في جملة منازله وعوالمه غير المتناهية ، وهي أعظم هبة وهبتها يد الساحة الإلهية وتمتعته بها.

القضية السابعة:

تجسّم أعمال الإنسان الصالحة والطالحة

ينبغي الالتفات: أنّ كثير من بيانات الوحي دالة على تجسّم الأعمال ، وهو مسخ ملكوتي لحقيقة الإنسان ، فيُمسخ شكل الإنسان وبدنه البرزخي - وهو في هذه النشأة الأرضية - على وفق أعماله الطالحة ، بل قد تُمسخ أشكاله وطبقات أبدانه في العوالم الفوقية ؛ كعالم القيامة وعالم الآخرة الأبدية. وهذا بخلاف الأعمال الصالحة؛ فإنّها تجعل بدنه البرزخي أو أبدانه في العوالم الصاعدة تتألأ. وهذه ملحمة معرفية وعلمية عظيمة جداً.

ومنه يتّضح: أنّ كثير من العرفاء - موالين وغيرهم - قد يرون بعض أبدان الطرف الصاعدة - كما لو حصلت لهم مشاهدات لبدنه البرزخي أو لبدنه السماوي الأوّل - فينغروُن بها إمّا في جانب التلألؤ والنورانية ، أو في جانب التناة والظلمانية ، لكنّه مَنْ قال أنّ أبدانه الصاعدة الأخرى هي على هذا الطرز والمنوال ، ومن ثمّ ورد في بيانات الروايات: «أنّه قد تكون الأبدان من لا يوالي أمير المؤمنين (صلوات الله عليه) النّازلة - كالبدن البرزخي أو بدن السّماء الأولى أو الثانية أو الثالثة وهلمّ جرّاً - تلألؤاً ونوراً ، لكنّ أبدانه الصاعدة عقارب وأفاعي تنته وظلمانية». بل قد تخفى تلك الأبدان على أهل البصائر ، بل وعلى الحور العين وطبقات من الملائكة.

وهذا ما يوضّح: نكتة تسمية (الرّوح) في بيانات الوحي بـ: القلب ؛ وذلك لتقلّب شأن الإنسان في أحوال أرواحه المختلفة.

مهولة جداً^(١).

→ القضية الثامنة:

الإدبار عن العالم المادي والإقبال عليه

إنَّ الإقبال على العالم المادي الداني وشدة التعلُّق به يمنع الإنسان ويجرمه من الاستفادة من طاقات وقوى وقدرات وقابليَّات كامنة في دخيلة ذاته ممَّتعت بها يد السَّاحة الإلهيَّة طبقات حقيقته الصَّاعدة.

وهذا بخلاف العزوف والزهْد عن هذا العالم ، فَإِنَّهُ يُفَكِّك هذه العلائق والتَّعلُّقات ويُرجع النَّفس إلى حظيرتها القدسيَّة العلويَّة.

(١) الوارد في بيانات الوحي - كيان سيِّد الأنبياء ﷺ في جوابه على سؤال زينب العطاراة الحولاء/ توحيد الصدوق: ٢٦٩ - ٢٧٠ / ح ١ / -: أسماء وعناوين لعوالم تكوينيَّة غيبيَّة غير متناهية ، عظيمة وخطيرة ومهولة جداً ، لا يمكن لجملة المخلوقات - عدا أهل البيت ﷺ - إحصاءها ؛ لكونها خارجة عن مكتتهم وقدرتهم ، لكن غفل عنها جملة البشر ، منهم أصحاب المدارس المعرفيَّة البشريَّة - ك: الفلاسفة ، والمتكلِّمين ، والعرفاء والصُّوفيَّة والمفسِّرين - ؛ فإنَّهم يمرُّون على عناوينها الواردة في بيانات الوحي ولا يلتفتون إلى واقعها وحقائقها ؛ وأنَّها مشيرة إلى عوالم تكوينيَّة غيبيَّة عظيمة وخطيرة ومهولة جداً ، لا حصر ولا نهاية لعددتها أبداً وأزلاً ، ولولا إشارات بيانات الوحي لها لَمَا أمكن البتَّة خطورها على بال مخلوق وتصورها وشمِّ رائحتها ، بل رغم تنبيهاً بيانات أهل البيت ﷺ عليها غفل عنها الكثير ممَّن ليس له حظٌّ من التَّتبُّع والاستقصاء لبياناتهم صلوات الله عليهم.

بعد الالتفات: أنَّ من الأمور والأبواب المهمَّة لتكامل معرفة المخلوق: دوام وقوفه على عوالم جديدة مُستفاد من بيانات الوحي.

→ وإلى ما تقدّم تُشير بيانات الوحي المعرفيّة ، منها:

بيان دعاء السمات: «... وبحكمتك التي صنعت بها العجائب ، وخلقت بها الظلمة ... وخلقت بها النور ... وخلقت بها الشمس ... وخلقت بها القمر ... وخلقت بها الكواكب ... وأحصيتها بأسمائك إحصاءً...». [بحار الأنوار ، ٨٧: ٩٧. مصباح المُتهجد: ٢٩٢ - ٢٩٥] ؛ فَإِنَّهُ بَرهَانٌ وَحِيائِيٌّ دَالٌّ عَلَى أَنَّهُ لَا يُمكن إِحصاءَ عَالَمِ الخَلقة المادّيّة (إِنّاً) ؛ ومن المعلوم والأثر إلى العلة والمؤثر ، بل لا بُدَّ من إِحصائه (لُمّاً) ؛ ومن العلة والمؤثر إلى المعلوم والأثر ، ومن ثمَّ المعروف في العلوم الطبيعيّة: أَنَّهُ لَا يُمكن إِحصاءَ عَالَمِ الحسِّ بالحسِّ والعلوم الحسيّة ؛ لآَنَّهُ بعد تساوي مرتبتيهما لا يمكن للحسِّ والعلوم الحسيّة الإحاطة بعالم الحسِّ ؛ كيما تُحصيه وتُحصي مخلوقاته ، بل لا بُدَّ من وجود عالمٍ وعلمٍ أرفع - كعالمٍ وعلم الأسماء الإلهيّة ؛ طبقات حقائق أهل البيت ﷺ الصّاعدة - يُحيط بعالم الحسِّ ومحسوساته ويهيمن عليها ويراقبها.

وهذا ما يوضّح كثير من بيانات الوحي الواردة في حقّ أهل البيت لا سيما أمير المؤمنين صلوات الله عليهم ، منها:

أولاً: بيان أمير المؤمنين ﷺ: «... أَنَا المَحْصِي الخَلَائِقِ وَإِنْ كَثُرُوا ...». مشارق أنوار اليقين: ٢٦٩.

ودلالته قد اتّضحت ممّا تقدّم ؛ فَإِنَّهُ سيأتي (إن شاء الله تعالى) في المسائل والأبحاث اللاحقة: أَنَّ الصّفات والأسماء الإلهيّة الحسنى هي أحد طبقات حقائق أهل البيت ﷺ الصّاعدة.

فانظر: بيانات الوحي ، منها:

١- بيان أمير المؤمنين ﷺ: «... أَنَا الأَسْمَاءُ الحسنى التي أمر أن يُدعى بها ...». مشارق أنوار اليقين: ٢٦٩.

→ ٢- بيانه عليه السلام أيضاً: «... نحن الإسم المخزون المكنون ، نحن الأسماء الحسنی التي إذا سُئِلَ اللهُ تعالى بها أجاب ...». بحار الأنوار ، ٢٧ : ٣٣ - ٤٠ / ح ٥ . المحتضر : ٧١-٧٢ .

٣- بيانه عليه السلام أيضاً: «... وَأَنَا أَسْمَاءُ اللهُ الْحُسْنَى ...». بحار الأنوار ، ٥٣ : ٤٦ - ٤٩ / ح ٢٠ .

٤- بيان الإمام الباقر عليه السلام: «... عرفنا مَنْ عَرَفْنَا ، وجهلنا من جهلنا ، نحن الأسماء الحسنی التي لا يقبل الله من العباد عملاً إِلَّا بِمَعْرِفَتِنَا ...». بحار الأنوار ، ٢٥ : ٤ - ٥ / ح ٧ . المحتضر : ١٢٩ .

٥- بيان الإمام الصادق عليه السلام: «نحن والله الأسماء الحسنی الذي لا يقبل من أحدٍ إِلَّا بِمَعْرِفَتِنَا ، قال: ﴿فَادْعُوهُ بِهَا﴾ [الأعراف: ١٨٠]». بحار الأنوار ، ٩١ : ٦ / ح ٧ . تفسير العياشي ، ٢ : ٤٢ .

٦- بيان الإمام الرضا عليه السلام: «إذا نزلت بكم شدة فاستعينوا بنا على الله ، وهو قول الله: ﴿وَكَلِمَةُ الْأَسْمَاءِ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا﴾ [الأعراف: ١٨٠]». بحار الأنوار ، ٩١ : ٥ - ٦ / ح ٧ . تفسير العياشي ، ٢ : ٤٢ .

ودلالة الجميع واضحة على أَنَّ أهل البيت عليهم السلام بحقائقهم الصاعدة هم الأسماء الإلهية الحسنی ، ومن تلك الأسماء الإلهية اسم: (المهيمن ، والعليم ، واللطيف ، والخير ، والرقيب والحسيب ، والشهيد ، والمُحْصِي) ، ومن ثمَّ المُحْصِي لجملة عوالم الخلقة وكافة مخلوقاتهما جسمانية ومادية كانت أم غيرها هم أهل البيت عليهم السلام .

ثانياً: بيان أمير المؤمنين عليه السلام: «... أَلَا يَا أَيُّهَا النَّاسُ ، سلوني قبل أن تفقدوني ، إني بطرق السَّمَاءِ أعلم من العالمِ بطرق الأرض ...». بحار الأنوار ، ٥٣ : ٧٧ - ٨٧ / ح ٨٦ .

ودلالته قد اتضحت.

إخفاقات أصحاب العلوم البشريّة ناشئة من انطلاقهم من الحسّ

مِمَّا تقدّم يتّضح أيضاً: سبب إخفاق أصحاب العلوم الطبيعية من الإحاطة بشرائش عالم الحسّ وشؤونه وأحواله؛ لكونهم ينطلقون من الحسّ إلى الحسّ، وقد تبين فساده؛ فلذا هم في حالة ارتطام دائم بالمشكلات والمعضلات، فيرقعون جانب وينفتق أو يفتتح عليهم ألف جانب لم يجدوا لها حلاً، والعلّة: ما تقدّمت؛ من أنّ العلوم الحسيّة لا يمكنها الهيمنة والإحاطة بالمحسوسات - فضلاً عمّا فوقها-؛ فيحتاج إحصائها والإحاطة بها وبعّلها وأسبابها إلى علوم وعوالم فوقيّة، كعالم الصّفات والأسماء الإلهيّة؛ طبقات حقائق أهل البيت عليهم السلام الصّاعدة؛ فإنّ علومها براهين وحيانيّة لدنيّة وإحاطتها لميّة صاعدة.

إزدياد قوّة العوالم وخطرها بازدياد تلطّفها

بعد الالتفات: أنّه كلّما تزداد العوالم رفعةً وتلطّفاً كلّما ازدادت قوّةً وتسلّحاً، ومن ثمّ العين العقليّة أقوى تسلّحاً وأشدّ نفاذاً وهيمنةً من قوَى العين الوهميّة وتسلّحها ونفاذها وهيمنتها وإحاطتها، والعين الوهميّة أقوى تسلّحاً وأشدّ نفاذاً وهيمنةً وإحاطة من قوَى العين الخياليّة وتسلّحها ونفاذها وهيمنتها وإحاطتها، والعين الخياليّة أقوى تسلّحاً وأشدّ نفاذاً وهيمنةً وإحاطة من قوَى العين الحسيّة وتسلّحها ونفاذها وهيمنتها وإحاطتها، والعين الحسيّة أقوى تسلّحاً وأشدّ نفاذاً وهيمنةً وإحاطة من قوَى العين الماديّة الغليظة وتسلّحها ونفاذها وهيمنتها وإحاطتها.

وعليه: قس السّمع وسائر الحواس.

وجميع هذه الحواس تحتاج إلى مَنْ يُفَعِّلُها.

ويمكن للإنسان وهو في هذه النّشأة الأرضيّة تفعيل طبقات عقله وحواس أبدانه العالية في العوالم الصّاعدة، فقد يُفَعِّلُ - الإنسان - وهو في هذه النّشأة الأرضيّة عقله البرزخي أو الجنّوي وسمعه وسائر حواسه البرزخيّة أو الجنّويّة، مع أنّ

→ أصحاب عالم البرزخ قد لا يُفعلون عقولهم وحواسهم البرزخية ليعرجوا بها إلى عالم القيامة أو عالم الآخرة الأبدية وما بعده ، وكذا أصحاب عالم القيامة قد لا يُفعلون عقولهم وحواسهم ليعرجوا بها إلى عالم الآخرة الأبدية وما بعدها ، وهكذا أصحاب عالم الآخرة الأبدية قد لا يُفعلون عقولهم وحواسهم الجنائوية الأبدية ليعرجوا بها إلى عالم العقل. وعلى هذا فس أصحاب عالم العقل والعوالم الصاعدة بلحاظ ما فوقها.

وهذه مراتب وطبقات في حقيقة الإنسان التكوينية يجب عليه اغتنامها وهو في هذه النشأة الأرضية وتوظيفها واستثمارها.

نعم ، قد يُعطل الإنسان وهو في هذه النشأة الأرضية جملة قواه الصاعدة.

ومن لم يكتسب المعرفة وهو في هذه النشأة الأرضية فسيحرم لا محالة في العوالم اللاحقة من معارف ومشاهدات عظيمة ومهولة وخطيرة جداً.

وهذا ما تُشير إليه بيانات الوحي ، منها:

بيان قوله جلّ قوله: ﴿وَمَنْ كَانَ فِي هَذِهِ أَعْمَىٰ فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ أَكْمَىٰ وَأَضَلَّ سَبِيلًا﴾ [الإسراء: ٧٢].

وَمَنْ ثُمَّ سَيُحَسَّرُ الْكُلُّ فِي الْعَوَالِمِ الْلاحِقَةِ مِنْهُمْ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ الْأَبَدِيَّةِ عَلَى مَا فَتَهُمْ مِنْ تَحْصِيلِ الْمَعَارِفِ الْإِلَهِيَّةِ فِي هَذِهِ النَّشْأَةِ الْأَرْضِيَّةِ.

وهذا ما تُشير إليه بيانات الوحي الأخرى ، منها:

بيان أمير المؤمنين صلوات الله عليه: «... أَلَا وَإِنَّ الْيَوْمَ الْمُضْتَمَّرَ وَغَدًا السَّبَّاقُ...».

نهج البلاغة ، خ ٢٨ : ٨٤.

وعدم تطوُّر العلم والتَّحقيقات العلميَّة يكمن في حوسبيَّة المنهج ؛ فإنَّ جانب العاطفة شيء ؛ والفكر الموضوعي والعلمي شيء آخر .

إذَنْ: هناك ضرورة لأبَدٍّ من الإلتفات إليها ، حاصلها: أَنَّهُ لأبَدٍّ من التَّعمُّق والمداقَّة في المنهج .

والبحوث في العلوم الدِّينيَّة أشعَّة من عوالم أبدية ، وعلوم ملكوتيَّة كعَيْن مُسلَّحة يُبصر بها مسافات خطيرة المقدار .

→ ومنه يتَّضح: الجَم الغفير من بيانات الوحي الحاتَّة على طلب المعارف والعلوم الإلهيَّة ، فانظر: منها:

١- بيان سيِّد الأنبياء ﷺ ، عن أبي ذر رضي الله عنه ، قال: «قال رسول الله ﷺ: يا أبا ذر ، الجلوس ساعة عند مذاكرة العلم أَحَبُّ إلى الله من قيام ألف ليلة يُصلِّي في كلِّ ليلة ألف ركعة ، والجلوس ساعة عند مذاكرة العلم أَحَبُّ إلى الله من ألف غزوة وقراءة القرآن كُلِّه . قال: يا رسول الله ، مذاكرة العلم خير من قراءة القرآن كُلِّه؟! فقال رسول الله ﷺ: يا أبا ذر ، الجلوس ساعة عند مذاكرة العلم أَحَبُّ إلى الله من قراءة القرآن كُلِّه إثنا عشر ألف مرَّة! عليكم بمذاكرة العلم ، فإنَّ بالعلم تعرفون الحلال من الحرام . يا أبا ذر ، الجلوس ساعة عند مذاكرة العلم خير لك من عبادة سنة صيام نهارها وقيام ليلها! والنَّظر إلى وجه العالم خير لك من عتق ألف رقبة» . بحار الأنوار ، ١: ٢٠٣-٢٠٤ / ح ٢١ ..

٢- بيان أمير المؤمنين صلوات اللُّه عليه: «إِذَا أَرَدَلَّ اللهُ عبداً حَظَرَ عَلَيْهِ العِلْمَ» . أي: لم يُوفِّقه لتحصيله . بحار الأنوار ، ١: ١٩٦ / ح ١٨ .

ولا يمكن انتظام مسيرة البحث المعرفي طرّاً إلا بالبحث المنهجي^(١) ، وهو من أصعب البحوث ، وصعوبته تكمن في نظام الدلالة والحجج ، وضرورة التمييز بين الحجّة وغير الحجّة.

بل لأبَد من معرفة نظام ومراتب ومنظومة الحجج ، وإلا فلا فائدة من معرفة أصل الحجّة^(٢) .

(١) يجدر الالتفات: أنّ البعض من الذين يتوشّحون بالفضل والفضيلة من الخاصة فضلاً عن العامة ربّما يحصل لديهم تبلّد في الرؤية ، وقناعات منشاءها الغفلة والسُّبات المنهجي .

(٢) لتوضيح المقام نتعرّض إلى القضايا الثلاث التّالية:

القضية الأولى:

المُحكّم واليقين والحجج والظنون على طبقات لأبَد من مُرَاعاها

هناك ملحمة فكرية ومعرفية وعقائدية لطالما أكّدت عليها بيانات الوحي ، حاصلها: أنّ المُحكّم والإحكام والمُحكّمات واليقين والحجج ، بل والظنون على مراتب ودرجات ، والوعي والمعرفة بأصل المُحكّم والإحكام والمُحكّمات والحجج واليقين والظنون من دون الالتفات إلى سلسلة مراتبها يلزم منه الوقوع في الزيغ والضلال والانحراف في مقام الاستدلال وتحصيل النتائج ؛ لأنّ التّشبُّث والتّمسُّك بحجّةٍ حُجّةٍ بتعميم مُطلق من دون معرفة رتبها ودرجتها في الحجّة يكون من باب التّمسُّك بالظنّ والمتشابه ، فالدليل وإن كان بنفسه مُحكماً وقد يورث اليقين لكنّه في قبال ما هو أحكم منه وأيقن يكون ظناً ومُتشابهاً.

→ **إِذْنُ:** المحكم والإحكام والمحكّمات والحجج واليقين والظنون على طبقات ومراتب ، وحيثيذ لأبداً من عرض الطبقة والمرتبة النّازلة والأضعف على الطبقة والمرتبة الصّاعدة والأقوى ، وإلا فارتطام بالزيغ والضلال والانحراف .

وبالجملة: معرفة أصل الحجج الدّينيّة لا تشفع في نجاة المخلوق في سائر العوالم لاسيما الصّاعدة ، بل لأبداً أن يُصمَّ إليها معرفة سلسلة مراتبها ، بل ويصمَّ إليها معرفة نظامها ومنظومتها ، فهناك محاور وحيثيات معرفيّة أربع:

الأولى: معرفة أصل المحكم والإحكام والمحكّمات والحجج الدّينيّة واليقين والظنون ، أي: معرفة أصل حلقاتها.

الثانية: معرفة مراتب وتراتب المحكم والإحكام والمحكّمات والحجج واليقين والظنون.

الثالثة: معرفة نظام المحكم والإحكام والمحكّمات والحجج واليقين والظنون.

الرابعة: معرفة منظومة المحكم والإحكام والمحكّمات والحجج واليقين والظنون.

إتّضح سبب كثير من الأزمات الفكرية والمعرفية

ثمَّ إنَّ مَنْ يُدقِّق نظره في الأزمات والتشرذمات الفكرية والمعرفية والعقائدية ونشوء الفِرَق واختلافها ، بل والخروج عن مسار الوسطية على مرّ الدهور والأزمان فسيجدها ناشئة من عدم المعرفة بهذه المحاور والحيثيات أو بعضها ، ومن ثمَّ عاتب البارئ تعالى بني إسرائيل في بيان قوله جلَّ شأنه: ﴿ وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا ﴾

[النساء: ١٥٧] ؛ فإنهم ادعوا قتل النبي عيسى عليه السلام اعتماداً على الحسّ والمشاهدة ،

لكنه **عَلَّمَ** ساهما ظناً ومتشابهاً ، وطعن عليهم باتباعهم لهما ؛ فإنَّ الحسّ والمشاهدة ←

→ وإن كانا في نفسيهما يُفِيدان درجة من العلم - ما لم يُعارضوا بنوع يقين أرفع منهما - ، لكنّه بعدما عورضا بيقينٍ أرفعٍ منها وأرقى حُجَّةٍ أصبحا ظناً ومتشابهاً لا يصحّ الإعتماد عليه في أصول العقائد ، فَبَيَّنِي إِسْرَائِيلَ شَاهِدُوا مَعَاجِزَ صَدَرَتْ مِنَ النَّبِيِّ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ أَوْرَثَتْ لَهُمْ يَقِيناً وَحَيَاتِيّاً بِنَبْوَتِهِ ، وهو فوق اليقين العقلي فضلاً عن اليقين الحسِّي ، وقد أخبرهم عَلَيْهِ السَّلَامُ : أَنَّهُ سَيَبْقَى حَيّاً إِلَى ظُهُورِ الْإِمَامِ الْحُجَّةِ ابْنِ الْحَسَنِ عَجَلَ اللَّهُ تَعَالَى فَرَجَهُ ، وهذه معجزة ، لكنّهم لم يتبعوها ؛ لتركهم قول صاحب المعجزة ، واتبَعُوا الْحَسَّ وَالْمَشَاهِدَةَ ؛ فَإِنَّهُمَا وَإِنْ كَانَا يورثان العلم واليقين والحُجَّةَ أَيْضاً لَكِنَّهُمَا بِالْقِيَاسِ إِلَى مَخَالَفَةِ مَا هُوَ أَقْوَى حُجَّةً مِنَ الْمَعَاجِزِ وَالْيَقِينِ الْوَحْيَانِيِّ صَارَا ظَنْناً وَمِتَشَابِهاً .

ومنه ينحل ما تبلبل فيه الرَّازِي وتَحَيَّرَ فِي تَفْسِيرِ بَيَانِ هَذِهِ الْآيَةِ الْكَرِيمَةِ - التفسير الكبير ، سورة النساء ، آية (١٥٧) ، ص : ٢٦٠ - ؛ فَإِنَّهُ ذَكَرَ مَرَاراً : أَنَّ هَذِهِ الْآيَةَ الْكَرِيمَةَ تُحَيِّرُ الْعُقُولَ ؛ فَإِنَّهُ كَيْفَ أَبْطَلَ الْبَارِي ﷻ الْحَسَّ وَجَعَلَهُ ظَنْناً وَشَبَهَهُ مَعَ أَنَّهُ مِنَ الْيَقِينِيَّاتِ ، وَيَلْزَمُ مِنْ ذَلِكَ بَطْلَانُ التَّوَاتُرِ فِي الشَّرَائِعِ وَالْأَدْيَانِ ؛ فَإِنَّ مَنَشَأَهُ الْحَسَّ ؟! وَهَذَا مِنْ أَشْكَلِ الْمَشْكَلَاتِ .

وجوابه قد اتضح ؛ فَإِنَّ الْحَسَّ وَالْمَشَاهِدَةَ وَإِنْ كَانَا فِي نَفْسِيهِمَا يَفِيدَانِ الْيَقِينَ ، لَكِنَّهُ إِذَا قِيسَا إِلَى مَا هُوَ أَعْظَمُ مِنْهَا حُجَّةً ، كَالْمَعْجِزَةِ - وَأَحَدِ مَعَاجِزِ النَّبِيِّ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ أَنَّهُ أَخْبَرَ قَوْمَهُ بِأَنَّهُ لَمْ يَقْتُلْ وَيَبْقَى حَيّاً وَيُصَلِّي خَلْفَ الْإِمَامِ الْمَهْدِيِّ عَجَلَ اللَّهُ تَعَالَى فَرَجَهُ - صَارَا ظَنْناً وَشَبَهَهُ ؛ فَبَيَانُ الْآيَةِ الْكَرِيمَةِ لَيْسَ فِي صَدَدِ إِبْطَالِ مُطْلَقِ حُجَّةِ الْحَسَّ - كَيْمَا يَرِدُ مَا ذَكَرَهُ الرَّازِي - بَلْ فِي صَدَدِ إِبْطَالِ حُجَّتِهِ فِي قِبَالِ مَا هُوَ أَعْلَى مِنْهُ حُجَّةً وَيَقِيناً ، فَكُلٌّ قَطَعَ وَيَقِينٌ ظَنٌّ وَمِتَشَابَهُ بِالْقِيَاسِ إِلَى الْأَعْلَى مِنْهُ رَتَبَةً ، وَيَشْمَلُهُ بَيَانُ قَوْلِهِ عَزَّ قَوْلُهُ : ﴿ وَمَا يَتَّبِعُ أَكْثَرُهُمْ إِلَّا ظَنّاً إِنَّ الظنَّ لَا يُغْنِيكَ مِنَ الْحَقِّ شَيْئاً ﴾ [يونس : ٣٦] ، وَبَيَانُ قَوْلِهِ جَلَّ قَوْلُهُ : ﴿ هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ

→ مُحْكَمَاتُ هُنَّ أُمَّ الْكُتَابِ وَأُخْرُ مُتَشَابِهَاتُ فَاَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ ﴿٧﴾ [آل عمران: ٧].

ومن كل هذا يتضح: أن الاطلاع على نظام مراتب الحجج وتطبيقاتها على مواردها أمر بالغ الأهمية والثمرة.

إذن: معرفة هذه المحاور والحيثيات الأربع ، بل ومعرفة مراتب طبقات غايات الدين أمر بالغ الأهمية والخطورة والثمار في الدين والشريعة ، ومن ثم من يجعل - لا سيما أهل العلم والفضيلة - الأصل فرعاً ، والفرع أصلاً - كما يحدث أحياناً - فهذا - واقعاً - كارثة علمية ومعرفية وفي بصيرة الدين ، ومن ثم روى الفريقان: أن سيد الأنبياء ﷺ نادى أحد الصحابة فلم يجبه ؛ لكونه كان مشتغلاً بصلاته ، ولما سأله ﷺ عن سبب عدم إجابته اعتذر بذلك. ومعناه: أنه قدّم أهمية الصلاة - وهي من فروع الدين - على أهمية الإستجابة لنداء سيد الأنبياء ﷺ ، وهو من أصول الدين. وهذا يدل على مدى نكوس وانحطاط معرفة هذا الصحابي.

فانظر:

١- ما ورد عن أبي سعيد بن المعلّى ، قال: «كُنْتُ أُصَلِّي فِي الْمَسْجِدِ فَدَعَانِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَلَمْ أُجِبْهُ ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنِّي كُنْتُ أُصَلِّي ، فَقَالَ: «أَلَمْ يَقُلِ اللَّهُ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾ [الأنفال: ٢٤]».

البخاري، ٤: ١٦٢٣/ح ٤٢٠٤.

٢- ما ورد عن أبي هريرة: «أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ خَرَجَ عَلَى أَبِي بِنِ كَعْبٍ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «يَا أَبِي» ، وَهُوَ يَصَلِّي ، فَالْتَفَتَ أَبِي وَلَمْ يَجِبْهُ ، وَصَلَّى أَبِي فَخَفَّفَ ، ثُمَّ انصرف إلى رسول الله ﷺ ، فقال: السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «وَعَلَيْكَ السَّلَامُ ، مَا مَنَعَكَ يَا أَبِي أَنْ تَجِيبَنِي إِذْ دَعَوْتُكَ !؟» ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ ، إِنِّي كُنْتُ فِي الصَّلَاةِ ، قَالَ: «أَفَلَمْ تَجِدْ فِيهَا أُوحِيَ إِلَيَّ: ﴿اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ

→ **وَلَرَسُولٌ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ** ؟ . قال: بلى ، ولا أعود إن شاء الله ...» . البخاري ، ٤ : ١٧٣٨ / ح ٤٤٢٦ .

بينما فعل ﷺ نفس ذلك الأمر مع صحابي آخر ، فقطع صلاته وأتاه ، وحينما سأله ﷺ عن سبب قطعه لصلاته أجاب: استجابة لندائك يا رسول الله ؛ فإنه الأصل ، وهو الأهم والأعظم والأخطر .

نكتة ردّ الشمس لأمير المؤمنين (صلوات الله عليه)

ومنه تتضح: نكتة وفلسفة إحدى فضائل ومناقب أمير المؤمنين عليه السلام ، وهي: حادثة ردّ الشمس إليه (صلوات الله عليه) ، وهذه معجزة عظيمة حصلت في الكون نتيجة هذه المعرفة وعلو بصيرته (صلوات الله عليه) غير المتناهية ؛ شكر الله تعالى له مما قام به وعلى عظيم معرفته بسيد الأنبياء ﷺ ؛ فإنه ترك صلاته ولم يأت بها حتى عن قعود ، بل لم يتحرك ؛ وقاية وحفاظاً على راحة سيد الأنبياء ﷺ ، فقدّم راحته ﷺ على الصلاة مع أنه عليه السلام أعبد العابدين . ومعناه: أن التقرب لله ﷻ براحة سيد الأنبياء ﷺ أقرب وأحب إليه جلّ وتقدس من التقرب والتحب إليه بصلوة أمير المؤمنين عليه السلام مع ما لصلواته (صلوات الله عليه) من عظمة وأهمية وخطورة .

وهذه حادثة مسلمة رواها الفريقان .

فلاحظ: البيانات الناقلة لهذه الحادثة ، منها:

بيان أمير المؤمنين عليه السلام: «كنت أنا ورسول الله ﷺ قاعدين ... إذ وضع رأسه في حجري ثم خفق حتى غطّ ، وحضرت صلاة العصر ، فكرهت أن أحرّك رأسه عن فخذي ؛ فأكون قد آذيت رسول الله ﷺ حتى ذهب الوقت وفاتت [الصلاة] فانتبه رسول الله ﷺ فقال: يا عليّ ، صليت؟ فقلت: لا ، فقال: ولم ذاك؟ قلت: كرهت أن أؤذيك . قال: فقام واستقبل القبلة ومدّ يديه كليهما وقال: اللهم ردّ الشمس إلى ←

→ وقتها حتى يُصَلِّيَ عَلَيَّ ، فرجعت الشمس إلى وقت الصلاة حتى صَلَّيْتُ العصر ثُمَّ انقَضَتْ انقضاء الكوكب». بحار الأنوار ، ٤١ : ١٨٢-١٨٣ / ح ١٩ . فروع الكافي ، ٤ : ٥٦١-٥٦٢ .
ومن جملة ما تقدّم يتّضح :

أولاً: أَنَّ العقائد بعدما كانت يقيناً عقلياً فلا يفيد معها اليقين الحسّي - كالتواتر الحسّي - ، وهذه قضية مُبَدَّهة في كافة العلوم: المنطقيّة والعقليّة ، ومن ثمّ جعل اليقين الحسّي في عرض وفي مرتبة اليقين العقلي جهالة علميّة في المعرفة ، وكفر وإلحاد علمي في مراتب الحُجَج والمعرفة ، فلذا ذكر الشّيخ الأنصاري في نهاية مبحث الإسناد في تنبيهات دور صدور الروايات في العقائد: أَنَّ جملة علماء الأصول ذكروا: أَنَّ دور الصدور وحُجِّيَّته ليس بُنيّة أصليّة في مقام الإسنتباط واستخلاص النتائج ، وإنّما إعداد ومُعد ، والعمدة هو: صحّة وحُجِّيّة المتن والمضمون.

ثانياً: أَنَّهُ مَنْ يجعل اليقين ستّة أقسام فقد وقع في مسامحة واشتباه خطير ، والحقُّ: أَنَّهُ على مراتب ودرجات لا تُحصى .

اليقين الحسّي أنزل مراتب اليقين

ثُمَّ إِنَّ أنزل مراتب اليقين هو اليقين الحسّي ؛ لكون عالم الحسّ الغليظ أنزل عوالم الخلقة ، ومحدود بالقياس إلى ما فوقه من العوالم ، وطبيعة قواه في الإدراك ليست مُسلّحة ، ومداهها ضعيف ، بخلاف اليقين العقلي ، بل واليقين الوهمي ، بل واليقين الخيالي المستفاد من عالم المثال ؛ والذي رُبما يُعبّر عنه بـ: (الحسّ الباطن).

وبالجملة: يقين القوى الباطنة أقوى بكثير من يقين الحسّ الظاهر ؛ لأنّه بعدما كانت باطنة كانت خفيّة فتكون أشدّ قوّة وأوسع مدى من نظام الحسّ الظاهر ، بل ←

→ إدراك قوى الإدراك الظاهر لدى الإنسان وسائر المخلوقات لا تكون إلا بتوسط القوى الباطنة الخفية في ذوات أنفسها وأرواحها.

ومنه يتضح: أن كُُلَّ العلوم - كعلم: الفيزياء ، والكيمياء ، والأحياء ، والطب ، والرياضات ، والهندسة - وكُلَّ القواعد والمعادلات في شتى العلوم ؛ والتي تتحكّم بجملة عوالم الكون ومخلوقاتها أموراً لا تُدرَك بالحسّ الظاهر ، بل تُدرَك بالحسّ الباطن والخفي ، نعم بالحسّ الظاهر تُدرَك آثارها.

ومعناه: أن العلوم والمعارف أمورٌ ومخلوقات غيبية غير مرئية ، ولا تُدرَك ولا تشاهد بالحسّ الظاهر.

ومن كُُلِّ ما تقدّم يتضح: أن عالم الحسّ واليقين الحسيّ إذا كانت هذه مدياته ومستوياته كيف يُمكن به إثبات حقائق الوحي ، وحقائق بياناته ، بعدما كان الوحي من العوالم الصّاعدة.

القضية الثانية:

بيان أمير المؤمنين عليه السلام للانحرافات المعرفية في معركة الجمل وصفين والنهروان

تقدّم أنّه من الأمور المهمّة ، بل اللازمة في الاعتقاد بالموقعية الدنيّة: أنّ الهداية لا تتم بمجرد الاعتقاد بأصل الحجّية والإصطفاء الإلهيّ مالم يُضم إليها بقية المحاور والحديثات الأربع ، وإلا ارتطم المخلوق بالضلال والزيغ والانحراف ، وهذا ما بيّنه وخطّه أمير المؤمنين (صلوات الله عليه) في معاركه الثلاث - الجمل وصفين والنهروان - ؛ فإنّها تشترك في شيء ، وهو: ارتطام المعسكر المقابل ، بل الأمة بالضلالات والانحرافات الفكرية والمعرفية والعقائدية ، وأراد الباري جلّ شأنه معالجتها على يد أمير المؤمنين (صلوات الله عليه) ؛ فإنّه عليه السلام لم يقبل احتجاج معسكر أهل الشام في معركة صفين بالمصحف الشريف ، لكنّه (صلوات الله عليه) احتجّ به على معسكر أهل البصرة في معركة الجمل. والنكته: أنّه عليه السلام أراد أن ←

→ يُبَيِّنُ في معركة الجمل: أَنَّ حُجِّيَّةَ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ فَوْقَ احْتِرَامِ وَحَرَمَةِ أَزْوَاجِ سَيِّدِ الْأَنْبِيَاءِ ﷺ وَأَصْحَابِهِ ، وَأَرَادَ أَنْ يُبَيِّنَ فِي مَعْرَكَةِ صَفَيْنَ: أَنَّ حُجِّيَّةَ الْإِمَامِ مِنْ أَهْلِ الْبَيْتِ ﷺ - بِاعْتِبَارِ أَنَّهُ الْقُرْآنُ النَّاطِقُ - مَهِيْمَةٌ عَلَى حُجِّيَّةِ الْمُصْحَفِ الشَّرِيفِ - وَهُوَ الْقُرْآنُ الصَّمَاتُ .. أَمَّا فِي مَعْرَكَةِ النَّهْرَوَانَ فَرَادَ صَلَوَاتِ اللَّهِ عَلَيْهِ - مِنْ خِلَالِ بَيَانِ قَوْلِهِ: «مَنْ طَلَبَ الْحَقَّ فَأَخْطَأَهُ (وَهُمُ الْخَوَارِجُ) ، لَيْسَ كَمَنْ طَلَبَ الْبَاطِلَ فَأَصَابَهُ (وَهُمُ: مَعَاوِيَةُ وَعُمَرُ بْنُ الْعَاصِ وَجَمَاعَتُهُمَا)» - أَنْ يُبَيِّنَ: مَرَاتِبَ أُخْرَى لِلْحُجِّيَّةِ ، وَهِيَ: مُحْكَمَاتٌ وَبَدِيئَاتٌ وَضُرُورِيَّاتٌ الْوَحْيِ ، وَكَيْفِيَّةُ تَطْبِيقَاتِهَا عَلَى التَّفَاصِيلِ ، وَالتَّطْبِيقَاتُ مِنَ الْأُمُورِ النَّظَرِيَّةِ فَلَا تَقْدَمُ عَلَى حُجِّيَّةِ أَهْلِ الْبَيْتِ صَلَوَاتِ اللَّهِ عَلَيْهِمْ أَيْضًا. فَقَوْلُهُمْ: «إِنَّ الْحُكْمَ لِلَّهِ» مُحْكَمٌ مِنْ مُحْكَمَاتِ وَبَدِيئَاتِ بَيَانَاتِ الْوَحْيِ ، لَكِنَّهُمْ ارْتَطَمُوا بِالضَّلَالِ وَالزَّيْغِ وَالانْحِرَافِ نَتِيجَةَ تَطْبِيقِهِمُ الْخَاطِئِ وَالْمُضِلِّ.

وهذا المحذور هو الذي أوقع إبليس (عليه اللعنة) في ورطته ؛ فإنه كما لم يحفظ أو يُحَافِظُ عَلَى مَرَاتِبِ الْحُجَجِ الْإِلَهِيَّةِ تَطَاوَلَ عَلَى خَلِيفَةِ اللَّهِ وَحُجَّتِهِ.

إِذَنْ: الْكُفْرُ بِالرُّتْبَةِ كُفْرٌ عَظِيمٌ.

وهذا ما يُوضِّحُ: أَحَدَ التَّعَابِيرِ الشَّائِعَةِ عِنْدَ أَهْلِ الْمَعْرِفَةِ وَالتُّكَلِّمِينَ - وَهُوَ تَعْبِيرُ مُهِمٍّ وَدَقِيقٍ جِدًّا - وَهُوَ: (حَفْظُ الْمَرَاتِبِ مِنَ الْإِيمَانِ).

وقس على ضده دفع المراتب وإنكارها ، والخلط والخبط بينها ؛ فإنه كُفْرٌ خَفِيٌّ حَاجِبٌ عَنِ تَرْقِيٍّ مَرَاتِبِ الْإِيمَانِ.

وهذا أحد أسرار معاني وحقائق بيان زيارة عاشوراء: «... وَلَعَنَ اللَّهُ أُمَّةً دَفَعْتُمْ عَنْ مَقَامِكُمْ ، وَأَرَأَيْتُمْ عَنْ مَرَاتِبِكُمْ الَّتِي رَبَّبَكُمُ اللَّهُ فِيهَا ...» - بحار الأنوار ، ٢٩١: ٩٨. مصباح الطوسي: ٥٣٨ - ٥٤٢- ، ومضمون هذا البيان الشريف نفس مضمون بيان قوله تبارك اسمه: ﴿تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾ [البقرة: ١٥٣] - ؛ فإنه برهانٌ وحياتيٌّ دالٌّ عَلَى وَجُوبِ حَفْظِ الْمَرَاتِبِ. وَعَدَمِ التَّفَرُّقَةِ الْوَارِدِ ←

→ في بيان قوله جلّ قدسه: ﴿لَا تَفْرُقْ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ﴾ [البقرة: ٢٨٥]. ناظر إلى أصل: المنظومة والمسيرة والهدف ، وهذا - كسابقه - أمرٌ ضروريٌّ ، ومعناهما: أنّه كما أنّ وحدة المنظومة أمرٌ ضروريٌّ كذلك تعدد مراتب الحجج أمرٌ ضروريٌّ أيضاً.

القضية الثالثة:

عدم كفاية الاعتقاد بحُجِّيَّة أهل البيت عليهم السلام من دون معرفة فضلهم

تقدّم حُجِّيَّة ومقامات أهل البيت عليهم السلام على سائر الأنبياء والمرسلين عليهم السلام

أَصَرَ الكثير من علماء الإمامية - لدلائل وشواهد وحيانية كثيرة - على أنّ حُجِّيَّة أهل البيت الثلاثة عشر معصوماً صلوات الله عليهم فضلاً عن حُجِّيَّة سيّد الأنبياء صلوات الله عليهم فوق حجج سائر الأنبياء والمرسلين ، منهم سائر أنبياء أولي العزم الأربعة عليهم السلام ومتقدّمة ومهيمنة عليها.

ومعناه: أنّه لا يكفي الاعتقاد بحُجِّيَّة أهل البيت صلوات الله عليهم ؛ ولا يكون ذلك الاعتقاد عاصماً ومؤثراً في مباحث معرفيّة كثيرة ؛ ومؤثراً على خريطة المعارف والعقائد وفقه الفروع والتشريع ورؤيتها ؛ وعلى مستقبل الأمور ما لم يُضمَّ إليه معرفة فضلهم صلوات الله عليهم ، وَمِنْ تَمَّ ورد في جملة من بيّانات أهل البيت عليهم السلام المُستفضة ، الواردة في تفسير بيان قوله عزّ من قائل: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَنْ تُنصِرُوهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ * فَمَنْ تولىٰ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ [آل عمران: ٨١ - ٨٢] : أنّ الله عزّ وجلّ أخذ الميثاق على سائر الأنبياء والرسل عليهم السلام في العوالم السّابقة - كعالم: الدّرّ والميثاق والأظلة: إنّني ربكم ومحمّد رسولي وعيّي أمير المؤمنين ، بل أخذها على جملة المخلوقات.

→ فلاحظ: تلك البيانات ، منها:

١- بيان سيّد الأنبياء مخاطباً أمير المؤمنين (صلوات الله عليهما وعلى آلهما): «يا عَلِيّ، ما بَعَثَ اللهُ نَبِيًّا إِلَّا وَقَدْ دَعَاهُ إِلَى وِلَايَتِكَ طَائِعًا أَوْ كَارِهًا». بصائر الدرجات، ١: ١٦٠/ح ٢٩٥-٢. الاختصاص: ٣٤٣.

٢- بيانه ﷺ أيضاً: «ما تكاملت النبوة لنبي في الأظلة حتى عُرضت عليه ولايتي وولاية أهل بيتي ، ومثّلوا له فأقرّوا بطاعتهم وولايتهم». بصائر الدرجات ، ١: ١٦١/ح ٣٠٠-٧.

٣- بيان أمير المؤمنين صلوات الله عليه: «إِنَّ اللهَ ﷻ عَرَضَ وِلَايَتِي عَلَى أَهْلِ السَّمَاوَاتِ وَعَلَى أَهْلِ الْأَرْضِ ؛ أَقَرَّ بِهَا مَنْ أَقَرَّ ، وَأَنْكَرَهَا مَنْ أَنْكَرَ ، أَنْكَرَهَا يُونُسُ فَحَبَسَهُ اللهُ فِي بَطْنِ الْحَوْتِ حَتَّى أَقَرَّ بِهَا». بصائر الدرجات ، ١: ١٦٥/ح ٣١٢-١.

٤- بيان الإمام الباقر صلوات الله عليه: «إِنَّ اللهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى أَخَذَ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ عَلَى وِلَايَةِ عَلِيٍّ ، وَأَخَذَ عَهْدَ النَّبِيِّينَ بِوِلَايَةِ عَلِيٍّ ﷺ». بصائر الدرجات ، ١: ١٦٠/ح ٢٩٧-٤.

٥- بيانه (صلوات الله عليه) أيضاً: «إِنَّ اللهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى أَخَذَ الْمِيثَاقَ عَلَى أُوَلِيِّ الْعِزْمِ أَنِّي رَبِّكُمْ ، وَمُحَمَّدٌ رَسُولِي ، وَعَلِيٌّ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ ﷺ وَأَوْصِيَاؤُهُ مِنْ بَعْدِهِ وَوَلَاةَ أَمْرِي وَخِزَانَةَ عِلْمِي ، وَأَنَّ الْمَهْدِيَّ أَنْتَصِرَ بِهِ لِدِينِي». بصائر الدرجات ، ١: ٢٢٣-٢٢٤/ح ٤١٦-١٤. الكافي ، ٢: ٨/ح ١.

٦- بيان الإمام الصادق صلوات الله عليه: «مَا مِنْ نَبِيٍّ نُبِّيَ ، وَلَا مِنْ رَسُولٍ أُرْسِلَ إِلَّا بِوِلَايَتِنَا وَتَفْضِيلِنَا عَلَى مَنْ سِوَانَا». بصائر الدرجات ، ١: ١٦٣/ح ٣٠٧-٥.

٧- بيانه (صلوات الله عليه) أيضاً: «إِنَّ اللهَ يَقُولُ: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾ - [الأحزاب: ٧٢] - ، قال: هي ولاية علي بن أبي طالب ﷺ». بصائر →

والمُتَكفِّل لبحث المنهجية ونظام المعرفة والحُجج ومراتبها: «علم أصول الفقه» ؛ لأنَّه منطِق المعرفة الدِّينية ؛ فهو أصول فقه وفهم الدِّين ، وَمَنْ تَقَلُّ بصيرته فيه سيكبو وتقصُر خطاه لا محالة .

لكن: حيث إنَّ العلم لا نهاية له فكذا المعلومة ، فيكون ما رسم وشيّد فيه ليس بالإنجاز النهائي^(١) .



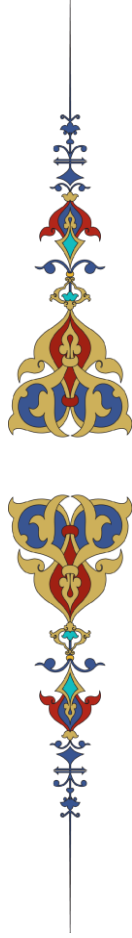
→ الدرجات ، ١ : ١٦٥ / ح ٣١٣ - ٢ . الكافي ، ١ : ٤١٢ / ح ٢ . تأويل الآيات ، ٢ : ٢٧٠ / ح ٤٠ .

٨- بيان الإمام الكاظم (صلوات الله عليه) ، قال: «وولاية عَلِيِّ مكتوبة في جميع صحف الأنبياء ، ولن يبعث الله نبياً إلاّ نبوةً مُحَمَّدٌ وولاية وصيه عَلِيِّ صلوات الله عليهما» . بصائر الدرجات ، ١ : ١٥٩ / ح ٢٩٤ - ١ . الكافي ، ١ : ٤٣٧ / ح ٦ .

ودلالة الجميع واضحة . ومعناها: أنّ إمامة أهل البيت صلوات الله عليهم شاملة لجملة الجن والإنس ، منهم: أنبياء أولي العزم الأربعة فضلاً عن سائر الأنبياء والمرسلين ﷺ ، بل شاملة لجملة العوالم ومخلوقاتهما غير المتناهية ؛ من بداية الخلق والوجود إلى ما لا نهاية له .

(١) مِنْ ثَمَّ كانت الحُجج محصورة لدى المُتَقَدِّمين بالأدلة الأربعة ، لكنّها ومنذُ زمن الوحيد البهبهاني عليه السلام رفعت اليد عن هذه الرباعية إلى مُطلق اليقين .

وهذه نقطة تحوّل نوعيّة في تغيير منهج الحُجج .



المسألة: (٢)

[الفهرسة ودرج المعلومة]

إنَّ إحاطة ذهنيَّة الباحث وفكره بجملة فهرست البحث - بحيث تحصل لديه المكنة على درج مُطلق المعلومات في بابها وفصلها المناسب وما يُصطلح عليه بـ: «علم نظم المعلومات» - دليلٌ على التضرُّع والبصيرة العلميَّة الحاذقة.

بل ، وكذا الإلتفات إلى وحدة البحث وتعدُّد معانيه وأشكاله وأطره الراجعة في المآل إلى معنى وحقيقة فاردة دليل على نفوذ بصيرة الباحث العلميَّة.





المسألة: (٣)

[خطورة (تأريخ العلم)]

بات (تأريخ العلم)^(١) في العصر الرَّاهن أحد البحوث المنطقيَّة ، وبحوث نظريَّة المعرفة ، وبحوث علم الكلام الحديث الهامَّة ، وهو: بحث مُهمٌّ وحسَّاسٌ جدًّا ؛ يُؤلي للباحث ويُعطيه بصيرةً وسِعةً أفقٍ ثابتةً جدًّا ؛ وبلوغاً ونضوجاً فكرياً يُعرِّفه مِنْ أَيْنَ تُؤكَلُ الكتف ، فهو القلب النَّابض ؛ لأنَّه يوقف الباحث على جملة أمورٍ مهمَّة ، منها :

١- مصادر العلم.

٢- وزن المدارس العلميَّة.

٣- تقييم النظريَّات والآراء والمسائل العلميَّة.

٤- كيفيَّة بدأ النظريَّات والمدارس والمصادر والأقوال.

(١) تأريخ العلم أمر ممزوج بين التَّأريخ والعلم ، فليس هو تأريخ محض ، ولا علم محض ، وإنَّها أمر بين أمرين .

٥- كيفية بناء معادلات وقواعد ومساائل العلم.

٦- كيفية إختلاف مسارات العلم.

٧- كيفية تطوّر العلم من مرحلة لأخرى ، وما هي الحالات والظواهر التي قادت العلم إلى ذلك المسير.

ومن ثم يُعتبر - تاريخ العلم - ميزاناً منطقيّاً ومعرفياً في العصر الرّاهن ؛ لتقييم : (العلوم) ، و (النظريّات) ، و (الآراء) ، و (المسائل العلميّة) .

وعليه: فإذا لم يُولِ الباحث (بحث: تاريخ العلم) أهميّة ؛ فإنّه وإن كان فحلاً في مجالٍ وعلمٍ مُعيّنٍ ، لكنّ ذلك سيُسبّب له: غفلةً واغتراراً بجملة أمورٍ غير سديدةٍ .

وهذا ما يوضّح: نكتة تركيز المُعرضين - منهم: الغربيين والمستشرقين - كثيراً في العصر الرّاهن على (تاريخ العلم) ؛ وذلك لتغريير كثير من شباب المسلمين ومُتقفيهم ، فصار (تاريخ العلم): مبحثاً عقائديّاً ، ومجاهةً عقائديّةً ، وسلاحاً فتاكاً بيد العدو والصّديق .

بعد الالتفات: أنّ مبحث: (تاريخ مُعتقد مُعيّن) ، و(تاريخ القرآن الكريم) ، و(تأويله) ، و(نزوله) ، و(تاريخ المرجعيّة وبداياتها) كلّ ذلك وغيره راجع إلى مبحث: (تاريخ العلم) ؛ فيكون الدّجل في هذا العلم شاسعاً وواسعاً جدّاً .

وعليه: فيجب على الباحث في هذا العلم: أن لا يصغي إلى كل ناعقٍ ،
فكما أن تاريخ الإسلام والمسلمين^(١) كُتِبَ بأيدي مَنْ هَزَّتْهُ دَعَارَةُ التَّعَصُّبِ ،

(١) ينبغي الالتفات في المقام إلى الأمور الأربعة التالية:

الأول: أن التاريخ لغة من ضمن لغات المعارف الإلهية التي استعرضتها بيانات
الوحي وأكّدت عليها.

فانظر: بيانات الوحي المشيرة لذلك ، منها:

١- بيان قوله تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَتْ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [يوسف: ١١١].

٢- بيان قوله تبارك اسمه: ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهَا بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنِ ابْتِغَاهُ تَحْمَلْ عَلَيْهِ يَلْهَثُ أَوْ تَرَكَه يَلْهَثُ ذَلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَبُوا بآيَاتِنَا فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الأعراف: ١٧٦].

الثاني: ذهب الحداثيون والألسنيون إلى أنه ينبغي أن لا تُعطى قداسة للماضي.

والجواب: أن الماضي يعني: إنجازات ومخزون طبيعي تكويني يُستثمر للحاضر
والمستقبل باليات حديثة ، ومن ثم من يذهب للحاضر والمستقبل من دون هويّة
ماضويّة فلن يتمكن من استثمار الحاضر ولا المستقبل.

الثالث: أن القراءة العصريّة الرّاهنة للأحداث التّاريخيّة ، وفرض وقوعها في
العصر الرّاهن ضابطة مهمّة لقراءة الأحداث التّاريخيّة.

الرّابع: عُيِّت عن البشريّة في كُتُب التاريخ كم غفير من الحقائق الصّارخة في
زمانها. ومن أراد تعقّل هذه القضية فليلاحظ ما يجري من أحداث معاصرة وأمام
أعيننا في يومنا هذا ، فهناك أحداث عظيمة وحساسة ومهمّة وخطيرة نراها بأبْـ

وبعثة داعي العناد ، وبأقلام مأجورة ، وأيادٍ سقيفيّة وأمويّة وعبّاسيّة خبيثة ، وبتوجيهات سلطة مسيطرة على أوضاع الإسلام والمسلمين ومُقدِّراتهم ، وكتبها أناس مضطربو الدين ، ضعيفو اليقين ؛ لم تثبت في الحقّ قدمهم ، ولا استمرت عليه سريرتهم ، فأوهنُ شُبّهة تُعرض عليهم ينقادون معها ، ويفارقون دينهم لها ، كالقائم على طرف مهواة ؛ فأدنى معارض يزلفه ، وأضعف دافع يطرحه ، فلا تعجبك طنطنتهم ، فإنّها أقرب إلى طنطنة القصاصين ، كذلك

→ أعيننا كيف تُزيّف بكلّ جرعةٍ و صلافةٍ ؛ فتعكس الحقائق والواقعيّات الصّارخة وتُقلب عن وجهتها الحقيقيّة من خلال تركيز عدسات وكالات الأنباء والفضائيّات على لقطه واقعيّة ، لكنّها مبتورة وموهمة ضمن مسلسل أحداث الواقعة والحدث ، ويمهلون بقيّة اللقطات ، بحيث تؤدّي هذه اللقطة المأخوذة والمبتورة إلى أخذ الوهم والخيال بعيداً عن حقيقة الواقعة المبتورة.

وعليه: قس كتابة التاريخ ، ومن ثمّ أكثر ما يُعشعش في أذهاننا عن الأحداث التاريخيّة والمعاصرة زيف وباطل. ونادر من يلمّ بالحقيقة ؛ لأنّ تجميع كافّة اللقطات الحاكية عن الحقيقة والواقعة أمر صعب جدّاً ؛ لابتلاء أكثرها بالتزييف ومن باب ربّ مشهور لا أصل له.

مثاله: معركة أحد والفتوحات الإسلاميّة ، وسيأتي (إن شاء الله تعالى) بيان ذلك. ومنه تتّضح: (الحرب النفسيّة) ؛ فإنّ الثابت في مراكز البحوث الاستراتيجية: أنّ للحرب أنواعاً ، منها: الحرب الإعلاميّة ، والحرب العسكريّة ، والحرب الاقتصاديّة ، والحرب النفسيّة ، وهي الأهمّ ؛ فإنّ (٨٠٪) من الحروب حروب نفسيّة ، وحققتها مبنية على الزيف والخداع والتحايل وتضليل إعلامي وإثارات مشاعر وفتن.

تأريخ العلم.

لكن: هناك الكثير من الباحثين من أتباع الفرقة المُحِقَّة يعكفون على نصوصٍ تاريخيةٍ سجَّلتها أيدي الأهواء من المخالفين ، وحرَّرتها أقلام العناد ، فجاءت خرقاء شوهاء ؛ لا يتفوه بها مَنْ له إمام بالسَّير والتَّاريخ ، ولا ينطق بها مَنْ له ذوق بالعربية والحديث ، يتعاملون^(١) معها معاملة الحقِّ الصراح ، والماء القراح ، والعين السَّلسيل ، لكن عن قليل سينجلي لهم القسطل ، ويجنون ثمر فعلهم مُرّاً علقماً ، ويحصدون غرس أيديهم ذعافاً ممقراً ، فذاك سعيد بن عبدالله الأشعري والنُّوبختي يكتبان عن الفرق الشَّيعية ، لكنهما يأخذان نصوصاً تاريخيةً عن الفرقِ الشَّيعية من الطَّرَف المُخالف كالطُّبريِّ. بل وكذا عليّ بن إبراهيم القُميِّ ؛ فإنَّ تفسيره وإن كان عظيماً ؛ وكان صاحبه عليه السلام يعيش في قمِّ عشِّ آل مُحَمَّد^(٢) ، لكنه يأخذ من المخالفين مواردَ وأموراً خلطَ فيها الحابل بالنَّابل ، وتوهُم الظلَّ بالحرور ، ويعاملها من دون أسانيد معاملة المُسلِّمات ، مع أنَّها حُجَج واهية ، وكلام فارغ ، ومزاعم على غير أصلٍ فنيٍّ أو قاعدةٍ صناعيةٍ ، بل مزاعم تُفندُها

(١) مرجع الضمير: (الكثير من الباحثين من أتباع الفرقة المَحِقَّة).

(٢) سُمِّيَتْ (قم) بأئمتها: عش آل مُحَمَّد ، وذلك لكونها معسكر مصون خلفي ، بخلاف الكوفة ؛ فإنَّها معسكر أمامي ومُتقدِّم وفي الواجهة والمواجهة ، والتي كانت ولا زالت قائمة على قدم وساق.

إذَنْ: قم عش خلفي صغير بالقياس إلى الكوفة ، ومع كلِّ هذا وصلت سموم المخالفين إلى ذلك الوسط العلميِّ في ذلك الزَّمان.

بيانات الوحي الإلهي الشريف التي لم تصل يده إليها.

بعد الالتفات: أن المخالفين لم يعوا أبده مبدّهات المعارف الإلهية العالية ، فراجع أحوالهم وما خطته أقلامهم ترى من شطط كلامهم وشطط مقالاتهم العجب العجاب .

فهلّم معي لنكشف نقاب بعض ما هاجت به أقلامهم في حجة مريم ابنت عمران ، وموقعيتها في بيانات الوحي ، فمع أنّ ستارها قد كشفته بيانات سور قرآنية عدّة ، وآيات عديدة ، وروايات كثيرة ، لكنهم في حيص ويص منها ، وليست لديهم آية وعاية وفهم ومعرفة بها ، فلذا ذهب بعضهم كالقرطبي إلى نبوتها .

فلاحظ: نصّ عبارته - في تفسير بيان قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ﴾^(١): «فقد قيل: إنّ الكمال المذكور في الحديث - أي: ما رواه عن رسول الله ﷺ: «... ولم يكمل من النساء غير مريم بنت عمران وآسية امرأة فرعون» - يعني به: (النبوة) ؛ فيلزم عليه أن تكون مريم عليها السلام وآسية نبيّتين ، وقد قيل بذلك ، والصحيح: أنّ مريم نبيّة ؛ لأنّ الله تعالى أوحى إليها بواسطة الملك كما أوحى إلى سائر النبيّين ... وأمّا آسية فلم يرد ما يدلّ على نبوتها دلالة واضحة ...»^(٢).

(١) آل عمران: ٤٢ .

(٢) الجامع لأحكام القرآن ، ٤ : ٨٢ .

وهذا كما ترى خرق أْتَسَعَ على الرَّاقِع ، فبانَ الصُّبْح لِذِي عَيْنِينَ
بمخالفته لبيانات الوحي الباهرة الوافرة ، المُفسِّرة والمُوضِّحة لموقعيَّتها
وَحُجِّيَّتها ، ونقول له مُتمثِّلين: « أَيْنَ ضَلَّتْ مَطِيَّتَكَ يَا حَسَّانَ ».

وعليه: فكيف تُؤخذ المعارف الإلهية ، ومسار التَّشْيِيع ، ومعنى الفِرَق
الشُّيْعِيَّة من قوم أَصْرُوا على أُمُورٍ مُخالفةٍ لِمَا أَنْجَبته بيانات الوحي الإلهيِّ
الشَّرِيف وطاهر كلماته ، فَضَلُّوا عن النَّهْج الواضح ، وركبوا بِنِيَّات الطَّرِيق
ضلالاً وانعدام معرفة ، فعميت بصائرهم ، وتاهت أفكارهم ، وسفَهت
أَحلامهم رصداً راصداً ، بل ثمر ما يُؤخذ منهم مُرّاً ذعافاً مُمَقَرّاً ، وَسَمّاً
قاتلاً ، بعدما لم تكن لديهم ثقافة وحيانيَّة ، ولم يعوا المعارف الرِّبانيَّة
الوحيانيَّة ، فينبغي لِمَنْ تَوَرَّطَ بهذا الأخذ أَنْ يَأْكُل كَفَّهُ أَلَمًا وحسرةً وندماً ،
ويقرُّ منه كفراره من الأَسَد.

وهذا ما نَبَّهت عليه بيانات نابهة الأَكْبَر ، وسنامها الأَطول ، وهامها
الأَعْظَم ، بيانات أهل البيت الأطهار عليهم السلام مَصَّاص الشَّرِّف ومعدنه ، منها:

١- بيان الإمام الصَّادق عليه السلام: « لا والله ما هُم على شيء ممَّا جاء به
رسول الله صلى الله عليه وآله إِلَّا اسْتِقْبَالَ الكعبة فقط »^(١).

٢- بيانه عليه السلام أيضاً ، مخاطباً المُفَضَّل: « ... يا مُفَضَّل ، الخلق حيارى
عمون ، سكارى في طغيانهم يتردُّون ، وبشياطينهم وطواغيتهم يقتدون ،

(١) بحار الأنوار ، ٦٥ : ٩١ / ح ٢٦ . المحاسن : ١٥٦٠ .

بصراء عُمِّي لا يبصرون ، نطقاء بكم لا يعقلون ، سمعاء صُم لا يسمعون ، رضوا بالدون ، وحسبوا أَنَّهُم مهتدون ، حادوا عن مدرجة الأكياس ، ورتعوا في مرعى الأرجاس الأنجاس ، كَأَنَّهُم من مفاجأة الموت آمنون ، وعن المجازات مزحزون ، يا ويلهم ما أشقاهم وأطول عناءهم ، وأشدُّ بلاءهم يوم لا يغني مولى عن مولى شيئاً ولا هم يُنصرون إِلَّا مَنْ رَحِمَ اللهُ . قال المفضل: فبكيت لَمَّا سمعتُ منه ، فقال: لا تبكِ تَخَلَّصْتَ إِذْ قَبِلْتَ ، ونجوت إِذْ عَرَفْتَ ... الحمد لله الذي اصطفانا ولم يصطف علينا ، اصطفانا بعلمه ، وَأَيَّدَنَا بِحِلْمِهِ ، مَنْ شَدَّ عَنَّا فَالنَّارَ مَأْوَاهُ ، وَمَنْ تَفَيَّأَ بِظِلِّ دَوْحَتِنَا فَالْجَنَّةَ مَثْوَاهُ ...»^(١) .

فهل يبقى بعد هذا البيان الباهر وسابقه الطاهر ميدان للتجول ، والأخذ^(٢) مِمَّنْ لا يعمل بأثر نبي ولا يقتدي بعمل وصي ، ويعمل بالشبهات ويسير في الشهوات ، كلاً وحاشا ، إِلَّا مَنْ دفعه عامل الغباوة ، وأثر عليه سوء الفهم .

وهذا الأمر هو الذي دعا سيِّد الأنبياء ﷺ إلى التَّخَوُّفِ من بعثته لتلك البيئة ، ولم يُبعث إلى اليهود والنصارى ، مع أَنَّهُ أعظم نبي لهكذا بيئة ، لكنه لَمَّا لم يكن لدى أصحاب تلك البيئة ثقافة وعلم بأمر الوحي والنبوت

(١) بحار الأنوار ، ٣ : ٩٠ / الخبر المشتهر بـ: (توحيد المُفَضَّلِ بن عمر).

(٢) هذا عطف على كلمة: (لَتَجُولَ) ، فتكون العبارة كالتالي: (وميدان للأخذ...).

تَمَّتْ عَلَيْهِ سَلَامَاتُ اللَّهِ أَنَّهُ لَوْ بُعِثَ لغيرهم كاليهود والنصارى.

وعليه: فمن المقرف استناد مَنْ يدَّعي إِتِّباعه لمدرسة أهل البيت عليهم السلام لفكر أولئك في مباحث المعارف والعقائد وغيرها ، لا سيما بحث: (التَّوْحِيد) ، و(النُّبُوَّة) ، و(الإمامة).

وعصارة القول: أَنَّهُ ينبغي للباحث التَّشَبُّثُ من المصادر الَّتِي يتعامل معها ، وَالَّتِي يُراد منها رسم: (تأريخ) ، أو (علم) ، أو (نظريَّة) ، أو (مقولة) ، أو (رأي مُعَيَّن) ؛ فوثيقة لسان الرَّايي أو صاحب المصدر لا تكفي ولا تكون بِمُجَرَّدِهَا مُسَوِّغاً لِلِإِسْتِنَادِ ، بل لِأَبْدَانِ يُضَافُ إِلَيْهَا: كونه صاحب باع علميٍّ يؤهله لضبط ما يرسمه عن هويَّة وحقيقة: تأريخ أو علم أو نظريَّة أو مقولة أو رأي مُعَيَّن ، فلو كان النَّاقِلُ لِقَضِيَّةٍ فِي عِلْمِ الرَّجَالِ - مثلاً - صادق اللُّهجة ، لكنَّه ليس له باعٌ في علم الكلام^(١) فلا يكون صادقاً في الفهم والتَّعَقُّلِ . فالتفت تربت يدك.

وهذه المُواخِذَةُ تُسَجَّلُ على الكشي والنَّجاشي ؛ فَإِنَّهُمَا وَإِنْ كَانَ لهُمَا باعٌ في علم الرَّجَالِ والأنساب وتأريخ العرب ، لكن ليس لهُمَا تَبَحُّرٌ في علم: (الفقه) ، و(الكلام) ، و(الحديث) ، و(التَّفْسِير) ، و(أصول الفقه) ،

(١) يجدر الإلتفات: أَنَّ كثير من بحوث الفقه وأصوله والتَّفْسِيرِ وعلم الرَّجَالِ وغيرها من العلوم والبحوث الدِّيْنِيَّةِ والسُّرْعِيَّةِ مبتنية على البحوث الكلامية ، ومن ثمَّ مَنْ يحصل له ضعف في البحوث الكلامية فلا بُدَّ أَنْ ينعكس ذلك الضعف على تلك العلوم والأبحاث ؛ ويحصل له تلقائياً ضعف فيها.

و(الملل والنحل)، وحينئذ لا تكون كثير من النتائج التي توصلنا إليها في علم الرجال سديدة.

ولا تُسجّل - هذه المؤاخذة - على الشيخ الطوسي وأستاذه المفيد، فإنّهما كانا مُلمّين بعلوم جَمّة، منها: (الفقه)، و(الكلام)، و(الحديث)، و(التفسير)، و(أصول الفقه)، و(الملل والنحل) وغيرها، بل كانا صاحبي فُتيا واجتهاد، وهذا ما دعاهما إلى عدم متابعة آراء مشايخهما في الجرح والتعديل، وأعمالا اجتهداهما فيهما^(١) وفي غيرهما، خلافاً للكشي والنجاشي. ومن ثمّ بات واضحاً في علم الدراية والحديث: أنّ فهم السامع وعلمه مؤثّر في ضبط سمعه، فكُلّمَا ازداد علم الإنسان كلّما ازداد وقوي ضبطه السَّمعي.

ومعناه: اعتماد الصدق في النقل على السَّمع والفهم معاً، دون السَّمع فحسب، فالسَّمع آلة، وتفعيلها بشكل تامّ فيما إذا كان العقل مُفَعَّلاً أيضاً، وإلّا شابه نقل الطفل؛ فإنّ عينه وأذنه الشَّحْمِيَّتَيْنِ مُفَعَّلَتَانِ، لكنّ عقله لَمَّا لم يكن مُفَعَّلاً كان نقله من غير تركيز، فيكون عرضة لعدم الصدق غالباً وإن كان غرضه الصدق.

وهذا بخلاف صاحب الخبرة؛ فالخير العسكري - مثلاً - حينما يُطالع منطقة عسكريّة، يلتفت إلى زوايا ويُدقّق فيها، ويفهم أموراً، وينتبه إليها،

(١) مرجع الضمير في: (فيهما)، و(غيرهما): (الجرح والتعديل).

وَيُنَبِّهُ عَلَيْهَا ؛ لَا يُدَقِّقُ فِيهَا ، وَلَا يَفْهَمُهَا ، وَلَا يَتَّبِعُ إِلَيْهَا ، وَلَا يُنَبِّهُ عَلَيْهَا
غَيْرَهُ ، وَمِنْ ثَمَّ بَاتَ فِي عِلْمِ الْحَدِيثِ : أَنَّ الرَّأْيِي الْفَقِيهَ أَضْبَطُ وَأَصْدَقُ
وَأَعْدَلُ فِيمَا يَرُويهِ غَيْرَهُ ؛ فَإِنَّ غَيْرَهُ ^(١) وَإِنْ كَانَ مُقَدَّسًا ظَاهِرًا ^(٢) ، لَكِنَّهُ فَاسِقٌ
وَكَاذِبٌ وَاقِعًا مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُ ؛ لِأَنَّهُ لَا يَعْكُسُ الْحَقِيقَةَ وَالْوَاقِعِيَّةَ ؛ مَعَ أَنَّهُ
يَدَّعِي كَشْفَهُ لَتَهَا مَهَا ^(٣) .

وإلى هذا تُشير بيانات الوحي ، منها:

١- إطلاق بيان سيّد الأنبياء ﷺ : « ... ومن العلم جهلاً ... » ^(٤) .

ودلالته واضحة ؛ فَإِنَّهُ بِإِطْلَاقِهِ يَشْمَلُ كُلَّ مَنْ تَوَصَّلَ إِلَى نَتِيجَةٍ يَقْطَعُ
بِعِلْمِيَّتِهَا وَمُطَابَقَتِهَا لِلْوَاقِعِ ، لَكِنَّهُ إِذَا لَمْ يَكُنْ عَالِمًا ، أَوْ كَانَ عَالِمًا لَكِنَّهُ لَمْ يَكُنْ
مِنْ أَهْلِ الْخَبْرَةِ ، أَوْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الْخَبْرَةِ لَكِنَّهُ اعْتَمَدَ عَلَى عَقْلِهِ وَلَمْ يَعْضُدْهُ
بِإِنْبَاءِ الْوَحْيِ ^(٥) ؛ فَجَمِيعُ ذَلِكَ فِي عَرَضَةِ الْجَهْلِ وَمُخَالَفَةِ الْوَاقِعِ ؛ وَإِنْ سُمِّيَ

(١) مرجع ضمير (غيره): الرَّأْيِي إِنْ لَمْ يَكُنْ فَقِيهًا.

(٢) لا بأس بالالتفات: أَنَّ كَثِيرًا مِنَ الْمُقَدَّسِينَ يَتْرِكُ احْتِيَاظًا بِعُضْءِ الْأُمُورِ خَوْفًا مِنْ
بَعْضِ الْمُحَاذِرِ ، لَكِنَّهُ قَدْ يَوْقَعُهُ هَذَا الْإِحْتِيَاظُ فِي مُحَاذِرِ أَشَدُّ خَطُورَةً.

وَالطَّرِيقُ السَّوِيُّ هُوَ الْجَادَّةُ الْوَسْطَى (أَمْرٌ بَيْنَ أَمْرَيْنِ) ؛ صِرَاطُ أَهْلِ الْبَيْتِ صَلَوَاتُ
اللَّهِ عَلَيْهِمْ.

(٣) مرجع الضمير: (الحقيقة) و(الواقعية).

(٤) بحار الأنوار ، ١ : ٢١٨ / ح ٣٩ .

(٥) ينبغي الالتفات في المقام إلى القضايا التالية:

→ الأولى: أَنَّ مَنْ يَنْأَى بِنَفْسِهِ مِنْ عِلْمَاءِ الْبَشَرِ - كَالْفَلَّاسِفَةِ وَالْمُتَكَلِّمِينَ وَالْعُرَفَاءِ - عَنْ تَعَالِيمِ بَيِّنَاتِ الْوَحْيِ فَقَدْ ارْتَطَمَ فِي أَخْطَرِ اشْتِبَاهٍ ، وَمِنْ ثَمَّ حَكَمَ الْفَلَّاسِفَةُ وَالْمُتَكَلِّمُونَ وَالْعُرَفَاءُ ؛ نَتِيجَةَ ابْتِعَادِهِمْ عَنْ تَعَالِيمِ بَيِّنَاتِ الْوَحْيِ عَلَى بَعْضِ الْمَخْلُوقَاتِ الْإِلَهِيَّةِ الْجِسْمَانِيَّةِ بِ: (التَّجْرُدِ التَّامِ) ، كَالْمَلَائِكَةِ وَالْعَقْلِ ، وَالْحَالِ أَنَّ الثَّابِتَ فِي صَرِيحِ بَيِّنَاتِ الْوَحْيِ: أَنَّ لِّلْمَلَائِكَةِ أَجْسَاماً وَأَجْنَحَةً وَحَرَكَةً ، وَكَذَا الْعَقْلُ ، فَقَدْ أَطْبَقَتْ كَلِمَةَ جَلِّ الْفَلَّاسِفَةِ وَالْمُتَكَلِّمِينَ وَالْعُرَفَاءِ عَلَى تَجْرُدِهِ تَجْرُداً تَاماً عَنِ الْجِسْمِيَّةِ وَالْجِسْمِ ، وَالْحَالِ أَنَّ الثَّابِتَ فِي بَيِّنَاتِ الْوَحْيِ ، كَبَيَانِ الْإِمَامِ الصَّادِقِ عليه السلام فِي حَدِيثِ جُنُودِ الْعَقْلِ وَالْجَهْلِ: أَنَّهُ رُوحٌ ، فَلَا حَظَّ: بَيَانُهُ عليه السلام: «... إِنْ لَللَّهِ عز وجل خَلَقَ الْعَقْلَ وَهُوَ أَوَّلُ خَلْقٍ مِنَ الرُّوحَانِيِّينَ عَنِ يَمِينِ الْعَرْشِ مِنْ نُورِهِ ، فَقَالَ لَهُ: أَذْبِرْ فَادْبِرْ ، ثُمَّ قَالَ لَهُ: أَقْبَلْ فَأَقْبَلْ...» - أُصُولُ الْكَافِي ، ١: ١٧ / ح ١٤ - ، وَالرُّوحُ كَمَا هُوَ الثَّابِتُ أَيْضاً فِي بَيِّنَاتِ الْوَحْيِ ، كَبَيَانِهِ عليه السلام أَيْضاً: أَنَّهَا جِسْمٌ مِنَ الْأَجْسَامِ اللَّطِيفَةِ ، فَانظُرْ: بَيَانُهُ (صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ) فِي أَجْوِبَتِهِ عَلَى مَسْأَلِ الزَّنْدِيقِ: «... وَالرُّوحُ جِسْمٌ رَقِيقٌ ، قَدْ أَلْبَسَ قَالِباً كَثِيفاً...». بِحَارِ الْأَنْوَارِ ، ٦: ٢١٦ / ح ٨. الْاِحْتِجَاجُ ، ٢: ٩٦.

وَالْحَقُّ: أَنَّ هَذِهِ الْمَخْلُوقَاتِ وَمَا شَاكَلَهَا مَخْلُوقَاتٌ جِسْمَانِيَّةٌ ، لَكِنَّهَا مُجْرَدَةٌ تَجْرُداً نَسْبِيّاً عَنْ غَلْظَةِ وَمَادَّةٍ مَا تَحْتَهَا مِنَ الْأَجْسَامِ ، فَهِيَ أَجْسَامٌ ، لَكِنَّهَا أَلْطَفٌ بِالْقِيَاسِ إِلَى مَا تَحْتَهَا وَالْأَكْثَرُ غَلْظَةٌ.

بَعْدَ الْإِلْتِفَاتِ: أَنَّ مَرَاتِبَ الْجِسْمِيَّةِ وَنَسْبِيَّتَهَا لَا حَصْرَ لَهَا.

ثُمَّ إِنَّهُ لَوْ أَرَادَ الْبَاحِثُ ، بَلْ لَوْ كَانَ شَغْلُهُ الشَّاعِلَ مَعْرِفِيّاً بِمَعْرِفَةِ عَوَالِمِ الْخَلْقَةِ ؛ وَجَمَلَةٌ خَارِطَةٌ مَنْظُومَتُهَا الْمُنَاسِقَةُ الْوَارِدَةُ فِي لِسَانِ بَيِّنَاتِ الْوَحْيِ وَالَّتِي لَا تَعْلَمُ بِهَا أَصْحَابُ الْآخِرَةِ الْأَبَدِيَّةِ - أَهْلُ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ الْأَبَدِيَّتَيْنِ - لَعَثَرُ عَلَى عَوَالِمِ رَهْبِيَّةٍ أَخْطَرَ مِنْ دُونَ قِيَاسِ مِنْ عَالَمِ الْبَرَزَخِ وَعَالَمِ الْقِيَامَةِ وَعَالَمِ الْآخِرَةِ الْأَبَدِيَّةِ ، وَلَعَثَرُ عَلَى مَعَارِفِ مَهْيَبَةٍ وَخَطِيرَةٍ جِدّاً لَا يُمْكِنُ حَصْرُهَا وَإِحْصَاؤُهَا.

→ القضية الثانية: إنَّ أعظم ظلم جرى على البشريَّة لا يكمن في إقصاء أهل البيت عليهم السلام عن الحكم ودورهم السياسي ؛ وإقامتهم للعدل الإلهي بين بني البشر - سواء أكان عدلاً اقتصادياً أو تجارياً أو أمنياً أو مجتمعياً أو غيرها - بل في إبعادهم عن أن يكونوا مُعلِّمين وهداة ومرشدين ومزكِّين إلهيين للبشريَّة جمعاء.

بعد الالتفات: أنَّ المخلوق يصبح حيوان وبهيمة ، بل أضلَّ سبيلاً من دون نور العلم ، فأعظم شيء في كمال المخلوق تنمية روحه وعقله وقلبه ونوره.

فانظر: بيانات الوحي ، منها:

بيان الإمام الصادق عليه السلام: «النَّاسُ إثنان: عالم ، ومُتعلِّم ، وسائر النَّاس هَمَج ، والهَمَج في النَّار». بحار الأنوار ، ١: ١٨٧ / ح ٣.

والمراد: من (سائر النَّاس): باقي النَّاس ، باتِّفاق أهل اللُّغة ، كما في اللُّسان.

والمراد: من (الهَمَج) - بالتَّحريك - جمع هَمَجَة ، وهي: ذباب صغير كالبعوض يسقط على وجوه الغنم والحمير وأعينها. ذكره الجوهري.

وبالجملة: مقام سيِّد الأنبياء وسائر أهل البيت صلوات الله عليهم في كونهم مُعلِّمين وهداة ومرشدين ومزكِّين إلهيين أعظم من مقام الولاية السياسيَّة ، ومقام القيادة والقدرات الماليَّة والعسكريَّة.

ويجدر الالتفات: أنَّ (المظلوميَّة) في منهاج الوحي الإلهي ليس معناها: (استضعاف الإنسان لنفسه ، وانكفائه وانكساره وتحاذله) - كما عليه منهج النصرانيَّة المنحرفة ، وما تُروِّج إليه الثقافة الغربيَّة تحت عنوان: (التَّسامح والتَّساهل) ؛ لضعضعة الشُّعوب المحرومة - بل معناها: الإيعاز للمظلوم أن يكون عفواً وغفوراً ، وأن لا يستوفي من الظالم - إن تمكَّن منه - أكثر من حقِّه.

→ وهذا المعنى ظهر جلياً في تعامل أهل البيت - سيّد الأنبياء وسائر أهل البيت - صلوات الله عليهم مع مَنْ ظلمهم بعد التمكن منه ، والنصوص الوحيانية والتاريخية مشحونة بتلك السيرة فاطرقها تسمع الجواب واضحاً وجلياً.

القضية الثالثة: ليس المراد من قاعدة التَّعَبُّدِيَّةِ والتَّوْفِيقِيَّةِ والتَّوْفِيتِيَّةِ الواردة في بيانات الوحي تحجير وحبس للعقول والأفكار - كما ظنَّه الفلاسفة ، بل والعرفاء كنظرة إجمالية - ، وإِنَّهَا المراد ترشيد لسير وفكر البشر لخطى غير متناهية في التَّكامل ، ومن ثمَّ مدحت بيانات الوحي وحثت على التَّعَقُّل والتَّفَكُّر وطلب العلم ، وذمَّت الجهل والشكَّ والرَّيبة والتَّرَدُّد ؛ لكونها توقف حركة الفكر وسيره .

القضية الرَّابِعة: أنَّ كثير من القواعد العقلية التي لا يمكن لعقول البشرية الوصول إليها وشَمَّ رائحتها موجودة في بيانات الوحي .

القضية الخامسة: ينبغي أن لا يُظنَّ أنَّ قاعدة من القواعد المعرفية التَّوْحِيدِيَّةِ الوحيانية مُخْتَصَّة بمقام فارد ، بل تجري في مقامات ومنازل متعدّدة .

القضية السَّادسة: أنَّ كُلَّ كلمة يقوها المعصوم عليه السلام يُستخرج منها قواعد وفوائد إلى ما شاء الله .

القضية السَّابعة: أنَّ كثير من أسرار المعارف تذكر في بيانات الوحي بالكناية والتَّعريض وهو أبلغ من التَّصريح .

القضية الثامنة: كلِّما تقدَّمت المسيرة العلميَّة والعلوم كلِّما التفتت البشرية إلى حقائق وأمور خطيرة ومهولة مذكورة في بيانات الوحي الإلهي الشَّريف ؛ كان البشر يتلقَّاهم ويتعامل معها ويطعنهم بعقله القاصر والمحدود والمتناهي بتناهي عالم العقل بـ: الإستهزاء والسُّخرية ، والرمي بـ: المناكير ، وما لا يتعقَّل صدورها ، وأنَّه كلام عجوز مُحرِّفة ، وما لا يمكن صدورها من أصاغر الطلبة فضلاً عن فاضل وما ←

عِلماً ظاهراً.

٢- بيان أمير المؤمنين عليه السلام: «المتعبّد على غير فقه كحمار الطاحونة ؛ يدور ولا يبرح ، وركعتان من عالمٍ خير من سبعين ركعة من جاهلٍ ؛ لأنَّ العالم تأتبه الفتنة فيخرج منها بعلمه ، وتأتي الجاهل فتتسفه نفساً ، وقليل العمل مع كثير العلم خير من كثير العمل مع قليل العلم والشكّ والشُّبهة»^(١).

ودلالته واضحة أيضاً ؛ فإنّه شامل بإطلاقه لمن يتعبّد بقضيّة ونتيجة ويقطع بعلميَّتها ومطابقتها للواقع ، لكنّه إذا لم يكن عالماً ، أو كان عالماً لكنّه ليس من أهل الخبرة ، أو كان من أهل الخبرة لكنّه لم يعضدها ببيانات الوحي فهو في عرضة الخطأ ، كحمار الطّاحونة ؛ فإنّه معصوب العينين لا يرى الواقع الخارجي ومنّ حوله ، ويبقى يدور في دوامة الجهل والعمى والظلام.

٣- بيان الإمام الصادق عليه السلام: « مَنْ دَخَلَ فِي هَذَا الدِّينِ بِالرَّجَالِ أَخْرَجَهُ

→ شاكله ، ومن ثمّ يُحاول بكلّ ما أوتي من صنعةٍ وقوّةٍ ومهارةٍ علميّةٍ إسقاط حُجّيتها واعتبار سندها ، وإلّا - أي: إذا لم يتمكّن من ذلك كما لو كان سندها مُعتبراً ولا غبار عليه - توجّه إلى دلالتها وأسقط اعتبارها وحُجّيتها بدم بارد من دون احتياط وتقية وإحالتها إلى أهلها وذلك من خلال التّأويل والحمل على معانيها المجازيّة وما شاكلها.

(١) بحار الأنوار ، ١: ٢٠٨/ح ١٠.

منه الرِّجَال كما أدخلوه فيه ، وَمَنْ دخل فيه بالكتاب والسُّنَّة زالت الجبال قبل أَنْ يزول»^(١).

٤- بيانه عَلَيْهِ أَيْضاً: «... أَنَّ هذا القول كان مِنْ قوم سَمِعُوا ما لم يعقلوه عن أهله ، ولم يعطوا فهم ذلك ، ولم يعرفوا حَدَّ ما سمعوه ، فوضعوا حدود تلك الأشياء مقايسة برأيهم ومنتهى عقولهم ، ولم يضعوها على حدود ما أُمرُوا كذباً وافتراءً على الله ورسوله ، وجرأة على المعاصي ، فكفى بهذا لهم جهلاً ، ولو أتمهم وضعوها على حدودها الَّتِي حُدَّت لهم وقبلوها لم يكن به بأس...»^(٢).

ودلالته - كدلالة سابقه - قد اتَّضَحَتْ ، ولا غبار عليها.

وعليه: فكيف يَحِقُّ لِمُؤرِّخٍ: إِدِّعَاؤُه دعوةً عقائديَّةً على فرقةٍ ما وليس له باعٌ في علم الكلام ، مع أَنَّ القضية ليست حِسِّيَّةً ، بل علميَّةً ، وهي لا تدور مدار صدق اللَّهجة ، وإنَّما مدار صدق العلم. فلذا ورد: «الصدق في العلم والكذب في العلم».

وهذا ليس بحثاً عقائدياً معرفياً فحسب ، بل فقهيٌّ وسياسيٌّ قديم ومعاصر.

والنتيجة من كلِّ هذا: أَنَّ العلم يوجب ضبط الحسِّ بدرجاتٍ ،

(١) بحار الأنوار ، ٢: ١٠٥/ح ٦٧.

(٢) المصدر نفسه ، ٢٤: ٢٨٨-٢٩٨/ح ١. بصائر الدَّرجات: ١٥٤-١٥٧.

وهو^(١): آليّة كفوءة واسعة ومتنوعة ، لا بُدَّ أَنْ يُقام بها موقف مُعيّن اتّجاه مجموعة مُعيّنة.

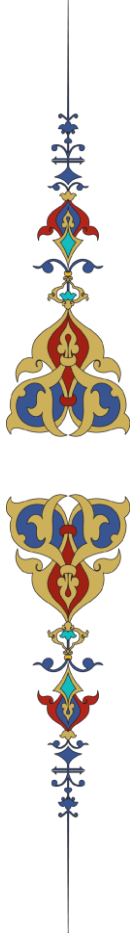
[مجموع العلوم موازين لدراسة بيانات الوحي]

ومن كلّ ما تقدّم يتّضح: أنّ مجموع العلوم الدّينيّة والمعرفيّة والعقليّة موازين ، بل ميزان لدراسة وقراءة بيانات الوحي ، ولا يحقُّ التّفرد بتلك البيانات الوحيانيّة ودراستها وقراءتها على وفق علم فارد.

وعليه: فلا يحقُّ لمخلوقٍ قطُّ تمحيص بيانات الوحي ؛ كبيانات الروايات والتّفرد بها بعلم الرجال مثلاً - فضلاً عن الإقتصار على مدرسةٍ من مدارسه ، أو مشربٍ أو اجتهاد من اجتهادات علمائه - والضرب صفحاً عن سائر العلوم.



(١) مرجع الضمير: (العلم).



المسألة: (٤)

[المنهج المختار في قراءة بيانات الوحي]

إنَّ المنهج المختار في التَّعاطي مع بيانات الوحي وقراءتها مُبْتَنٍ على لغتين وقراءتين أساسيتين ، وهما منهج مَنْ بلغ مقام التَّعَلُّم من أولياء اللّٰه:

[الأولى : اللغة والقراءة العقلية]

إنَّ المنهج المختار في التَّعَامُل والتَّعاطي مع بيانات الوحي الإلهيَّ - الوارد في أبواب المعارف والبحث العقائديّ - لا يدور مدار التَّعَبُّد الظنِّي في السَّنَد أو الصُّدُور أو الدَّلالة ؛ فَإِنَّه وَإِنْ كان مفيداً للنقل والإيصال الحسيّ - وهو غاية دور العلم النَّقْلِي ك: (التَّواتر) ، و(الإستفاضة) فضلاً عمَّا دونه من: (الظَّنَّ العقلي) ، أو (النَّقْل الظنِّي) - لكنَّه ليس بمثمرٍ بمفردهٍ لغاية: (اليقين العقلي) فضلاً عمَّا فوقه من (اليقين الوحياني) ، بل غاية العلم النَّقْلِي: إعداد لدور: (الفهم) و(العقل)^(١) لدرك أشعَّة

(١) سيأتي (إن شاء الله تعالى) توضيح بعض معالم حقيقة: (الفهم) ، و(العقل) في ذيل هذه المسألة ، تحت عنوان: تنبيهات ، فانظر .

الوحي ، وإنّما^(١) يدور مدار استخراج الدليل والبيان والبرهان العقلي من بيانات الوحي الإلهي الشريف ؛ من خلال: (اللغة والقراءة العقلية) المستندة إلى مقدمات عقلية أيضاً تفوح من تلك البيانات الوحيانية.

وقد ذهب إلى هذا المنهج جملة من أسود علماء معارف الإمامية وفقهائها (تقدّست أسرارهم وأعلى الله مقاماتهم) ، منهم: الشيخ الطوسي ، والخواجة نصير الدين الطوسي ، والمقدّس الأردبيلي ، والشيخ المجلسي ، والشيخ البهائي ، والميرزا القميّ.

بعد الالتفات: أنّ لغة بيانات الوحي المعرفية: لغة عقلية وحيانية ؛ لأنّ العقل من نتاجات الوحي الإلهي ، لكنّها وإن كانت لغة عقلية - ولم تكن لغة قانونية ، أو لغة أخلاقية ، أو لغة روائية ، أو لغة علم حديث ، أو لغة علوم دينية أخرى - إلا أنّها أعظم من نتاج العقل البشري الأرضي بما لا يُتناهى.

وهذه القضية تأتي في طرّ أبواب المعارف الإلهية - ك: باب: (التوحيد) ، و(النّبوة) ، و(الإمامة) ، و(المعاد) - فإنّها تُرى بعين العقل الوحيانيّ ، لا بعين العقل البشريّ ولا بعين الحسّ ولا بعين الخيال ، فلا تستطيع لغة علم فقه الفروع ، أو لغة علم الكلام ، أو لغة علم الفلسفة ، أو

(١) هذه العبارة عدل للعبارة السابقة ، وهي: «إنّ المنهج المختار ... لا يدور مدار التّعبد الظنيّ ... وإنّما يدور ...».

لغة علم الرّجال ... قراءتها.

نعم لِلُّغة الحسّ والنقل ولغات هذه العلوم دور تمهيدِيّ وإعدادِيّ لِلُّغة العقليّة الوحيانيّة ، وليس دوراً غائياً نهائياً ، وإلاّ فخدعة وإماتة للعلم .

وإلى هذه اللغة تشير بيانات الوحي الوافرة الباهرة ، منها:

١- بيان أمير المؤمنين عليه السلام ، عن الأصبع بن نباتة ، قال: «... قام إليه رَجُلٌ يقال له: (ذعلب) ، فقال: يا أمير المؤمنين هل رأيت ربك؟ فقال: ويملك يا ذعلب ، لم أكن بالَّذي أعبد ربّاً لم أره. قال: فكيف رأيتهُ؟ صِفهُ لنا. قال: ويملك ، لم تره العيون بمشاهدة الأبصار ، ولكن رأته القلوب بحقائق الإيمان...»^(١).

٢- بيان جواب الإمام الصادق عليه السلام عن سؤال الرّنديق: «... كيف يعبد الله الخلق ولم يروه؟ قال عليه السلام: رأته القلوب بنور الإيمان ، وأثبته العقول بيقظتها إثبات العيان...»^(٢).

٣- بيان الإمام موسى بن جعفر عليه السلام ، عن هشام بن الحكم ، قال: «... يا هشام: إنَّ اللهَ (تبارك وتعالى) أكَمَلَ للنَّاسَ الحُجَجَ بالعُقُولِ ، وَنَصَرَ النَّبِيِّينَ بالبيان ، وَدَلَّهُمْ على رُبُوبِيَّتِهِ بِالأَدلَّةِ ، فقال: ﴿وَالهَكُمُ إِلَهُ وَاحِدٌ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ * إِن فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ

(١) بحار الأنوار ، ٤: ٢٧/ح ٢.

(٢) المصدر نفسه ، ١٠: ١٦٤.

وَأَفْلَكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَّاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١﴾ . يا هِشَامُ: قَدْ جَعَلَ اللَّهُ ذَلِكَ دَلِيلًا عَلَى مَعْرِفَتِهِ بِأَنَّ لَهُمْ مُدَبِّرًا ، فَقَالَ: ﴿ وَسَخَّرَ لَكُمْ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِ رَبِّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾ ﴿٢﴾ ، وَقَالَ: ﴿ هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ تَرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِيَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ ثُمَّ لِيَكُونُوا شُيُوخًا وَمِنْكُمْ مَنْ يُوفِّي مِنْ قَبْلِ أَنْ يَبْلُغُوا أَجَلًا مُسَمًّى وَلَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ ﴿٣﴾ ، وَقَالَ: ﴿ وَاخْتَلَفَ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ رِزْقٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَتَصْرِيفِ الرِّيَّاحِ آيَاتٌ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾ ﴿٤﴾ ، وَقَالَ: ﴿ يَحْيِيهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا قَدْ بَيَّنَّا لَكُمْ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ ﴿٥﴾ ، ﴿ وَجَنَّاتٍ مِنْ أَعْنَابٍ وَزُرْعٍ وَنَخِيلٍ صِنْوَانٍ وَغَيْرِ صِنْوَانٍ يُسْقَى بِمَاءٍ وَاحِدٍ وَنَفْضِلُ بَعْضُهَا عَلَى بَعْضٍ فِي الْأُكْلِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾ ﴿٦﴾ ، وَقَالَ: ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ يُرِيكُمْ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنزِلُ

(١) البقرة: ١٦٣ - ١٦٤ .

(٢) النحل: ١٢ .

(٣) غافر: ٦٧ .

(٤) الجاثية: ٥ .

(٥) الحديد: ١٧ .

(٦) الرعد: ٤ .

مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَيُحْيِي بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١﴾ ، وقال: ﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبِّي عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِنْ إِيْمَانِكُمْ إِنَّهُ كَانَ بِلِقَائِ رَبِّكُمْ وَأَيْهَاتُمْ وَلَا تَقْرُبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَّنَ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ذَلِكَمُ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٢﴾ ، وقال: ﴿هَلْ لَكُمْ مِنْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ مِنْ شُرَكَاءَ فِيهِ مَا رَزَقْنَاكُمْ فَأَنْتُمْ فِيهِ سَوَاءٌ تَخَافُونَهُمْ كَخِيفَتِكُمْ أَنْفُسَكُمْ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٣﴾ ... ﴿٤﴾ .

ودلالته - كدلالة سابقه - واضحة.

بل هذه القواعد الوحيانية العقلية لا يمكن قراءتها بلغة أخرى غير اللغة العقلية الوحيانية.

نظيره: معاني اللغة العربية الاعتبارية ، فإنه لا يمكن قراءتها بلغة إعتبارية أخرى ، كاللغة الإنكليزية ، بل لا بد من قراءتها بنفس اللغة العربية.

وبالجملة: المغزى العقلي المستفاد من بيانات الوحي لا يمكن إستخراجه بالمباشرة من ظاهر وسطح اللفظ إلا بقطع المتدبر مسافة السطح

(١) الروم: ٢٤.

(٢) الأنعام: ١٥١.

(٣) الروم: ٢٨.

(٤) أصول الكافي، ١: ١٣/ح ١٢.

والغور في العمق . كما لا يمكن استخراجهِ وقراءته بقوة: الحسّ ، أو الخيال ، أو الوهم ، أو العقل البشري ، بل بقوة العقل الوحيانيّ ، فهي القوة الوحيدة المتاح لها قراءة هذا النوع من الكلام ، ومن ثمّ حصرت سلسلة من بيانات الوحي فهم جملة من الأفعال والأحكام التكوينية ، بل التكوين برمته - كلغة لها تأويل - بأولي العقل واللّب والكياسة والفتنة .

وهذه اللغة لا يتمكّن منها أسراء: المادّة الغليظة والحسّ والخيال والوهم والعقل البشري ، ومن ثمّ لا يقرأ الطّابع الإلهيّ في شتّى العلوم - كعلم الفيزياء - إلاّ نوابغها ، فهم من تحصل لديهم حالة خشوع وتذلّل وقشعريرة للعظمة الإلهيّة ، من خلال رؤية الجمال والعظمة الإلهيّة من الأفعال التكوينية وما وراءها من عظمة ومصدر قوّة وحكمة ، ومناجاة^(١) الخالق (جلّ قدسه) لجملة المخلوقات .

ومعناه: أنّ كلّ ما يرومه المخلوق من جواب يجده حاضرّاً لديه من ساحة القدس الإلهيّة في أعماق عالم التكوين ؛ ففيه صفحات وفصول عن كلّ شاردة وواردة .

إذن: يمكن قراءة: (الدين)^(٢) ، و(الشريعة) ، و(العقائد) ،

(١) هذا عطف على كلمة: (عظمة) فتكون العبارة كالتالي: «فهم من تحصل لديهم ... من خلال رؤية الجمال ... من الأفعال التكوينية وما وراءها من عظمة ... وما وراءها من مناجاة الخالق (جلّ قدسه) ...» .

(٢) ينبغي الالتفات في المقام إلى التّبيهات التّالية:

و(المعارف) ، و(الآداب) ، و(الأخلاق)^(١) وغيرها من صفحات عالم

→ الأول: أن الرابطة بين الخالق - المسمي - تقدس ذكره - والمخلوق قائمة على قدم وساق ولا نهاية لها ، لأن الدين - الممثل لتلك الرابطة - لا حد ولا نهاية له ، ولا يرتفع في أي عالم من عوالم الخلقة - سواء أكان في عالم البرزخ أو عالم القيامة أو عالم الآخرة الأبدية أو بعدها - فلا يصل المخلوق في أي عالم ونشأة إلى بقعة لا دين فيها .
نعم ، توجد هناك مناطق استراحة .

الثاني: أن التأويل والتفسير الحاصل في أبواب المعارف إذا لم يستند إلى الموازين والضوابط والشواهد العلمية والصناعية المذكورة في بيانات الوحي والعقل كان زخرفاً من القول ، وهلوسة مزاج .

الثالث: أن أعظم ضابطة في الدين - لقراءة بيانات الوحي - بإجماع علماء الإمامية (أعزهم الله تعالى) ، ذكرها القرآن الكريم وبيتها بيانات أهل البيت صلوات الله عليهم الشريفة: (عرض الحديث على الكتاب الكريم والسنة الشريفة ، فيؤخذ بما وافق محكماتها ، ويترك ما خالفها) .

الرابع: الميزان الذي إن تمسك به المخلوق لم يقع في أحد جانبي الغلو والتقصير ، أو التشبيه والتعطيل ، أو الجبر والتفويض ، أو الإفراط والتفريط: أن يضع كل شيء في رتبته .

(١) لا بأس بالالتفات في المقام إلى القضايا التالية:

القضية الأولى:

صعوبة فرز وتمييز العناوين الأخلاقية المعرفية

إن فرز وتمييز العناوين التي لها طابع أخلاقي ومعرفي عقائدي بعضها عن الآخر تنظيراً وتطبيقاً - من حيث الآليات - من أشكال الأمور ، بل حيرت علماء الأخلاق ←

→ المعارف ، بل وعلماء اللُّغة ؛ وتحتاج إلى تجربةٍ عريضةٍ ، ودربةٍ واسعةٍ ، واستقراءٍ وفحصٍ شاسعٍ ، وتنظيرٍ دقيقٍ ونافذٍ وثاقبٍ .

وكثير من عناوين الفضائل والرذائل يتعاطاها الإنسان ويتلقاها بملفاتٍ وعيون ومسامع فكره وذهنه بإبهام بهيم ومجمل ؛ ومن ثمَّ جعل الشَّارع المُقدَّس آداباً لكلِّ شيءٍ ؛ كيما لا يتيه العبد ولا تختلط عليه العناوين ، فنيته وإن كانت سليمةً لكنَّه قد يستخدم اشتباهاً آليات تجرَّه للرذيلة من حيث لا يشعر .

والفرز بينها:

أما تنظيراً: فيتمُّ من خلال الإمام بالبحوث: اللُّغويَّة والمعرفيَّة والأخلاقيَّة ، ثمَّ يأتي إلى منصَّة بيانات الوحي ، ليستقرئ بدقَّة الضوابط المهميمنة في باب عناوين الفضائل والرذائل .

وأما تطبيقاً: فيتمُّ من خلال مراجعة بيانات الوحي ؛ لأنَّ غالب البشر - وإن كانوا من الأكابر - يجهلون آليات تطبيق المفاهيم ، فالعرفاء يجهلون غالباً آليات وآداب المكارم ، والسياسيُّون والحكَّام يجهلون أيضاً آليات وآداب السياسيَّة ، وأرباب الأسر يجهلون أيضاً آليات وآداب الأسرة ، وأصحاب السلوك الفردي يجهلون كذلك آلياته وآدابه ، وهلمَّ جرَّاً .

وهذا بيانٌ وبرهانٌ دالٌّ على ضرورة: التَّوحيد ، والوحي ، والنُّبوة ، والرِّسالة ، والإمامة ، والمعاد .

متابعة الباحث لعناوين باب الفضائل والرذائل مفيدة جداً

ثمَّ إنَّ متابعة الباحث لمفردات العناوين في باب المكارم الأخلاقيَّة وباب الرذائل تنظيراً ومفهوماً لغويّاً ستخدم لا محالة بحوثه النَّظريَّة - الإعتقاديَّة والمعرفيَّة والتربويَّة والأخلاقيَّة - كثيراً ؛ لأنَّ اللُّغة النَّفسانيَّة والأخلاقيَّة ، بل والبدنيَّة وهلمَّ جرَّاً من لغات المعارف والإعتقادات يُمكن أن تُكتب بها المعارف بكافة أبوابها .

التكوّن .

ومنه تتضح: نكتة إصرار القرآن الكريم على الصلة بين حقيقته

→ ومنه يتضح: بطلان ما تحيّلَه فلاسفة المشاء: من أنّ اللّغة الوحيدة والتي لها الأهلّيّة أنّ يكتب بها علم الفلسفة: لغة العقل النظري ليس إلّا؛ فإنّ صريح بيانات الوحي قاضي بأنّها أحد اللّغات ، بل اللّغة النفسيّة ربّما تكون أعظم عموميّة وفهماً لدى طبقات عموم البشر منها ، والتي يظنّ البعض - لا سيما الفلاسفة - اشتباهاً أنّها لغة عالميّة ، نعم عالميّة بين النخب العقليّة الفلسفيّة ، أمّا نخب غيرها فلا يفهمونها ؛ بعدما كانت جافّة ومغلقة ومُعقّدة.

القضية الثّانية:

الفرق بين الآداب والأخلاق

هناك فارق بين الآداب والأخلاق ، حاصله: أنّ الآداب عبارة عن آليّات بدنيّة ذكيّة ملتصقة ومرتبطة بعناوين وهيئات أخلاقيّة. بخلاف الأخلاق ؛ فإنّها هيئات نفسانيّة.

القضية الثّالثة:

قراءة أبواب المعارف وما يجيش في دخيلة الشّخص

يمكن قراءة جملة أبواب المعارف وترجمتها بلغة البدن والرياضيّة البدنيّة والآداب الحسيّة المرئيّة. بل يمكن من خلال السلوك البدني للشّخص - في الأكل والشرب ، والنوم ، وحلّه وترحاله ، وتعامله مع الغير ، ومع جملة البيئات المحيطة به - تشخيص: توحيده وإسلامه وإيانه ب: العدل الإلهي ، والنّبوة ، والإمامة ، والمعاد ، ومعتقده جبّري أم تفويضي أم لا ، وهلمّ جرّاً.

وحقيقة عالم التكوين برمته^(١).

(١) يجدر صرف النظر في المقام إلى الأمور التالية:

الأول: أن التشريع الإلهي يطابق عالم التكوين ، لكن لا يبعد تكويني واحد ، بل بمجموع أبعاده.

الثاني: أن نظام خلقه الله نظام قائم على العدل ، وعلى الموازين والقواعد.

الثالث: أن الفخر والفخار يكمن في أن نبني ما بقي ، لا استهلاك واجترار ما بُني ، فليس فيه فخر وفضيلة.

الرابع: أن ما ورد في بيان سيّد الأنبياء ﷺ: «الناس نيام فإذا ماتوا انتبهوا» - بحار الأنوار ، ٥٠ : ١٣٤ - برهانٌ وحيانيٌّ دالٌّ على ضعف إدراكات الإنسان وضعف وعيه للحقائق في هذه النشأة كوعي النائم.

نعم ، إذا مات انتبه وازداد وعيه وإدراكه وإحاطته ، وهذا مطابق لمفادات كثير من بيانات الوحي ، منها:

١- بيان قوله جلّ قوله: ﴿وَمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَهُوٌ وَلَعِبٌ وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ [العنكبوت: ٦٤].

فإنّ عنوان (الحيوان) صيغة مبالغة للحياة ، سواء أكانت حياة رغد أم حياة عذاب.

٢- بيان قوله عزّ قوله: ﴿وَجَاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَعَهَا سَائِقٌ وَشَهِيدٌ * لَقَدْ كُنْتُمْ فِي غَفْلَةٍ مِنْ هَذَا فَكَشَفْنَا عَنْكُمْ غِطَاءَك فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ﴾ [ق: ٢١-٢٢].

فإنّه برهانٌ وحيانيٌّ دالٌّ أيضاً على صيرورة إدراكات الإنسان مُسَلَّحة وذات حِدَّة بعد موته.

فانظر: بياناته الوافرة الباهرة ، منها:

بيان قوله عز ذكره: ﴿وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾^(١).

والمراد من: (الكتاب المبين): القرآن الكريم ، كما أشير إليه في بيان قوله تبارك اسمه: ﴿حَمْدٌ * وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ * إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ

→ وهذا على طرف نقيض لما يتوهمه أصحاب النزعة المادّية كالسلفيّة والهويّة والعلمانيّة ؛ فإنّهم يزعمون اندثار الإنسان بعد موته ، وأنّ الحياة الدُّنيا هي الصنم وقطب الرّحى ليس إلّا.

وهذه صفة وسمّة الملحد والكافر.

فانظر: بيانات الوحي ، منها:

بيان قوله عز من قائل: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ قَدْ يَسُؤُوا مِنَ الْأَخِرَةِ كَمَا يَسُؤُا الْكُفَّارُ مِنْ أَصْحَابِ الْقُبُورِ﴾ [الممتحنة: ١٣].

وعلى نقيضه قامت صفة المؤمنين ؛ فإنّ الدُّنيا لديهم روضة وإعداد ضئيل وضامر لحياة أعظم من دون قياس تأتي بعد ذلك.

وهذا ما تُشير إليه بيانات الوحي الأخرى ، منها :

بيان قوله جلّ قدسه: ﴿ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ * الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ﴾ [البقرة: ٢-٣].

ودلالته واضحة ، فإنّ أحد صفات المؤمنين الخطيرة: إيمانهم بالغيب.

تَعْلُونُ ﴿١﴾ ، وبيان قوله جَلَّ شأنه: ﴿حَمَّ * وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ * إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُبَارَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ * فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ﴾ (٢) . (٣)

[إحداث العلم والمعلومة الحقّة لأهل البيت ﷺ]

ثُمَّ إِنَّ دَوْرَ أَهْلِ الْبَيْتِ ﷺ: سَيِّدِ الْأَنْبِيَاءِ ﷺ وَالْعَتْرَةِ الطَّاهِرَةِ ﷺ كَمُعَلِّمِينَ إلهِيَّينَ فِي إِحْدَاثِ الْعِلْمِ بِالْوَحْيِ لَدَى الطَّرْفِ - الوارد والمؤكّد عليه (٤) فِي بَيَانَاتِ الْوَحْيِ الْوَافِرَةِ ، مِنْهَا :

١- بَيَانُ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ﴾ (٥) .

٢- بَيَانُ قَوْلِهِ جَلَّ قَدْسُهُ: ﴿بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ﴾ (٦) .

(١) الزخرف: ١-٣ .

(٢) الدخان: ١-٤ .

(٣) ينبغي الالتفات: أَنَّ كُلَّ كَلِمَةٍ وَرَدَتْ فِي بَيَانَاتِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ عِبَارَةً عَنْ مُعْجَزَةٍ إلهِيَّةٍ .

(٤) المرجع الضمير: (دور المُعلِّم الإلهي) .

(٥) الجمعة: ٢ .

(٦) العنكبوت: ٤٩ .

٣- بيان سيّد الأنبياء ﷺ: «... ثمّ خلق الأشياء من نوري ونور عليّ ﷺ ، ثمّ جعلنا عن يمين العرش فسبّحنا فسبّحت الملائكة ، فهلّلنا فهلّلوا ، وكبّرنا فكبّروا ، فكلّ من سبح الله وكبّره فإنّ ذلك من تعليم عليّ ﷺ»^(١).

ومضمون هذا البيان الشّريف نفس مضمون بيانه ﷺ أيضاً: «أنا مدينة العِلْمِ وَعَلِيٌّ بابها ...»^(٢). فإنّه بيان دينيٌّ معرفيٌّ عقائديٌّ شامل - كالدين والمعارف والعقائد الإلهية - لطُرّ العوالم وجملة المخلوقات غير المتناهية.

٤- بيان الإمام الباقر ﷺ: «... نحن ... مصابيح العلم ... وموضع سرّ الله ، ووديعه الله جلّ اسمه في عباده ... نحن الأسماء الحُسنَى ... جعلنا لسانه النَّاطِقَ في خلقه ... ووجهه الَّذِي يُوتَى منه ، وبابه الَّذِي يدلُّ عليه ، وخزّان علمه ، وتراجمة وحيه وأعلام دينه ... ولولانا ما عرّف الله ...»^(٣).

٥- بيان الإمام الصّادق ﷺ: «... نحن حُجَّةُ اللَّهِ في عباده ... وأمناؤه على وحيه ، وخزّانه على علمه ، ووجهه الَّذِي يُوتَى منه ... ولسانه النَّاطِقَ ، وبابه الَّذِي يدلُّ عليه ، نحن العالمون بأمره ، والدّاعون إلى سبيله ،

(١) بحار الأنوار ، ٢٥: ٢٤ / ح ٤٢.

(٢) المصدر نفسه ، ١٠: ١٢٠.

(٣) المصدر نفسه ، ٢٥: ٤-٥ / ح ٧. المحتضر: ١٢٩.

بنا عُرِفَ اللهُ ، وبنا عُبِدَ اللهُ ، نحن الأَدِلَّةُ على اللهِ ، ولولانا ما عُبِدَ اللهُ»^(١)
 - (٢) لا يقلُّ أهميَّة عن كونهم أولياء إلهيِّين .

وجملة المخلوقات في طُرِّ العوالم تلتجئ إلى أهل البيت صلوات الله عليهم
 في باب العلم والتَّعَلُّم بِغَضِّ النَّظَر عن كونهم أولياء^(٣) ، بل إنَّ أَجَلِيَّ مظاهر تويُّ

(١) بحار الأنوار ، ٢٦ : ٢٦٠ / ح ٣٨ . توحيد الصدوق : ١٤١ .

(٢) هذه الشَّارطة عدل لسابقتها المجعولة قبل كلمة: (الواردة) ، فتكون العبارة
 كالتَّالي: «إنَّ دور أهل البيت عليهم السلام ... كمعلِّمين إلهيِّين في إحداث العلم بالوحي
 لدَى الطَّرَف لا يقلُّ أهميَّة عن كونهم أولياء إلهيِّين» .

(٣) يجدر صرف النَّظَر في المقام إلى الأمور التَّالية:

الأمر الأوَّل:

علم الكلام لم يكن حربية وقلعة مُهمَّة للدِّفاع عن المنهج الحقِّ

إنَّ الطَّرَح الكلامي لمباحث ومقامات الوصايا والإمامة الإلهيَّة لأهل البيت
 صلوات الله عليهم في علم الكلام أدنى مستوى من الطَّرَح الفلسفي والعرفاني ؛
 فإنَّه يتناول وصايتهم عليهم السلام وإمامتهم الإلهيَّة وينتهي إلى أنَّهم بشرٌ عاديون ، نعم ،
 مفترضو الطَّاعة ، ومُسدِّدون من الله تبارك وتعالى ، ومعهم ملائكة يُسدِّدوهم
 ويوجِّهوهم ، ويفتحون صلوات الله عليهم أوراقاً وصحفاً ورثوها عن سيِّد
 الأنبياء عليه السلام ، ويقرونها ويتعلَّمون منها . وقد غفل البحث الكلامي عن
 علومهم عليهم السلام ومعارفهم الرُّوحيَّة والنُّوريَّة والملكوئيَّة الإلهيَّة ، وانشغلوا بهذا
 المستوى والطرح الهابط والبحث القشري ، ولم يلتفتوا لواقع البحث وخطورته .

بل البحث الفلسفي والعرفاني لأتباع مدرسة أهل البيت عليهم السلام وإنَّ كان أرقى من
 هذا الطَّرَح الكلامي ، لكنَّه لم يرتقِ لواقع بحث الوصايا والإمامة الإلهيَّة الوارد في ←

→ بيانات الوحي القطعية ، وتاهت أبحاثهم عن بلورة وهندسة ما ورد في تلك البيانات الوحيانية ؛ فإنهم قالوا: إنَّ الوصايا والإمامة الإلهية عصمة روحية ونور ملكوتي ، لكنه لا زال دون واقع البحث الذي ترسمه بيانات الوحي .

وهذه قضية واضحة ، بل هذه الأبحاث مؤلدة لانطباعات عن مقام الوصايا والإمامة الإلهية كانطباعات جمهور العامة عنها .

وهذا ليس سبباً وخطأً من مقام أولئك ، ولا ذمّاً لعلم الكلام ، وإنما بيان واقع ؛ وأنَّ علم الكلام لم يكن حربة وقلعة مهمة من حراب وقلاع الدفاع عن المنهج الحق ؛ نهج أهل البيت صلوات الله عليهم ، بل لأبَدَّ أَنْ يبقَى حياً ومتنامياً ومُتطوّراً ، ومع هذا لا يُجيس واقع المعارف بما توصل إليه ، وما توصل إليه علم الفلسفة والعرفان ؛ لكون الجميع قراءة ونتاج بشريّ محدود بمحدودية قوى وإمكانيات البشر ، والوقوف على تلك القراءات وذلك النتاج تحجير للعقول وإماتة للحقائق ، بخلاف نتاج الوحي ؛ فإنه نظام لا يختل ولا يتبدل ولا يختلف ولا يتخلف أبداً ، حاوي على قوالب وعلوم ومعلومات ومعارف ومعاني وحقائق غير متناهية أبد الآباد ودهر الدهور ، وَمَنْ أَتَاهُ عَرَفَ مِنْ أَيْنَ تَوَكَّلَ الْكَتْفَ ، وَوَجَدَ أَنَّ كُلَّ الصَّيْدِ فِي جَوْفِ الْفَرَاءِ ، بَلْ مِنْ تَقَدَّمَ عَرِقَ فِي بَحْرِ الْإِفْرَاطِ ، وَمَنْ تَأَخَّرَ عَنْهُ زَهَقَ فِي بَرِّ التَّفْرِيطِ ، وَيَتَشَلُّ مِنْ يَتَمَسَّكَ بِهِ مِنَ الظُّلُمَاتِ وَالغَوَاشِي ، وَيُخْرِجُهُ مِنَ الْحُجُبِ الظُّلُمَانِيَّةِ ، وَيُقَرِّبُهُ فِي عَالَمِ النُّورِ والبهاء والسرور والحبور ، وهذا ما تشير إليه بيانات الوحي ، منها :

١- بيان قوله عزَّ من قائل: ﴿قُلْ لَوْ كَانِ الْبَحْرُ مَدَادًا لَكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفَذَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تُنْفَذَ كَلِمَاتِ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا﴾ [الكهف: ١٠٩].

٢- بيان قوله جلَّ قوله: ﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ﴾ [لقمان: ٢٧].

٣- بيان قوله عزَّ قوله: ﴿مَا عِنْدَكُمْ يَنْفَدُ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ بَاقٍ﴾ [النحل: ٩٦].

→ ودلالاتها واضحة.

بل بيانات الوحي حاوية وشاملة لجملة العلوم والمعارف والحقائق غير المتناهية ، ولا يشدُّ عنها شيئاً أبداً.

فانظر:

بيان قوله جلَّ شأنه: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ﴾ [النحل: ٨٩].

وهذه ضابطة وحيانية عامّة ، جامعة مانعة.

وعليه: فينبغي للمخلوق أن لا يتوهّم بوقوف معارف بيانات الوحي وعلومها ومعانيها وحقائقها عند حدٍّ مُعيّنٍ ، وإلا ارتطم بالتقصير الجارّ إلى الغلو ، على وفق القاعدة: «أنّ في كلّ تقصيرٍ غلوّاً ، وفي كلّ غلوٍّ تقصيراً» ، فتدبّر ؛ فإنّهما وجهان لعملةٍ وحقيقةٍ واحدةٍ ، وخطورة أحدهما عين خطورة الآخر ، والنّجاة في سلوك المنزلة الوسطى (الأمر بين الأمرين) ، جادّة أهل البيت صلوات الله عليهم ، التي لا تُخرج إلى عوج ، ولا تُزيل عن منهج الحقّ ، نعم هي دقيقة الوزن ، حادّة اللسان ، صعبة التّرقّي إلا على الحاذق اللبيب.

وهذا ما تُشير إليه بيانات الوحي ، منها:

بيان زيارة أهل البيت صلوات الله عليهم الجامعة: «... فالرّاغب عنكم مارق ، واللازم لكم لاحق ، والمُقصر في حقّكم زاهق ، والحقّ معكم وفيكم ومنكم وإليكم ، وأنتم أهله ومعدنه...». بحار الأنوار ، ٩٩ : ١٢٩ .

ودلالاته واضحة.

لكن يحتاج السائر على نهج أهل البيت ﷺ إلى سيرٍ مُبرهنٍ وموزونٍ بالضوابط والقواعد العلميّة والمعرفيّة الوحيانيّة والعقليّة.

وإلى هذا تُشير بيانات الوحي ، منها:

→ بيان سيّد الأنبياء ﷺ في وصيته لأمير المؤمنين صلوات الله عليه: «... يا عليّ، إنّ هذا الدّين متين فأوغل فيه برفق...». بحار الأنوار، ٦٨: ٢١٣ - ٢١٤/ح ٨. الكافي، ٢: ٨٧.

وعصارة القول: يحتاج من يبغى إِبصار الحقيقة إلى الغوص والغور في بطون بحور علوم ومعارف الوحي غير المتناهية؛ على وفق الموازين العلميّة والمعرفيّة الوحيانيّة والعقليّة، وإلّا لارتطم بالخطب والخلط، والوقوع في الزيغ والضلال والانحراف.

والوقوف والجمود على استنتاجات البشر في علم الكلام والفلسفة والعرفان وغيرها فحسب للوصول إلى الحقيقة من دون الاتّكاء على بيانات الوحي حوالة على مُفلس، وكمن يتعلّق بنسيج العنكبوت للعروج إلى أسباب السّموات، بل تُسبّب له الوقوع في الهلكة. والحقّ يكمن في استخراج ثوابت بيانات الوحي والسير على وفقها.

الأمر الثاني:

التّرابط في إدارة الأرض والملكوت

آدم عليه السلام خليفة بالوكالة عن أهل البيت عليه السلام

إنّ ما ورد في بيانات الوحي، منها:

١- بيان قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِيهِ الْأَرْضَ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَيَنحِبُّ نَسِجَ جَهَنَّمَ وَبَقَدَسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ * وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ * قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ * قَالَ يَا آدَمُ أَنْبِئْهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ فَلَمَّا أَنْبَأَهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنْتُمْ تَكْمُونَ * وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ * [البقرة: ٣٠ - ٣٤].

→ ٢- بيان سيّد الأنبياء ﷺ مخاطباً أمير المؤمنين صلوات الله عليه: «... يا عَلِيّ، إِنَّ الله تبارك وتعالى فَضَّلَ أنبياءه المرسلين على ملائكته المُقرَّبين، وَفَضَّلَنِي على جميع النَّبِيِّينَ والمرسلين، والفضل بعدي لك يا عَلِيّ ولِلْأُمَّة من بعدك، وَإِنَّ الملائكة لخدّامنا... لأنَّ أوَّلَ ما خلق الله ﷻ: خلق أرواحنا، فَأَنطَقنا بتوحيده وتحميده ثُمَّ خلق الملائكة فَلَمَّا شاهدوا أرواحنا نوراً واحداً استعظموا أمرنا فسبَّحنا؛ لتعلم الملائكة أَنَّا خلق مخلوقون، وَأَنَّهُ مُنَزَّه عن صفاتنا، فسبَّحت الملائكة بتسبيحنا ونزَّهته عن صفاتنا... فبنا اهتدوا إلى معرفة توحيد الله وتسبيحه وتهليله وتحميده وتمجيده. ثُمَّ إِنَّ الله تبارك وتعالى خلق آدم فأودعنا صلبه وأمر الملائكة بالسجود له تعظيماً لنا وإِكْرَاماً، وكان سجدوهم لله ﷻ عبوديَّة، ولآدم إِكْرَاماً وطاعةً لكوننا في صلبه... وقد سجدوا لآدم كُلِّهم أجمعون...». بحار الأنوار، ١٨: ٣٤٥-٣٤٧/ح ٥٦. علل الشرائع: ١٣-١٤. عيون أخبار الرضا عليه السلام: ١٤٤-١٤٦.

براهين وحيانيَّة دالَّة - بقرينة سجود الملائكة وما شاكله - على أَنَّهُ لا يصلح مَنْ يُدير الأرض إلاَّ أَنْ يكون هو المدير للملكوت.

ودالَّة أيضاً على أَنَّ خليفة الله ﷻ العادل في الأرض ليس آدم عليه السلام؛ فَإِنَّه خليفة بالوكالة، بل قادة إلهيون أرفع مقامات وأخطر أحوالاً وشؤوناً ومسؤوليات إلهية، وهم أهل البيت صلوات الله عليهم، المشار إليهم في عديد من بيانات الوحي، منها: آية المودَّة - الشورى: ٢٣ - وآية الفبيء - الحشر: ٧ -.

ومنه تتَّضح: نكتة ربط الأحكام الإلهية في النَّشأة الأرضية بمنظومة ملائكة ومخلوقات السَّمَاوات والأرضين والآخرة الأبدية وما بعدها من عوالم غير متناهية.

وهذا هو معنى أَنَّ هناك نُظْم في ولاية أمير المؤمنين وولاية فاطمة الزهراء وسائر أهل البيت صلوات الله عليهم في جملة عوالم الخلقة، ومن ثُمَّ جعلت يد ساحة ←

→ القدس الإلهية إدارتها بأيديهم بعد سيّد الأنبياء صلوات الله عليهم. وهذا منطبقٌ وحيانيٌّ.

الأمر الثالث:

الدّين والصّلاة وسائر العبادات رَجُلٌ

وردت بيانات وحيانية كثيرة عن أهل البيت صلوات الله عليهم دالة على أنّ الدّين والصّلاة والصيام والحجّ والجهاد وسائر العبادات رَجُلٌ ، وأوّل من رواها: أبو زينب مُحَمَّد بن المقرّاص ابن أبي الخطّاب أيّام استقامته ، لكنّه فهمها - وكذا فهمها بعض الصوفيّة والعرفاء - بشكل خاطئ ، وهو: أنّ من يعرف أهل البيت صلوات الله عليهم اجزأته تلك المعرفة عن الإتيان بالأعمال العباديّة بالفعل ؛ فمعرفة سيّد الأنبياء وسائر أهل البيت ﷺ تجزي عن القيام بالصّلاة وسائر العبادات. وعلى هذا حُمل تفسير كثير من بيانات الوحي ، منها:

بيان قوله تعالى: ﴿وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ﴾ [الحجر: ٩٩].

والحقّ: أنّ لهذه البيانات الوحيانية تفاسير عدّة ، وردت في بيانات أهل البيت صلوات الله عليهم ، منها:

التفسير الأوّل: أنّ أحد مراتب طبقات ذات سيّد الأنبياء وذوات سائر أهل البيت صلوات الله عليهم: الدّين - بما فيه أصول العبادات ، كأصل الصّلاة - ، وهو طبقات الوحي الإلهي الصّاعدة ، والوحي الإلهي بطبقاته الصّاعدة أحد طبقات حقائق أهل البيت ﷺ الصّاعدة - كما ثبت في محله - ؛ فإنّها بحور وحي زخّارة متلاطمة لا تنزف أبداً ، يعبُّ عباها وتصطبّخ أمواجها ، لا غاية لعددها ، ولا نهاية لمددها ، ولا نفاذ لأمدّها أبد الآباد ودهر الدّهور ، لا يعترها فناء ولا زيف ولا تغيير ولا كلل ولا فتور ، ولا يعتورها شين ولا يشوبها مين.

→ وعليه: فيكون الدّين - بما فيه أصول العبادات ، كأصل الصّلاة - أحد طبقات حقائق أهل البيت عليهم السلام الصّاعدة ، ومن ثمّ يكون - الدّين - بلحاظ هذه الطبقات: رَجُلًا ، والمراد منه سيّد الأنبياء وسائر أهل البيت عليهم السلام ؛ فإنّه طبقة من طبقات ومراتب ذواتهم عليهم السلام الصّاعدة.

التفسير الثاني: أنّ الصّلاة الكبرى والصّلاة العقلية الأعظم ، وكذا سائر العبادات: معرفة سيّد الأنبياء وسائر أهل البيت صلوات الله عليهم ، وهذا لا يعني التفرّط بالصّلاة البدنية والنفسانية وسائر العبادات ، بل يجب الإتيان بها ، لأنّه لا يمكن الوصول إلى باطن الدّين إلّا من خلال سلوك ظاهره.

إذن: للصّلاة - وكذا سائر العبادات - مراتب وطبقات ، منها: الصّلاة البدنية ، والصّلاة النفسية ، والصّلاة العقلية ، والصّلاة القلبية ، والمقصود من الصّلاة القلبية: عدم جواز التوجّه والميل القلبي إلى غير الله تعالى وإلى غير أوليائه ؛ أهل البيت صلوات الله عليهم.

ومعناه: أنّ قيمة أركان الدّين وفروعه تكمن في معرفة أهل البيت عليهم السلام بعد الله جلّ قدسه.

وبعبارة أخرى: أنّ الغاية من الدّين وفروعه وصول المخلوق إلى الفرد الكامل ، والمدينة إلى المدينة الفاضلة ، وهو يتحقّق من خلال معرفة أهل البيت عليهم السلام ، لأنّ جملة حقائق الفضائل والكمالات لاسيما طبقاتها الصّاعدة مطوية في حقائقهم صلوات الله عليهم لا سيما طبقاتها الصّاعدة ، ومن ثمّ لا يمكن لمخلوق ما الوصول إلى مرتبة كمال ما إلّا بعد معرفة حقائقهم عليهم السلام وفضائلهم وكمالاتهم وشؤونهم وأحوالهم.

وعصارة القول: أنّ حقيقة الدّين وفروعه تجرّ إلى معرفة أهل البيت صلوات الله عليهم والوصول إليهم ، وهم عليهم السلام يجرون إلى مُطلق الفضائل والكمالات ؛ لأنّ ←

→ طبقات حقائقها الصَّاعدة أحد مراتب ذواتهم ﷺ الصَّاعدة ، ومن دون أي شائبة تجوُّز في هذه التَّعابير ؛ فالدِّين وفروعه - كالصَّلَاة - رَجُلٌ بهذا المعنى .

وهذا معنى بديع كسابقه .

التفسير الثالث - وهو الأعمق - ، حاصله : أنَّ هناك جدليَّة في معرفة كُملِّ المخلوقات ، رأس هرمها : أهل البيت صلوات الله عليهم ، وهي : أنَّه كيف يتكامل كُملِّ المخلوقات بالدِّين والأعمال العباديَّة وهم كُملِّ لا نقص فيهم ، ومنهم تُفاض الفضائل والكمالات على جملة عالم الوجود والإمكان .

والجواب : أنَّ حقائق كُملِّ المخلوقات على مراتب ، وطبقات حقائقهم ﷺ النَّازلة ليست كطبقات حقائقهم وأنوارهم الصَّاعدة بالقياس إلى ساحة القدس الإلهيَّة ، كحال عصمتهم ﷺ ؛ فإنَّها وإن كانت بلحاظ ما دونها من المخلوقات عصمة كاملة ، لكنَّها بلحاظ عصمة الباري - المُسمَّى - ﷺ عصمة تتكامل ويُفاض عليها بلا انقطاع ، فالمعصوم ﷺ بلحاظ الكمال الذاتي الإلهي الأزلي دائماً يتكامل وتتكامل عصمته ومقاماته وشؤونه وأحواله ، ويتكامل كماله ، والجميع واقع تحت القانون الإلهي التَّكويني العقلي المعرفي : ﴿ وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا ﴾ [طه : ١١٤] ، وقانون : ﴿ وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ ﴾ [يوسف : ٧٦] .

وعلى هذا قس عدم التنافي بين حقيقة الدِّين وفروعه - كالصَّلَاة - بطبقاتها الصَّاعدة ، وهي أحد طبقات حقائق كُملِّ المخلوقات النوريَّة الصَّاعدة ، وتكامل طبقات حقائقهم ﷺ النَّازلة بالدِّين وفروعه ، كالصَّلَاة البدنيَّة أو الصَّلَاة النفسيَّة بنور طبقات حقيقة الدِّين وفروعه - كالصَّلَاة - الصَّاعدة ، فتكامل نفس المعصوم ﷺ النَّازلة وسائر حقائق المخلوقات بذلك النُّور المُفاض عليه وعليها من نور حقيقة الدِّين وفروعه الصَّاعدة ، فيكون معنى ما ورد في بيانات الوحي : « أنَّ الدِّين وفروعه كالصَّلَاة رَجُلٌ » بهذا المعنى ، أي : أنَّ تكامل المخلوقات النَّازلة ، منها : ←

→ طبقات حقائق كُمل المخلوقات النَّازلة يتمُّ بطبقات حقائق الدِّين وفروعه الثَّورِيَّة العالِيَّة ؛ طبقات حقائق أهل البيت عليهم السلام الصَّاعِدَة ، وهي أصل الدِّين وفروعه .

إِذَنْ: أبدان ونفوس أهل البيت عليهم السلام وإنَّ كانت تتكامل بالصَّلَاة وسائر العبادات ، لكنَّه يستحيل عقلاً تكامل أنوارهم عليهم السلام وطبقات حقائقهم الصَّاعِدَة بها ؛ لأنَّ فيضها وفيض كمالها وفيض سائر المخلوقات وكمالها صادر من هذه الأنوار والطبقات الصَّاعِدَة المُقدَّسة فكيف تتكامل بها .

وبالجملة: أنوار أهل البيت صلوات الله عليهم وطبقات حقائقهم الصَّاعِدَة وإنَّ كانت مخلوقات إلهيَّة ، لكن كمالها لا يُفاض عليها من المخلوقات الشَّريفة الدَّانية كالصَّلَاة وسائر العبادات ، بل يُفاض عليها من ساحة القدس الإلهيَّة .

التَّفْسير الرَّابِع ، حاصله: أنَّ أصل الدِّين وتشريع فروعه وأحكامه كان من سيِّد الأنبياء وسائر أهل البيت صلوات الله عليهم ، فبهم وعلى لسانهم شُرِّع الدِّين وفروعه وأُبلغت بياناته وأحكامه الإلهيَّة ، ومن ثمَّ ليس للدِّين وفروعه حياةٍ إلَّا بأهل البيت صلوات الله عليهم ، فإنَّ طبقات حقائقهم عليهم السلام الصَّاعِدَة - وتتبعها طبقاتها المتوسِّطة والنَّازلة - نظام عالم الوجود على الإطلاق ، ووجه الله ، ووسائط الفيض الإلهي الفارِدة ، والوسيلة الإلهيَّة الحصريَّة ، والسَّبيل والسَّبب والباب والحجاب الإلهيِّ الأَدْنَى والفارِد بين الذَّات الإلهيَّة الأزليَّة المُقدَّسة وجملة العوالم وكافة المخلوقات غير المتناهية بقصَّها وقضيضها ، من بداية الخلق والوجود إلى ما لا نهاية له .

إِذَنْ: معنى: أنَّ الدِّين وفروعه رَجُلٌ: أنَّ تتدبَّر جملة العوالم والمخلوقات غير المتناهية - منهم: سائر الأنبياء والمرسلين والملائكة المُقرَّبين عليهم السلام - بأنَّ السَّفير الوحيد بين الله تعالى وجميع مخلوقاته ليس هو إلَّا أهل البيت صلوات الله عليهم ، وهذه السفارة ليست محدودة بعالم الدُّنيا الأوَّلَى ، بل تأتي أيضاً في سائر العوالم السَّابقة واللاحقة ، فجملة الدِّين لا تؤخذ في كافة العوالم إلَّا عن سيِّد الأنبياء ←

→ وسائر أهل البيت صلوات الله عليهم. والتسليم بهذه القضية أعظم شيء في الدين وفروعه؛ فالدين وفروعه - كالصلاة - رجُلٌ بهذا المعنى.

وبالجملة: أن ما ورد في بيانات أهل البيت عليهم السلام: «أن الصلاة وسائر العبادات رجُلٌ» يعني: أن أصل هذه العبادات أخذت عن اعتبار رجُلٍ، وهو سيد الأنبياء وسائر أهل البيت (صلوات الله عليهم)، ومعناه: أن حقائق أهل البيت عليهم السلام فوق هذه العبادات.

وإلى كل هذه التفسير يُشير بيان الإمام الصادق عليه السلام، عن حفص المؤذن، قال: «كتب أبو عبد الله عليه السلام إلى أبي الخطاب: بلغني أنك تزعم أن الخمر رجُلٌ، وأن الزنا رجُلٌ، وأن الصلاة رجُلٌ، وأن الصوم رجُلٌ، وليس كما تقول، نحن أصل الخير، وفروعه طاعة الله، وعدونا أصل الشر، وفروعه معصية الله...». بحار الأنوار، ٢٤: ٣٧/ح ٨. بصائر الدرجات: ١٥٧.

الأمر الرابع:

إمامة أهل البيت عليهم السلام مُفعَّلة في العوالم السابقة واللاحقة

إن إمامة أهل البيت صلوات الله عليهم بعدما أُسندت لهم قبل ولادتهم دل ذلك على تفعيل دورها قبل الولادة وفي العوالم السابقة كعالم الدر والميثاق، بل وسيبقى دورها مُفعَّلاً في العوالم اللاحقة، كعالم البرزخ، والرجعة والقيامة والآخرة الأبدية وبعدها.

وهذا ما تُشير إليه بيانات الوحي، منها:

١- بيان أمير المؤمنين عليه السلام: «إن الله تبارك وتعالى أحد واحد، تفرَّد في وحدانيته، ثم تكلم بكلمة فصارت نوراً، ثم خلق من ذلك النور محمداً عليه السلام وخلقني وذريتي... فبنا احتج على خلقه... وذلك قبل أن يخلق الخلق، وأخذ ميثاق الأنبياء بالإيمان والنصرة لنا، وذلك قوله عليه السلام: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ

→ مِنْ كِتَابِ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَتَنْصُرُونَهُ ﴿٨١﴾ [آل عمران: ٨١] ، يعني: لتؤمننَّ بمُحَمَّدٍ ﷺ ، ولتنصرنَّ وصيِّه ، وسينصرونه جميعاً ... ولم ينصروني أحدٌ من أنبياء الله ورسله ، وذلك لما قبضهم الله إليه ، وسوف ينصرونني ، ويكون لي ما بين مشرقها إلى مغربها ، وليبعثنَّ الله أحياءً من آدم إلى مُحَمَّدٍ ﷺ كُلُّ نَبِيٍّ مَرْسَلٌ ، يَضْرِبُونَ بَيْنَ يَدَيْهِ بِالسَّيْفِ هَامَ الْأَمْوَاتِ وَالْأَحْيَاءِ وَالثَّقَلَيْنِ جَمِيعاً ... وَأَنَا صَاحِبُ الرَّجَعَاتِ وَالكَرَّاتِ ... وَالدَّوَلَاتِ الْعَجِيبَاتِ ... وَأَنَا الْحَاشِرُ إِلَى اللَّهِ ... وَأَنَا أَسْمَاءُ اللَّهِ الْحَسَنِي ، وَأَمْثَالُهُ الْعَلِيَا ، وَأَيَاتُهُ الْكَبْرَى ، وَأَنَا صَاحِبُ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ ، أُسْكِنُ أَهْلَ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ ، وَأُسْكِنُ أَهْلَ النَّارِ النَّارَ ، وَإِلَيَّ تَرْوِيجُ أَهْلِ الْجَنَّةِ ، وَإِلَيَّ عَذَابُ أَهْلِ النَّارِ ، وَإِلَيَّ إِيَابُ الْخَلْقِ جَمِيعاً ، وَأَنَا الْإِيَابُ الَّذِي يُؤْوِبُ إِلَيْهِ كُلُّ شَيْءٍ بَعْدَ الْقَضَاءِ ، وَإِلَيَّ حِسَابُ الْخَلْقِ جَمِيعاً ، وَأَنَا صَاحِبُ الْهَبَاتِ ، وَأَنَا الْمُؤَدِّنُ عَلَى الْأَعْرَافِ ، وَأَنَا بَارِزُ الشَّمْسِ ... وَالْحُجَّةَ عَلَى أَهْلِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِينَ ، وَمَا فِيهَا وَمَا بَيْنَهَا ، وَأَنَا الَّذِي احْتَجَّ اللَّهُ بِهِ عَلَيْكُمْ فِي ابْتِدَاءِ خَلْقِكُمْ ، وَأَنَا الشَّاهِدُ يَوْمَ الدِّينِ ...». بحار الأنوار ، ٥٣ : ٤٦ - ٤٩ / ح ٢٠.

٢ - بيان الإمام الصادق عليه السلام ، عن صفوان الجمال ، قال: «دخلت على أبي عبد الله عليه السلام فقلت: ... سمعتك تقول: شيعتنا في الجنة ، وفيهم أقوام مذنبون ... فقال عليه السلام: هم في الجنة ... قلت: فذاك أبي وأمي ، فمن يردُّ المظالم؟ قال: الله ﷻ يجعل حساب الخلق إلى مُحَمَّدٍ وَعَلِيِّ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ ؛ فكلُّ ما كان على شيعتنا حاسبناهم مِمَّا كان لنا من الحقِّ في أموالهم ، وكلُّ ما بينه وبين خالقه استوهبناه منه ، ولم نزل به حتَّى ندخله الجنة برحمة من الله ، وشفاعة من مُحَمَّدٍ وَعَلِيِّ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ ...». بحار الأنوار ، ١١٤ - ١١٥ / ح ٣٣.

٣- بيان زيارتهم صلوات الله عليهم: «... وإياب الخلق إليكم ، وحسابهم عليكم ...». بحار الأنوار ، ٩٧ : ٣٤٤.

→ الأمر الخامس:

الحاكم والإمام لأبَد أن يكون مزوداً بالعلم اللدني

اشتطت مدرسة أهل البيت صلوات الله عليهم في الحاكم والإمام أن يكون مُزوداً بعلم لدني ، وهو مقام إصطفائي إلهي يُغايّر مقام النبوة ومقام الرسالة ، وهذا ما تُشير إليه بيانات الوحي ، منها: بيان قوله عزّ من قائل الحاكبي لخبر النبي موسى والخضر عليه السلام: ﴿ قَالَ ذَلِكَ مَا كُنَّا نَبِغُ فَارْتَدَّ عَلَيَّ آثَرُهُمَا قَصْصًا * فَوَجَدَا عَبْدًا مِنْ عِبَادِنَا آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْمًا ﴾ [الكهف: ٦٤ - ٦٥].

ودلالته واضحة ؛ فإنّ الباري جلّ قدسه لم يُعرّف مقام الخضر عليه السلام بمقام النبوة ، ولا بمقام الرسالة ، بل بالعلم اللدني ، وأنّ لديه أدواراً حكوميّة ضمن جهاز يقوم بأنشطة مُفصّلة لمسار النظام البشري.

الأمر السادس:

دور العلم اللدني في نزول الأحكام الإلهية التفصيلية

إنّه لكون الإمام عليه السلام زودته يد السّاحة الإلهية بالعلم اللدني وعلم التأويل أصبح مؤهلاً لهبوط الأحكام الإلهية التفصيلية ونزولها عليه ، ومن ثمّ كان مهبطاً ومحطّة لهبوط الأحكام الإلهية التفصيلية والتنفيذية عليه.

الأمر السابع:

كُلُّ شريعة إلهية لأبَد أن تُقرن بمطبّق إلهي

جهاز تطبيق الأحكام الإلهية إختيار إلهي

المستفاد من بيانات الوحي - منها: بيانات سورة [الكهف: ٦٠-٨٢] ، الحاكبة لِمَا جرى بين النبي موسى والخضر عليه السلام :- أنّ كُلَّ شريعة إلهية لأبَد أن تُقرن بتطبيق ←

→ إلهي أيضاً. وجهاز تطبيق الأحكام الإلهية وجهاز تنفيذها وجهاز الحاكمية والحكومة الإلهية لا بُدَّ أن يكون باختيار الباري تعالى واصطفائه.
الأمر الثامن:

عقلية المعصوم عليه السلام وحي لدني

العلم الوحياني أرقى العلوم

أهل البيت عليهم السلام أهل الحكمة والبصيرة الإلهية الثابتة

إنَّ عقلية المعصوم عليه السلام وحي ، لكنّه ليس نبويّاً ، وإنّما لدنيّ ، والعلم الوحيانيُّ أرقى وأكمل أصناف العلم ورأس هرمها. ومن ثمّ من الخطأ الفاحش التعبير من حسن تصرّف المعصوم بـ: (الدهاء) وما شاكله ؛ لكونه - والعياذ بالله - ليس أهل تحايل ، بل أهل حكمة وبصيرة إلهية ثابتة.

الأمر التاسع:

أوصاف أهل البيت عليهم السلام دورات معارف إلهية

إنَّ أوصاف سيّد الأنبياء وسائر أهل البيت صلوات الله عليهم ليست مديح شعري ، بل دورات معارف وعقائد إلهية.

الأمر العاشر:

لحقائق أهل البيت عليهم السلام ظواهر وبواطن وأسرار

من أراد تدوين دورة عقائدية فعليه ذكر نكتة مهمّة في باب: (النُّبُوّة) ، وباب (الإمامة) لم تُذكر من قبل ، مع أنّها طافحة في أبجديات بيانات الوحي الإلهي الوفرة الباهرة ، حاصلها: أنّ لأهل البيت صلوات الله عليهم ظاهراً وباطناً ، ولبواطنهم وبواطن وأسرار ، ولأسرارهم أسرار ومستسر.

ولا يتهم بالتكلم (١) لا يتيم إلا من خلال أخذ العلم عنهم صلوات الله عليهم.

→ وهذه نكتة عقائدية مهمة جداً ، وفائدة معرفية جليلة وخطيرة ومهولة جداً ، أرتشفت من بيانات الوحي ، لاسيما بيانات أدعيتهم وزياراتهم صلوات الله عليهم المتواترة.

(١) ينبغي الالتفات في المقام إلى القضايا التالية:

القضية الأولى:

تفسير جديد لشرطيّة الولاية

هناك تفسير جديد - مهم وخطير - لمعنى شرطيّة الولاية في العيادات - غير ما ذكره عظماء علماء فقه وعلم كلام الإمامية ؛ من أنّها شرط لصحة العمل وقبوله - حاصله: أنّ العبادة - كالصلاة والصوم والخمس والزكاة والحج والجهاد ، وكافة الصّدقات وجملة الأعمال الخيرية - لا تكون عبادة إلا إذا وُظفّت لرفع راية الولاية ، وإلا - أي: إذا لم يُنسب البرنامج المدني ولم يُجند ولم تُوظف العبادة ولم تُلَوّن بطريق وسبيل الولاية لله ولرسوله ولقربى الرسول صلوات الله عليهم - فلن يُكتب سلمٌ لجملة البشرية ، بل تُسبب لها نكبة ، وتزيد في أتون العصابات والقوميّات والعشائريّات والقبليّات والآثانيّات ، فصورة العبادة وقشرها وإن كان مُتلاً ، لكن باطنها ولبّها وجوهرها نتن ورجاسة ونجاسة ، ويولّد للبشريّة زيادة في معاناتها في كافة الجوانب والمجالات ، والنكته واضحة ؛ فإنّ الولاية هي الطريق الحصري والصّراط المُستقيم للوصول إلى السّلام والسّلم والأمن البشري في كافة الجوانب والمجالات ، ومن ثمّ يجب على الشّخص مهما بلغت مكانته الدنيويّة والاجتماعيّة والعلميّة والمعرفيّة والفنيّة أن يُوظّف وَيُسيّس نفسه وصنعتة وعرقه وعصبنيّة وقوميّته وكافة حركاته وسكناته في حله وترحاله وجملة تصرّفاته وشؤونه ←

→ وأحواله ويُجندّها لله جَلَّ جلاله ، ولرسوله ﷺ ولذي القربى ونور الثقلين ولِعالم ولاية أهل البيت صلوات الله عليهم ، وحينها يكون إثارة عظيماً لنجاة وسلامة وآمن البشريّة ، بل وجملة المخلوقات ، وهذا معنى دقيق ورشيق وجديد لشرطيّة الولاية في العبادات.

ومنه يتضح:

أولاً: سرّ زيارة عاشوراء ، فكلّ شيء يجب أن يُوظف للولاية ، وهذا سرّ عظيم ، ومحور رئيسي في مشروع أهل البيت صلوات الله عليهم.

ثانياً: تحسّس البعض من زيارة عاشوراء ؛ لأنّ فيها سفينة نجاة لجملة المخلوقات ، وفي كافّة العوالم غير المتناهية.

ثالثاً: معنى بطلان العبادة من دون ولاية أهل البيت صلوات الله عليهم.

رابعاً: معنى: «أنّ كلّ عبادة خالية من الولاية تُؤلّد تمرداً شيطانياً ، ويكون مصيرها إلى لظى ، بل تكون تلك العبادة نقمة على البشريّة.

وإلى كلّ ما تقدّم أشارت بيانات الوحي ، منها:

١- بيان سيّد الأنبياء ﷺ المستفيض ، بل المتواتر عند الفريقين: «... إنّما مثل أهل بيتي فيكم كسفينة نوح ، من دخل فيها نجا ، ومن تخلف عنها غرق». بحار الأنوار ، ٤٤ : ٧٠-٨٦ / ح ١. الاحتجاج: ١٣٧-١٤٣.

٢- بيانه ﷺ في وصيّته لأبي ذر رضوان الله عليه: «... ثمّ حبّ أهل بيتي الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً. وأعلم يا أبادر ، أنّ الله ﷻ جعل أهل بيتي في أمّتي كسفينة نوح من ركبها نجا ، ومن رغب عنها غرق...». بحار الأنوار ، ٧٤ : ٧٤-٩١. الأمالي ، ٢ : ١٣٨.

→ ودلالته - كدلالة سابقه - واضحة ، فإنَّ معناه: أَنَّ النَّجاة والنَّجاح وما شاكلهما تكمن في تويُّ أهل البيت صلوات الله عليهم ، وإلَّا كانت الصَّلَاة وسائر العبادات والمعاملات وجملة ما يقوم به المخلوق من أعمال خير وصلاح وجميع معتقداته ومعارفه وعلومه مغرقة لنفسه وللبشريَّة في كافَّة الجوانب ؛ كالجانب الأمني ، والجانب العسكري ، والجانب الاقتصادي ، والجانب التجاري ، والجانب الزراعي ، والجانب الصناعي ، والجانب التنموي ، والجانب الأخلاقي ، والجانب التربوي ، والجانب الحضاري ، والجانب الأسري ، والجانب الاجتماعي ، ولن تصل البشريَّة ، بل مطلق المخلوقات وفي كافَّة العوالم غير المتناهية إلى طموحها وسعادتها الأبدية.

القضية الثانية:

التويُّ والتبرُّي على مراتب وطبقات

إِنَّ التَّوَيُّ والتَّبَرِّي على مراتب ودرجات ، سواء أكان ذلك التَّوَيُّ لله ﷻ ، أو لسيد الأنبياء ﷺ ، أو لسائر أهل البيت صلوات الله عليهم ، أو كان التَّبَرِّي من أعداء الله جلَّ شأنه ، أو من أعداء سيد الأنبياء ﷺ ، أو من أعداء سائر أهل البيت ﷺ .

ثُمَّ إِنَّ حَقِيقَةَ التَّبَرِّي نوع من أنواع النقد ، وحياة العلم وحيوية العقل قائمة بالبحث والنقد.

القضية الثالثة:

شَدَّة التَّلَقُّ بأهل البيت ﷺ تُوَدِّي إلى ازدياد كمال المخلوق وتطوره
أحد غايات زيارة أهل البيت ﷺ ازدياد ولاء الزائر وودّه لهم
زيارة أهل البيت ﷺ واجبة عيناً على المكلف بلحاظ طبيعتها النوعية

→ ينبغي الالتفات: أنه كلما ازداد شوق المخلوق وودّه لأهل البيت صلوات الله عليهم ؛ وازدادت محبّته ورغبته وميوله الروحيّة والعملية والقلبيّة لهم ﷺ ؛ كلما كان ذلك المخلوق في حالة تطوّر وكمال نفسي وروحي وعقلي وقلبي وسائر طبقات حقيقته.

ومنه تتّضح: أحد الفلسفات والغايات العظيمة والخطيرة لزيارة أهل البيت صلوات الله عليهم ، وهي: تجديد العهد والولاء والمحبة والودّ لهم ، وتجديد الصلة والإرتباط والتعلّق بهم ، وحينئذ يشتدّ ولاء المخلوق وودّه وتشتدّ محبّته لله ، وتشتدّ الصلة ويشتدّ ارتباط المخلوق وتعلّقه به ﷺ.

وكُلّما قلّ تعاهد المخلوق لأهل البيت ﷺ ؛ وكثر هجرانه لهم وجفّت علاقته وقلّ تعلّقه بهم ؛ وكثر الابتعاد عنهم كلّما ولد ذلك ضعفاً في إيمانه واقتدائه بهم ، وضعفاً في ولائه ومحبّته واتباعه لهم صلوات الله عليهم ، ومن ثمّ يضعف إيمانه بالله تعالى ويضعف ولائه وتضعف محبّته له ، ويضعف تولّيه واتباعه واقتدائه بأوامره وفرائضه وسننه وأحكامه.

وعليه: فزيارة أهل البيت صلوات الله عليهم وإن كانت مُستحبّة ، لكنّها مُستحبّة في الخصوصيّة الفرديّة ، أمّا في الطبيعة النوعيّة وفي أصل إيمان المخلوق وتعاهده لإيمانه فليست هي أمراً مستحبّاً ، بل ولا واجباً كفائياً أو تخييرياً ، وإنّما واجب عينيّ على كلّ مُكلّف ؛ ليوقى إيمانه من خلاها عن الضعف والتضعع والزوال ، ومن ثمّ حصر الباري ﷻ غاية دين جملة العوالم والمخلوقات غير المتناهية ؛ وغاية البعثة المحمّديّة العظيمة والممتدّة إلى عالم القيامة في مودّة قربي سيّد الأنبياء ﷺ.

فانظر:

بيان قوله عزّ قوله: ﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِيهِ الْقُرْبَى﴾ [الشورى:

→ ودلالته واضحة ، بعد الالتفات: أن الأجر والعوض غاية ، فأجر وغاية الرسالة والصلاة والصيام وسائر العبادات والمعاملات الشرعية ، وغاية جملة الدين وغاية الله تبارك وتعالى وغاية رسوله هي مودة ذوي القربى وولائهم.

ومنه تتضح: ضابطة وقاعدة معرفية خطيرة جداً ، لا تقبل الضلال والزيف والعمى والالتباس ، يلزم على المخلوق العَضُّ عليها بضرٍ قاطع ، وهي: أنه «كُلَّمَا صَبَّ عمل المخلوق في شدة المودة لأهل البيت صلوات الله عليهم ومحبتهم - وبالموازن العلمية - كَلَّمَا صَبَّ ذلك في شدة المودة لله ﷻ ومحبته ، واشتداد الارتباط به ، وكُلَّمَا ضعفت المودة والمحبة لهم صلوات الله عليهم كَلَّمَا ضعفت المودة والمحبة لله وضعف الإرتباط به جلَّ شأنه.

القضية الرابعة:

المذاهب الإسلامية تحجب المسلمين عن الاطلاع على عدالة أهل البيت ﷺ

عدالة أهل البيت ﷺ تضرُّ بالمذاهب الإسلامية

تعاليم عدالة أهل البيت ﷺ شاقَّة ومؤرقة للحكَّام

إنَّ كثير من المذاهب الإسلامية تبغي استغفال جمهور المسلمين ؛ كيما لا يطلَّعوا على حقيقة العدالة التي سنَّها أهل البيت صلوات الله عليهم ، ولا يتعرَّفوا على حقوقهم المضروبة في بياناتهم ﷺ ؛ والمفروضة على الحاكم وهي تعاليم صعبة وشاقَّة ومؤرقة للحكَّام ، فَمَنْ يتحمَّل ويصل إلى عدل أمير المؤمنين صلوات الله عليه.

القضية الخامسة:

ظلم أهل البيت والجور عليهم جهة مشتركة بينهم ﷺ

→ يجدر الالتفات: أن هناك جهات مُشتركة في حياة أهل البيت صلوات الله عليهم و جهات مُتخصّة لدى كُلِّ واحدٍ منهم.

وأحد تلك الجهات المُشتركة والمُهمّة والتي ينبغي صرف النّظر إليها: أنّ مسار الغي والجور والظلم وأهل الإستبداد والباطل لا يتحمّلون وجودهم صلوات الله عليهم السلمي والمدني المُسلم؛ لأنّ بقائهم ﷺ المعلن والسلمي والمدني بين أبناء البشر يوجب تلقائياً إتفاف عموم المسلمين، بل عموم البشر حولهم؛ لأنّهم الدّعاة إلى السّلام والمحبة والعلم والسعادة والعدالة والأمن من دون ادّعاء ولا شعار، وإنّما واقع مُتجسّم، وفطرة البشر تنساق إلى ذلك، شعرت البشريّة بذلك أم لا.

وهذه أحد براهين ودلالات ومعاجز شخوصهم صلوات الله عليهم.

وقد بيّنت بياناتهم ﷺ هذه المعادلة الوحيانيّة؛ وأنّ أنموذجيّتهم وقديويّتهم وتجسّم المبادئ العُليا فيهم؛ والتي تطمح وتتطلّع إليها البشريّة هي التي تجذب وتشدّ إليهم البشريّة؛ وتؤدّي إلى إتفافها حولهم.

ومن ثمّ ذكر كثير من المُحلّلين الإسلاميين وغيرهم: أنّ قريشاً لو لم تتكالب على سيّد الأنبياء ﷺ ومحاولة تصفيته جسدياً وعسكرياً؛ ولو لم يلجئ ﷺ على الهجرة من مكّة المُكرّمة لانتقلت إليه حومتها وقبضها بالقدرة الطبيعيّة السلميّة من دون استعمال ما يتمتع به ﷺ من قدرات وقوى وهبات إلهيّة، ومن دون استعمال السلاح والقوّة العسكريّة الطبيعيّة.

القضيّة السّادسة:

كُلّما تصاعدت العوالم كُلمّا عظم مُلك أهل البيت ﷺ فيها

حكومة أهل البيت ﷺ وإمامتهم شاملة لكافة العوالم والمخلوقات

نبوّات الأنبياء ﷺ ورسالاتهم من مُختصّات عالم الدّنيا الأولى

فانظر: بيانات الوحي ، منها:

١- إطلاق بيان أمير المؤمنين عليه السلام في وصيته لـ كميل بن زياد: « يا كميل ابن زياد ... ما من علمٍ إلا وأنا أفتحه ... يا كميل ، لا تأخذ إلا عنا تكن منا ، يا كميل ، ما من حركةٍ إلا وأنت محتاج فيها إلى معرفة ... يا كميل ، إنما المؤمن من قال بقولنا ، فمن تخلف عنا قصر عنا ، ومن قصر عنا لم يلحق بنا ، ومن لم يكن معنا ففي الدرك الأسفل من النار... »^(١).

٢- إطلاق بيانه عليه السلام أيضاً: « ... آل محمد صلى الله عليه وآله ... من عرفهم وأخذ

→ إنَّ الثَّابِتَ فِي بَيَانَاتِ رِوَايَاتِ أَهْلِ الْبَيْتِ عليهم السلام: أَنَّ مُلْكَ عَالَمِ الْآخِرَةِ الْأَبَدِيَّةِ أَعْظَمُ مِنْ مُلْكَ عَالَمِ الْقِيَامَةِ ، وَمُلْكَ عَالَمِ الْقِيَامَةِ أَعْظَمُ مِنْ مُلْكَ عَالَمِ الرَّجْعَةِ ، وَمُلْكَ عَالَمِ الرَّجْعَةِ (آخِرَةُ الدُّنْيَا) أَعْظَمُ مِنْ مُلْكَ عَالَمِ الدُّنْيَا الْأُولَى ، وَنُبُوَّةُ أَنْبِيَاءِ أُوَلِي الْعِزْمِ الْأَرْبَعَةِ فَضْلاً عَنْ سَائِرِ الْأَنْبِيَاءِ وَالْمُرْسَلِينَ عليهم السلام الْمُتَقَدِّمِينَ مُحْتَصَةً بِعَالَمِ الدُّنْيَا الْأُولَى ، بِخِلَافِ نُبُوَّةِ سَيِّدِ الْأَنْبِيَاءِ صلى الله عليه وآله وَإِمَامَتِهِ وَإِمَامَةِ سَائِرِ أَهْلِ الْبَيْتِ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ ؛ فَإِنَّهَا شَامِلَةٌ لْجَمَلَةِ الْعَوَالِمِ وَكَافَّةٌ الْمَخْلُوقَاتِ غَيْرِ الْمَتَنَاهِيَةِ ، بَلِ الْمَصْطَفُونَ مِنْ بَنِي هَاشِمٍ مِنْ أَصْحَابِ الدَّائِرَةِ الْإِصْطِفَائِيَّةِ الثَّانِيَةِ ؛ مَقْبُولُونَ عَلَى عَوَالِمِ مَهْوَلَةٍ وَعَظِيمَةٍ جَدًّا ، لَمْ فِيهَا مَسْئُولِيَّاتٌ إِلَهِيَّةٌ خَطِيرَةٌ جَدًّا.

ومنه يتضح: مدى الفرق الشاسع والمهول بين ما يتمتع به أهل البيت صلوات الله عليهم من مقامات وحجج وشؤون ومسؤوليات إلهية ؛ وما يتمتع به الأنبياء والمرسلين عليهم السلام المتقدمين من مقامات وحجج وشؤون ومسؤوليات إلهية. ويتضح أيضاً: الفارق الخطير والشاسع بين دولة محمد وآل محمد صلوات الله عليهم الإلهية ، ودول الأنبياء والمرسلين عليهم السلام المتقدمين الإلهية.

(١) بحار الأنوار ، ٢٤ : ٢١٦ - ٢١٧ / ح ١ .

منهم فهو منهم ، وإليه الإشارة بقوله: ﴿فَمَنْ تَبَعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي﴾^(١)
.....»^(٢).

٣- إطلاق بيانه عاشراً أيضاً: «... إِنَّ الشَّاكَّ فِي أُمُورِنَا وَعُلُومِنَا
كَالْمُسْتَهْزِئِ فِي مَعْرِفَتِنَا وَحَقُوقِنَا...»^(٣).

[ضحالة منهج: (حصر طريق المعرفة بالظن التعبدي)]

ومن كُلِّ هذا يتَّضح: غرابة حصر منهج وطريق المعرفة بالظنَّ
التَّعبُديّ؛ فَإِنَّ الظَّنَّ التَّعبُديّ التَّقليّ^(٤)، بل التَّوَأُتْر واليقين التَّقلي لا يزيد عن
إيجاد العلم واليقين الحسِّي، ولا يرتقي إلى العلم واليقين العقلي^(٥) فضلاً عن

(١) إبراهيم: ٣٦.

(٢) بحار الأنوار، ٢٥: ١٧٣/ح ٣٨.

(٣) المصدر نفسه، ٢٦: ٢٢١-٢٢٢/ح ٤٧.

(٤) ينبغي الالتفات: أنّه وقع الخلاف في الأخذ بالخبر المعتبر شرعاً، المورث للاعتقاد
الظنّي في أبواب العقائد؛ فذهب الكمباني والسيّد الخوئي في تنبيهات حُجّيّة الخبر
من مباحث علم الأصول إلى الإلتزام به في تفاصيل العقائد دون أركانها
وأساسياتها، بل التزم بهذا القول كثير من الأصوليين، ك: صاحب الكفاية
الخرساني والعراقي، وذهب آخر كالشيخ الأنصاري إلى العدم.

(٥) يجدر صرف النظر في المقام إلى التنبيهات التالية:

الأوّل: أنّ اليقين على مراتب ودرجات، منها: يقينٌ وحيانيٌّ، ويقينٌ عقليٌّ، ويقينٌ
وهميٌّ، ويقينٌ خياليٌّ، ويقينٌ حسّيٌّ. وكُلُّ واحدٍ منها على مراتب ودرجات أيضاً.

ما فوِّقه من العلم واليقين الوحياني.

نعم ، لا غنى عن العلم النَّقْلِي - كما تقدَّم - بل لا مجال لإنكار ضرورته؛

→ مثاله: اليقين العقلي ، فإنَّه على مراتب ودرجات ، منها: يقينٌ بديهيٌّ ، ويقينٌ مُتَّخَمٌ لليقين البديهي ، ويقينٌ نظريٌّ ، ويقينٌ مُتَّوَعَّلٌ في النَّظَرِيَّةِ.

الثَّاني: أنَّ في الحسِّ والخيال والوهم والفكر والعقل مناطق بديهية ومناطق مُبْهَمَة ، وكُلٌّ من البديهيَّات والنظريَّات والمبهمات والمجهولات على درجات ، فيغوص في الإبهام أكثر فأكثر حتَّى يتلاشى العلم وينتهي. ففي الحسِّ - مثلاً - هناك منطقة بديهية وهناك منطقة نظرية ومبهمة ومجملة ومجهولة ؛ فعندما يتعد الحس عن المحسوس يصبح مبهماً: حساً وصوتاً وشمّاً وفهماً.

الثَّالث: أنَّ الثَّابت باتِّفاق أصحاب العلوم والمدارس العقلية والمعرفية: أنَّ اليقين العقلي المبدَّة أو القريب منه - وليس اليقين النَّظْري - أعلى يقيناً بمراتب من اليقين الحاصل من التواتر الحسي ؛ لكون العين العقلية وقدراتها تفوق بأضعاف المراتب العين الحسية وقدراتها ، ومن ثَمَّ تنفذ رؤية العقل إلى آفاق ليس بمقدور ومكنة رؤية الحس الوصول إليها.

هذا بالنسبة إلى الرؤية العقلية فكيف بالرؤية الوحيانية ؛ والتي هي عين عرشية فوق العين المسلَّحة بها لا يتناهى.

وبالجملية: اليقين الوحياني فوق اليقين العقلي ، واليقين العقلي فوق اليقين والتواتر الحسي.

وهذه خارطة لبعض طبقات اليقين.

لأنه مُقدِّمة لليقين العقلي الواسع بسعة أفق الوحي^(١) ، ومن ثمَّ لأبَدَّ من الابتداء بالعلم النَّقْلي ؛ لتحصيل اليقين الوحياني ، لكن: العلم النَّقْلي - وهو منهج المبتدئين - لا يُقتصر عليه ، بل لأبَدَّ من العروج في بحور معاني بيانات الوحي غير المتناهية ، والتدبُّر العقلي في مضامين النُّقول ومتونها.

[الحُجَجُ وَالْمُحْكَمَاتُ عَلَى مَرَاتِبِ طَوْلِيَّةٍ]

وبعبارة أُخرى: أَنَّ حُجِّيَّةَ الْخَبْرِ مَرَاتِبُ طَوْلِيَّةٍ مِنْ عِدَّةِ جِهَاتٍ ، أَهْمُهَا ثلاثة:

الأولى: حُجِّيَّةُ الْمَتْنِ .

الثانية: صِحَّةُ وَحُجِّيَّةُ الْكِتَابِ .

الثالثة: حُجِّيَّةُ الطَّرِيقِ وَالسَّنَدِ .

ثُمَّ إِنَّ أَعْظَمَ مَرَاتِبِ الْحُجَجِ هِيَ: (الْمُحْكَمَاتُ)^(٢) ، وَهِيَ عَلَى مَرَاتِبِ

(١) يَنْبَغِي الْإِلْتِفَاتُ: أَنَّ الْعَقْلَ الْبَشْرِيَّ وَإِنْ كَانَ مَحْدُودَ الْقُدْرَةِ بِالْفِعْلِ ، لَكِنَّهُ لَيْسَ بِمَحْدُودٍ بِالْقُوَّةِ وَالتَّدرِجِ .

(٢) الْمُرَادُ مِنَ الْمُحْكَمَاتِ: الْقَوَانِينُ الدِّسْتُورِيَّةُ الْمُبَدَّهَةُ .

ثُمَّ إِنَّ مُحْكَمَاتِ الْكِتَابِ الْكَرِيمِ وَالسُّنَّةِ الشَّرِيفَةِ تَعْنِي: يَقِينٌ وَحَيَانِي .

لَكِنْ: إِذَا دَخَلَتْ فِي وَعَاءِ الْمُتَلَقِّيِّ وَكَانَ غَيْرَ مَعْصُومٍ فَلَا تَكُونُ وَحِيًّا وَلَا مُحْكَمًا ، وَحُجِّيَّتُهَا ظَنِّيَّةٌ الدَّلَالَةُ ، وَإِنْ حَصَلَ لَهُ الْقَطْعُ وَالْيَقِينُ بِتِلْكَ الدَّلَالَةِ ؛ فَإِنَّ هَذَا ←

طوليّة أيضاً ، أعلاها ورأس هرمها: أمّهات المُحكّمات ، ومعناها: المركز والمحور والمهيمن .

وهذا ما تشير إليه بيانات الوحي ، منها:

بيان قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ﴾ (١).

والإحكام المأخوذ في بيان هذه الآية الكريمة وإن كان قد يُفسّره البعض بإحكام الدلالة ، لكنّ الحقّ: أنّ عظمة إحكام المُحكّم وعمدته لا تكمن في الدلالة ، وإنّما - تكمن - في جهة المتن والمضمون الحاوي على معلومات ومعادلات علميّة مُحيطّة ومهيمنة على ما تحتها.

نظيره: العلوم البشريّة - كعلم: الرياضيّات ، والهندسة ، والفيزياء ، والكيمياء ، والأحياء - ؛ فإنّ فيها معلومات وقواعد ومعادلات علميّة فوقيّة ، مُحيطّة ومهيمنة على سائر مسائل ومباحث علومها المختصّة بها ، وتتفرّع منها تلك المسائل والمباحث وأبواب العلم.

وهذا ما تُشير إليه بيانات الوحي ، منها:

→ القطع واليقين لا يخرج عن حريم الحسّ ، وهو في عرضة الخطأ والإشتباه ، ومن ثمّ تؤول حقيقة هذا القطع واليقين إلى ظنّ ، فالتفت ، وتأمّل جيّداً.

بيان قوله عزَّ ذكره: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ﴾^(١).

فإنه برهانٌ وحيانيٌّ دالٌّ على أنَّ نفس المعلومات والمعادلات العلميَّة والعقليَّة والمعرفيَّة الإلهيَّة المودعة في بيانات القرآن الكريم لها هيمنة وإشراف وإحاطة وسعة تتخطى ما موجود في سائر الكُتب السَّماويَّة الأخرى - ك: التوراة، والإنجيل -^(٢).

ثمَّ إنَّ الإِحْكَامَ في عَالَمِ المعاني غير الإِحْكَامِ في عَالَمِ البلاغة والدلالة والألفاظ. ويحتاج - الإِحْكَامُ في عَالَمِ المعاني - إلى علمٍ وافٍ. وكُلَّمَا زاد العلم فيه صعد الفهم في تشخيص المُحْكَمِ.

إِذْنُ: القرآن الكريم وإن كان جميعه - صدوراً وألفاظاً ودلالات - نوراً وُحْجَةً قطعاً، لكنَّه مع كلِّ ذلك يُحذِّرُ الباري ﷻ من المساواة بين طبقاته ومراتبه، وإِيَّاكَ أَنْ تأخذ بها بمفردها، بل بعضها فتنوي وزیغی وهو المُتَشَابِهُ إِنْ اتَّبَعَهُ المخلوق بمفرده وبعقله، أمَّا إِذَا أَخَذَ بِهِ وبالمُحْكَمَاتِ تحت رعاية الراسخين في العلم - لا بعقله - فسيهتدي.

إِذْنُ: مع أنَّ جميع القرآن الكريم عظيمٌ ونورٌ ومُقَدَّسٌ، ولا يأتيه

(١) المائدة: ٤٨.

(٢) معنى كلمة: (التوراة) في اللغة العبريَّة: الشريعة.

ومعنى كلمة: (الإنجيل) في اللغة العبريَّة أيضاً: البشارة الملوكتيَّة.

الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، لكن نفس القرآن الكريم يُشير إلى أنّ نظام المعلومات ونظام المعادلات العلميّة الموجودة فيه ليس على طبقة واحدة في الأهميّة والعظمة ، بل على طبقات .

وعلى هذا قس السُنّة الشريفة ؛ فإنّهما يرتضعان من ثدي واحد ، ومن ثمّ ورد عن أهل البيت (صلوات الله عليهم): أنّ في أخبارهم مُحكماً ومُتشابهاً ، والمتشابه لا يجوز الأخذ به إلاّ تحت رعاية المُحكّمات .

فلاحظ :

بيان الإمام الرضا عليه السلام: «مَنْ رَدَّ مُتَشَابِهَ الْقُرْآنِ إِلَى مُحْكَمِهِ هُدًى إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ، ثُمَّ قَالَ عليه السلام: إِنَّ فِي أَخْبَارِنَا مُتَشَابِهًا كَمُتَشَابِهِ الْقُرْآنِ ، وَمُحْكَمًا كَمُحْكَمِ الْقُرْآنِ ، فَرُدُّوْا مُتَشَابِهَهَا إِلَى مُحْكَمِهَا ، وَلَا تَتَّبِعُوا مُتَشَابِهَهَا دُونَ مُحْكَمِهَا فَتَضَلُّوْا»^(١) .

[حُجِّيَّةُ الْخَبْرِ]

ثُمَّ إِنَّ الْعَمْدَةَ عِنْدَنَا وَرَكْنَ أَرْكَانِ حُجِّيَّةِ الْخَبْرِ ؛ وَالسُّلْمَ الَّذِي يُرْتَقَى وَيُعْرَجُ بِهِ فِي عَالَمِ الْمَعَانِي - سِوَاءَ أَكَانَ ذَلِكَ فِي عِلْمِ الْفُرُوعِ أَمْ فِي عِلْمِ الْمَعَارِفِ الْإِلَهِيَّةِ^(٢) وَجَمَلَةُ الْعِلْمِ الدِّيْنِيَّةِ وَالشَّرْعِيَّةِ - لَا يَكْمُنُ فِي حُجِّيَّةِ

(١) بحار الأنوار ، ٢ : ١٨٥ / ح ٩ .

(٢) يجدر الالتفات: أنّ المعارف والعقائد الإلهية حقائق تكوينية من أكوان وعوالم غيبية صاعدة .

صدور الخبر وسنده^(١) وإن كان متواتراً^(٢) ؛ ولا في حُجِّيَّة دلالاته وإن كانت صريحة وقطعية - فإنَّ هذه الحُجَج لا تؤمِّن إلا لقلقة الألفاظ ، أمَّا المعاني فلا^(٣) - وإنَّها يكمن في المتن .

والمراد من حُجِّيَّة المتن ليس حُجِّيَّة الدلالة ، وإنَّما المراد: نفس نظام المعلومات المودعة في متن الخبر ، فيدرس الفقيه أو الباحث ذلك المتن والمضمون - بغض النظر عن الدليل ودلالته وصدوره وسنده وجهته ؛ والكتاب الَّذي وَرَدَ فيه المتن والمضمون - ويعرضه على مُحْكَمَات الكتاب الكريم ، ومُحْكَمَات السُّنَّة القطعية ، ومُحْكَمَات وبدهيَّات العقل ، ومُحْكَمَات

(١) ضعف الطَّرِيق واعتباره لا دخالة له في تحصيل البرهان من المتن والمضمون .

(٢) التَّواتر السندي لا ينفَع في أبحاث العقائد ، لأنَّه يُورث اليقين الحسيّ ، والمطلوب في أبحاث العقائد تحصيل اليقين العقليّ ، وفيه - اليقين العقليّ - لا يُفَرِّق بين الرواية المتواترة والضعيفة سنداً ، لأنَّ البيان والبرهان العقليّ المُستفاد من المتون والمضامين هو المطلوب في هذه الأبحاث .

ويُضاف إليه: أنَّ الخبر المتواتر سنداً قد يكون متنه ظنيّ الدلالة فعاد إلى الظنِّ ، وهو لا ينفَع في أُسس وأصول العقائد . فالتفت .

ثمَّ إنَّه يجب على الَّذي ليس له باع عقليّ في أبحاث العقائد ترك أبحاث هذا الباب ، ولا يلججه ولا يتصدَّى إليه ، وليترك المجال لمن له الأهليَّة في ذلك .

(٣) ينبغي الالتفات: أنَّ لقلقة ودغدغة المعاني - فضلاً عن الحقائق - غير لقلقة ودغدغة الألسن . وكذا حفظ المعاني فضلاً عن حفظ الحقائق فإنَّها غير حفظ الأصوات .

وبديهيّات الوجدان التي لا يختلف عليها وجدان بشر ، ويوزنه مع منظومة معادلات وقواعد الدّين والشريعة ، فإذا أُوْرث له ذلك العرض: القطع واليقين بمطابقة هذا المتن والمضمون لتلك المحكّمات كانت حُجّيّة ذلك المتن وحيانيّة ذاتيّة. وهذا هو أعظم ميزان وضابطة قرّرت في بيانات الوحي حُجّيّة الخبر .

ثمّ إنّ صحّة وحُجّيّة المتن والمضمون ليست من شأن الرواة بما هم رواة ، وإنّما هي من شأن الفقهاء المتضلعين في فقه الفروع ، وفي علم الكلام ، وعلم العقائد والمعارف الإلهيّة ، وعلم الأخلاق والآداب^(١) والنظام

(١) ينبغي الالتفات: أنّ الأدب والخلق وجهان لحقيقة واحدة ، غاية الأمر: أنّ الخلق هيئة نفسانيّة ، والأدب هيئة بدنيّة ، وبينهما ترابط ؛ فالأدب الصّالح هيئة بدنيّة نابعة من الخلق الصّالح ، والأدب الطّالح هيئة بدنيّة أيضاً ، لكنّها نابعة من الخلق الطّالح .

إذن: الفارق بين الآداب والأخلاق: أنّ الأخلاق هي: الصّفات والهيئات النّفسانيّة، أمّا الآداب فهي: الهيئات البارزة على السلوك العملي الجارحي ، وهي انعكاسات عن تلك الصّفات والهيئات النّفسانيّة ؛ فهي هيئات عارضة على الأعمال الجوارحيّة منبعثة عن الصّفات والهيئات النّفسانيّة .

وبالجملة: الآداب أمور محسوسة تُرى بالعين المُجرّدة ؛ كأداب لائحة والحمام وما شاكلها ، بخلاف الأخلاق ؛ فإنّها لا تُرى ولا تُلمس باليد .

والأدب إنّ كان سيئاً يكشف عن خلق سيء ، والخلق السيء يكشف عن نقص في المعرفة على أقلّ تقدير .

الرُّوحي والأخلاقي والآدبي الدِّيني ، وعلم التَّفسير ، وعلم السِّير ، وغيرها. بخلاف صحَّة السَّنَد وْحُجِّيَّته ؛ فَإِنَّه يمكن معرفتها من قِبَلِ عامَّة النَّاسِ ، وتدور مدار الحافظة ، كما أشارت إلى ذلك بيانات الوحي ، أمَّا حُجِّيَّة المتن والمضمون فتحْتَاج إلى حصول مطابقة - المتن والمضمون - لأصول وقواعد الشرع والدِّين ، وهذه ليست من إختصاص إلاَّ الفقيه المُتضلع في شتَّى العلوم الشرعيَّة والدِّينيَّة ؛ فصحَّة المتن والمضمون لا تدور مدار فقاهاة الفقيه فحسب ، بل وتضلُّعه في كافَّة العلوم الشرعيَّة والدِّينيَّة.

إذْن: صحَّة المتن والمضمون تتطلَّب فقاهاة وتضلُّع الفقيه بذلك العلم الَّذي يختصُّ به ذلك المتن والمضمون ، فلو لم يكن للفقيه باعٌ بالعلم الَّذي يختصُّ به المتن والمضمون فَمِنْ أَيْن يعرف صحَّة وْحُجِّيَّة ذلك المتن والمضمون وعدمها.

وهذا بحث تصوُّري وتصديقي لا يتوقَّف على حُجِّيَّة صدور الخبر وسنده.

وهذه القضية - أي: التعامل مع حُجِّيَّة المتن وعرضه على مُحْكَمَات الشرع والدِّين - ليست خاصَّة بمدرسة الإماميَّة ، بل شاملة لكافَّة مدارس ومذاهب المسلمين.

هذا هو المذهب والمنهج العلمي لمشهور طبقات الفقهاء ، ومشهور علماء مدرسة الإماميَّة ، بل ومدارس العامَّة ، كما نقل ذلك الشَّيخ

الأنصاري في رسائله ، ومن أولئك الفقهاء والعلماء: الشيخ المفيد ، والسيد المرتضى ، وابن البراج ، والحلي ، والكشي ، وابن الغضائري - الابن - ، والنجاشي ، وابن إدريس ، وابن زهرة ، والمحقق الحلي ، بل والشيخ الطوسي وإن اختلف مبناه قليلاً.

ويعبر عن هذا المنهج بـ: (دراسة المتن ومحورية المحكمات).

لكنه منهج مهجور ومغيب في العصر الراهن.

وقد أطلق الشيخ المفيد والمحقق الحلي عنوان الحشوية والقشيرية على من يجعل السند والطريق الركن الركين في حجية الخبر ، لكن هذا لا يعني أنه لا دور للسند والطريق في حجية الخبر ، بل له دور لكنه ليس هو الركن الركين ، ولا يؤمن إلا لقلقة الألفاظ ، أما المعاني فالذي يؤمنها ويؤمن الإنطلاق إلى العمق هو المتن بتوسط ألفاظ الوحي.

ولك أن تقول: إن الإقتصار على النقل منهج المبتدئين ، وطمع الباحث عن الحقيقة لا يكون إلا في الفهم العقلي بالنقل ، والعلم العقلي المنظم للنقل ، ولا يتم إلا من خلال البرهان والعلم والنور المستفاد من الإشارات الإرشادية للمقدمات العلمية اليقينية الموجودة في متون بيانات الوحي الإلهي الطاهرة الباهرة.

[ضرورة التَّمَسُّك بقوالب بيانات الوحي والغور في أعماقها غير المتناهية]

[قاعدة التَّوْقِيفِيَّة شاملة لكافة المعارف الإلهية]

[معنى قاعدة التَّوْقِيفِيَّة: التَّمَسُّك بِالْفَازِ الوحي والغور في بحور معانيها]

وهناك توصية وردت في بيانات أهل البيت عليهم السلام المعرفية ، حاصلها: أَنَّ الباحث والمستنبط إذا أراد الاستعصام والتَّخَلُّص من الضَّلَال والزَّيغ والانحراف فعليه نشب أظفاره والتَّمَسُّك بِكُلِّ ما أُوتِيَ من قوَّة بِالْفَازِ وعناوين وقوالب بيانات الوحي ، وإِلَّا - أي: إذا استبدل ألفاظ وعناوين وقوالب بيانات الوحي بِالْفَازِ وعناوين ومصطلحات وقوالب البشر - كان في معرض الإرتطام في الضَّلَال والزَّيغ والانحراف.

وهذا أحد معاني ما ورد عنهم (صلوات الله عليهم) ؛ عن الإمام الصادق عليه السلام: «... فوالله لنحبكم أن تقولوا إذا قلنا ، وتصمتوا إذا صمتنا ، ونحن فيما بينكم وبين الله»^(١).

فإنَّه شامل بإطلاقه - إضافة إلى معاني بيانات الوحي شامل أيضاً - لألفاظها.

إذَنْ: حُجِّيَّة المتن المُنطَلِقة من ألفاظ بيانات الوحي هي الأساس.

(١) بحار الأنوار ، ٢: ٩٥/ح ٣٧.

ومعناه: أَنَّ قاعدة التوقيفية والتوقيئية لا تختصُّ بباب الأسماء والصفات الإلهية ، بل تشمل كافة المعارف الإلهية. لكن: ليس معنى هذه القاعدة الجمود على ألفاظ بيانات الوحي ؛ فإنَّ ذلك حشوية وقشريّة أيضاً ، وإنَّها معناها: التمسك بالقوالب الوحيانية والغور في بحور معانيها المتلاطمة الطمطامة غير المتناهية ، وهنا تكمن الصعوبة ، وتظهر حذاقة الفقيه المتضلع ، وقوة فقاوته.

[خلاصة ما تقدم]

والخلاصة: أَنَّ حُجِّيَّة الخبر عند جلِّ العلماء مُرتبة طويلاً في مقام الإستنباط وبالشكل التالي: أولاً: حُجِّيَّة المتن والمضمون ، ثُمَّ صحَّة وحُجِّيَّة الكتاب ^(١) ، ثُمَّ حُجِّيَّة الطريق والسند.

وهذه حُجَجٌ طويلة ، فإذا حصل للفقيه المتضلع: القطع واليقين بمطابقة متن الخبر ومضمونه لمُحكِّمات الدين والشريعة أخذ به وإن كان ذلك - المتن - وارداً بخبر ضعيف السند ؛ وذلك للقطع بمطابقة متنه ومضمونه لمُحكِّمات الدين والشريعة ، وتكون حُجِّيَّته حينئذٍ ذاتية وحيائية ، وهي مُقدِّمة على كافة الحُجج ، نعم إذا لم يحصل القطع واليقين لدى الفقيه

(١) سيأتي (إن شاء الله تعالى) في ختام هذه القضية التَّعرُّض إلى هذه الحُجِّيَّة والجهة الثانية من جهات الحُجِّيَّة ، وهي صحَّة وحُجِّيَّة الكتاب ؛ فانظر هنيئة.

ونكته التأخير: كي لا يحصل تشتيت وتشويش في المطلب.

المُتَصَلِّعُ بمطابقة متن ومضمون الخبر لمُحَكِّمَاتِ الدِّينِ والشَّرِيعَةِ انتقل إلى المرتبة الثانية من مراتب حُجِّيَّةِ الخبر ، وهي : صَحَّةٌ وَحُجِّيَّةُ الكِتَابِ الوارد فيه ذلك الخبر ، فَإِنْ كَانَ - ذلك الخبر - وارداً في كتابٍ صحيحٍ وَحُجَّةٌ - ك : كتاب الكافي - أَخَذَ بِهِ وَأَفْتَى عَلَى وَفْقِهِ ، وَإِلَّا - أَي : إِذَا لَمْ يَكُنِ الكِتَابُ صحيحاً وَحُجَّةً - انتقل - الفقيه - إلى المرتبة الثالثة من مراتب حُجِّيَّةِ الخبر ، وهي حُجِّيَّةُ سنده ، فَإِنْ كَانَ مُعْتَبِراً سِنداً أَخَذَ بِهِ وَأَفْتَى عَلَى وَفْقِهِ فِي فقه الفروع وفي أبواب المعارف وتفصيل العقائد ، وَإِلَّا - أَي : إِنْ لَمْ يَكُنِ مُعْتَبِراً سِنداً أَيضاً - سقط عن الحُجِّيَّةِ والإِعتبار ، وَأَعْرَضَ عَنْهُ - هذا إِنْ لَمْ تَكُنْ هناك حُجْجٌ طَوِيلَةٌ أُخْرَى يُتَبَنَّاها الفقيه ك : (حُجِّيَّةُ عَمَلِ الطائفة) - نعم ، يُمكن الأَخْذُ بِهِ عَلَى نَحْوِ المُوَيْدِ والمُنْبَهِّ عَلَى بَرهَانٍ فِي دَلِيلٍ آخَرَ .

لكن : عكس المعاصرين هذه الحُجْجَ ، بل جعلوا المجموع في عرضٍ واحدٍ ، بل حصروها في حُجِّيَّةِ الطَّرِيقِ والسند ، وغرابة حصر منهج وطريق المعرفة والإِستنباط بِالظَّنِّ التَّعَبُّدِيِّ والتواتر الحسِّي واضحة ؛ فَإِنَّ الظَّنَّ التَّعَبُّدِيِّ النقلي ، بل والتواتر واليقين النقلي لا يزيد عن دائرة إِيْجَادِ العلم واليقين الحسِّي ، ولا يرتقي إلى العلم واليقين العقلي فضلاً عمَّا فَوْقَهُ مِنَ العلم واليقين الوحياني .

نعم ، لا غنى عن العلم النقلي ، بل لا مجال للإِنكار ضرورته ، لِأَنَّهُ مُقَدِّمَةٌ لليقين العقلي ولليقين الوحياني الواسع بِسَعَةِ أَفْقِ الوحي ، ومن ثَمَّ لا بُدَّ مِنَ الإِبْتِدَاءِ بِالْعِلْمِ النقلي ؛ لِتَحْصِيلِ اليقين العقلي والوحياني ، لكن :

العِلْمُ النَّقْلِيّ - وهو منهج المبتدئين - لا يُقتصر عليه ، وإنَّما لا بُدَّ من الغور في أعماق بحور معاني وحقائق بيانات الوحي غير المتناهية ، من خلال التَّدبُّر والتأمُّل العقلي في متون النقول ومضامينها .

[إشكال وجواب]

ومنه يتَّضح: حلَّ إشكال البعض على الشَّيخ الأنصاري وغيره ممَّن يقول في بحث أصول الفقه ب: أَنَّ الخبر حتَّى يصحَّ الأخذ به في مقام الاستنباط لا بُدَّ أَنْ يكون مُعتبراً شرعاً ، لكنَّه في بحث الفقه والتَّوصُّل إلى التَّائج يغفل أو يتغافل عن هذه القضية التي حرَّرها في بحث أصول الفقه، ويأخذ بالخبر ويُرتَّب عليه الآثار الفقهيَّة وإنَّ كان ضعيفاً سنداً ، فما عدا ممَّا بدا .

والجواب: أَنَّ الشَّيخ الأنصاري وإنَّ كان يقول باعتبار حُجِّيَّة سند الخبر ، لكنَّ مبناه - كمبنى استاذه صاحب الجواهر وغيره هو - مبنى مشهور المُتقدِّمين القائِلين بهذه الحُجَج الطوليَّة ، فإنَّه وإنَّ قرَّر الفقيه في بحث الأصول: أَنَّ الخبر لا يصحُّ الأخذ به إلاَّ إذا كان مُعتبراً سنداً ، لكنَّه في بحث الفقه ومقام الاستنباط أوَّل ما يُلاحظ الفقيه من المُتقدِّمين المتن والمضمون ، ويعرضه على مُحكِّمات الكتاب الكريم والسُّنَّة الشَّريفة ، فإذا أورث له ذلك العرض القطع واليقين بمطابقة ذلك المتن والمضمون لمُحكِّمات الثقلين كانت حُجِّيَّة ذاتيَّة إمَّا عقليَّة أو وحيانيَّة ، ووجب الأخذ به وترتيب الآثار الشَّرعيَّة والمعرفيَّة والعقائديَّة عليه وإنَّ كان ضعيفاً وغير

مُعتبرٍ سنداً ؛ لأنَّ حُجِّيَّةَ واعتبار سند الخبر تأتي في مرتبة متأخرة طوليةً
ثالثة؛ لم تصل إليها حاجة الفقيه بحسب الفرض. نعم ، إذا لم يحصل له
القطع واليقين بمطابقة متن ومضمون الخبر لمُحكِّمات الثقلين التجأ إلى
الجهة التالية من جهات الحُجِّيَّة ، وهي صحَّة وحُجِّيَّة الكتاب ، فإن كان وارداً
في كتابٍ صحيحٍ ومعتبرٍ عند الإمامية - ك: كتاب الكافي - أخذ به ، وإلا صار
أمر الفقيه إلى الجهة الثالثة من جهات الحُجِّيَّة ، وهي حُجِّيَّة السند ، فإن كان
مُعتبراً بحسب مبانيه الرجالية أخذ به ، وإلا فلا. هذا إن لم يُقل بغير هذه
الحُجَج الثلاث ؛ كحُجِّيَّة: (عمل الطائفة) ، وإلا التجأ إليها ؛ وصحَّح الخبر
على وفقها إن أمكن.

[المراد من الجهة الثانية من جهات الحجية]

[مراد الفقهاء من صحَّة وحُجِّيَّة الكتاب]

إنَّ أحد معاني صحَّة الكتاب واعتباره ليس ما توهمه الإخباريون
وبنى عليه السيّد الخوئي في كامل الزيارات وتفسير القمِّي ، بل وبنى عليه
أستاذه الميرزا النائيني في حقِّ كتاب الكافي تبعاً لأستاذه الميرزا النوري ؛ وأنَّ
كُلَّ ما موجود فيه قطعي الصدور أو ظني الصدور بالظنِّ المُعتبر ، فإنَّ هذه
صحَّة مُحدِّثين ، وليست صحَّة فقهاء ؛ وإنَّما المراد من صحَّة الفقهاء: ما
ذكره الشَّيخ الكليني في أوَّل الكافي ، وما ذكره الصدوق في أوَّل الفقيه ، وما
ذكره محمَّد بن الحسن الأشعري في كفاية الأثر ، وما ذكره الشَّيخ الطوسي
في أوَّل التهذيب ، وهو: أنَّ مُصنِّف الكتاب يتعهَّد بجميع ما وضعه في

كتابه من روايات - بقطع النظر عن صدورها وسندها - أنّ متونها ومضامينها لا تُناقض ولا تُخالف ضرورة من ضروريّات الدّين والكتاب والسُنّة ، ولا تُخالف مُحكّماتها ، وهذه الصّحّة أعظم فقاهاة من مسلك صحّة الطريق ؛ فإنّه مسلك حشوي ؛ إذ الإقتصار على صحّة الطريق من دون النظر إلى متن ومضمون الرواية - كما يقول الشّيخ المفيد والمُحقّق الحلّي - حشويّة وقشريّة ليست للفقهاء مسلّكاً ، فإنّ مسلّكهم يعتمد على فهم المتون والمضامين: فهل هي مناقضة ومخالفة لضروريّات ومُحكّمات الدّين والشريعة ، أو أنّها مطابقة ولم تخالف القوانين الدستوريّة العقائديّة والمعرفيّة في الدّين ؛ أو القوانين الدستوريّة الثابتة في الفقه.

نُكْتة تقدّمُ الجهة الأولى والثانية على الثالثة :

وصارت حُجّيّة المتن والمضمون مُتقدّمة على حُجّيّة السند ؛ وذلك لأنّ حُجّيّة المتن والمضمون تتمُّ من خلال عرض المتن والمضمون على مُحكّمات الكتاب الكريم والسُنّة الشريفة ، فإذا أورث ذلك العرض للفقهاء القطع واليقين بمطابقته لتلك المُحكّمات كانت هذه الجهة - أي: الجهة الأولى والثانية - من جهات الحُجّيّة مُتقدّمة على الجهة الثالثة وهي حُجّيّة السند وإن كان الخبر متواتراً سنداً ؛ لأنّ هذا العرض إنّ وُلد للفقهاء أو لمُصنّف الكتاب - كالكليني - القطع واليقين بمطابقة الخبر لمُحكّمات الثقلين كانت حُجّيّة ذلك اليقين - لدى الفقيه أو المُصنّف - ذاتيّة عقليّة أو وحيانيّة ، وهي مُتقدّمة على حُجّيّة اليقين الحسّي المستفاد من التواتر السندي فضلاً

عن حُجِّيَّة الظن المُعتبر ؛ لأنَّ التواتر السندي فضلاً عن الظَّنِّ السندي المُعتبر لا يُؤمِّن اليقين بمطابقة متن ومضمون الخبر لمُحكِّمات الثقلين ، وإلَّا كانت حُجِّيَّة الخبر ذاتيَّة - وحيائيَّة كانت أم عقليَّة - ومن الجهة الأولى أو الثانية.

وتأخَّرت الجهة الثانية من جهات الحُجِّيَّة عن الجهة الأولى ؛ وذلك لأنَّ الَّذي يقوم بعملية عرض المتن والمضمون في الجهة الأولى نفس الفقيه المُتصدِّي لعملية الإستنباط وتحصيل النتائج ، بخلاف الجهة الثانية من جهات الحُجِّيَّة ؛ فإنَّ الَّذي يتصدَّى لهذا العرض مُصنِّف الكتاب كالكليني ، وهو بحسب الفرض من ثقات وكُبار علماء الإماميَّة ، فاعتمدت هذه الجهة على خبر الثقة.

وتقدَّمت الجهة الثانية على الثالثة مع أنَّ المُعتمد عليه في كليهما خبر الثقة ؛ بل في الثالثة قد يُعتمد على التواتر الحسِّي ؛ وذلك: أنَّ مُصنِّف الكتاب ناظر إلى متن ومضمون الخبر - كما تقدَّم - ؛ وأنَّه مقطوع عقلاً بمطابقته لمُحكِّمات الثقلين ، بخلافه في الجهة الثالثة ؛ فإنَّ النظر يكون إلى السند بقطع النظر عن مطابقة مضمون الخبر للمُحكِّمات وعدمها.

وبالجملة: دراسة متون الأحاديث ومضامينها أعظم: دراسة علميَّة صناعيَّة اجتهاديَّة ، بل بها تُقام دراسة الأسانيد والطرق لا العكس. وهذا أمرٌ مهمٌّ ، ومن ثمَّ من يكون لديه باع في علوم المعارف يتمكَّن من تشخيص - عن بصيرة واجتهادٍ - المنحرف من الرواة من غيره ، وذلك من

خلال مطابقة مضامين ما ينقله مع مُحْكَمَات الثقلين وعدمها. ومن ثمَّ كان مبنى النجاشي والغضائري المُتشدِّد: أَنَّ صَحَّة الكتاب المرتبطة بالمضمون أعظم من صَحَّة الطَّرِيق ، وهذا يتَّضح من خلال مراجعة جرحها وتعديلها.

وهذه الأمور لأبَد للباحث أَنْ يجدها بنفسه ، فعليه التَّشعُّع والتنقيب والإجتهاد عن دراية وبصيرة ، فَمَنْ كان يُريد مراجعة كتاب النجاشي - مثلاً - فعليه أَنْ لا يُلاحظ النَّتائج الصَّادرة من مُصنِّفه من جرح وتعديل وما شاكلها ؛ لِأَنَّ الأخذ بها تقليد له ، وإِنَّمَا عليه قراءة النظام والصرح العلمي في مبناه ومساره العلمي ، وحينئذٍ تكون - تلك المراجعة - مراجعة علميَّة نافعة. وعلى هذا قس العمل مع كتاب الفهرست للشيخ الطوسي ، وكتاب رجال: (البرقي) ، و (العقيقي) ، و (ابن الغضائري) ؛ لمعرفة مبانهم ومساراتهم العلميَّة ، وليست آرائهم وفتاويهم النهائيَّة.

إِذَنْ: علم الرجال علم مضامين ، وليس علم نقول.

وبالجملة: ليس مراد الكليني في الكافي ولا ابن قولويه في كامل الزيارات ولا الأشعري في كفاية الأثر ، ولا الصدوق في الفقيه ولا الطوسي في التهذيب من صَحَّة الكتاب صَحَّة الصدور - فَإِنَّ بعض رواياتهم في تلك الكُتُب مراسيل ومقطوعات ومرفوعات - ، وإِنَّمَا مرادهم: صَحَّة وحُجِّيَّة المتن والمضمون ، وأنَّه ليس في روايات تلك الكُتُب ما يُناقض أو يُخالف ضروريَّات ومُحْكَمَات الدِّين والشَّرِيعَة. فحينما يروي - مثلاً - الكليني والصدوق ، عن أمير المؤمنين صلوات الله عليه: «... إِنَّ نور أبي يوم

القيامة يُطفئ أنوار الخلائق إلا خمسة أنوار: نور مُحَمَّد ﷺ ونوري^(١) ونور الحسن والحسين ، ونور تسعة من ولد الحسين ؛ فإنَّ نوره من نورنا الذي خلقه الله تعالى قبل أن يخلق آدم بألفي عام^(٢) ، فإنَّ مُرادهما: أن مضمون هذا الحديث - بغض النظر عن اعتبار سنده وصحَّة صدوره - لا يتصادم ولا يخالف مُحكمات الدين والشريعة والكتاب والسنة ويوافق خطوطها العامَّة.

إذن: منهج ومسلك الفقهاء في المقام يختلف عن منهج ومسلك المُحدِّثين ، ومن ثمَّ الذي يرفع علامة صحَّة الصدور من دون أن يهتم بالمضمون فمنهجه ومسلكه ليس منهج ومسلك فقهاء الإمامية ، وإنما منهج ومسلك المُحدِّثين.

ومنه يتَّضح: أنَّ زعماء اتباع مدرسة أهل البيت ﷺ - كالكليني والصدوق والمفيد والمرتضى والطوسي - حينما يودعون في كتبهم روايات عن أفراد الدائرة الإصطفايَّة الثانية لأهل البيت ﷺ فهذا يُدلل على أنَّهم يفهمون: أنَّ لأصحاب هذه الدائرة شأنًا عظيمًا ، وعلاوة في الإصطفاء.

(١) في رواية الشَّيخ بعد قوله: «ونوري» «ونور فاطمة». وعلى هذا فالخمسَةُ إمَّا مبنيَّ على اتِّحاد نورَي مُحَمَّد وَعَلِيٍّ (صلوات الله عليهما) ، أو اتِّحاد نورَي الحسين ﷺ ؛ بقرينة عدم توسُّط النور في البين ، ويُحتمل أن يكون قوله: «ونور تسعة» معطوفاً على الخمسة. (بحار الأنوار).

(٢) بحار الأنوار ، ٣٥: ٦٩/ح ٣. أمالي الشَّيخ: ١٩٢. الإحتجاج: ١٢٢.

[أدلة تراتب الحجج الثلاث]

وتشير إلى ترتب وتراتب هذه المراحل وجهات الحجية الثلاث
بيانات الوحي الوافرة ، منها:

١- بيان قوله تقدّس ذكره: ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا
مِنْهُمْ يُتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ﴾ (١)(٢).

ف: (التلاوة) - المُشار إليها في بيان قوله تقدّس ذكره: ﴿يُتْلُو عَلَيْهِمْ﴾ :-
إشارة إلى العلم النَّقلي الحسي ، وهو مُقدّمة.

(١) الجمعة: ٢.

(٢) يجدر الالتفات: أنه يجب على مَنْ يُريد استيضاح بيانات أهل البيت عليهم السلام المُفسّرة
لآية من آيات القرآن الكريم أن لا يخذعه الفحص بمراجعة تفسير أو تفسيرين ،
بل عليه التيقن والتفطن إلى موارد وجود هذه الآية بألفاظها أو بما يُقارب ألفاظها
ومعانيها في بيانات الوحي الأخرى ، وعليه أيضاً أن لا يُراجع مصدراً واحداً من
مصادر التفسير ، بل عدّة مصادر.

وبالجملة: باب الفحص والتّقيب العلمي باب واسع وشاسع جداً ، ومن ثمّ لا
ينخدع الباحث بدرجة من الفحص والتّقيب ، ولا بدرجة من التّفكير والتأمّل ،
وإذا ظنّ أن ما توصل إليه هو الذروة ورأس الهرم فليعلم أنه أرتطم بغفلة شنيعة
وجهالة كبيرة ؛ فإنّ ما توصل إليه بالضرورة الوحيانية والعقلية لا بدّ أن يكون
متناهيًا ومحدودًا ، ومعاني وحقائق بيانات الوحي غير متناهية وغير محدودة أبداً
بالضرورة الوحيانية والعقلية أيضاً ، ولا توجد نسبة رياضية بين المحدود وغير
المحدود ؛ فإنّه دائماً إذا قيس المحدود إلى غير المحدود كان لا شيء وصفرًا على جهة
الشّمال ، وإلا لانقلبت ماهية غير المحدود وكانت متناهية ، وبطلان انقلاب الماهية
من الواضحات ، بل هو خُلف الفرض.

وضرورة (التَّعَلُّم) - المُشار إليها في بيان قوله تقدَّس ذكره: ﴿وَيُعَلِّمُهُمُ﴾^(١):- إشارة إلى الفهم العقلي لموارد الوحي ؛ لتحصيل العلم واليقين والبرهان الوحياني ، وهو ذو المُقدِّمة والغاية الأسمى ، الَّذي هو فحوى مفاد المعجزة.

فانظر :

بيان قوله عزَّ قوله: ﴿وَأَنْبِئُ الْقَوْمَ عَصَاكَ فَلَمَّا رَآهَا تُهْتَزُّ كَانَهَا جَانِبٌ وَلَمْ يُدْبِرُوا وَلَمْ يُعِيبُوا يَا مُوسَىٰ أَدْبُرْ وَلَا تَحْضُرْ أِنَّكَ مِنَ الْآمِنِينَ * اسْأَلُكَ بِدِكِّ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجُ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ وَأَضْمُمُ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ مِنَ الرَّهْبِ فَذَانِكَ بُرْهَانَانِ مِنْ رَبِّكَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُ بِإِهْمٍ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ﴾^{(٢)(٣)}.

ودلالته واضحة على أَنَّ المعاجز - كمعجزة القرآن الكريم ، وهي الأعظم - ، بل والكرامات الإلهية تُورث لِمَنْ تَأَثَّرَ بها: العلم واليقين والبرهان الوحياني.

وبالجملة: أحد تعاريف المعجزة: أنَّها عبارة عن بزوغ وبروز لمعان

(١) الطريقة التعليمية السَّارية عليها بيانات الوحي في إيصال المعلومة للطرف هي: التدرُّج في التَّعليم وعلى مراحل.

(٢) القصص: ٣١-٣٢.

(٣) لا بأس بالإنفتاح: أَنَّهُ لا توجد لقطة في القرآن الكريم إِلَّا وتصبَّ في ذكر الله تقدَّس ذكره وخشيته وخشوعه.

أشعة أنوار غيبية مهولة ؛ إمّا في القدرة ، أو في آية كمالٍ غيبيٍّ رهيبٍ ، تنتشل بسرعة من يرى من خلالها لمعان أنوارٍ غيبٍ عظيمةٍ ، ومن ثمّ تحصل له حالة إخباتٍ دفعيٍّ قهريٍّ ، تتضعض له أعماق ذاته وكافة قواه ؛ فيسجد لباعثها تذللًا ، كما حصل ذلك لسحرة بني إسرائيل .

فانظر :

بيان قوله تعالى: ﴿ فَلَمَّا جَاءَ السَّحَرَةُ قَالُوا لِفِرْعَوْنَ أَتَنْ لَنَا لَاجِرًا إِنْ كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ * قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ إِذَا لِمِنَ الْمُقْرِبِينَ * قَالَ لَهُمْ مُوسَى أَلْقُوا مَا أَنْتُمْ مُلْقُونَ * فَأَلْقَوْا حِبَالَهُمْ وَعِصِيَّهُمْ وَقَالُوا بِعِزَّةِ فِرْعَوْنَ إِنَّا لَنَحْنُ الْغَالِبُونَ * فَالْقَى مُوسَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ * فَالْقَى السَّحَرَةُ سَاجِدِينَ * قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ * رَبِّ مُوسَى وَهَارُونَ * قَالَ آمَنْتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ إِنَّهُ لَكَبِيرِكُمْ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ فَلَسَوْفَ تَعْلَمُونَ لَأَقْطَعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خِلَافٍ وَلَا أَصْلَبَتْكُمْ أجمعين * قَالُوا لَا ضَيْرَ إِنَّا إِلَى رَبِّنَا مُنْقَلِبُونَ * إِنَّا نَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لَنَا رَبُّنَا خَطَايَانَا إِنَّ كُنَّا أَوَّلَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١﴾ .

وهذه نفس فائدة البرهان ؛ فإنه يُخرج الطرف من ساحة الفكر إلى تجليات في الفطرة ، فإذا شاهد العظمة خبت .

إذّن: المعجزة الإلهية خطاب إلهيٍّ مباشر ؛ ومن دون واسطة من

اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ مع خلقه.

٢- بيان قوله جَلَّ قوله: ﴿وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا كَافَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾ (١)(٢).

ف: (النفر): إشارة إلى مرحلة الرواية ؛ والنقل الحسي ؛ وهو مُقدِّمة.
و (التَّفَقُّه) - المُشار إليه في بيان قوله جَلَّ قوله: ﴿لِّيَتَفَقَّهُوا﴾ - وهو:
الفهم^(٣) : إشارة إلى الفهم العقلي لمضامين متون بيانات الوحي في المرحلة الثانية ، وهو: ذو المُقدِّمة ؛ والغاية الأسمى ؛ المُشار إليها بلام الغاية:

(١) التوبة: ١٢٢.

(٢) ينبغي الالتفات: أَنَّ القرآن الكريم هو: دستور الله الخالد ، لكنَّ دستورِيته وخلوده ومُؤدَّاه وفائدته وخطره وعلومه وعقائده ومعارفه لا تختصُّ في هذه النَّشأة الأرضية ، ولا يُخاطب به الجنَّ والإنس فحسب ، بل شاملة لجملة العوالم وكافة المخلوقات ؛ لأنَّه من الدِّين ، وهو شامل للجميع ، ومن ثمَّ خطاباته الواردة بلسان: «يا أَيُّها الَّذِينَ آمَنُوا» شاملة لكافة المؤمنين ، منهم: جملة الملائكة ﷺ ، فلذا ورد في بيانات الوحي: «أَنَّ الملائكة ، منهم المُقَرَّبِينَ - ك: جبرئيل وإسرافيل وميكائيل ﷺ - حينما ينزل وحي القرآن الكريم على سيِّد الأنبياء ﷺ يتعلَّمون منه ﷺ ذلك القرآن المُنزل».

(٣) ينبغي الالتفات: أَنَّ (الفهم): أمرٌ غيبي ، صادر من عوالم غيبية صاعدة ، تتحكَّم فيها طبقات حقائق أهل البيت ﷺ الصَّاعدة ، ومرتبها فوق عالم الآخرة الأبدية ، وهي فوق عالم السَّموات السَّبع بعوالم ومراتب ، والكُلُّ من عوالم الأجسام.

﴿يَتَفَقَهُوا﴾^(١).

٣- بيان قوله جلّ جلاله: ﴿إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَسَبِّهُوا﴾^(٢).

وتقريب الدلالة واضح ؛ فإنه مع عدم تمامية السند ونسبة الصدور - إذ بحسب ما فرضه بيان الآية الكريمة أنه خبر فاسق - ، ومع عدم صحّة طرحه ، أو الأخذ به بعناية هناك مسلك ثالث أوصى به بيان الآية الكريمة وأوجهه ، وهو: (فحص المتن والمضمون ، والتّبين منه).

وهذه التّوصية الوحيائيّة دالّة على أنّ الأساس والعُمدة والرّكن الرّكين في حُجّيّة الخبر والأخذ والعمل به هو: (تبيّن المتن والمضمون).

(١) يجدر الالتفات في المقام إلى الأمور الأربعة التّالية:

الأوّل: أنّ المعرفة الإلهيّة ناموس مُقدّس ، والسعي إليها ناموس مُقدّس أيضاً يقضّ مضجع فطر المخلوقات.

الثّاني: أنّ أعظم نعم الله الواردة في بيان قوله تعالى: ﴿وَإِن تَعُدُوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا﴾ [النحل: ١٨] النعم المعرفيّة والمعنويّة ، وليست البدنيّة.

الثّالث: أنّ أخطر قلعة يغير عليها العدو: قلعة الفكر والرؤية العقائديّة ؛ فإنّ أمكنه زحزحة المخلوق عن الورع في العقيدة فسوف يتنجّس باطنه وظاهره بكلّ نجاسة ورجاسة. ثمّ إنّ أظهر الطهارات في التّعقل.

الرابع: أنّ التكليف في العوالم اللاحقة لا ينقطع ، بل يزداد ويشتدّ ، وهو شامل لكافة المخلوقات.

(٢) الحجرات: ٦.

نعم ، السند المعتبر معاضد حجّية الخبر ، لكن الركن الركين والعمدة فيها هو: (حجّية المتن والمضمون).

٤- بيان قوله جلّ وعلا: ﴿فَبَشِّرْ عِبَادِ * الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُولَئِكَ هُمْ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾^(١).

ودلالته واضحة ؛ فإنّ مضمونه نفس مضمون بيان أمير المؤمنين صلوات الله عليه: «خُذِ الْحِكْمَةَ مِمَّنْ أَتَاكَ بِهَا ، وانظر إلى ما قال ، ولا تنظر إلى مَنْ قَالَ»^(٢) ؛ فإنّ الأساس ينبغي أن يكون النظر إلى المتن والمضمون.

٥- بيان قوله علا ذكره: ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ﴾^(٣).

فإنّه برهانٌ وحيانيٌّ دالٌّ أيضاً على أنّ المركز وقطب مرجعية الفقيه والباحث والمستنبط وطالب الحقيقة ينبغي أن يكون نظره إلى المتن والمضمون ؛ فإنّ المحكمات صارت كذلك ليس من جهة سندها وصدورها ، وإنّما من جهة متنها ومضمونها.

(١) الزمر: ١٧- ١٨.

(٢) غرر الحكم ، ١: ٣٩٤. ميزان الحكمة ، ٦: ٤٨٥. كنز العمال / ٤٢٢١٨.

(٣) آل عمران: ٧.

وهذا البيان الوحياني من البيانات والبراهين القرآنية العظيمة المبيّنة لهذا المنهج المعرفي الخطير والدالة عليه.

٦- بيان خطبة سيّد الأنبياء ﷺ: «نضر الله عبداً سمع مقالتي فوعاها ؛ وبَلَّغها مَنْ لم يسمعها ، فكم من حامل فقه غير فقيه ، وكم من حامل فقه إلى من هو أفقه منه ...»^(١).

٧- بيان أمير المؤمنين عليه السلام: «همّة السفهاء الرواية ، وهمّة العلماء الدراية»^(٢).

ودلالته - كدلالة سابقه - واضحة ؛ فإنّ المراد من عنوان: (السفهاء) المأخوذ في هذا البيان الإلهي الشريف: مَنْ يتعامل مع بيانات الوحي بسطحيّة وعدم رشد ، وعدم غور ، فيقتصر على صدور الرواية وألفاظها.

٨- بيانه عليه السلام أيضاً: «عليكم بالدرايات لا بالروايات»^(٣).

٩- بيانه عليه السلام أيضاً: «اعقلوا الخبر إذا سمعتموه عقل رعاية لا عقل رواية ؛ فإنّ رواة العلم كثير ورعاته قليل»^(٤).

(١) بحار الأنوار ، ٢: ١٤٨ / ح ٢٢.

(٢) المصدر نفسه: ١٦٠ / ح ١٣.

(٣) المصدر نفسه / ح ١٢.

(٤) المصدر نفسه: ١٦١ / ح ٢١.

١٠- بيانه عليه السلام أيضاً: «... وتركك حديثاً لم تروه خير من روايتك حديثاً لم تحصه ، إِنَّ عَلَى كُلِّ حَقِّ حَقِيقَةً ، وَعَلَى كُلِّ صَوَابٍ نَوْرًا ، فَمَا وَافَقَ كِتَابَ اللَّهِ فَخَذُوا بِهِ وَمَا خَالَفَ كِتَابَ اللَّهِ فَدَعَوْهُ»^(١).

١١- بيان الإمام الباقر مُحَاطَبًا ولده الإمام الصادق عليه السلام: « يَا بُنَيَّ ، اعْرِفْ مَنَازِلَ الشَّيْعَةِ عَلَى قَدْرِ رَوَايَتِهِمْ وَمَعْرِفَتِهِمْ ؛ فَإِنَّ الْمَعْرِفَةَ هِيَ الدَّرَايَةُ لِلرَّوَايَةِ ، وَبِالدَّرَايَاتِ لِلرَّوَايَاتِ يَعْلُو الْمُؤْمِنُ إِلَى أَقْصَى دَرَجَاتِ الْإِيمَانِ ، إِنِّي نَظَرْتُ فِي كِتَابِ لِعَبِيٍّ عليه السلام فَوَجَدْتُ فِي الْكِتَابِ : أَنَّ قِيَمَةَ كُلِّ امْرِيٍّ وَقَدْرَهُ مَعْرِفَتُهُ ، إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى يُجَاسِبُ النَّاسَ عَلَى قَدْرِ مَا آتَاهُمْ مِنَ الْعُقُولِ فِي دَارِ الدُّنْيَا»^(٢).

١٢- بيان الإمام الصادق عليه السلام: «رَوَاةُ الْكِتَابِ كَثِيرٌ ، وَرِعَاةُ قَلِيلٌ ، فَكَمْ مِنْ مُسْتَنْصِحٍ لِلْحَدِيثِ مُسْتَعْشٍ لِلْكِتَابِ ، وَالْعُلَمَاءُ تَحْزَنُهُمُ الدَّرَايَةُ ، وَالْجُهَّالُ تَحْزَنُهُمُ الرُّوَايَةُ»^(٣).

١٣- بيانه عليه السلام أيضاً: «حَدِيثُ تَدْرِيهِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ تَرْوِيهِ ، وَلَا يَكُونُ الرَّجُلُ مِنْكُمْ فَقِيهًا حَتَّى يَعْرِفَ مَعَارِيضَ كَلَامِنَا ...»^(٤).

(١) بحار الأنوار ، ٢ : ١٦٥ / ح ٢٥ .

(٢) المصدر نفسه : ١٨٤ / ح ٤ .

(٣) المصدر نفسه : ١٦١ / ح ١٤ .

(٤) المصدر نفسه : ١٨٤ / ح ٥ .

ودلالته - كدلالة سوابقه - واضحة على ضرورة الدراية بمتن ومضمون الرواية ، وعدم صحّة واعتبار وحجّية منهج الإقتصار على مجرد الرواية .

[عصارة ما تقدّم]

والخلاصة: أنّ الأصل في لغة أبواب المعارف الإلهيّة ومعادلاتها وقوانينها هي: (اللغة العقلية) ، فالمخاطب الأصل والتلميذ الأوّل للمُعَلِّم الإلهي هو: (العقل) ، وليس الإنسان بقوّة بدنه ، أو بغرائزه ، أو بقوّة حسّه ، أو بقوّة خياله ، أو بقوّة نفسه ، وإنّما بقواه الصّاعدة كالعقل .

ولا قوامه للتعليم والعلم إلاّ بمُعَلِّمٍ ومُتَعَلِّمٍ ، ولا يمكن بأحدهما دون الآخر .

والمعلم الإلهي ، هو: (الثقلان): القرآن الكريم وأهل البيت الأطهار عليهم السلام ، والمتعلّم هو: العقل . فالتفت واغتنم تربت يداك .

[اللغة والقراءة الثّانية : (اللغة والقراءة الذّوقية)]

المنهج المعرفي والعقائدي المختار في التّعامل والتّعاطي مع بيانات الوحي الإلهي الواردة في أبواب المعارف الإلهيّة ؛ والمباحث العقائديّة يشمل أيضاً: اللّغة والقراءة الوجدانيّة الذّوقية المُبدّهة ؛ المُتَكَنّة على دائرة الوجدانيّات الفطريّة البديهيّة ، وهي لاقطة فطريّة أودعتها يد السّماء في دخيلة ذات جملة البشر ، ولها بالغ التأثير في إدراكات الفكر ؛ فتُعطي للفكر

مواد علمية يُترجمها بلغته ؛ كما يفهمها الآخرون .

وإلى هذه اللغة أشارت بيانات الوحي ، منها:

١- بيان قوله تعالى: ﴿فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصْعَدُ فِي السَّمَاءِ كَذَلِكَ يَجْعَلُ اللَّهُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾^(١).

٢- بيان قوله جل ثناؤه: ﴿فَحَقَّ عَلَيْنَا قَوْلُ رَبِّنَا إِنَّا لَذَاتُ حُوزٍ﴾^(٢).

٣- بيان قوله تقدّس ذكره: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ﴾^(٣).

٤- بيان قوله جلّ قدسه: ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا﴾^(٤).

٥- بيان قوله تقدّست أسماؤه: ﴿ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ * وَمَا يُلْقَاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلْقَاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾^(٥).

(١) الأنعام: ١٢٥.

(٢) الصافات: ٣١.

(٣) آل عمران: ١٨٥.

(٤) الفرقان: ٦٣.

(٥) فصّلت: ٣٤-٣٥.

٦- بيان قوله جلّ قوله: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ
عَنِ الْهَوَىٰ * فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَىٰ﴾^(١).

٧- بيان قوله جلّ اسمه: ﴿فَلَوْلَا إِذْ جَاءَهُمْ بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا وَلَكِنْ قَسَتْ
قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾^(٢).

٨- بيان قوله جلّ ذكره: ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ اشْتَرُوا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَىٰ فَمَا
رَبِحَتْ تِجَارَتُهُمْ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ * مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا
حَوْلَهُ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لَا يُبْصِرُونَ * صُمُّ بَكْمٌ عُمِيٌّ فَهُمْ لَا
يُرْجِعُونَ * أَوْ كَصَيْبٍ مِنَ السَّمَاءِ فِيهِ ظُلُمَاتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ يَجْعَلُونَ أَصَابِعَهُمْ
فِي آذَانِهِمْ مِنَ الصَّوَاعِقِ حَذَرَ الْمَوْتِ وَاللَّهُ مُحِيطٌ بِالْكَافِرِينَ * يَكَادُ الْبَرْقُ
يَخْطِفُ أَبْصَارَهُمْ كُلَّمَا أَضَاءَ لَهُمْ مَشَوْا فِيهِ وَإِذَا أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ
وَأَبْصَارِهِمْ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾^(٣).

٩- بيان قوله جلّ ثناؤه: ﴿مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِي وَمَنْ يُضِلِّ
فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ * وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَا
يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَٰئِكَ

(١) النازعات: ٤٠ - ٤١.

(٢) الأنعام: ٤٣.

(٣) البقرة: ١٦ - ٢٠.

كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أَوْلَىٰ لَهُمُ الْغَافِلُونَ ﴿١﴾ .

١٠- بيان قوله جَلَّتْ آلاؤُهُ: ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يُسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾ (٢) .

وغير ذلك من بيانات الوحي الإلهي الوافرة الباهرة ، الدالة على وجود حواس وسمع وقلب وبصر ورادار في دخيلة روح الإنسان (٣) ، تأتيه دائماً

(١) الأعراف: ١٧٨ - ١٧٩ .

(٢) الحج: ٤٦ .

(٣) يجدر صرف النظر في المقام إلى التنبيهات التالية:

الأوّل: الثابت في بيانات الروايات المعرفية: أَنَّ لِكُلِّ إِنْسَانٍ - وهو يعيش في هذه النَّشْأَةِ الْأَرْضِيَّةِ أَوْ غَيْرِهَا - أَبْدَانًا يَعِيشُ بِهَا فِي سَائِرِ الْعَوَالِمِ وَالنَّشْآتِ ، فالآن ونحن نعيش في هذه النَّشْأَةِ الْأَرْضِيَّةِ وَعَالَمِ الدُّنْيَا الْأُولَىٰ لَنَا وَلِوُجُودَاتِنَا وَحَقَائِقِنَا أَبْدَانٌ فِي سَائِرِ الْعَوَالِمِ وَالنَّشْآتِ ، فلنا بدن - الآن - في عَالَمِ الْبَرْزَخِ ، وبدن آخر في عَالَمِ الْقِيَامَةِ ، وبدن ثالث في عَالَمِ الْآخِرَةِ الْأَبَدِيَّةِ - إمَّا موجود في الْجَنَّةِ أَوْ النَّارِ الْأَبَدِيَّتَيْنِ - ، وبدن رابع بعد عَالَمِ الْآخِرَةِ الْأَبَدِيَّةِ ، وهلمَّ جَرًّا ، وهذه الْأَبْدَانُ موجودة الآن في طبقات ذواتنا وحقائقنا ، ولكُلِّ طبقة ما يناسبها من تلك العوالم ، لكن الإنسان - وهو في هذه النَّشْأَةِ الْأَرْضِيَّةِ - وبأفعاله إمَّا يعميها ويُسْخِطُهَا بِالنَّارِ ، أَوْ يُبْصِرُهَا وَيَجْعَلُهَا فِي رَعْدٍ مِنَ الْعَيْشِ .

وهذه لوحة عظيمة أصحرت بها بيانات الوحي المعرفية .

→ **الثاني:** الثَّابِت في بيانات الروايات: أَنَّهُ قد يتعرَّف الإنسان على بدن أو إثنان أو ثلاثة من أبدانه الخفِيَّة ، لكن لا يمكنه التَّعرُّف على جميعها وكُلِّ ما في طبقات ذاته وحقيقته المترامية الأطراف والطَّبقات.

الثالث: أَنَّ كُلَّ قوَّةٍ مِنْ قوَى الإنسان الجوانحيَّة جوهر ، ولكُلِّ واحدةٍ منها حواسُّها الخاصَّة ؛ فلها نطق وسمع وبصر وشامَّة وذائقة ، ولها لغتها الخاصَّة في الحوار والحديث ، ولها لغتها الخاصَّة أيضاً في الإدراك ، تُدرك من خلالها الحقائق والأعيان الخارجِيَّة ، ولها تأثُّر وتأثير.

الرَّابع: المنهاج في الأعمال الجوانحيَّة أَعقد وَأدقُّ وَأَعْظَم من المنهاج في الأعمال الجوارحيَّة ؛ فَإِنَّهُ يحتاج إلى مزيد علم ونور وإيمان وعمل وتدبُّر.

الخامس: أَنَّ حقيقة الإنسان الصَّاعدة بعدما كانت سرّاً خفياً فكيف للشخص التَّحكُّم بمملكة نفسه وهو لا يعرفها. وَمِنْ ثَمَّ أكبر خسارة يخسرها الشَّخص في نفسه إنَّ ظَنَّ أَنَّهُ قد أحاط بنفسه ، وعرف تمام حقيقتها.

السَّادس: أَنَّ الإنسان الكامل هو الَّذي لا تختلف أقاله وَأفعاله من بداية حياته إلى آخرها. وَلَا يَتِمُّ ذَلِكَ إِلَّا في حَقِّ أهل البيت صلوات الله عليهم.

وهذا ما تُشير إليه بيانات الوحي ، منها:

بيان زيارة أمير المؤمنين (صلوات الله عليه) في عيد الغدير: «فَمَا تَنَاقَضتْ أفعالُكَ ، ولا اختلفتْ أقوالُكَ ، وَلَا تَقَلَّبتْ أحوالُكَ...». بحار الأنوار ، ٩٧ : ٣٦٢.

السَّابع: أَنَّهُ ليس للمخلوق المكنة والقُدرة على تدوُّق وإبصار عالم المجرَّدات إِلَّا بعد تخلُّصه من سجن الوهم والخيال ؛ وذلك من خلال تنشيط قواه الإدراكيَّة الَّتِي هي فوق عالم الوهم والخيال.

→ الثامن: أنّ التجرّد - سواء أكان في العالم الجسماني أو المادّي أو الرّوحي ، أو كان وراء هذه العوالم - على أنواعٍ وأقسام. ومِن ثمَّ ينبغي للباحث أن لا يغفل عن أقسام التّجرّد والتّجريد.

التّاسع: أنّه كثيراً ما يُذكر عنوان (التّجرّد) و(التّجريد) في بيانات الوحي والبحوث المعرفيّة البشريّة - كالفلسفيّة والكلاميّة - ويُراد به التّجرّد والتّجريد النسبي - أي: عن جسم أو مادّة خاصّة - دون التّجرّد والتّجريد التّام عن مُطلق الجسميّة والمادّة.

العاشر: كلّما ازداد المخلوق لطافةً كلّما ازدادت نسبة قُربه إلى ما دونه ؛ وازدادت هيمنته عليه ؛ وازداد نفوذه فيه ، وأصبحت سوائيّة ما دونه وجملة أجزائه وأحواله وشرائره لديه واحدة.

الحادي عشر: كلّما تكامل الإنسان كلّما كانت الإبتلاءات والفتن والإمتحانات المُوجّهة إليه من ساحة القدس الإلهيّة والعوالم الصّاعدة أمرّ وأدهى وأعظم خطراً ؛ يحتاج لتجاوزها إلى تواضع وخضوع للسّاحة الإلهيّة أشدّ وأعظم.

نظيره: إمتحانات مراحل الدّراسة الأكاديميّة ؛ فإنّه كلّما ترقّى طالبها وطوى مراحلها كلّما اشتدت المادّة الإمتحائيّة دقّة وصعوبة.

فيحتاج لتجاوزها إلى تواضع وخضوع لسّاحة القدس الإلهيّة أشدّ وأعظم.

ومنه يتّضح: نكتة وفلسفة كون سيّد الأنبياء ﷺ أعبد جملة المخلوقات ؛ لأنّ ما يتمتّع به ﷺ من مقامات مهولة وجبارة والتي لم ولن يتمتّع بها مخلوق قطّ تحتاج إلى ما يناسبها من تواضع وخضوع وعبوديّة للباري - المُسمّى - (تقدّست أسماؤه) ، والعبودية هي التّوحيد ، والتّوسّل هو: أعذب طرقها وأشرف أذكراها.

الثاني عشر: أنّ هناك فارقاً مهمّاً بين الإنسان والملك ، حاصله: أنّ الإنسان يُكابِد امتحانات واختبارات وابتلاءات تولّد له تكامل أعظم من تكامل الملك.

→ الثالث عشر: أن ما ورد في بيان سيّد الأنبياء ﷺ: «... ولا يكون المؤمن عاقلاً حتّى تجتمع فيه عشر خصال: ... يستكثر قليل الخير من غيره ، ويستقل كثير الخير من نفسه...» - بحار الأنوار ، ١: ١٠٨/ح ٤ - برهان وحيانيّ دال على منهج تفكير ، وموازنة منهجيّة في رسم الرّؤية وطريق المسؤوليّة ؛ كيما لا يأخذه الغرور والعجب والإعجاب بنفسه ، فإنّها أمراض معيقة من أداء تكامل المسؤوليّة ، وتكامل الأداء وتطويره ، فإنّ المؤمن أحياناً لا يقف عن المساهمة والعمل ، لكن تقف عجلة تطوره وتكامله فأصل الحركة وازديادها ونُمُوها وسرعتها شيء ، والعجلة الموصلة للهدف شيء آخر ، والمطلوب في المشروع الإلهي وخريطة المسؤوليّة الإلهيّة ليس دوام المسير فحسب ، بل وبوجود عجلة التنامي ، فالقضيّة ليست قضيّة كثرة جهد بقدر ما هي كثرة: وعي ، ونفوذ ، وبصيرة ، وهذا ما تشير إليه بيانات الوحي الأخرى ، منها:

بيان الإمام الصادق عليه السلام: «مَنْ استوى يومه فهو مغبون ، ومن كان آخر يومه شرهما فهو ملعون ، ومن لم يعرف الزيادة في نفسه كان إلى النقصان أقرب ، ومن كان إلى النقصان أقرب فالموت خير له من الحياة». بحار الأنوار ، ٦٨: ١٧٣/ح ٥ .
أمالي الصدوق: ٣٩٦ . معاني الأخبار: ٣٤٢ .

فقوله صلوات الله عليه: «مَنْ استوى يوماه» لا يختصّ بالإنجاز فحسب ، بل ويشمل معرفة نظريّة التنظير ؛ ومعرفة التّطبيق .

وبالجملة: قد تكون لدى المؤمن حركة ونشاط في اليوم ، لكن قد لا توجد لديه عجلة ونمو .

إذن: لا بدّ من وجود عجلة للمؤمن توصله للهدف ؛ كيما يتحقّق لديه مُعدّل تنامي في تحمّل الوعي والمسؤوليّة ، وإلّا فلن تكون لديه حالة إسهام مصيري في المشروع الإلهي .

ومنه تتضح: أحوال أصحاب أهل البيت صلوات الله عليهم ، فمع أنّ جميعهم جنود مجنّدة وأعوان واتباع لأهل البيت عليهم السلام ، لكن بينهم تفاوت في الرّقي ، وذلك ←

→ في كَيْفِيَّةِ الإِسْهَامِ ؛ فِلسَمانِ الفارسي - مثلاً - لم يصل إلى صحبِ سعد بن معاذ ، فإنَّ لسعدٍ دوره العسكري والأمني المهمَّ ، لكن لسلمان دور آخر خفيٍّ وأخطر ، وهو في جانب العلم ، وبرمجةٍ ويقظةٍ البصيرة والفطنة والنباهة وعدم الإنخداع ، ومعرفة منظومة المسار.

وعلى هذا قس حال المقداد ، فإنَّ الثَّابِت في بيانات الروايات الواردة في حقِّه: أنَّ صلابته أشدُّ وأقوى وأكمل من صلابة سلمان ، وهذه ميزة لا يمكن التَّفْرِيط بها.

وهكذا حال أبو ذر ؛ فإنَّ الثَّابِت في بيانات الروايات: أنَّه صاحب تدبُّر وقوَّة فكريَّة تفوق ما يمتاز به سلمان والمقداد ، وهذه ميزة لا يمكن التَّفْرِيط بها أيضاً.

وبالجملة: كأنَّ مجموع هذه البيانات الوحيانيَّة تريد أن تقول: إنَّ أردتُم الصَّلابَةَ فقدوتكم ليس سلمان ولا أبا ذر ، بل المقداد ؛ فإنَّه الأَعْظَم في هذا المجال ، وإنَّ أردتُم تفعيل القوَّة الفكريَّة والتدبُّر فقدوتكم ليس سلمان ولا المقداد ، بل أبو ذر ؛ فإنَّه الأَعْظَم في هذا المجال ، وإنَّ أردتُم جانب العلم وبرمجةٍ ويقظةٍ البصيرة والفطنة والنباهة وعدم الإنخداع ؛ ومعرفة منظومة المسار فقدوتكم ليس المقداد ولا أبا ذر ، بل سلمان ؛ فإنَّه الأَعْظَم في هذا المجال. وحيث إنَّ نوعيَّة هذه الخِصِيصَة والميزة هي الأَعْظَم كان سلمان مُتَقَدِّم على المقداد وأبي ذر وسائر الصحابة ، لكن تقدُّمه هذا لا يعني أنَّه كلُّ شيءٍ ، بل هناك أدوار وأوسمة ومناصب أخرى.

وعليه: فَمَنْ أراد التَّكامل وتربيَّة نفسه في مجالٍ فعليه أن يعرف بـ: مَنْ ، وكيف ، وفي أيِّ مجالٍ يقتدي ، وهذه عِبْرَةٌ عظيمة ، وَمِنْ ثَمَّ على المؤمن في باب: (يقظة البصيرة والفطنة والنباهة وعدم الإنخداع) أن يكون قدوته سلمان ، وفي صلابة الإيِّان أن يكون قدوته المقداد ، وفي باب دوام انتاج الفكر لآليات المسير أن يكون قدوته أبا ذر.

نداءات ورسائل في حالة اليقظة والنام ، فمن لم يصنع إليها فهو أصم أبكم ، لا يبصر ولا يعقل .

هذا هو العلم الذوقي ، قد فتحته يد السماء لجملة البشر ، بل لطرّ المخلوقات . ولغته لغة ذوقية تعود إلى الوجدان ، وهو يرجع إلى البديهيّات ؛ التي هي وحي إلهي مغروز في ذات الإنسان ؛ المشار إليه في بيانات الوحي ، منها:

بيان قوله جلّ وعلا: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقِيمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (١) (٢).

→ وهذا باب مُتعدّد ومفتوح وواسع ، لا يختصّ بالبناء الفردي ، بل يشمل بناء المشروع وكيفية تناميه .

(١) الروم: ٣٠ .

(٢) ينبغي الالتفات: أنّه تُعبّر بيانات القرآن الكريم أحياناً - كهذا البيان الشّريف - عن العلم الذوقي بـ: (الفطرة) ؛ وذلك إنّ تعلّق - العلم الذوقي - بالبديهيّات .

إذن: الفطرة عبارة عن دائرة البديهيّات في العلم الذوقي .

وقد يُعبّر عن العلم الذوقي بـ: (المشاهدات) و (المكاشفات) و (العلم العياني) ؛ وذلك إنّ تعلّق - العلم الذوقي - بنظريّات بديهيّة ، ومن ثمّ - العلم الذوقي - ليس هو عين الشيء ، وإنّما - هو - تجلّيات عينيه تُدرّكها ذات الإنسان وروحه عياناً .

ودلالته واضحة ؛ فإنَّه جيء باسم الإشارة للبعيد مع قرب المشار إليه ؛
وذلك للدلالة على علو مقام الفطرة ، وهي : دين الله القيم ، المحتوية على
أصول وأسس الدين : القرآن الكريم والسنة الشريفة ، عُرِزت في دخيلة ذات
الإنسان ، ومن ثمَّ أحد أسماء القرآن الكريم : أنه (ذكر).

فانظر : بيانات الوحي ، منها :

بيان قوله عزَّ اسمه : ﴿ وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ وَمَا يَنْبَغِي لَهُ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ
وَقُرْآنٌ مُّبِينٌ ﴾ (١).

والذكر والتذكُّر : علم روحي ، قلبي ، وجداني .

ومعناه : أن العلم البالغ والكامل هو : العلم الحضوري دون الحسولي .
خلافاً لما سار عليه الفلاسفة والمناطقة ؛ فإنَّهم قَصَرُوا العلم على
الحسولي .

نعم ، العلم الحسولي مُقَدِّمة ومُعِد للعلم الحضوري .

وكثير من الأفكار التي تنقذ في دخيلة ذات الإنسان على مدار

→ وبالجملته : أن لدى الإنسان آليات إدراك وآليات ومراتب للعلم مُتعدِّدة نمط منها
يُسَمَّى : (ذوق) ، ونمط آخر يُسَمَّى : (خيال) ، ونمط ثالث يُسَمَّى : (وهم) ، ونمط
رابع يُسَمَّى : (حس) ، وهلمَّ جرّاً .

السَّاعَة^(١) ليست حقيقتها فكرة ، بل صوت أو رؤية بصرية روحية .

(١) ينبغي الالتفات في المقام إلى الأمور التالية:

الأول: أنه يمكن للإنسان وهو في هذه النشأة الدنيوية الأرضية وحال يقظته تفعيل سمعه وسائر حواسه الخمس البرزخية ، نعم ، عندما ينام تُفَعَّل تلك الحواس لديه تلقائياً .

بل يمكن للإنسان في بعض أنواع نومه ودرجاته تفعيل حواس بدنه الأخروي ؛ وهو جسم لطيف ألطف من الجسم البرزخي ، فإن كان الشخص من أهل الصَّلاح رأى وشَمَّ ولمس وسمع وتذوَّق نعيم الجنة الأبدية وما يجري فيها . وإن كان من أهل الشقاء رأى وشَمَّ ولمس وسمع وتذوَّق جحيم النار الأبدية وما يجري فيها من لسعات النيران وغيرها .

الثاني: أن النوم كنز ، واليقظة من النوم كنز آخر ، والذهاب من اليقظة إلى النوم كنز ثالث من المعارف ، لكن لمن كانت له روح قوية .

وهذا ما تُشير إليه بيانات الوحي ، منها:

١- بيان سيد الأنبياء ﷺ: «... لتموتن كما تنامون ، ولتبعثن كما تستيقظون ...» . بحار الأنوار ، ٧: ٤٧ / ح ٣١ . مناقب آل أبي طالب ، ١: ٤٠ - ٤٤ .

٢- بيان الإمام الباقر عليه السلام ، قال: «كان فيما وعظ به لقمان عليه السلام ابنه أن قال: يا بُني ، إن تك في شك من الموت فارفع عن نفسك النوم ولن تستطيع ذلك ، وإن كنت في شك من البعث فارفع عن نفسك الإنباه ولن تستطيع ذلك ، فإنك إذا فكرت في هذا علمت أن نفسك بيد غيرك ، وإنما النوم بمنزلة الموت ، وإنما اليقظة بعد النوم بمنزلة البعث بعد الموت» . بحار الأنوار ، ٧: ٤٢ / ح ١٣ .

وهذه ليست نبوة ولا إمامة ولا سفارة ، وإنما طبيعة الإنسان: مخلوق ملكوتي ، يتمتع بشبكات وتشجيرات أخطبوطية مرتبطة بالملكوت^(١) ، تأتي من خلالها النداءات.

فلاحظ: بيانات الوحي ، منها:

بيان سيّد الأنبياء ﷺ المشير لإحداها ، عن أمير المؤمنين عليه السلام ، قال: «سُئِلَ مِمَّا خَلَقَ اللَّهُ ﷻ الْعَقْلَ ، قَالَ: خَلَقَهُ مَلَكٌ ، لَهُ رُؤُوسٌ بَعْدَ الْخَلَائِقِ ، مَنْ خُلِقَ ، وَمَنْ يُخْلَقُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ، وَلِكُلِّ رَأْسٍ وَجْهٌ ، وَلِكُلِّ آدَمِيٍّ رَأْسٌ مِنْ رُؤُوسِ الْعَقْلِ ، وَاسْمُ ذَلِكَ الْإِنْسَانِ عَلَى وَجْهِ ذَلِكَ الرَّأْسِ مَكْتُوبٌ ، وَعَلَى كُلِّ وَجْهِ سِتْرٌ مُلْقَى ، لَا يُكْشَفُ ذَلِكَ السِّتْرُ مِنْ ذَلِكَ الْوَجْهِ حَتَّى يُوَلَدَ هَذَا الْمَوْلُودُ ، وَيَبْلُغَ حَدَّ الرَّجَالِ ، أَوْ حَدَّ النِّسَاءِ ، فَإِذَا بَلَغَ كَشَفَ ذَلِكَ السِّتْرَ ، فَيَقَعُ فِي قَلْبِ هَذَا الْإِنْسَانِ نُورٌ ، فَيَفْهَمُ الْفَرِيضَةَ وَالسُّنَّةَ ، وَالْجَيِّدَ وَالرَّدِيَّ ، أَلَا

→ الثالث: أنه بحسب ما يُستفاد من بيانات الوحي: أَنَّ الْإِنْسَانَ حِينَهَا يَسْتَعْرِقُ فِي النَّوْمِ يَطْوِي الْكَوَاكِبَ وَالْمَجْرَّاتِ لِيَصِلَ إِلَى السَّمَاءِ الْأُولَى ، بِلِ الْثَّانِيَةِ وَالثَّلَاثَةِ ، بِلِ السَّابِعَةِ ، وَهَذَا يَتَمُّ بِحَسَبِ طَبَقَاتِ الْأَرْوَاحِ وَقُوَّتِهَا وَنُورَانِيَّتِهَا وَتَلَاؤُهَا ، بِلِ بَعْضِ الْأَرْوَاحِ - سَوَاءً أَكَانَتْ صَالِحَةً أَوْ طَالِحَةً - تَرَى الْجَنَّةَ الْأَبَدِيَّةَ ، بِلِ وَالنَّارِ الْأَبَدِيَّةَ حَقِيقَةً.

(١) عالم الملكوت مخلوق من مخلوقات عالم الآخرة الأبديّة.

والسير والنظر فيه وسماعه ، ورؤية جهنم جميعها وظائف عروج مطلوبة من بني البشر وهم في دار الدنيا ، وَمَنْ لَمْ يُحَقِّقْ ذَلِكَ فَهُوَ مُقَصَّرٌ وَمَشْغُولٌ بِالْمَشَاغِبَاتِ الشَّيْطَانِيَّةِ النَّازِلَةِ.

ومثل العقل في القلب كمثلي السراج في وسط البيت»^(١).

ودلالته واضحة ، بعد الالتفات: أن المراد من (القلب)^(٢) في المقام

(١) بحار الأنوار ، ١ : ٩٩ / ح ١٤ .

(٢) لا بأس في المقام بالالتفات إلى الأمور التالية:

الأول: يُطلق عنوان ولفظ: (القلب) في بيانات الوحي وعلوم المعارف على معانٍ وحقائق مُتعدِّدة ، فيُطلق تارة على العضو الصنوبري ، ويُطلق أُخرى على الرُّوح ، ويُطلق ثالثة على مراتب الرُّوح العُليا - مُقابل الغرائز في الأرواح والنُّفوس النَّازلة ، أي: يُطلق على مرتبة من مراتب الرُّوح فوق العقل النَّظري - ، ويُطلق رابعة على طبقات أعلى في الرُّوح ، وهي: بدايات العقل العملي ، ويُطلق خامسة على العقل العملي ، ويُطلق سادسة على طبقات الرُّوح الصَّاعدة ، فوق العقل العملي .

وبعبارة أُخرى: المراد من عنوان ولفظ (القلب) الوارد في بيانات الوحي وإطلاقات أصحاب المعارف غالباً ليس العضو الصنوبري المادِّي المعهود ، بل الرُّوح ، وحيث إنَّها على مراتب وطبقات فيكون هذا الاستعمال على مراتب وطبقات أيضاً .

وإذا أُطلق - هذا العنوان - على العضو الصنوبري المادِّي المعهود ، فباعتبار أنَّه آلة لتلك الحقيقة .

وبعبارة ثالثة: أن المراد من عنوان: (القلب) أو (السِّر) أو (الخفي) أو (الأخفي) الواردة في بيانات الوحي المعرفية: طبقات أعماق ذات وحقيقة الإنسان الصَّاعدة ، وهي مراتب من أعالي طبقات الرُّوح والعقل العملي بتعبير بيانات الوحي المعرفية .

وَسُمِّيَتِ الرُّوح والنَّفْس بـ: (القلب) ؛ وذلك لتقلُّب أحوالها .

→ ثم إنَّ جميع مُسمَّيات هذه الإطلاقات أجسامٌ ، ولها حواسها - كما صرَّحت بذلك
بيانات الوحي ، فيكون مُسمَّى القلب على كافَّة هذه الإطلاقات جسم وله عين
وسمع وسائر الحواس .

بعد الإلتفات: أنَّ الحواس بلحاظ ما فوقها تُسمَّى: (حواس) ، وبلحاظ ما دونها
تُسمَّى: (قلب) أو (بصر).

الثاني: أنَّ ما ورد في بيان الحديث القدسي: «لم يسعني سمائي ولا أرضي ، ووسعني
قلب عبدي المؤمن» . - بحار الأنوار ، ٥٥ : ٣٩ - برهانٌ وحيانيٌّ دالٌّ على أنَّ قلب
المؤمن وباطنه عالمٌ عظيم ومهول جدًّا ، أوسع من السَّماوات والأرضين ، وله
قابليَّات وقوى وطاقات مهولة جدًّا تصل إلى أعماق خطيرة جدًّا لتدرك آيات الله
الكبرى.

الثالث: أنَّ أخطر ما في الأعمال البدنيَّة أنَّها تُهيء الأرضيَّة ؛ فإنَّ كانت تلك الأعمال
صالحة هيأت أرضيَّة البناء الرُّوحي القلبي ، وإنَّ كانت طالحة هيأت عدم القابليَّة
الرُّوحيَّة والقلبيَّة.

الرابع: أنَّ القلب - بإطلاقاته المتقدِّمة - إذا ران فليس له دواء.

الخامس: حصل في العلم الحديث اكتشاف مذهل يرتبط بالقلب الصنوبري ،
حاصله: أنَّ في القلب الصنوبري خلايا أعصاب أضعاف ما في المخ .

والمراد من (الأعصاب) في اللغة الحديثة: أرواح وطاقات غير مرئيَّة مرتبطة بالروح
، ومن ثمَّ لا يُسمح في العلم الحديث لمن أراد التخصُّص في علم الأعصاب إلاَّ أن
يخوض في البعد الفلسفي للروح ، لأنَّه ليس في الأعصاب بُعداً بيولوجياً وكميائياً
فحسب ، وكذا ليس فيها بُعداً فسيولوجياً فقط ، بل كلاهما معاً . ومن ثمَّ من
يلتفت إلى هذا المبحث فسيلتفت إلى بحوث علميَّة ومعرفيَّة وروحيَّة كثيرة جدًّا ، ←

الوارد في بيانه صلى الله عليه وآله: «ومثل العقل في القلب»: الروح^(١) ، فيكون المعنى:

→ منها: ما يرتبط بالسحر ، وما يرتبط بالتجرد والمشى على الماء ، أو على الهواء ، وما يرتبط بملكوتيات عجيبة وغريبة.

وهذه بحوث علمية ومعرفية وروحية ضرورية يُردُّ من خلالها على مُدَّعيات الوهابية والسلفية ومن جرى على شاكلتهم كالحداثيين والماديين ، منها: قولهم: إنَّه كيف يقف الإنسان أمام قبر وحجر وتراب ويتأثر وينتفع به ، إنَّ هذا لشيء عجاب؟! !

والجواب: قد اتضح ؛ فإنَّه كيف لا يتأثر وكيانه وبدنه مزدحم ومليء بالأعصاب ، وهي منصات موج وبث حي غير مرئي على الروح ، وطاعة الإنسان ومعصيته وما يسمعه وما يتكلَّم به كلُّ ذلك وغيره يؤثّر على روحه وقلبه وبدنه ، ويؤثّر المرض والصحة والشفاء والعافية والحب والبغض والنقمة. وهذا مُقرَّر في العلوم الحديثة.

إذن: هناك ارتباط وطيد ووثيق - عبر الأرواح ، أي: الأعصاب غير المرئية - بين القلب الصنوبري صاحب المادة الغليظة ، وبين القلب المُجرَّد عن المادة الغليظة ، وهو يُطلق على طبقات مُتعدِّدة في الروح.

(١) يجدر الالتفات في المقام إلى القضايا التالية:

الأولى: أنَّ عنوان (الروح) يُطلق في بيانات الوحي وكتابات البشر المعرفية تارة على المخلوقات والوجودات النورية المجردة عن الجسمية ، وأخرى على الأجسام اللطيفة ؛ فالجسم اللطيف بالقياس إلى الأغلظ منه يُقال له: (روح) ، ومن ثمَّ يُطلق عنوان (الروح) على الملائكة والجن ، بل وعلى الشياطين ، فيقال لها: (أرواح شريرة) ، والمقصود: أنَّها أجسام لطيفة وغير مرئية وشفافة بالقياس إلى الأغلظ منها ، ومن ثمَّ يتمكَّن صاحب الجسم اللطيف - وعلى حسب القاعدة - النفوذ ←

→ والتلبس والسيطرة والتصرف في الجسم الأغلظ ؛ كتصرف الروح في الجسد مع أن كلاً منهما جسم لكن الروح أطف وأشف من الجسد.

الثانية: أن المراد من العالم الروحي الوارد في بيانات الوحي: جسم لطيف. ويُعبّر عنه في بيانات الوحي الأخرى بـ: (النور) ؛ لكون الطبقات النازلة تراه مجرداً مجرداً تماماً ، وأفعاله دفعية (كُنْ فَيَكُون).

الثالثة: أن كل طبقات الروح عبارة عن أجسام مُتصاعدة في اللطافة.

الرابعة: أن لذات وحقيقة الإنسان طبقات من الأجسام والأرواح ، ولكل قوة في هذه الطبقات روح ، فلقوة الحس - مثلاً - روح حسية غير مرئية.

الخامسة: الثابت في بيانات روايات أهل البيت صلوات الله عليهم: أنه توجد أرواح - يعني: أجسام لطيفة - فوق عالم العقل.

السادسة: أن للإنسان أرواحاً متعددة ، والروح الصاعدة تتصرف في الروح النازلة ، والنازلة تتصرف في البدن.

السابعة: أن الأرواح - سواء أكانت في قوس النزول أو في قوس الصعود - لا بُدَّ أن تتعلّق بالأجسام ، ومن ثمّ يُمكن فرض ارتباط الروح العقلية فضلاً عن الروح في درجاتها النازلة بالمادة الجسمانية قبل عالم الأرحام ، بل وقبل عالم الأصلاب.

الثامنة: أن الطبقات العليا من الروح مجردة عن الزمان والمكان.

التاسعة: أن الأرواح كلّها هبطت وانتقلت من عالم علويّ إلى عالم سُفليّ كلّما تكثرت ، وكلّما تصاعدت كلّما تجمّعت واندججت.

العاشر: الثابت في بيانات الوحي: أن للإنسان قبل نشأة عالم الدنيا - إضافة لنشأته الروحية - نشآت جسمانية ظلّية نورية ، ومن تلك الأجسام: جسم عالم الدرّ ، وجسم عالم النور.

→ الحادية عشرة: أَنَّ الخلل الحاصل في طبقات حقيقة المخلوق العليا تُسبب تلقائياً زيغ وزلل وانحراف وتردّي في طبقات حقيقته النَّازلة ، شعر بذلك المخلوق أم لا .
 الثانية عشرة: هناك نكتة مُهمّة يجب الالتفات إليها ، حاصلها: أَنَّ طبيعة قوى الإنسان الإدراكيّة من حسّ وخيالٍ ووهمٍ وعقلٍ إذا أرادت إدراك شيءٍ فتدركه من موقع استشراف وإشراف وعلو ، هذه هي طبيعة الإدراك ؛ فإنّها تقتضي تلقائياً هذه الرتبة والنسبة. وهذا ما يُشير إليه بيان القاعدة المعرفيّة الوحيانيّة العقلية ، الواردة في بيانات الوحي ، وهي: «مَنْ وصف شيئاً بكنهه كان أعظم من الموصوف» ، وهي تنحل إلى قاعدتين:
 الأولى: (مَنْ وصف شيئاً بكنهه فقد أحاط به).

الثانية: (مَنْ أحاط بشيءٍ كان أعظم منه).

وهذه قاعدة عقلية جزلة وبديهية غفل عنها أصحاب المدارس البشرية ، منهم فلاسفة الشيعة .

الثالثة عشرة: أنّه مع كثرة طبقات الرُّوح ، وعظم التّفاوت بين تلك الطبقات ومع كلّ هذا لا تخرج الرُّوح عن دائرة عالم الأجسام اللطيفة والمجرّدة تجرّداً نسبياً ، فالرُّوح جسم ، لكنّه لطيف .

وهذا ما أشارت إليه بيانات الوحي ، بل صرّح بعضها الآخر ، فانظر:

١- بيان الإمام الباقر عليه السلام: «... إِنَّ الرُّوح مُتَحَرِّكٌ كالرَّيح ، وَإِنَّمَا سُمِّيَ رُوحاً ؛ لِأَنَّهُ اشْتَقَّ اسْمَهُ مِنَ الرَّيحِ ، وَإِنَّمَا أَخْرَجَهُ عَلَى لَفْظَةِ الرُّوحِ ؛ لِأَنَّ الرُّوحَ مُجَانِسٌ لِلرَّيحِ ...». بحار الأنوار ، ١٤: ١١ - ١٢ / ح ٣.

٢- بيان الإمام الصادق عليه السلام: «... والرُّوح جسم رقيق قد ألبس قالباً كثيفاً ...». بحار الأنوار ، ٦: ١٦ / ح ٨. الاحتجاج ، ٢: ٩٦.

→ ودلالاتها واضحة.

ثُمَّ إِنَّ مِنْ خَوَاصِّ اللَّطِيفِ - وَإِنْ كَانَ مِنْ عَوَالِمِ الْمَخْلُوقَاتِ وَالْأَجْسَامِ -: أَنَّهُ دَاخِلٌ فِي جَمِيعِ شَرَائِرِ وَجَزَائِيَّاتِ وَذَرَّاتِ الْأَغْلَظِ ؛ وَمَهِيْمِنٌ عَلَيْهَا لَكِنْ لَا بِالْمَازِجَةِ وَالْمَزَاوِلَةِ ، وَخَارِجٌ عَنْهَا لَكِنْ لَا بِالْمَفَارِقَةِ وَالْمَزَايِلَةِ ، فَتَكُونُ جَمَلَةَ الْمَخْلُوقَاتِ الْأَغْلَظِ حَاضِرَةً لَدَيْهِ فِي كَيْنُونَةٍ جُغْرَافِيَّةٍ وَاحِدَةٍ . وَعَلَيْهِ : تَكُونُ طَبَقَاتُ الرُّوحِ وَالْأَجْسَامِ النَّازِلَةِ حَاضِرَةً بِحَضُورٍ وَاحِدٍ ؛ وَلَا تَفَاوُتُ بَيْنَهَا ؛ وَفِي كَيْنُونَةٍ جُغْرَافِيَّةٍ وَاحِدَةٍ عِنْدَ طَبَقَاتِ الرُّوحِ وَالْأَجْسَامِ اللَّطِيفَةِ الصَّاعِدَةِ ، وَمَهِيْمِنَةٌ عَلَيْهَا هِيْمِنَةُ اللَّطِيفِ عَلَى الْأَغْلَظِ .

الرَّابِعَةُ عَشْرَةَ: أَنَّ لِكُلِّ إِنْسَانٍ مَفَاتِيحَ خَاصَّةً بِرُوحِهِ ، بَلْ أَرْوَاحِهِ ، وَلَيْسَ بِالضَّرُورَةِ انطِبَاقُهَا مَعَ أَرْوَاحِ الْآخَرِينَ ، فَلِكُلِّ رُوحٍ اسْمٌ مُسْتَعْمَلٌ وَرَقْمٌ سَرِّيٌّ إِذَا عَرَفَهُ الْإِنْسَانُ تَمَكَّنَ بِأَسْرَعٍ وَقَبْلَ بُلُوغِ الْمَعَالِي الْمَلَكُوتِيَّةِ ، وَالْمُشْكَلَةُ تَكْمُنُ فِي عَدَمِ اكْتِشَافِ الْإِنْسَانِ لِهَذَا الْاسْمِ الْمُسْتَعْمَلِ وَالرَّقْمِ السَّرِّيِّ .

وهذا ما تشير إليه بيانات الوحي ، منها:

بيان قوله تعالى: ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَاهَا وَلَكِنْ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾ [السجدة: ١٣].

الخامسة عشرة: أَنَّ لِلْعَقْلِ الْعَمَلِيِّ وَالْقَلْبِ وَالسَّرِّ وَالْخَفِيِّ الْأَخْفَى مِيدَانًا ، وَهُوَ عَالَمُ النَّفْسِ وَالرُّوحِ ، وَهَذِهِ مَوْجُودَاتٌ حَيَّةٌ وَشَاعِرَةٌ ، فَلَهَا حَيَاةٌ وَشُعُورٌ ، وَحَرَكَةٌ وَحَيَوِيَّةٌ فِي عَالَمِ النَّفْسِ وَالرُّوحِ ، بَلْ حَيَاتُهَا أَشَدُّ مِنْ دُونَ قِيَاسِ مِنْ حَيَاةِ الْحَيَوَانَ ، وَعَمَلُهَا لَيْسَ بِالْبَهِيمِيِّ كَعَمَلِ الْجَوَارِحِ ، وَإِنَّمَا عِلْمِيٌّ مَعْجُونٌ بِالْإِدْرَاكِ وَالنُّورِ وَالبصيرة والشُّعُورِ وَالهَوَاجِسِ ، نَعَمْ ، لِأَبَدٍ فِي الْمَقَامِ مِنْ مَوَاكِبَةِ الْأَعْمَالِ الرُّوحِيَّةِ ←

→ والجوانحية للأعمال البدنية والجوارحية ؛ فإنَّ أعمال هذه الطبقات نوع تربية وترويض للنفس والرُّوح والبدن.

السَّادسة عشرة: أنَّ ما يأتي به العبد من أعمال عبادية - ك: الولاية ، والصَّلاة والنَّوافل ، والوضوء والأغسال ، وسائر العبادات وأعمال الخير - أمورٌ عظيمةٌ ، ورياضات تربوية للنفس والرُّوح نفيسة وخطيرة ومهولة جدًّا ، تُعطي النفس والرُّوح جرعة وطاقه روحية عظيمة وقوية جدًّا ، وتنشئ في فاعلها موجودات جوهرية وصور نورية ملكوتية ومثالية.

ومنه تتَّضح: نكتة تأدِّي المبتلى بالصَّرع والسَّحر ومَن مسَّته أو تلبَّست به الموجودات الشريرة - كالشَّياطين - من وضوئه واغتساله الشرعي وسائر عبادته ؛ لأنَّه يحصل بركة هذه العبادات موجودات نورية تنفذ في أعماق المتعبَّد تقوم بزحزحة تلك الموجودات الشريرة وإزعاؤها.

السَّابعة عشرة: أنَّ للرُّوح حركةً وسيراً شفافاً وطاقياً مهولاً جدًّا ، تطوى من خلاله مسافات مهولة وعظيمة جدًّا.

فمثلاً: من التفت إلى أحد المعصومين عليه السلام فذاك نحو تفكُّر وخاطرة فكرية يحصل من خلالها نوع إرتباط وشعاع روحي بينه وبين ذلك المعصوم عليه السلام ، فإذا اشتدَّ صار سيراً روحياً.

وكذا من التفت إلى عالم الآخرة والجنَّة الأبدية والخور العين أو جهنم أو البرزخ أو أحد الأموات فسيحصل من خلال هذه الالتفاتة شعاع وحالة إرتباط روحي ، فإذا اشتدَّ صار سيراً روحياً.

وبالجملة: للرُّوح أعمال عجيبة وغريبة وعظيمة ومهولة كثيرة جدًّا ؛ بعدما كانت عالماً باقياً وليس بمندرش.

→ الثامنة عشرة: أن عمى البصيرة الوارد في بيانات الوحي - منها: بيان قوله عزّ قوله: ﴿وَمَنْ كَانَ فِي هَذِهِ أَعْمَىٰ فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ أَعْمَىٰ وَأَضَلَّ سَبِيلًا﴾ [الإسراء: ٧٢] - عذاب مورق وضاج مضجع فطرة المخلوق ؛ لأنّ فطرة كلّ مخلوق مشتاقة ومُشَدَّة إلى فسحة النور الأزلي ، فإذا حُبست عاشت الظنك والضيق والظلمة ، وكانت عليها أشدّ إيلاماً وعذاباً من نار جهنم الأبديّة ، وهذا ما تُشير إليه بيانات الوحي الأخرى ، منها:

بيان دعاء كميل لأمير المؤمنين عليه السلام: «... فَهَبْنِي يَا إِلَهِي وَسَيِّدِي صَبْرْتُ عَلَىٰ عَذَابِكَ ، فَكَيْفَ أَصْبِرُ عَلَىٰ فِرَاقِكَ؟ وَهَبْنِي صَبْرْتُ عَلَىٰ حَرِّ نَارِكَ فَكَيْفَ أَصْبِرُ عَنِ النَّظَرِ إِلَىٰ كَرَامَتِكَ...». بحار الأنوار ، ٦٧: ١٩٦.

ومعناه: أن النّار المعنويّة والمعرفيّة التي تطلع على الأفئدة أخطر من دون قياس من آلام جملة الآلام البدنيّة ، كآلام نار الآخرة الأبديّة.

وبالجملة: الظلمة في الرّوح إخماد نفس في عقر ذات المخلوق خطير جدّاً.

التاسعة عشرة: أن أوّل ما يموت الميت يُعرج بروحه إلى السّموات ، بل وإلى الجنان إن كان مؤمناً ، وإلّا فإلى الجحيم ، وهذا العروج أبهى وأزهى للمؤمن من جنان عالم البرزخ ، وأمرٌ وأخطر وأدهى لغير المؤمن من نيران عالم البرزخ.

ثمّ إنّ هذا العروج من سماء لأخرى لا يتمّ إلّا عبر أبواب ، وهي: حُجج الله ، رأس هرمها طبقات حقائق أهل البيت عليهم السلام لاسيما الصّاعدة.

وهذا ما تُشير إليه بيانات الوحي ، منها:

١- بيان قوله عزّ من قائل: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا لَا تَفْتَحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلْجِ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ﴾ [الأعراف: ٤٠].

٢- بيان سيّد الأنبياء عليه السلام: «... أَوْ لَا أَنْبِئُكُمْ بِأَسْوَأَ حَالًا مِنْ هَذَا؟ قَالُوا: بَلَىٰ يَا رَسُولَ اللَّهِ ، قَالَ: رَجُلٌ حَضَرَ الْجِهَادَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَقُتِلَ مُقْتَبِلًا غَيْرَ مُدْبِرٍ وَالْحُورُ ←

→ العين يَطْلَعْنَ إِلَيْهِ ، وَخَزَّانَ الْجَنَانِ يَتَطَلَّعُونَ وَرُودَ رُوحِهِ عَلَيْهِمْ ، وَأَمْلَاكَ الْأَرْضِ يَتَطَلَّعُونَ نَزُولَ حُورِ الْعَيْنِ إِلَيْهِ ، وَالْمَلَائِكَةَ وَخَزَّانَ الْجَنَانِ فَلَا يَأْتُونَهُ . فتقول ملائكة الأرض حوالي (حول خ. ل) ذلك المقتول: ما بال الحور العين لا ينزلن إليه؟ وما بال خزَّان الجنان لا يردون عليه ، فينادون من فوق السَّمَاءِ السَّابِعة: يَا أَيَّتُهَا الْمَلَائِكَةُ، انظروا إلى آفاق السَّمَاءِ ودوينها ، فينظرون فإذا توحيد هذا العبد وإيمانه برسول الله ﷺ وصلاته وزكاته وصدقته وأعمال برّه كُلُّهَا محبوسات دوين السَّمَاءِ، قد طبقت آفاق السَّمَاءِ كُلُّهَا كالقافلة العظيمة ، قد ملأت ما بين أقصى المشارق والمغرب ومهابت الشمال والجنوب ، تنادي أملاك تلك الأثقال الحاملون لها الواردون بها: ما بالنا لا تفتح لنا أبواب السَّمَاءِ لندخل إليها بأعمال هذا الشهيد؟ فيأمر الله بفتح أبواب السَّمَاءِ فتنفتح ، ثُمَّ يُنَادِي: يَا هَؤُلَاءِ الْمَلَائِكَةُ ادْخُلُوها إِنَّ قَدْرَتُمْ ، فَلَا تَقْلَهُمْ أَجْنَحَتَهُمْ وَلَا يَقْدِرُونَ عَلَى الْارْتِفَاعِ بِتِلْكَ الْأَعْمَالِ ، فيقولون: يَا رَبَّنَا ، لَا نَقْدِرُ عَلَى الْارْتِفَاعِ بِهَذِهِ الْأَعْمَالِ ، فيناديهم منادي رَبَّنَا ﷻ: يَا أَيُّهَا الْمَلَائِكَةُ لَسْتُمْ حَمَالٌ هَذِهِ الْأَثْقَالُ الصَّاعِدِينَ بِهَا ، إِنَّ حَمَلَتِهَا الصَّاعِدِينَ بِهَا مَطَايَاها الَّتِي تَرْفَعُها إِلَى دَوِينِ الْعَرْشِ ، ثُمَّ تَقْرَها فِي دَرَجَاتِ الْجَنَانِ . فيقول الملائكة: يَا رَبَّنَا ، مَا مَطَايَاها؟ فيقول الله تعالى: وَمَا الَّذِي حَمَلْتُمْ مِنْ عِنْدِهِ؟ فيقولون: تَوْحِيدَهُ لَكَ ، وَإِيمَانَهُ بِنَبِيِّكَ ، فيقول الله تعالى: فَمَطَايَاها مُوَالاةُ عَلِيٍّ ، أَخِي نَبِيِّي ، وَمُوَالاةُ الْأَئِمَّةِ الطَّاهِرِينَ ، فَإِنَّ أُمَّتَ فِيها الْحَامِلَةُ الرَّافِعَةَ الْوَالِضِعَةَ لها فِي الْجَنَانِ ، فينظرون فإذا الرَّجُلُ مع ما له مِنْ هَذِهِ الْأَشْيَاءِ لَيْسَ لَهُ مُوَالاةُ عَلِيٍّ وَالطَّيِّبِينَ مِنْ آلِهِ وَمَعَاداةُ أَعْدَائِهِمْ ، فيقول الله تبارك وتعالى لِلْأَمْلَاكِ الَّذِينَ كَانُوا حَامِلِيها: اعْتَزَلُوا وَالْحَقُوا بِمِرْكَزِكُمْ مِنْ مَلَكُوتِي لِأَيَّتِيها مِنْ هُوَ أَحَقُّ بِحَمَلِها وَوَضَعُها فِي مَوْضِعِ اسْتِحْقاقِها ، فتلحق تلك الأملاك بمراكزها المجعولة لها. ثُمَّ يُنَادِي منادي رَبَّنَا ﷻ: يَا أَيَّتُهَا الزَّبَانِيَةُ ، تَنَاوَلِيها وَحَطِيها إِلَى سِوَاءِ الْجَحِيمِ ؛ لِأَنَّ صَاحِبِها لَمْ يَجْعَلْ لها مَطَايَا مِنْ مُوَالاةِ عَلِيٍّ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَالطَّيِّبِينَ مِنْ آلِهِ ، وَقَالَ: فَتَنادى تلك الأملاك ، ويقلب الله تلك الأثقال أوزاراً وبلايا على باعثها ؛ لِمَا فَارَقَها عَنْ مَطَايَاها مِنْ مُوَالاةِ

→ أمير المؤمنين عليه السلام ، ونادت تلك الملائكة إلى مخالفته عليه السلام وموالاته لأعدائه ؛ فبَسَلَّطَهَا اللهُ عليه السلام وهي في صورة الأسود على تلك الأعمال وهي كالغربان والقرقس (والقرقس خ. ل) ، فيخرج من أفواه تلك الأسود نيران تحرقها ولا يبقى له عمل إلا أُحْبَطَ ، ويبقى عليه موالاته لأعداء عليه السلام وجحده ولايته فيقر ذلك في سواء الجحيم ، فإذا هو قد حبطت أعماله وعظمت أوزاره وأثقاله...». بحار الأنوار ، ٢٧ : ١٨٧ - ١٩٠ / ح ١٤٦ . التفسير المنسوب إلى الإمام العسكري عليه السلام : ٢٧ - ٢٩ . ودلالته - كدلالة سابقه - قد اتضحت ؛ فإن من يريد أن تفتح له ولمعارفه وعقائده وأفعاله أبواب السموات والجنة الأبدية فعليه :

أولاً: التصديق بحُجج الله . وأعظم الحُجج الإلهية على الإطلاق ما صرحت به بياتات الوحي ، وهي : طبقات حقائق أهل البيت عليهم السلام لا سيما الصاعدة .

ثانياً: التواضع لهذه الحُجج الإلهية .

الموازاة في الأكوان

ثم إن علماء الفيزياء لا زالوا في بحثٍ علميٍّ حثيثٍ للوصول إلى كيفية اتصال العوالم الجسمانية المختلفة للطاقة فيما بينها ، كاتصال السماء الأولى في الثانية ، وهلمَّ جرّاً . ويُصطلح على اتصال العوالم فيما بينها بـ: (الموازاة في الأكوان) ؛ كون أغلظ وكون أطف .

وهذه القضية تأتي أيضاً في حق روح الإنسان ؛ فإنها بجميع طبقاتها المنتشرة في عوالم الخلقة واختلافها في اللطافة لا تخرج عن حيز الجسمانية ، وكلُّ جسمٍ وفعلٍ جسمانيٌّ كثيف كان أم لطيف يحتاج إلى اتصالٍ بجسمٍ آخر .

العشرون: يعيش الكُفَّار في نشأتنا الأرضية هذه بدرجة من النور الروحي المُفاض عليهم من نور حقيقة الإمام الحُجَّة ابن الحسن عجل الله تعالى فرجه وأنوار حقائق سائر أهل البيت صلوات الله عليهم ، بل ومن أنوار حقائق المؤمنين .

→ لكنهم يعيشوا غياهب الظلمات في نار جهنم ، بل وتشتد عليهم - الظلمات - حتى يأنوا ويزعقوا ويزأروا منها ، وهي أشد إيلاماً من دون قياس من جملة الأم البدن .

بعد الالتفات: أن النقص والعوار والعيب والمذمة والتقيح والتقريع الروحي أشد من دون قياس من النقص والعوار والعيب والمذمة والتقيح والتقريع البدني ، والقرحة في الروح أشد إيلاماً من دون قياس أيضاً من القرحة في البدن ؛ لأن النقص والعوار والعيب والمذمة والتقيح والتقريع والقرحة والقراح في الروح ناشئة من أصل وكبد الروح ، وما يرتبط بالروح يكون أشد من دون قياس مما يرتبط بالبدن .

وَمِنْ ثَمَّ مَنْ يَأْتِي مِنَ الْكُفَّارِ ، بل والمسلمون من سكنة ديار الكفر لبلاد المسلمين يشعر بالارتياح النفسي والروحي ، بل تتمتع وتستأنس من نور المؤمنين فضلاً عن أنوار المعصومين عليهم السلام الشياطين والأبالسة ، بل والمخالفين ، فلولا وجود المعصومين والمؤمنين في هذه النشأة الأرضية لاستوحش الثقلين - الجن والإنس - وسائر مخلوقات وحشة شديدة ، وأظلمت نفوسها وأرواحها ، بل لَمَا أمكن لمخلوق قَطُّ العيش فيها ، بل لولا المعصوم عليهم السلام لاكتأبت نفوس وأرواح المؤمنين ؛ منهم المتقين وأصحاب اليقين والأبدال .

وهذا النور وإن كان ضرورياً لحياة المخلوقات ووجوداتها لكنها لا تحسه بالحواس الظاهرة ، بل - تحسه - بالحواس الباطنة .

وإلى هذا تُشير بيانات الوحي ، منها:

بيان الإمام الباقر عليه السلام ، عن أبي خَالِدِ الْكَائِيّ قَالَ: «سَأَلْتُ أَبَا جَعْفَرٍ عليه السلام عَنْ قَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿فَأَمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالنُّورِ الَّذِي أَنْزَلْنَا﴾ [التغابن: ٨] ، فقال: يَا أَبَا خَالِدٍ: النُّورُ وَاللَّهُ الْأَيُّمَةُ مِنْ آلِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ، وَهُمْ وَاللَّهُ نُورُ اللَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ ، وَهُمْ وَاللَّهُ نُورُ اللَّهِ فِي السَّمَاوَاتِ وَفِي الْأَرْضِ ، وَاللَّهُ يَا أَبَا خَالِدٍ لِنُورِ الْإِمَامِ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ أَنْوُرٌ مِنْ الشَّمْسِ الْمُضِيئَةِ بِالنَّهَارِ ، وَهُمْ وَاللَّهُ يُنَوِّرُونَ قُلُوبَ الْمُؤْمِنِينَ ، ←

→ ويحجب الله ﷻ نورهم عمَّن يشاء فنظلم قلوبهم...». بحار الأنوار ، ١ : ١٣٣/ح ١.

الحادية والعشرون: أن ما ورد في بيان الإمام الصادق عليه السلام ، عن إسحاق بن عمار ، قال: «قُلْتُ لِأَبِي عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ: الرَّجُلُ آتِيَهُ وَأُكَلِّمُهُ بِبَعْضِ كَلَامِي فَيَعْرِفُهُ كَلَّمُهُ ، وَمِنْهُمْ مَنْ آتِيَهُ فَأُكَلِّمُهُ بِالْكَلَامِ فَيَسْتَوِي كَلَامِي كَلَّمُهُ ثُمَّ يَرُدُّهُ عَلَيَّ كَمَا كَلَّمْتُهُ ، وَمِنْهُمْ مَنْ آتِيَهُ فَأُكَلِّمُهُ فَيَقُولُ: أَعِدْ عَلَيَّ؟! فَقَالَ: يَا إِسْحَاقُ! وَمَا تَدْرِي لِمَ هَذَا؟ قُلْتُ: لَا. قَالَ: الَّذِي تُكَلِّمُهُ بِبَعْضِ كَلَامِكَ فَيَعْرِفُهُ كَلَّمُهُ فَذَاكَ مَنْ عُنِحَتْ نُطْفَتُهُ بِعَقْلِهِ ، وَأَمَّا الَّذِي تُكَلِّمُهُ فَيَسْتَوِي كَلَامِكَ ثُمَّ يُجِيبُكَ عَلَى كَلَامِكَ ؛ فَذَاكَ الَّذِي رُكِّبَ عَقْلُهُ فِيهِ فِي بطن أمه ، وَأَمَّا الَّذِي تُكَلِّمُهُ بِالْكَلَامِ فَيَقُولُ: أَعِدْ عَلَيَّ ، فَذَاكَ الَّذِي رُكِّبَ عَقْلُهُ فِيهِ بَعْدَ كِبَرٍ ، فَهُوَ يَقُولُ لَكَ: أَعِدْ عَلَيَّ» - أصول الكافي ، ١ : ٢٠ - ٢١/ح ٢٧ - برهان وحياني دال على تكثُر وتعدُّد الأرواح قبل نشأة الأرحام. وهذا ما صرَّحت به بيانات الوحي ، منها:

١- بيان أمير المؤمنين صلوات الله عليه: «... الله خلق الأرواح قبل الأبدان بألفي عام ، فلَمَّا رُكِّبَ الأرواح في أبدانها كتب بين أعينهم: كافر ومؤمن ، وما هم به مبتلين ، وما هم عليه من سيء عملهم وحسنه...». بحار الأنوار ، ٢٤ : ١٢٧/ح ٧. الاختصاص: ٣٠٢.

٢- بيانه صلوات الله عليه أيضاً: «... إِنَّ الله خلق الأرواح قبل الأبدان بألفي عام وَأَسْكَنَهَا الهَوَاءَ ثُمَّ عَرَضَهَا عَلَيْنَا أَهْلَ الْبَيْتِ ، فَوَالله ، مَا مِنْهَا رُوحٌ إِلَّا وَقَدْ عَرَفْنَا بِدَنِهِ...». بحار الأنوار ، ٢٦ : ١١٨ - ١١٩/ح ٤. بصائر الدرجات: ٢٥. ودلالاتها واضحة.

بل بيانات الوحي الأخرى دالة على تكثُرها في عالم الأظلمة ، وعالم النور ، وهو أحد مراتب وطبقات حقيقة الإنسان الصاعدة والمُجَرَّدة عن المادة الجسديَّة ، وهذه المرتبة أعلى من مرتبة العالم العقلي ، أو عوالي من العالم العقلي.

→ وإلى هذا تشير بيانات الوحي ، منها:

أَوَّلًا: بيان قوله تعالى: ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ مِثْلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ نَمْسَسْهُ نَارٌ نُورٌ عَلَى نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [النور: ٣٥].

فإنه ورد في تفسير بيانات الوحي أنه وارد في حقائق أصحاب الكساء الخمسة صلوات الله عليهم في مرتبة عالم النور.

فانظر:

١- بيان الإمام الصادق عليه السلام ، عن الفضيل بن يسار ، قال: «قُلْتُ لِأَبِي عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ ، قال: كذلك اللهُ ﷻ ، قال: قُلْتُ: ﴿مِثْلُ نُورِهِ﴾ ، قال لي: مُحَمَّدٌ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، قُلْتُ: ﴿كَمِشْكَاةٍ﴾ ، قال: صدرُ مُحَمَّدٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، قُلْتُ: ﴿فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ﴾ ، قال: فيه نور العلم يعني: النبوة ، قُلْتُ: ﴿الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ﴾ ، قال: عَلِيمٌ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ صدر إلى قلب علي عليه السلام ... قُلْتُ: ﴿يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ﴾ قال: ذاك أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام...». بحار الأنوار ، ٤: ١٥-١٦/ح ٤.

٢- بيانه عليه السلام أيضاً ، عن صالح بن سهل الهمداني ، قال: «سَمِعْتُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ يَقُولُ فِي قَوْلِ اللَّهِ ﷻ: ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ مِثْلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ﴾ ، فَاطِمَةُ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، ﴿فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ﴾: الحسن ، و﴿الْمِصْبَاحُ﴾: الحسين...». بحار الأنوار ، ٤:

. ١٩

ثانياً: بيان الإمام مام الصادق عليه السلام: «إِنَّ اللَّهَ ﷻ آخِي بَيْنَ الْأَرْوَاحِ فِي الْأَظْلَةِ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ الْأَجْسَادَ بِأَنْفِي عام ، فإذا قام قائمنا أهل البيت وَرَثَ الْأَخِ الَّذِي آخِي بَيْنَهُمَا فِي ←

«ومثل العقل في روح الإنسان كمثل السراج في وسط البيت».

والمراد من (العقل): مخلوق ، مهول ، ومهيمن ، أعظم رتبة ، وأخطر هولاً ، وأرفع درجة ومقاماً من عالم (الجنة الأبدية) فضلاً عما دونها من سماوات وغيرها.

وتتميز هذه النداءات الحقة عن غيرها الواردة من قوى الشرِّ والنفس^(١)

→ الأظلة ولم يُورث الأخ من الولادة». بحار الأنوار ، ١٠١ : ٣٦٧/ح ٧. الهداية الكبرى: ٨٧.

(١) يجدر الالتفات في المقام إلى التنبهات التالية:

الأوّل: أَنَّ مَا وَرَدَ فِي بَيَانِ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَمَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنْسَاهُمْ أَنْفُسَهُمْ أُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ [الحشر: ١٩] برهانٌ وحياتيٌّ دالٌّ عَلَى أَنَّ نَفْسَ الْإِنْسَانِ غَيْرَ ذَاتِهِ ؛ وَإِلَّا كَيْفَ يَحْصِلُ نَسْيَانُهَا.

ويمكن للشخص التعرف على هذه البيئونة والمغايرة والاثنيّة في دخيلة ذاته من خلال كبح نفسه ، أو من خلال مراقبة حصول الحزن والفرح في دخيلة ذاته ، أو الكبت والإشراح ، وما شاكلها من الحالات النفسية ؛ فإنّها كاشفة عن تعدّد قواه النفسانية.

خطورة المشهد النفساني للإنسان

ثمّ إنّه لو يترأى المشهد النفساني للإنسان لرأى العجب العجاب ، فكلُّ حيوان في عالم الخلقة يجده مرآة لقوى من قواه النفسانية ، بل ما من صفة تتصف بها مُطلق الحيوانات إلّا وكان قبالتها قوّة من قواه النفسانية ؛ ثمّثل في ذاته عين تلك الصفة ، ←

→ بل لو انكشف للإنسان بصره البرزخي لشاهد نفس حقائق تلك الحيوانات مودعة في ذاته.

وإلى كُـلِّ هذا يُشير بيان الشعر المنسوب لأمير المؤمنين صلوات الله عليه:

دواؤك فيك وما تشعر ودأؤك منك وما تُبصر
وأنت الكتاب المبين الذي بأحرفه يظهر المضمّر
وتزعم أنك جرمٌ صغير وفيك انطوى العالم الأكبر

الديوان المنسوب لأمير المؤمنين عليه السلام ، قافية (الراء): ٥٧.

الثاني: أن ما ورد في بيان سيّد الأنبياء عليه السلام: «مَنْ عَرَفَ نَفْسَهُ فَقَدْ عَرَفَ رَبَّهُ ...» - بحار الأنوار ، ٢: ٣٢ / ح ٢٢ - برهانٌ وحيانيٌّ دالٌّ على أن معرفة النفس لا تقف عند حدٍّ أبداً ؛ وذلك لأن سيّد الأنبياء عليه السلام ربط معرفتها بمعرفة الله تعالى ، وحيث إن معرفته تقدّس اسمه لا نهاية ولا حدّها أبداً فكذا معرفة النفس.

وعليه: فينبغي للإنسان دوام المراقبة ؛ لزيادة معرفته بنفسه.

ويقال: إن أحد الإشارات الدالة على غموض معرفة النفس أو الروح ما ورد في بيان قوله جَلَّ جَلَلُهُ قوله: ﴿وَسَأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [الإسراء: ٨٥].

الثالث: أن ما ورد في بيان سيّد الأنبياء عليه السلام - المتقدّم -: «مَنْ عَرَفَ نَفْسَهُ فَقَدْ عَرَفَ رَبَّهُ ...» برهانٌ وحيانيٌّ علميٌّ وإعجازيٌّ عظيمٌ جداً ، دالٌّ على أن معرفة النفس وأفعالها مهمّةٌ جداً للوصول إلى معرفة الله تعالى والإيمان به تعالى ، ومعرفة أصول الدين والتوحيد والإسلام والإيمان.

الرابع: أن أحد تفاسير بيان سيّد الأنبياء عليه السلام: «مَنْ عَرَفَ نَفْسَهُ فَقَدْ عَرَفَ رَبَّهُ ...» أن معرفة النفس تكون سبباً مهمّاً وعظيماً وخطيراً لمواصلة صاحبها طريق معرفة ربّه تبارك وتعالى ، وبالأولى تكون طريقاً لمعرفة نبيّه وإمامه ومعهده.

→ وهذه إحدى حِكَمِ الباري ﷻ من خلقه حقيقة الإنسان ونفسه على طبقات.
الخامس: المراد من عنوان: (النَّفْس) الوارد في بيان سيّد الأنبياء ﷺ: «مَنْ عَرَفَ نفسه فقد عَرَفَ رَبَّهُ ...» وما شاكلة ليس من الصّروري أن يكون المراد منه ما يُقابل عنوان العقل ، بل المراد تمام ذات وحقيقة الإنسان بما فيها طبقة العقل.
السادس: أن الإطّلاع الثقافي على باب النَّفْس والنَّفْسَانِيَّات والرُّوح والرُّوحَانِيَّات ضرورة مُلِحَّة.

السّابع: أن للنَّفْس الإنسانيَّة القابليَّة والقدرة على ولوج الملكوت تلقائياً ، لكنّ الباري ﷻ خلق إبليس والشّياطين وسائر قوى الشّرّ وجهاته وجعلها سياج وحماية تكبح الأنفس غير الطاهرة وتُعيق من أراد ولوج الملكوت من دون طهارة.
وهذه إحدى الحِكَمِ وجهات الخير من خلقه جهات الشّرّ هذه.

وهذا ما تُشير إليه بيانات الوحي ، منها:

بيان قوله تقدّس ذكره: ﴿وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنْسَانِ خَذُولًا﴾ [الفرقان: ٢٩].

الثامن: أن مُقاومة النَّفْس والهوى وإن كانت أمراً صعباً ، لكن الأَصعب منها: الواعي في مقام التّطبيق ، وهذا ما يُشير إليه اطلاق بيان قوله جلّ قوله: ﴿وَعَبَّهَا أُذُنٌ وَّاعِيَةٌ﴾ [الحاقة: ١٢].

وهذا يُدلّل: أن دائرة المتشابهة في علم الأخلاق واسعة جداً.

التّاسع: أن نمط الحوار والكلام في الظّاهر يعكس حركات القوى النَّفسيَّة الباطنة ؛ فالمجادلة الحادّة والمراء وحبّ الظهور والوجاهة أدلّة دالّة على أن البحث والحوار والسّعي ليس علمياً ، ودائماً إذا لم يكن السّعي علمياً تبرز وتتكرّس فيه أوصاف وقذارات الغرائز ، فيتبدّل سعيه فيه من سعي علمي ومعرفي إلى سعي ←

→ بهيمي وشيطاني ، مع أنه يحسب سعيه وحركته علمية ومعرفية وعقلية ، وهو ليس بعلمي ، بعدما كان مُنطلقاً من العصبية والغرائز النَّازلة والسَّافلة ويصبُّ فيها ويؤوب إليها ، وإذا استحكمت قوى الغرائز النَّازلة كان الإنسان لا حول ولا قوَّة له .

العاشر: أن ما ورد في بيانات الوحي منها:

١- بيان قوله تعالى: ﴿ اِقْرَأْ كِتَابَكَ كَلِمًا بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا ﴾ [الإسراء: ١٤].

٢- بيان الإمام الكاظم صلوات الله عليه: «... إنَّ لله على النَّاسِ حُجَّتَيْنِ: حُجَّةٌ ظَاهِرَةٌ ، وَحُجَّةٌ بَاطِنَةٌ ، فَأَمَّا الظَّاهِرَةُ فَالرُّسُلُ وَالْأَنْبِيَاءُ وَالْأُئِمَّةُ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، وَأَمَّا البَاطِنَةُ فَالْعُقُولُ ...» - أصول الكافي ، ١: ١٣-١٧ / ح ١٢- براهين وحيانية دالة:

أَوَّلًا: على أَنَّ الشُّهُودَ على الإنسان في عَالَمِ القِيَامَةِ لا تقتصر على جوارحه وأعضاء بدنه الواردة في بيانات الوحي الأخرى ، كبيان قوله عزَّ من قائل: ﴿ يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمُ السِّنُّهُمُ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ [النور: ٢٤] ، وبيان قوله عزَّ قوله: ﴿ حَتَّى إِذَا مَا جَاءُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَارُهُمْ وَجُلُودُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ * وَقَالُوا لِمَ لَجَلْنَا لَهُمْ لَمْ شَهِدْتُمْ عَلَيْنَا قَالُوا أَنْطَقَنَا اللَّهُ الَّذِي أَنْطَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تَرْجَعُونَ * وَمَا كُنتُمْ تَسْمُرُونَ أَنْ يُشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَا أَبْصَارُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ ﴾ - [فصلت: ٢٠-٢٢] - وإنَّما تشمل أيضاً جوانحه ؛ كقوَّة السَّمْعِ ، وقوَّة البصر - وهما من قوى الجواهر الرُّوحية والنَّفسيَّة - ، وشهود من البدن الرُّوحي أودعتها يد السَّاحَةِ الإلهية المُقدَّسة كخوادم في دخيلة ذات الإنسان ، لكن هذه الخوادم ستشهد على المخدم في عَالَمِ القِيَامَةِ ، بل وتشهد عليه أيضاً نفسه وروحه وعقله .

ثانياً: أَنَّ حقيقة الإنسان وراء هذه القوى والجواهر ، ومن ثمَّ حينما يتكلَّم عنها يقول: سمعي وبصري ونفسي وروحي وعقلي وقلبي .

→ وإثنيّية الإنسان وتعدّد واختلاف أصل ذاته عن جملة قواه وطبقات نفسه وروحه من المعاجز العلميّة والمعرفيّة - في علوم المعنويّات والعلوم الروحيّة - المختصّة ببيانات الوحي ، بل إلى الآن لم تتمكّن الفلسفات البشريّة والعرفان البشري تصوّر هذه الأطروحة والمعجزة الوحيانيّة - والتي طُرحت في بيانات الوحي بلغات وبراهين وأساليب مُتعدّدة - ؛ لكونها خارجة عن مكنة وقدرة العقل البشري. وهذا أحد البراهين الدامغة على وحيانيّة ما يصدر عن الثقلين.

الحادي عشر: أنّ النفوس في هذه النشأة الأرضيّة على مراتب ودرجات فبعضها مُفعلّة وبعضها الآخر غير مفعلّة.

ثمّ إنّ قوّة النفوس وفعاليتها ونشاطها على مراتب ودرجات أيضاً ؛ فهناك نفس نباتيّة ، ونفس حيوانيّة ، ونفس جنيّة ، ونفس ملكيّة ، ونفس إنسانيّة. وكلّ واحدة من هذه النفوس على مراتب ودرجات أيضاً ؛ فنفس النباتات تختلف فيما بينها ؛ فبعضها لكثرة نباتيتها يراها الناظر كأنّها جامدة ، وبعضها الآخر لقلّة نباتيتها تتمتع ببعض خواص الحيوانات كالإفتراس.

وهكذا حال النفس الحيوانيّة ؛ فبعضها لكثرة حيوانيتها تراها سبعيّة أو بهيميّة ، وبعضها الآخر لقلّة حيوانيتها تراها أليفة أو غير بهيميّة ، بل تصل حالة بعضها - كالحیوان الذي يعيش في محار الصدف - كأنّها نباتيّة ، وهكذا النفس الإنسانيّة ؛ فإنّها من حيث التّشيط والقوّة والفعليّة ليست على وتيرة واحدة.

وعلى هذا قس نفوس الجنّ ، بل ونفوس الملائكة ، وحقيقة السّموات السّبع والأرضين السّبع والجنّة والنار وما شاكلها ، فإنّ جميعها أجسام ؛ لتناهيها وشمولها بأحكام الجسم العامّة ، فتكون لها نفوس ، وهي على مراتب ودرجات ، وأجسامها أجسام ملائكة ، ونفوسها المتعلّقة بتلك الأجسام نفوس ملائكة.

مثاله: السّماء الأولى ؛ فإنّها جسم ، وهي وإن لم يمكن قياس مساحتها وعرضها وطولها وعمقها بقوّة الحسّ ، لكنّ العقل يحكم بنهايتها وتناهيها ، وحيثنذ تكون ←

→ لها نفس ، وحقيقة هذا الجسم وهذه النفس المتعلّقة به هي بدن الملك إسماعيل الموكّل بهذه السّماء ونفسه. وعلى هذا قس سائر السّموات والأرضين ، بل الثابت في جملة من بيانات الوحي: أنّ لكلّ بقعة من بقاع أبدان الواحد منها نفس خاصّة به.

نظيره: جسم الإنسان ؛ فإنّ له نفس خاصّة به ، ولكلّ عضو من أعضائه نفس خاصّة به أيضاً ، فاليد - مثلاً - لها قوّة نفسانيّة ، بل نفس تُفعلها وتحرّكها ، ومجموع هذه القوى والنفس تُشكّل النفس المجموعيّة للإنسان.

نكتة تأليه المشركين لأهلهم

وهذه القضية هي التي أغرّت قداماء المشركين - كعبدة الشّمس والكواكب - وأوقعتهم في شرك الشرك والكفر والجهالة ، بعد إدراكهم - عن طريق العلوم الروحيّة والفلسفيّة - أنّ لهذه المخلوقات نفوساً وأرواحاً.

والإغراء وقع في اتّخاذها آلهة ، أمّا أنّ لها نفوساً وأرواحاً فقضيّة حقّة ، بل ومُسلّمة في بيانات الوحي والعلوم المعرفيّة.

فانظر: بيانات الوحي ، منها:

١- بيان قوله جلّ قوله: ﴿تَسْبِحُ لَهُ السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾ [الإسراء: ٤٤].

٢- بيان قوله عزّ من قائل: ﴿وَيَوْمَ يُحْشَرُ أَعْدَاءُ اللَّهِ إِلَى النَّارِ فَهُمْ يُوزَعُونَ* حَتَّىٰ إِذَا مَا جَاءُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَارُهُمْ وَجُلُودُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ* وَقَالُوا لَوْلَا دُعِينَا إِلَىٰ مَعْبُودَتِكَ أَيُّهَا الْعَزِيزُ وَقَالُوا لَوْلَا دُعِينَا إِلَىٰ مَعْبُودَتِكَ أَيُّهَا الْعَزِيزُ وَقَالُوا لَوْلَا دُعِينَا إِلَىٰ مَعْبُودَتِكَ أَيُّهَا الْعَزِيزُ﴾ [فصلت: ١٩-٢١].

ودلالته - كدلالة سابقه - واضحة ؛ فإنّه لو لم تكن لهذه المخلوقات نفوسٌ وسمعٌ وبصرٌ وسائر الحواس ، وواعيةٌ وحيّةٌ وحاسّةٌ بما يحدث من حولها في هذه النشأة ←

→ الأَرْضِيَّة كَيْفَ أَدَلَّتْ بِشَهَادَاتِهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى مَا فَعَلَهُ أَصْحَابُهُ فِي نَشَاتِنَا الْأَرْضِيَّةِ هَذِهِ.

نعم ، هذه النفوس لم تُفَعِّلْ في هذه النَّشْأَةِ ، وَسُتَفَعِّلَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ.

٣- بيان سيّد الأنبياء ﷺ ، مخاطباً أمير المؤمنين (صلوات الله عليه) ، عن عمّار ، قال: «... يَا عَلِيُّ ، قُمْ لِلشَّمْسِ فَكَلِّمَهَا ؛ فَإِنَّهَا تُكَلِّمُكَ ، فِقَامَ أَهْلِ الْمَسْجِدِ وَقَالُوا: أَتَرَى عَيْنَ الشَّمْسِ تُكَلِّمُ عَلِيًّا؟! وَقَالَ بَعْضُ: (لا يزال خ. ل) يرفع حسياسة ابن عمّه وَيُنَوِّهُ بِاسْمِهِ! إِذْ خَرَجَ عَلِيُّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ فَقَالَ لِلشَّمْسِ: كَيْفَ أَصْبَحْتَ يَا خَلْقَ اللَّهِ؟ فَقَالَتْ: بِخَيْرٍ يَا أَخَا رَسُولِ اللَّهِ ، يَا أَوَّلَ يَا آخِرَ ، يَا ظَاهِرَ يَا بَاطِنَ ، يَا مَنْ هُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ...». بحار الأنوار ، ٤١: ١٨١ / ح ١٧.

ودلالته قد اتّضحَتْ ؛ فَإِنَّهُ دَالٌّ عَلَى أَنَّ لِلشَّمْسِ نَفْسَ حَيَّةٍ وَشَاعِرَةً وَهَا حَوَاسِّهَا الْخَاصَّةُ ، لَكِنَّهَا لَمْ تَكُنْ مُفَعَّلَةً ، وَالْإِعْجَازُ تَحَقُّقٌ فِي تَفْعِيلِهَا بِبِرْكَاتِ مَخَاطَبَةِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ لَهَا.

٤- بيان الإمام الصادق رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ سَنَانَ ، قَالَ: «بَيْنَا نَحْنُ فِي الطَّوَافِ إِذْ مَرَّ رَجُلٌ مِنْ آلِ عَمْرِو فَأَخَذَ بِيَدِهِ رَجُلٌ فَاسْتَلَمَ الْحَجَرَ فَانْتَهَرَهُ وَأَغْلَظَ لَهُ ، وَقَالَ لَهُ: بَطْلَ حَجَّكَ ؛ إِنَّ الَّذِي تَسْتَلِمُهُ حَجْرٌ لَا يَضُرُّ وَلَا يَنْفَعُ. فَقُلْتُ لِأَبِي عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: جُعِلْتُ فِدَاكَ ، أَمَا سَمِعْتَ قَوْلَ الْعَمْرِيِّ هَذَا الَّذِي اسْتَلَمَ الْحَجَرَ ... بَطْلَ حَجَّكَ ، إِنَّمَا هُوَ حَجْرٌ لَا يَضُرُّ وَلَا يَنْفَعُ! فَقَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: كَذِبٌ ، ثُمَّ كَذِبٌ ، ثُمَّ كَذِبٌ ، إِنَّ لِلْحَجْرِ لِسَانًا ذَلَقًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، يَشْهَدُ لِمَنْ وَاوَاهُ بِالْمُؤَاوَاةِ...». بحار الأنوار ، ٥: ٢٤٥ - ٢٤٦ / ح ٣٥. علل الشرائع: ١٤٧.

٥- بيانه رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَيْضًا ، عَنْ قَبِيصَةَ بِنِ يَزِيدِ الْجَعْفِيِّ ، قَالَ: «... قُلْتُ: أَيْنَ كُنْتُمْ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ اللَّهُ سَاءً مَبْنِيَّةً وَأَرْضًا مَدْحِيَّةً أَوْ ظَلَمَةً أَوْ نُورًا؟ قَالَ: يَا قَبِيصَةَ ، لِمَ سَأَلْتَنَا عَنْ هَذَا الْحَدِيثِ فِي هَذَا الْوَقْتِ؟ أَمَا عَلِمْتَ أَنَّ حُبَّنَا قَدْ اِكْتَسَمَ وَبَغَضُنَا قَدْ فُشَا ، وَأَنَّ لَنَا ←

.... والشَّيْطَانَةُ^(١) ^(٢) والمشار إليها في بيانات الوحي الإلهي الأخرى - منها :

→ أعداء من الجن يخرجون حديثنا إلى أعدائنا من الإنس ، وأنَّ الحيطان لها آذان كأذان النَّاسِ ؟...». بحار الأنوار ، ٧ : ٢٠٣ . تفسير فرات الكوفي ، ٢٠٧ / ح ٨٩ .

٦- بيان دعاء الإمام زين العابدين عليه السلام عند مخاطبته الهلال : «أيُّهَا الخَلْقُ الطَّيِّعُ ، الدَّائِبُ السَّرِيعُ ، المُتَرَدِّدُ فِي مَنَازِلِ التَّقْدِيرِ ، المُتَصَرِّفُ فِي فَلَكِ التَّدْبِيرِ .. فِي كُلِّ ذَلِكَ أَنْتَ لَهُ مُطِيعٌ ، وَإِلَى إِرَادَتِهِ سَرِيعٌ ...». بحار الأنوار ، ٥٥ : ١٧٨ / ح ٣٦ . أمالي الطوسي ، ٢ : ١٠٩ .

ودلالته - كدلالة سوابقه - قد اتَّضَحَتْ ؛ فَإِنَّهُ عليه السلام لم يُخَاطَبْ كجَمَادٍ ، وَإِنَّمَا صَاحِبُ حَيَاةٍ وَنَفْسٍ وَشُعُورٍ ، بَلْ فَوْقَ الشُّعُورِ . وَهَذَا لَيْسَ مِنْ بَابِ الْمَجَازِ وَالِإِدْعَاءِ ، بَلْ حَقِيقَةٌ .

(١) يَنْبَغِي الْإِلْتِفَاتُ : أَنَّ الْإِنْسَانَ إِنْ لَمْ يَكُنْ مَعْصُومًا فَلَا مَحَالَةَ : إِمَّا أَنْ تَحْصَلَ لَهُ إِجْهَاتٌ شَيْطَانِيَّةٌ أَوْ نَفْسَانِيَّةٌ .

بَلْ هُنَاكَ مَخْلُوقَاتٌ غَابِيَّةٌ حَيَوَانِيَّةٌ مِنْ قَوَى الشَّرِّ وَالضَّلَالِ ، شَرَسَةٌ وَكَثِيرَةٌ جِدًّا ، مَغْرُوزَةٌ فِي ذَاتِ الْإِنْسَانِ ، تُؤَثِّرُ عَلَى سِيرِهِ النَّفْسِيِّ وَالْفِكْرِيِّ وَالْقَلْبِيِّ ، وَهَذَا مَا أَشَارَتْ إِلَيْهِ بَيَانَاتُ الْوَحْيِ ، مِنْهَا : بَيَانُ (حَدِيثُ جُنُودِ الْعَقْلِ وَالْجَهْلِ) لِلْإِمَامِ الصَّادِقِ عليه السلام ، فَرَاغَ إِنْ شِئْتَ ، أُصُولُ الْكَافِي ، ١ : ١٧-١٨ / ح ١٤ .

(٢) يَجْدُرُ صَرَفَ النَّظَرِ فِي الْمَقَامِ إِلَى الْقَضَايَا التَّالِيَةِ :

الأولى : ذُكِرَ أَنَّ بَيَانَاتِ أَهْلِ الْبَيْتِ عليهم السلام مَعْلُومَاتٌ وَقَضَايَا عَنْ إِبْلِيسَ (عَلَيْهِ اللَّعْنَةُ) وَسَائِرِ الْجَنِّ ، وَعَنْ جَبْرَائِيلَ عليه السلام وَسَائِرِ الْمَلَائِكَةِ ، بَلْ وَعَنْ سَائِرِ الْأَنْبِيَاءِ عليهم السلام لَمْ يَشَمَّ رَائِحَتَهَا قَبْلَ الْإِفْصَاحِ عَنْهَا - فِي هَذِهِ الْبَيَانَاتِ الْوَحْيَانِيَّةِ الشَّرِيفَةِ - مَخْلُوقٌ قَطُّ ؛ مِنْهُمْ نَفْسُ الْمُخْبَرِ عَنْهُمْ .

→ الثانية: أن معرفة الإنسان بعالم الجنّ والشياطين والأبالسة من خلال مراجعة بيانات الوحي بالغ الأهميّة والفائدة والتأثير في التّكامل الروحي والخلقي والمعرفي والعقائدي؛ لأنّ المذكور فيها خطوات وأفعال تلك المخلوقات.

ومشكلة الإنسان أنّه يظنّ أنّ تعاطيه محصور بالمحسوس والمرئي فقط.

لكنّ: الثّابت في بيانات الوحي: أنّ الإنسان وهو في هذا العالم وهذه النّشأة الأرضيّة - كسائر العوالم والنّشآت المارّة بها - يتعاطى مع أهل السّموات والأرضين والعوالم الصّاعدة شعر بذلك أم لا.

وبالجملّة: لدى الإنسان وهو في هذا العالم وهذه النّشأة الأرضيّة ، بل وفي جملة العوالم والنّشآت المارّة بها ارتباطات - ببركة أبراج روحية معنويّة - مع سائر عوالم الخلقة و مخلوقاتها ، وانفتاحه على عوالم جميع المخلوقات لا يتيسّر له إلّا بعد إطلاعه على بيانات الوحي المتعرّضة لذلك ، فإنّه سيجد أنّ تلك البيانات المعرفيّة الشريفة تراث عظيم وخطير ومهول ، وجواهر ودرر مرصوصة تكشف عن شؤون وأحوال المخلوقات وعوالمها غير المتناهية وارتباط الإنسان بها وهو في عالمه -عالم الدّنيا الأولى هذه-.

و من تلك البيانات الوحيانية :

١- بيان قوله تعالى: ﴿فَرِيقٌ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالُهُمْ فَهُمْ وِلِيُّهُمْ الْيَوْمَ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النحل: ٦٣].

٢- بيان قوله عزّ من قائل: ﴿وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَيْكَ أَوْلِيَانِهِمْ لِيُجَادِلُوكُمْ﴾ [الأنعام: ١٢١].

٣- بيان قوله جلّ قوله: ﴿هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَىٰ مَن نُّنَزِّلُ الشَّيَاطِينَ﴾ * تنزل على كل أفاكٍ أئيم * يلقون السّمع وأكثرهم كاذبون * [الشعراء: ٢٢١ - ٢٢٣].

→ ودلالته - كدلالة سابقه - واضحة على أَنَّ الإنسان يتعاطى - وهو في هذه النَّشأة الأرضية كحال سائر نَشآتِه وعوالمه المارِّ بها - مع مخلوقات خفية ، مرتبطة معه بشبكات اتصالات وأبراج نفسية وروحية معنوية ، شعر بذلك - الإنسان - أم لا .

٤- بيان جواب سيّد الأنبياء ﷺ ، فإنّه: «سئِلَ: ممَّا خلق الله ﷻ العقل؟ قال: خلقه ملك له رؤوس بعدد الخلائق من خلق ومن يخلق إلى يوم القيامة ، ولكلِّ رأسٍ وجه ، ولكلِّ آدميِّ رأس من رؤوس العقل ، واسم ذلك الإنسان على وجه ذلك الرأس مكتوب ، وعلى كُلِّ وجهٍ ستر ملقى لا يُكشف ذلك الستر من ذلك الوجه حتّى يُولد هذا المولود ، ويبلغ حدَّ الرِّجال ، أو حدَّ النساء ، فإذا بلغ كُشفَ ذلك الستر ، فيقع في قلب هذا الإنسان نُور ، فيفهم الفريضة والسُّنة ، والجيد والردي ، ألا ومثل العقل في القلب كمثل السراج في وسط البيت». بحار الأنوار ، ١ : ٩٩/١٤ .

ودلالته قد اتّضحت .

٥- بيان أمير المؤمنين عليه السلام ، عن الأصبح بن نباتة قال: «كُنْتُ مع أمير المؤمنين عليه السلام فَأَتَاه رَجُلٌ فَسَلَّمَ عَلَيْهِ ، ثُمَّ قَالَ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، إِنِّي وَاللَّهِ لِأُحِبُّكَ فِي اللَّهِ ، وَأُحِبُّكَ فِي السِّرِّ كَمَا أُحِبُّكَ فِي الْعَلَانِيَةِ ، وَأُدِينُ اللَّهَ بِوَلَايَتِكَ فِي السِّرِّ كَمَا أُدِينُهَا فِي الْعَلَانِيَةِ . وَبِيد أمير المؤمنين عليه السلام عود فتطأطأ (فطأطأ خ. ل) به رأسه ثُمَّ نكت بعوده في الأرض ساعة ثُمَّ رفع رأسه إليه ، فقال: ... وَإِنَّ أَرْوَاحَ الْمُؤْمِنِينَ تَلْتَقِي فِي الْهَوَاءِ فَتَشَامُ ؛ فَمَا تَعَارَفَ مِنْهَا ائْتَلَفَ ، وَتَنَافَرَ مِنْهَا اخْتَلَفَ ، وَيَحْكُ ! لَقَدْ كَذَبْتَ ، فَمَا أَعْرَفَ وَجْهَكَ فِي الْوُجُوهِ ، وَلَا اسْمَكَ فِي الْأَسْمَاءِ . قَالَ: ثُمَّ دَخَلَ عَلَيْهِ آخِرَ فَقَالَ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، إِنِّي لِأُحِبُّكَ فِي اللَّهِ ، وَأُحِبُّكَ فِي السِّرِّ كَمَا أُحِبُّكَ فِي الْعَلَانِيَةِ ، وَأُدِينُ اللَّهَ بِوَلَايَتِكَ فِي السِّرِّ كَمَا أُدِينُ اللَّهَ فِي الْعَلَانِيَةِ . قَالَ: فَنَكَتَ بَعُودَهُ الثَّانِيَةَ ثُمَّ رَفَعَ أَسَّهُ إِلَيْهِ فَقَالَ لَهُ: صَدَقْتَ ، إِنَّ طَيِّبَتَنَا طِينَةٌ مَخْزُونَةٌ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَهَا مِنْ صَلْبِ آدَمَ ←

→ فلم يشذ منها شاذٌ ولا يدخل فيها داخلٌ من غيرها...». بصائر الدرجات ، ٢ : ٢٥٠-٢٥١ / ح ١٣٩١-٢. الاختصاص: ٣١١.

٦- بيان الإمام عليّ بن الحسين عليهما السلام: «إِنَّ فِي الْعَرْشِ تَمَثُّالَ جَمِيعِ مَا خَلَقَ اللَّهُ». بحار الأنوار ، ٥٥ : ٣٦ / ح ٥٨.

٧- بيان الإمام الباقر عليه السلام: «ليس من يومٍ وليلةٍ إلَّا وجميعُ الجنِّ والشَّيَاطِينِ تزورُ أئِمَّةَ الضَّلَالِ ، ويزورُ أئِمَّةَ الهدى عددهم من الملائكة حتَّى إذا أتت ليلةُ القدرِ فهبط (فيهبط) فيها من الملائكة إلى أُولي الأمرِ خلقَ اللهُ ، أو قال: قَبِضَ اللهُ مِنَ الشَّيَاطِينِ بَعْدَهُمْ ثُمَّ زَارُوا وَلِيَّ الضَّلَالَةِ فَآتَوْهُ بِالْإِفْكِ وَالْكَذِبِ حَتَّى لَعَلَّهُ يَصْبِحُ يَقُولُ: رَأَيْتُ كَذَا وَكَذَا ، فَلَوْ سُئِلَ وَلِيَّ الْأَمْرِ عَنْ ذَلِكَ لَقَالَ: رَأَيْتُ شَيْطَانًا أَخْبَرَكَ بِكَذَا وَكَذَا...». بحار الأنوار ، ٦٣ : ١٨٤. أصول الكافي ، ١ : ٢٥٣.

٨- بيان أبو جعفر عليه السلام: «إِنَّ اللَّهَ خَلَقَ مُحَمَّدًا وَآلَ مُحَمَّدٍ عليهم السلام مِنْ طِينَةِ عَلِيِّينَ ، وَخَلَقَ قُلُوبَهُمْ مِنْ طِينَةِ فَوْقَ ذَلِكَ ، وَخَلَقَ شِيعَتَنَا مِنْ طِينَةِ دُونَ عَلِيِّينَ ، وَخَلَقَ قُلُوبَهُمْ مِنْ طِينَةِ عَلِيِّينَ ، فَقُلُوبُ شِيعَتِنَا مِنْ أَبْدَانِ آلِ مُحَمَّدٍ ، وَإِنَّ اللَّهَ خَلَقَ عَدُوَّ آلِ مُحَمَّدٍ عليهم السلام مِنْ طِينَةِ سَجِّينَ ، وَخَلَقَ قُلُوبَهُمْ مِنْ طِينِ أَخْبَثَ مِنْ ذَلِكَ ، وَخَلَقَ شِيعَتَهُمْ مِنْ طِينِ دُونَ طِينِ سَجِّينَ ، وَخَلَقَ قُلُوبَهُمْ مِنْ طِينِ سَجِّينَ فَقُلُوبَهُمْ مِنْ أَبْدَانِ أَوْلِيائِكَ ، وَكُلُّ قَلْبٍ يَحْنُ إِلَى بَدَنِهِ». بحار الأنوار ، ٢٥ : ٨ / ح ١٢. بصائر الدرجات: ٥.

٩- بيان الإمام الصادق عليه السلام: «إِنَّ لِلْقَلْبِ أُذُنَيْنِ فَإِذَا هَمَّ الْعَبْدُ بِذَنْبٍ قَالَ لَهُ رُوحُ الْإِيمَانِ: لَا تَفْعَلْ ، وَقَالَ لَهُ الشَّيْطَانُ: افْعَلْ...». بحار الأنوار ، ٦٣ : ٢٠٦ / ح ٣٥. أصول الكافي ، ٢ : ٢٦٧.

١٠- بيانه عليه السلام أيضاً ، عن أبي عبد الرحمن قال: «قُلْتُ لِأَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام: رَبِّمَا حَزَنْتَ فَلَا أَعْرِفُ فِي أَهْلِ وَلَا مَالٍ وَلَا وَلَدٍ ، وَرَبِّمَا فَرِحْتَ فَلَا أَعْرِفُ فِي أَهْلِ وَلَا مَالٍ وَلَا وَلَدٍ ، فَقَالَ: إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا وَمَعَهُ مَلَكٌ وَشَيْطَانٌ ، فَإِذَا كَانَ فَرَحُهُ كَانَ دَنُوَ الْمَلَكِ مِنْهُ ، وَإِذَا كَانَ حَزَنُهُ كَانَ دَنُوَ الشَّيْطَانِ مِنْهُ ، وَذَلِكَ قَوْلُ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ←

→ ﴿الشَّيْطَانُ يُعِدُّكُمْ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُمْ بِالْفَحْشَاءِ وَاللَّهُ يَعِدُّكُمْ مَغْفِرَةً مِنْهُ وَفَضْلًا وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٦٨]. بحار الأنوار، ٦٣: ٢٠٥ / ح ٣٣. علل الشرائع: ٤٢.

١١- بيانه عليه السلام أيضاً: «مَا مِنْ مُؤْمِنٍ إِلَّا وَلِقَلْبِهِ أَذْنَانِ فِي جَوْفِهِ: أَذُنٌ يَنْفُثُ فِيهَا الْوَسْوَاسَ الْخَنَّاسَ ، وَأَذُنٌ يَنْفُثُ فِيهَا الْمَلِكَ ، فَيُؤَيِّدُ اللَّهُ الْمُؤْمِنَ بِالْمَلِكِ ، فَذَلِكَ قَوْلُهُ: ﴿وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِنْهُ﴾ [المجادلة: ٢٢]». بحار الأنوار ، ٩٩: ٢٦٧.

١٢- بيانه عليه السلام أيضاً: «المؤمن أخو المؤمن كالجسد الواحد إن اشتكى شيئاً وجد ألم ذلك في سائر جسده ، وإن روحها من روح الله ، وإن روح المؤمن لأشدّ إتصلاً بروح الله من إتصال شعاع الشمس». بحار الأنوار ، ٧١: ٢٧٧ / ح ٩. الاختصاص: ٣٢.

ودلالة الجميع واضحة.

الثالثة: لو يُجمع في كتاب ما ذكرته بيانات أهل البيت عليهم السلام في حق إبليس لكان كتاباً عظيماً جداً ، بل من أهم الكتب العرفانية ، لكن عظمته لا لأجل - أعوذ بالله تعالى - عظمة إبليس - نعم هو عظيم في الشرور وفي جزاء جهنم - ، بل لعظمة وخطر ما أصحرت به بيانات أهل البيت عليهم السلام - كبيان خطبة الصاعقة لأمير المؤمنين (صلوات الله عليه) ؛ فإن فيها عبراً من محنة إبليس التي زلّ فيها عظمة للأصفياء - من حقائق مذهلة جداً تق من يطّلع عليها ويراقبها من الارتطام بالزريع والزلل والانحراف والضلال في أبواب وأفعال الرياضات الروحية وما شاكلها. والصراف المستقيم والعاصم يكمن في التمسك بمحكّمات القرآن الكريم والسنة الشريفة.

الرابعة: الثابت في بيانات أهل البيت عليهم السلام: أنّ دولة إبليس أعظم دول الشرّ عنفاً وعتوّاً ، ودول شر البشر العظمى صغار بالنسبة إليها ، بل هي المحرك لها ، في قبال دولة خليفة الله ؛ بدءاً بدولة النبي آدم عليه السلام إلى دولة سيّد الأنبياء صلى الله عليه وآله ، ثمّ دول أوصيائه صلوات الله عليهم إلى دولة خاتمهم عبّال الله تعالى فرجه.

→ ثم إن تجنيد دولة إبليس يكون بطرق خفية ومعلنة ، ولديها شبكة خطيرة ومذهلة لتجنيد المخلوقات لصالحها لا سيما المؤمنين ، أو لتخديلمهم أو إعاقتهم ساعة بعد أخرى وإلهائهم وإشغالهم عن الإرتباط بمشروع الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه ؛ فإنه يحتاج إلى تجنيد دائم ودائب وعلى طبقات ، وترويض متواصل أساسه وأوله: ذكره عجل الله تعالى فرجه والإستشعار به ، وعدم الغفلة أو التغافل عنه (صلوات الله عليه) وعلى آبائه.

الخامسة: أن دولة إبليس لا زالت قائمة ؛ وتعمل بفعالية عالية ، بل إلى أخريات عالم الرجعة ، وكلما تقدم بها العمر كلما ازدادت خبرة وتضلعا.

السادسة: أن كافة دول الشرّ والباطل تابعة لدولة إبليس (عليه اللعنة).

السابعة: أن الثابت في بيانات الوحي: (أن إبليس كان يصل إلى السماء السابعة ، وفي بعضها الآخر: (أنه كان قبل عصيانه وانحرافه يجول ويتعبّد مع حملة العرش ، بل ومع الكروبيين في أقطار أرجاء العوالم).

الثامنة: هناك أمواج وطاقات لدى الجنّ والأبالسة يُوجّهون بها غرائز الإنسان النّازلة.

التاسعة: أن كل قوة وغريزة نفسانية لدى الإنسان مرتبطة بعضو من أعضاء بدنه ، فهناك تلازم طردّي بين حالات النفس ، بل والرّوح وحالات البدن.

العاشرة: أن ما ورد في بيان قوله تعالى حكاية لقول إبليس: ﴿وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلَّا أَنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي﴾ - [إبراهيم: ٢٢] - برهان وحيانيّ مُشير إلى أنّ شرّ إبليس ناشئ من هوى النفس ، فهي الواعز والمحرّك نحو الشيطان ، فتألفه وتأنس به وبخطواته فتتبعه.

الحادية عشرة: من أبحاث الفيزياء الحديثة فيزياء الجنّ ، والمراد منها: دراسة طبيعة أجسامهم وحركاتها وسكناتها وتنقلاتها وارتباطاتها وما شاكل ذلك ، فهناك ←

→ قوانين فيزيائية تحكمهم وتحكم أجسامهم ، لكنّها ليست فيزياء أجسامنا المعهودة هذه ، بل فيزياء تناسب أجسامهم ؛ فإنّ الثّابت في علم الفيزياء: أنّ لكلّ جسم ولكلّ عالمٍ جسمانيّ فيزيائه الخاصّة به ، فعالم البرزخ ، وعالم السّماء الأولى والثانية وهلمّ جرّاً إلى عالم الآخرة الأبديّة ، بل وبعدها فيزيائه الخاصّة به. بل الأجسام الأرضيّة لكلّ واحدٍ منها فيزيائه الخاصّة به ، فالنانو ، والكوانتم ، والفيتمو ، والدّرة ، والطاقات السّابحة والمتحرّكة والمتحكّمة بأجسام عالم الدّنيا الأولى ونشأتنا الأرضيّة هذه لكلّ منها فيزيائه الخاصّة به.

وبالجملة: كلّ ما يُحيط بالإنسان في هذه النّشأة الأرضيّة من الأشياء الخفيفة والثقيلة ، والسّريعة والبطيئة ، والغليظة والكثيفة واللّطيفة وما شاكلها - من أحكام الجسمانيّات المحيطة بمخلوقات هذه النّشأة الأرضية - له أحكامه الفيزيائية الخاصّة به.

وعليه: فمن الخطأ الاعتقاد أنّ للإنسان فيزياء واحدة.

ومعناه: أنّ مبحث الأجسام خطير جدّاً في جملة عوالم وعلوم المعارف.

بعد الالتفات: أنّ علم الفيزياء علمٌ فطريٌّ في الإنسان.

الثانية عشرة: ورد في بيانات الوحي: أنّ جنّة الجنّ الصّالحين دون جنّة الإنس ؛ لكون قدرة التّفكير والمستوى العقليّ الذي يحمله الإنسان أعلىّ شأنًا وأشدّ خطراً من قدرة التّفكير والمستوى العقليّ الذي يحمله الجنّ.

نعم ، هذه الجنّة هي جنّة فسّاق المؤمنين ؛ لكوّنهم حسبوا أنفسهم على الملاذ الخياليّة فتضععت درجاتهم من جنّة الإنس إلى جنّة الجنّ.

وهذا ما يوضّح: كثير من نكات بيانات الوحي ، منها:

١- بيان قوله عزّ قوله المقتصّ لخبر إبليس في بداية خلقه آدم ﷺ: ﴿ قَالَ رَبِّ فَأَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُعْمَرُونَ ﴾ * قال فإنك من المنظرين * إلى يوم الوقت -

→ المعلوم * قال فِعْرَتِكَ لَأَغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ * إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلِصِينَ ﴿ [ص: ٧٩- ٨٣].

ودلالته قد اتّضحت ؛ فإنَّ المُخلصين بعدما خلصوا وتخلّصوا من عالم النَّفس ومشاغبات عالم الوهم والخيال ؛ وارتقوا إلى عالم العقل والنور والتَّوحيد والذي يستحيل على الأبالسة الارتقاء والوصول إليه ؛ فاذعنوا وتيقنوا والتزموا بالحقيقة المطلقة المشار إليها في بيانات الوحي ، منها: بيان قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ جَسَمْنَا فِرَادَى كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَنَرَكُم مَّا خَوَّلْنَاكُمْ وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ وَمَا نَرِي مَعَكُمْ شُفَعَاءَكُمُ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَاءُ لَقَدْ تَقَطَّعَ بَيْنَكُمْ وَضَلَّ عَنْكُمْ مَا كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴾ - [الأنعام: ٩٤] - ؛ فعرّفوا أنّ الجاه والمنصب وكثرة العشيرة والأموال والأولاد: ﴿ كَسْرَابٍ بِقِيَعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمَانُ مَاءً حَسِيًّا إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا وَوَجَدَ اللَّهُ عِنْدَهُ فَوَاقُهُ حِسَابَهُ وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴾ - [النور: ٣٩] - ، وعرّفوا أيضاً: أنّ أفق نزعات النَّفس: عالم الوهم والخيال ، فحقائقه خيالية مثالية محدودة ، بخلاف حقائق عالم العقل والنور ؛ فإنّها غير محدودة وغير متناهية ، وهذا ما لا يمكن للجنّ والشياطين والأبالسة الارتقاء والعروج إليه ، فإبليس استثنى (عباد الله المُخلصين) من الإنس ؛ لكون ما وصلوا إليه وتشبّثوا به من مراتب عالم العقل والنور خارج عن مكنته (عليه اللعنة) وقدرته.

٢- بيان قوله عزّ من قائل: ﴿ وَمَا تَنَزَّلَتْ بِهِ الشَّيَاطِينُ ﴾ * وَمَا يَنْبَغِي لَهُمْ وَمَا يَسْتَطِيعُونَ * إِيَّاهُمْ عَنِ السَّمْعِ لَمْعَزُولُونَ ﴿ [الشعراء: ٢١٠- ٢١٢].

ودلالته قد اتّضحت.

الثالثة عشرة: أنّ طبيعة الجنّ أقوىاء في عالم الخيال ، وأصحاب باع في الفنون ، ومن ثمّ استعان بهم النبي سليمان عليه السلام.

فانظر: بيانات الوحي ، منها:

١- بيان قوله جلّ جلاله: ﴿وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰ أَوْلِيَآئِهِمْ لِيُجَادِلُوكُمْ﴾^(١).

→ بيان قوله ﷺ: ﴿فَسَخَرْنَا لَهُ الرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِهِ رُخَاءَ حَيْثُ أَصَابَ * وَالشَّيَاطِينَ كُلَّ بِنَاءٍ وَعَوَاصٍ﴾ [ص: ٣٦-٣٧].
ودلالته واضحة.

أمّا طبيعة الملائكة فإنّهم أقوىاء في البعد القدسي التلائوي العقلي ، نعم الملائكة المقرّبين ﷺ أعظم باعاً من الجنّ في عالم الفنّ والخيال أيضاً.
وهذا برهان دالّ على أنّ أنواع المخلوقات على طبقات.

إذن: حركات الجنّ في عالم المثال وقدراتهم في عالم الخيال أشدّ قوّة من قدرات الإنس ما عدا كَمَل المخلوقات - الأنبياء ، والأوصياء ، والأصفياء ، والأولياء - فإنّهم الأعظم قدرة.

لكن: مع كلّ هذا الإنس أشرف وأعظم ؛ لعظمة الجانب العقلي لديهم.

وبالجملة: تخصّص الشّياطين وسائر الجنّ يكمن في عالم الفنّ والخيال ، وبراعتهم ومهاراتهم في هذا المجال تفوق براعات ومهارات سائر المخلوقات إلاّ المعصوم ﷺ ، ومن ثمّ استخدمهم النبي سليمان ﷺ في الفنون المحلّلة ، وهي شاملة للعمارة والبناء والقواعد الرياضية.

الرّابعة عشرة: أنّ تطوّر معلم الحضارة الفرعونية - منها: بناء الاهرامات - تمّ من خلال استعمال السّحر ؛ وتوسّط الشّياطين والجنّ والإنس ، فقدره الشّياطين والجنّ في عالم الفنّ وعالم الخيال أعظم من قدرة سائر البشر عدا المعصوم ﷺ ، ومن ثمّ استعمالهم النبي سليمان ﷺ.

٢- بيان قوله تعالى ذكره: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا﴾^(١).

٣- بيان قوله تبارك وتعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَا أَرْسَلْنَا الشَّيَاطِينَ عَلَى الْكَافِرِينَ تَوَهُمَ آزًا﴾^(٢).

٤- بيان قوله علا ذكره: ﴿هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَىٰ مَن نُّنَزِّلُ الشَّيَاطِينَ * نُنَزِّلُ عَلَىٰ كُلِّ أُمَّةٍ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ * يُلْقُونَ السَّمْعَ وَأَكْتُرُهُمْ كَاذِبُونَ﴾^(٣).

٥- بيان قوله جل ذكره: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ وَعَلَّمُوا تَوْسُوسَ بِهِ نَفْسَهُ وَخَسَّ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ﴾^(٤) - ^(٥) يَتِمُّ مِنْ خِلَالِ الْعَرَضِ عَلَى مُحْكَمَاتِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ وَمُحْكَمَاتِ السُّنَّةِ الشَّرِيفَةِ ؛ وَعَلَى لُغَةِ بَدِيهَاتِ الْوُجْدَانِ ، وَلُغَةِ الذُّوقِ ، وَلُغَةِ بَدِيهَاتِ الْعَقْلِ .

(١) الأنعام: ١١٢.

(٢) مريم: ٨٣.

(٣) الشعراء: ٢٢١ - ٢٢٣.

(٤) ق: ١٦.

(٥) هذه الشارطة عدل للشارطة المتقدمة قبل كلمة: (منها) ، فتكون العبارة هكذا: «وتتميز هذه النداءات الحقة عن غيرها الواردة من قوى الشر والنفس والسيطنة والمشار إليها في بيانات الوحي الإلهي الأخرى يتم من خلال العرض على محكمات...».

[إستنباطات أهل المعرفة]

ثُمَّ إِنَّهُ يَنْبَغِي الْإِلْتِفَاتِ: أَنَّ جُلَّ اسْتِنْبَاطَاتِ أَهْلِ الْمَعْرِفَةِ مَبْتَنِيَةٌ عَلَى اسْتِنْبَاطَاتِ ذَوْقِيَّةٍ وَبِالْعِلْمِ الذَّوْقِيِّ ، مُسْتَفَادَةٌ مِنْ بَيَانَاتِ الْوَحْيِ ، وَليست متابعَةٌ لِمَكَاشِفَاتِهِمْ وَرِيَاضَاتِهِمُ الْخَاصَّةَ^(١) .

(١) يجدر الإلتفات في المقام إلى الأمرين التَّالِيَيْنِ:

الأوَّل: أَنَّ الْكَثِيرَ مِنْ أَصْحَابِ الرِّيَاضَاتِ الرُّوحِيَّةِ - فِي بِلَادِ الْهِنْدِ وَالصِّينِ وَمَا شَاكَلَهُمَا - الْقُدْرَةُ عَلَى قِرَاءَةِ الضَّمَائِرِ وَالخَوَاطِرِ ، وَالْإِخْبَارِ عَنْ مِلْفَاتِ أَعْمَالِ الْإِنْسَانِ وَمَا يَجِيئُ فِي دَخِيلَتِهِ ، وَلَدَيْهِمُ الْقُدْرَةُ أَيْضاً عَلَى طَيِّبِ الْأَرْضِ وَالْمَشْيِ عَلَى الْمَاءِ ، بَلْ وَفِي الْهَوَاءِ وَمَا شَاكَلِ ذَلِكَ ، لَكِنْ هَذِهِ وَأَشْبَاهُهَا وَنظَائِرُهَا وَإِنْ كَانَتْ أَعْمَالٌ خَيْرٍ وَرَحْمَةٌ ، لَكِنَّهَا لَا تَكْشِفُ وَلَا تَدُلُّ عَلَى صِلَاحِ الْمَرْتَضِ وَرِضَى الْبَارِي ﷻ عَنْهُ ؛ لِاحْتِمَالِ أَنْ يَكُونَ مَا مُتَّعَ بِهِ مِنْ بَابِ الْاسْتِدْرَاجِ .

فانظر: بيانات الوحي ، منها:

١- بَيَانُ قَوْلِهِ جَلَّ قَوْلُهُ الْمُقْتَصِّصُ لَخَبْرِ عَرْشِ بَلْقَيْسَ: ﴿ قَالَ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَنَكُمُ يَا تُنَجِيحُ بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَنْ يَأْتُوْنِي مُسْلِمِينَ * قَالَ عَفْرَيْتُ مِنْ الْجَنِّ أَنَا أَيْتِكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَقُومَ مِنْ مَقَامِكَ وَإِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِي أَمِينٌ * قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفَكَ فَلَمَّا رَأَاهُ مُسْتَقِرًّا عِنْدَهُ قَالَ هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي لِيُلَاقِيَ الْأَشْكُرُ أَمْ أَكْفَرُ وَمَنْ شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌ كَرِيمٌ * [النمل: ٣٨-٤٠] .

٢- بَيَانُ قَوْلِهِ عَزَّ مِنْ قَائِلٍ: ﴿ إِن هِيَ إِلَّا فِتْنَتُكَ نُضِلُّهَا مَنْ تَشَاءُ وَنَهْدِي مَنْ تَشَاءُ * [الأعراف: ١٥٥] .

→ ٣- بيان قوله عزّ قوله: ﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لَتَفْتَنَنَّهُمْ فِيهِ وَرِزْقًا خَيْرًا وَبَاقِيًا﴾ [طه: ١٣١].

٤- بيان قوله ﷺ: ﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ﴾ [العنكبوت: ٣].

ودلالة الجميع واضحة.

ثم إن رضى الله تبارك وتعالى: نظام منظومي طويل الذيل ، وبعيد المدى.

وهذا ما تُشير إليه بيانات الوحي ، منها:

أولاً: بيان قوله عزّ ذكره: ﴿يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَاقِيهِ﴾ [الانشقاق: ٦].

ثانياً: بيان سيّد الأنبياء ﷺ في وصيته لأمير المؤمنين صلوات الله عليه: «يا عليّ ، إن هذا الدين متين فأوغل فيه برفق ...». بحار الأنوار ، ٦٨ : ٢١٣ - ٢١٤ / ح ٨ . الكافي ، ٢ : ٨٧ .

كُلُّ رِيَاضَةٍ لَا تَرْتَبِطُ بِالسَّاحَةِ الْإِلَهِيَّةِ فَلَا بُدَّ مِنْ ارْتِبَاطِهَا بِالْجَنِّ وَالْأَبَالَسَةِ

الثاني: هناك ضابطة وقاعدة معرفيّة مُسلّمة ، عظيمة وخطيرة جدّاً أُشير إليها في بيانات الوحي ينبغي صرف النظر إليها ، وهي: «أَنَّ كُلَّ رِيَاضَةٍ رُوحِيَّةٍ لَا تَرْتَبِطُ بِاللَّهِ ﷻ وَلَا بِرَسُولِهِ ﷺ وَلَا بِأَوْلِيَائِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَلَا بُدَّ مِنْ ارْتِبَاطِهَا - تَلْقَائِيًّا - بِالْجَنِّ وَالْأَبَالَسَةِ ، بَلْ بِعَمُومِ الْقَوَى الشَّرِيرَةِ».

ثم إن الرّياضة الروحيّة منهاج لقوى النّفس العمليّة فإذا لم يُميّز المنهج العبادي المرتبط بالله تعالى ورسوله وسائر أهل البيت صلوات الله عليهم فلا بُدَّ من ارتطام السّالك بمنزلات خطيرة.

[مراعاة القواعد المعرفية]

وينبغي الالتفات أيضاً: أنَّ من الأمور المعرفية والصناعية التي يجدر صرف النظر إليها في علم المعارف: أنَّ القواعد المعرفية المبنية في بيانات أهل البيت عليهم السلام - وهي: قواعد بلغة عقلية وذوقية مبدَّهة - إذا روعيت في مواطنها ومصاديقها، بل ومع قواعد أخرى فستكون النتائج لا محالة باهرة مذهلة.

[عصارة ما تقدم في اللغة والقراءة الذوقية]

والخلاصة: أنَّ العلم والعلوم على أنواع وضروب، منها: (العلم الذوقي) وهو - وإن كان على درجات، لكنه وبجميع درجاته - رؤية عيانية وجدانية للحقائق والواقعيات، ولا يمكن وصول المخلوق إلى أعماق فهم الحقائق والواقعيات من دونة^(١).

→ بعد الالتفات: أنَّ لكلِّ قوَّة من قوى النفس - سواء أكانت علمية أو روحية أو فكرية - مناهج سوية وهادية، ومناهج غوية ومردية. وهذه المناهج غالباً ما يتلبس الغوي منها بمنهج السوي؛ فيقع حينئذٍ الخلط والاشتباه.

بعد الالتفات أيضاً: أنَّه من السهل تمييز طبيعة أفعال الإنسان الجلية والمحسوسة والمعلنة، لكنه من الصعب بمكان تمييز طبيعة أفعاله الخفية وغير المحسوسة، مع أنَّ ارتباطه بهذا النحو أكثر من ارتباطه بذلك النحو، لأنَّ حركة وصدور الخفية سريعة ومهولة جداً فيصعب التحكُّم فيها، ولا طريق للتحكُّم فيها إلا طريق ولغة المراقبة والمحاسبة. فلذا يجب على الإنسان التركيز دائماً على قواه غير المرئية.

(١) مرجع الضمير: (العلم الذوقي).

ومعناه: أن العلم الذوقي يُعطي فهماً غائراً وغائصاً.

[لب لباب ما ذكرناه في القراءتين]

فتلخَّصْ مِنْ كُلِّ ما ذكرناه: إِنَّ البُعدَ والعمود الأَصْلَ في بيانات الوحي المعرفية - لا سيما العقائدية - هو البُعد: (العقلي) ، و(الفطري) ، و(التكويني) ، ولغتها: (عقلية) ، و(فطرية) ، و(تكوينية).

تنبيهات:

هناك أمور وقضايا لتوضيح وتسهيل هضم ما تقدّم ، منها: بيان بعض معالم حقيقة: العقل ، والفهم ، والذات وما يجول فيها ، نذكرها إجمالاً^(١) تحت عنوان: (تنبيهات) :

التنبيه الأول:

العقول مخلوقات جسمانية لطيفة

هناك قضية ضرورية جداً ، ينبغي للباحث في أبواب المعارف وغيرها تحسُّسها وتذوقها ، لكنّه يحتاج دهرًا ، ومَنْ يدركها فقد عرج وارتقى في سماء عالم المعارف غير المتناهية ، حاصلها: أَنَّ العقل: عالمٌ وملكٌ وروحٌ ومخلوقٌ مهولٌ^(٢) ، حيٌّ شاعر حسّاس حيويٌّ ناطق ، مِنْ عالم الأَجسام ، لطيف ، له

(١) تفاصيل هذه الأبحاث والتنبيهات تأتي (إن شاء الله تعالى) في أبوابها الخاصة ، فانتظر.

(٢) يجدر الالتفات إلى الأمور التالية:

مادّة^(١) وصورة ، قابل للتكامل ، ومُتعلّق بجسم الطف من جسم الجنّة

→ الأوّل: أنّ المخلوقات لا تقتصر على المعهودة من الإنس والجنّ والملائكة والحيوانات والنباتات والجمادات ؛ فإنّ هناك مخلوقات أُخرى كثيرة لم تكشف عن أسماؤها ببيانات الوحي ، نعم كُنّت عن بعضها ك: (يأجوج ومأجوج).

وقد أثبتت الفيزياء الحديثة كثير من الموجودات الدنيويّة الأرضية الخفيّة ؛ التي لم يحسّ ولم يشعر بها البشر في هذه النشأة الأرضيّة ، وعبرَ عنها أصحاب علم الفيزياء بـ (الطاقات السّابحة) ، وما اكتشفوه منها نزر يسير. وأحد مهام هذه المخلوقات: إدارة وتدبير نظام منظومة عالمنا ونشأتنا الأرضيّة هذه.

الثاني: أنّ لله ﷻ في كلّ عالمٍ من عوالم الخلق غير المتناهية مخلوقات غير متناهية أيضاً.

الثالث: أنّ هناك مخلوقات كثيرة غير مرئيّة لبني البشر والجنّ والملائكة ؛ فإنّ مصنع الله في الخلق غير متناهٍ.

(١) ينبغي الالتفات إلى القضيتين التّاليتين:

الأوّل: أنّ مصطلح وعنوان (المادّة) يُطلق في العلوم العقلية ويُراد منه: جوهر مُتّصف بأبعاد الجسم الثلاثة - الطول والعرض والعمق - ، وحينئذٍ يكون قابلاً للإنقسام ، فتكون له صورة.

ويُطلق في العلوم التجريبيّة ويُراد منه: الطاقة المُتكثّفة.

الثانية: المراد من المادّة - سواء أكانت جسمانيّة أو غيرها - في المباحث العقليّة: وجود قوّة وقابليّة على التّكامل والنمو والتطوّر والاشتداد الكميّ.

الأبدية.

خلافاً لِمَا ذهب إليه ابن سينا ومن جرى على شاكلته إلى يومنا هذا ؛ فإنّهم ذهبوا إلى أنّه لا قطة معلومات ، ومراة عاكسة وجامدة ليس إلا ، ومن عالم المُجَرّدات ، ليست فيه حركة وغير قابل للتكامل . لكنّه مخالف لِمَا صدعت به بيانات الوحي الوافرة الظافرة .

فلاحظ منها :

١- بيان سيّد الأنبياء ﷺ المتقدّم ، عن أمير المؤمنين عليه السلام^(١) ، قال : « أنّ النبيّ ﷺ سئل بما خلق الله ﷻ العقل ، قال : خلقه ملك ، له رؤوس بعدد الخلائق ، من خلق ، ومن يُخلق إلى يوم القيامة ... »^(٢) .

ودلالته واضحة ؛ على أنّ العقل من عالم الملائكة^(٣) - لكنّه أعظم من

→ وعليه : فالمادّة الجوهرية لا تلازم الأبعاد الجسمانية - خلافاً لأكثر الفلاسفة والمتكلّمين ؛ فإنّهم بنوا على التلازم - ومن ثمّ يمكن تصوّر مادّة عقلية تتكامل من خلالها العوالم والنشآت قبل هذا العالم وبعده .

(١) ينبغي الالتفات : أنّه كلّما أتى أهل البيت صلوات الله عليهم بيان لسيدّ الأنبياء ﷺ فدلّيل على ضرب لقاعدة معرفية وحيائية مهمّة جداً .

(٢) بحار الأنوار ، ١ : ٩٩ / ح ١٤ .

(٣) لا بأس بصرف النظر في المقام إلى الأمور التالية :

الأوّل : أنّ للملك جسم فيه روح وعقل .

→ الثاني: هناك فارق بين الإنسان والمَلَك لا بأس بالالتفات إليه ، حاصله: أن الإنسان يُكابِد امتحانات تولد له تكاملاً أعظم من تكامل الملك ، بخلاف المَلَك ؛ فإنه لا يُكابِد تلك الامتحانات والإبتلاءات.

الثالث: ظاهر كلام العلامة الطباطبائي في تفسير الميزان: أن علم الملائكة علم حضوري ، يعني: مفاهيم ومعاني فحسب. لكنّه ارتطام بغفلة ، ومخالفة لظاهر بيانات الوحي ، منها:

بيان قوله تعالى: ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ * قالوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ * قَالَ يَا آدَمُ أَنْبِئْهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ فَلَمَّا أَنْبَأَهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تُخْفُونَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ﴾ [البقرة: ٣١-٣٣].

فإن ما كتّمته الملائكة توهم خاطئ ليس له واقعية. ثم إن هناك خلافاً في قبول العلم الحضوري للخطأ ، فذهب المناطقة والفلاسفة والعرفاء والصوفية إلى عدم قبوله للخطأ.

الرابع: الثابت في بيانات الوحي: أن بني البشر كانوا يرون الملائكة إلى زمان النبي إبراهيم عليه السلام. بل الجن ترى إلى الآن بعض الملائكة.

الخامس: أن لدى مُطلق البشر - مؤمنين كانوا أم كفرة وملحدين - أخذاً وعطاءً مع الملائكة وسائر مخلوقات العوالم ، شعر بذلك الإنسان أم لا ؛ بل ويُشاهدون على مدار السّاعة جملة شؤونه وأحواله وأفعاله ومعارفه ومعتقداته وتبث عليهم بثاً حياً. وطبقات باطن روحه والمُعبر عنها بـ: (العقل الباطن) تتعاطى مع ملائكة السّموات والأرضين وسائر مخلوقات تلك العوالم على مدار السّاعة وفي كل أن ولحظة فيكون من الطبيعي من يتقن باب الملائكة وأبواب سائر المخلوقات سيستفيد كثيراً في التّكامل الرّوحي والرّؤية المعرفية.

الملائكة المُقَرَّبِينَ كجبرئيل وإسرافيل وميكائيل وعزرائيل عليهم السلام ^(١) - ، وهي مخلوقات: حيّة شاعرة ، حسّاسة ، حيويّة ، ناطقة ، ومن عالم الأجسام اللطيفة ، لها مواد وصور ، فتكون قابلة للحركة والتكامل ، فكذا العقل .

→ لكن: أعرض عن هذه الأبواب - رغم أهميّتها وعظيم وخطر فائدتها - وغفل أو تغافل عنها جلّ أصحاب المدارس المعرفيّة البشريّة - كالفلاسفة والمتكلّمين والعرفاء - .

السّادس: أنّ للملائكة آجال مُختلفة وليسوا على أجلٍ واحد .

وهذا ما تُشير إليه بيانات الوحي ، منها:

بيان الحديث القدسي منضمّاً إليه بيان سيّد الأنبياء صلى الله عليه وآله الوارد في حادثة مبيت أمير المؤمنين في فراشه (صلوات الله عليهما وعلى أهما) ، قال: «أوصى الله إلى جبرئيل وميكائيل: أنّي آخيتُ بينكما وجعلتُ عمر أحدكما أطول من عمر صاحبه ، فأَيُّكما يؤثر أخاه؟ فكلاهما كرها الموت ...». بحار الأنوار ، ٣٦: ٤٢ - ٤٢/ح ٦. مناقب آل أبي طالب ، ١: ٢٨٢ - ٢٨٣ .

(١) إنّ معنى اسم (إسرافيل) في اللّغة العبريّة: عبد الله ؛ فإنّ: (اسرا) يعني: عبد ، و(فيل) يعني: الله .

ومعنى اسم (جبرئيل) في اللّغة العبريّة أيضاً: قوّة وبطش الله تعالى ؛ فإنّ معنى: (جبرا) يعني: القوّة والبطش ، ومعنى (ئيل): الله .

ومعنى اسم (ميكائيل) في اللّغة العبريّة أيضاً: مكيال الله ؛ فإنّ معنى (ميكاء): المكيال ، ومعنى (ئيل): الله .

ومعنى اسم (عزرائيل) في اللّغة العبريّة أيضاً: المهلك الله ؛ فإنّ معنى (عزرا): المهلك ، ومعنى (ئيل): الله .

إِنْ قُلْتَ: إِنَّ الثَّابِتَ لَدَى أَهْلِ الْمُعْقُولِ: أَنَّ الْمَلَائِكَةَ مَخْلُوقَاتٌ مُجَرَّدَةٌ تَجَرَّدًا تَامًّا عَنِ الْجَسْمِيَّةِ ، وَالْعَقْلُ بَعْدَمَا وَصَفَهُ سَيِّدُ الْأَنْبِيَاءِ ﷺ بِأَنَّهُ: (مَلِكٌ) فَيَكُونُ مُجَرَّدًا تَجَرَّدًا تَامًّا عَنِ الْجَسْمِيَّةِ أَيْضًا ، فَيَبْطُلُ الْقِيَاسُ ، وَحَيْثُ لَا يَكُونُ قَابِلًا لِلتَّكَامُلِ ؛ لِإِنْتِفَاءِ الْحَرَكَةِ وَالْمَادَّةِ .

قُلْتُ: إِنَّهُ وَإِنْ كَانَ الْأَمْرُ كَذَلِكَ ، لَكِنَّ الثَّابِتَ فِي بَيَانَاتِ الْوَحْيِ الْوَافِرَةِ الْبَاهِرَةِ: أَنَّ لِلْمَلَائِكَةِ مَوَادَّ وَأَبْدَانًا جُسْمَانِيَّةً ، لَكِنَّهَا لَطِيفَةٌ وَمُجَرَّدَةٌ عَنِ الْمَادَّةِ الْغَلِيظَةِ ، فَتَكُونُ قَابِلَةً لِلْحَرَكَةِ وَالتَّكَامُلِ عَلَى وَفْقِ الْقَاعِدَةِ ، فَكَذَا الْعَقْلُ .

فَانظُرْ: بَيَانَاتِ الْوَحْيِ ، مِنْهَا:

أَوَّلًا: بَيَانُ قَوْلِهِ جَلَّتْ آوَاهُ: ﴿جَاعِلِ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا أُولِي أَجْنِحَةٍ مُنْشِي وَرُءُوعًا يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ﴾^(١).

ثَانِيًا: بَيَانُ حَدِيثِ الْمَعْرَاجِ: « ... أَتَى جِبْرَائِيلَ عَيْنًا فَتَوَضَّأَ مِنْهَا ، ثُمَّ قَالَ: يَا مُحَمَّدُ ، تَوَضَّأَ ، ثُمَّ قَامَ جِبْرَائِيلُ فَأَذَّنَ ... »^(٢).

ثَالِثًا: مَا وَرَدَ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ ، قَالَ: « ... كَانَ جِبْرَائِيلُ ﷺ جَالِسًا عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ عَنِ يَمِينِهِ إِذْ أَقْبَلَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ﷺ فَضَحِكَ جِبْرَائِيلُ ﷺ ... »^(٣).

(١) فاطر: ١.

(٢) بحار الأنوار ، ١٨ : ٣٩٤ / ح ٩٩.

(٣) المصدر نفسه ، ٣٩ : ٩٨.

رابعاً: ما ورد عنه أيضاً، قال: «الملك الذي جاء إلى محمد ﷺ يخبره بقتل الحسين كان جبرئيل الروح الأمين، منشور الأجنحة، باكباً صارخاً...»^(١).
 ودلالة الجميع واضحة على أن الملائكة من عالم الأجسام، لها مادة تعرض عليها الحركة، فتكون قابلة للتكامل.

بل نقل صاحب البحار^(٢) إجماع الإمامية، بل جميع المسلمين - إلا من شدّ - على ذلك، ونصّ عبارته: «إعلم أنه أجمعت الإمامية، بل جميع المسلمين إلا من شدّ منهم من المتفلسفين الذين أدخلوا أنفسهم بين المسلمين لتخريب أصولهم، وتضييع عقائدهم على وجود الملائكة، وأنهم أجسام لطيفة نورانية، أولي أجنحة مثنى وثلاث ورباع وأكثر، قادرين على التشكل بالأشكال المختلفة، وأنه سبحانه يورد عليهم بقدرته ما يشاء من الأشكال والصُّور على حسب الحكم والمصالح، ولهم حركات صعوداً وهبوطاً، وكانوا يراهم الأنبياء والأوصياء^(عليهم السلام)، والقول بتجرُّدهم وتأويلهم بالعقول

(١) بحار الأنوار، ٤٤: ٢٣٧/ح ٢٨.

(٢) لا بأس بالالتفات: أن المجلسي الابن صاحب كتاب البحار مع كونه طوداً ووتدّاً شامخاً، ووفق لجمع تراث أهل البيت صلوات الله عليهم، لكن من يُدقق في جملة من أبحاثه فسيجد أنه قد تورّط - كغيره - بكلام البشر، فانشغل بأقوال الفلاسفة والمتكلمين والمفسرين، وقصر بيانات الوحي وفهمها على وفق إدراكات البشر وحسبها عليها. هذا هو حاله فما ظنك بمن دونه، فتأخذهم سكرة الجدل العلمي مع أفق البشر لتصبح حجاً مانعاً.

والنُفوس الفلكيَّة ، والقوى والطَّباع ، وتأويل الآيات المتظافرة ، والأخبار المتواترة تعويلاً على سُبُهات واهية واستبعادات وهميَّة زيغ عن سبيل الهدى ، واتباع لأهل الجهل والعمى. قال المحقِّق الدواني في شرح العقائد: الملائكة أجسام لطيفة قادرة على التَّشكُّلات المختلفة . وقال شارح المقاصد: ظاهر الكتاب والسُّنة - وهو قول أكثر الأُمَّة - أنَّ الملائكة أجسام لطيفة نورانيَّة ، قادرة على التَّشكُّلات بأشكال مختلفة. كاملة في العلم والقدرة على الأفعال الشَّاقة. شأنها الطَّاعة...»^(١).

٢- بيان الإمام الصادق عليه السلام: « اعرفوا العقل وجنده ، والجهل وجنده تهتدوا ، ... إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ خَلَقَ الْعَقْلَ ، وَهُوَ أَوَّلُ خَلْقٍ مِنَ الرُّوحَانِيِّينَ عَنْ يَمِينِ الْعَرْشِ مِنْ نُورِهِ ، فَقَالَ لَهُ: أَذْبِرْ ، فَأَذْبَرَ ، ثُمَّ قَالَ لَهُ: أَقْبِلْ ، فَأَقْبَلَ ، فَقَالَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: خَلَقْتُكَ خَلْقًا عَظِيمًا ، وَكَرَّمْتُكَ عَلَى جَمِيعِ خَلْقِي ... »^(٢).

ودلالته واضحة على أنَّ العقل من عالم الأرواح ، وهي أجسام لطيفة.

فانظر: بيانات الوحي ، منها:

بيان الإمام الصادق عليه السلام: « ... والرُّوح جسم رقيق ، قد ألبس قلباً كشيئاً... »^(٣).

(١) بحار الأنوار ، ٥٦ : ٢٠٢ - ٢٠٣ .

(٢) أصول الكافي ، ١ : ١٧ / ح ١٤ .

(٣) بحار الأنوار ، ٦ : ٢١٦ / ح ٨ . الاحتجاج ، ٢ : ٩٦ .

وبالجملة: ما ذكره الإمام الصادق عليه السلام في بيان حديث: (جنود العقل والجهل)^(١) برهان وحيانيٌّ دالٌّ على معادلة وقاعدة معرفيةٌ مستفيضة ، وردت في بيانات الوحي الباهرة ، مطويةٌ فيها قواعد معرفيةٌ كثيرة ؛ مهولة وخطيرة جداً ، منها :

الأولى: أنَّ المراد من عنوان: (العقل) الوارد في بيانات الوحي والعلوم المعرفية ليس المُخ ؛ فإنه آلة جسمانية للعقل ، وإنما مخلوق مهول ، ذو طبيعة ملائكية.

الثانية: أنَّ هناك عالماً وجوهراً عقلياً أظف من عالم الجنة الجسمانية الأخروية الأبدية ، فضلاً عن ما دونها من عوالم الأجسام والجنة البرزخية .
فعالم الرُّوحانيِّين وإن كان من عالم الأجسام اللطيفة^(٢) ، لكنه ملكوت

(١) يجدر الالتفات:

أولاً: أنَّ حديث: (جنود العقل والجهل) للإمام الصادق عليه السلام بيان لفلسفة تشريعات كثيرة ، فيصلح أن يكون بياناً منظومياً كبيراً للفلسفة الأخلاقية في نظام الإسلام ، ويصلح أيضاً أن يكون منظومة نظام متكامل لفلسفة تشريعات الواجبات والمُحرّمات في مُطلق العبادات والمعاملات.

ثانياً: أنَّ الموضة في الفلسفات والاطروحات الغربية تحاول تجنيد جند العقل الجميلة الطبع لصالح الشّر وجنده ، وهذه مغالطة شنيعة وخطيرة.

(٢) ينبغي الالتفات: إنه وإن لم تكن للعقل أبعاد الجسم الثلاثة - الطول والعرض والعمق (الارتفاع) - لكن له مادّة لطيفة وصورة ، لكنها ليست صاحبة أبعاد ←

وغيب لما دونه ، كعالم الجنة الجسمانية الأخروية الأبدية .

وهذا برهان دال على أن العوالم الجسمانية من حيث اللطافة والقوة على درجات ومراتب وطبقات إلى ما شاء الله .

الثالثة: أن عالم الروحانيين لا يقتصر على عالم العقل ، نعم هو أولها .

الرابعة: أن العالم العقلي هو: أول العوالم المجردة عن المادة الغليظة .

عصارة ما تقدم: أن الثابت لدى الفلاسفة والمتكلمين والعرفاء: أن العالم العقلي فوق عالم الآخرة الأبدية ، ومجرد تجرداً تاماً عن مطلق الجسمية والمادة ؛ فيكون غير قابل للتكامل ، لكنه يبقى ممكناً ومحدوداً .

لكن: الثابت في بيانات أهل البيت عليهم السلام أنه وإن كان فوق عالم الآخرة الأبدية ، لكنه يبقى من العوالم الجسمانية الممتد فوق عالم العرش ، وعالم العقل تحت العرش ، بل بينه وبين العرش عالم المشيئة ، من ثم يكون العقل قابلاً للتكامل .

وبعبارة أخرى: أن الفلاسفة والعرفاء وإن ذهبوا إلى أن عالم الخيال والمثال من العوالم الجسمانية المقدارية وله أين وزمان ومكان ومقدار ، لكنهم حكموا بتجرد عالم العقل تجرداً تاماً عن الجسمية والمقادير ، وهذه غفلة شنيعة وخطأ فاحش ارتطموا به ؛ نتيجة ابتعادهم عن بيانات الوحي ، فإن

→ جغرافية ، فهو وإن لم يكن جسماً بالمعنى الأول - أي: صاحب الأبعاد الثلاثة - لكنه جسم بالمعنى الثاني - أي: صاحب مادة وصورة - ، فالتفت ، وتأمل جيداً .

الثَّابِت فيها: أَنَّ العوالم الجسَمانيَّة تمتدِّ إلى عَالَمِ العَقْلِ ، بل وفوقه إلى سِدْرَةِ الْمُتَهَيِّ ، بل وفوقها. وكُلُّهَا عوالم جَسَمانيَّة وماديَّة ، نعم بينها تَفَاوُت في الغلظة واللطافة ، وهذا التَفَاوُت في الأَجْسَام والمقادير وكِيفِيَّاتِ المادَّة لا يمكن دركه باليَّات الأَجْسَام الأَعْلَى ، ومن ثَمَّ تَظُن مخلوقات العوالم الجَسَمانيَّة النَّازِلَة والأَعْلَى في حَقِّ العوالم الجَسَمانيَّة ومخلوقاتِها الصَّاعِدَة والأَلْطَف أَنَّها عوالم نوريَّة ومُجَرَّدَة تَجَرُّدًا تامًّا عن الجَسَميَّة والمادَّة ؛ فتكون حركتها دَفِيعَة.

التَّنبِيه الثَّانِي :

العقل مُتَّصِلٌ وَمُنْفَصِلٌ

أَنَّ العَقْل تارة يكون مُتَّصِلٌ ، وهو: العَقْل الحِصُولِي ؛ صاحب المفاهيم الحِصُولِيَّة ، وإليه أشار بيان أمير المؤمنين صلوات الله عليه: «... والفكر مرآة صافية...»^(١).

وأخرى مُنْفَصِلٌ ، وهو: عَالَمٌ مُسْتَقِلٌّ ، فوق عَالَمِ الآخِرَة الأَبَدِيَّة ، يرتبط به الإنسان عن طريق طبقات حقيقته - أي: حقيقة الإنسان - الصَّاعِدَة ، كطبقة: القلب ، والسَّرِّ ، والخَفِيِّ والأَخْفَى ، بعد تَعَلُّقِ العَقْلِ بِالطَّفِ أَجْسَامِ الإنسان ، وهو: جَسَمٌ أَلْطَفٌ من جَسَمِ الجَنَّةِ الأَبَدِيَّة ، والعِلْمُ المُتَحَصَّلُ عن

(١) بحار الأنوار ، ١ : ١٦٩ / ح ٢٠ . نهج البلاغة ، باب: المختار من حِكَمِ أمير المؤمنين عليه السلام ومواضعه ، ٢ : ٤٨٩ .

طريق هذه الطبقات يكون علماً حضورياً.

التنبيه الثالث:

العقل أحد مواليد العرش

إنَّ الثَّابِتَ في بيانات الوحي: أَنَّ هناك عوالم تكوينية مخلوقة فوق عَالَمِ العقل.

بل الثَّابِتُ أيضاً: أَنَّ العَالَمَ العقلي قطرة في بحور مخلوقات مهولة.

لكن: هذا المبحث غفلت عنه مدارس البشر المعرفية كالفلسفية والعرفانية، إِلَّا بعض فلاسفة الإمامية الَّذِينَ اسْتَشْفُوا ذلك من بيانات الوحي.

بل الثَّابِتُ في بيانات الوحي: أَنَّ العقل أحد مواليد العرش.

التنبيه الرابع:

تجرُّد المعرفة عن الزَّمان

إنَّه بعدما كانت جملة من طبقات حقيقة ذات الإنسان ليست زمانية فبالضرورة لا تكون المعرفة زمانية.

التنبيه الخامس:

تخطي الحدود الإمكانية لعالم العقلي

إنَّ الثَّابِتَ في بيانات الوحي: أَنَّ هناك حدوداً إمكانيةً مخلوقةً فوق عَالَمِ

العقل.

لكن: هذه القضية لم يقرَّ بها الفلاسفة - منهم: الملا صدرا - ، بل لا يتقبلون تصوُّرها ، وذلك لأُمورٍ ، منها:

أولاً: إبتعادهم عن بيانات الوحي التي من تقدّمها غرق في بحر الإفراط ، ومن تأخّر عنها زهق في برّ التفريط ، الناموس الأنور ، والسراج الأزهر ، نور الأنوار ، ومحل سرّ الأسرار ، وعنصر الأبرار ، الجادّة الوسطى التي لا تخرج إلى عوج ، ولا تُزيل عن منهج الحقّ ، ومَنْ أتاها ودلّل لها فهمه ، واشغل لها قلبه شمّ برق النجاة ، وعرف من أين تُؤكل الكتف ، نعم ، هي دقيقة الوزن ، حادّة اللسان ، صعبة الترقّي حتّى على الحاذق البصير ، ومَنْ تخلّف عنها خادع نفسه ، وغالط وجدانه ، وكان حاله كمَنْ يتمسّك بنسيج العنكبوت للعروج إلى أسباب السّموات ، وتاه في بحورٍ موّاجة لا يُدرى ما غورها ولا نهايتها.

ثانياً: ذهابهم إلى أنّ الصّفات الإلهية الدّائية هي عين الدّات الإلهية الأزليّة المقدّسة تحقّقاً ، مع أنّ الثّابت في بيانات الوحي أنّها عين الدّات الإلهية المقدّسة حكاية ، أي: أنّها مخلوقات إلهية شريفة وعظيمة ومهولة جدّاً من مخلوقات عالم الأسماء والصّفات الإلهية عالم السرمد والأزل ، تحكي الدّات الإلهية المقدّسة من وجه^(١).

(١) لا بأس بالالتفات في المقام إلى أنّ أهل البيت صلوات الله عليهم ذكروا أسماء وصفات إلهية لم يذكرها من قبل مخلوق قطّ. وهذا يدلّ على علوِّ إمامتهم وعصمتهم وهيمنتهم ومقاماتهم وفضائلهم وكمالهم وشؤونهم ، وتقدّمهم على جملة المخلوقات.

وبالجملة: مُطلق الفلاسفة - سواء أكانوا مشاء أم اشراق أم حكمة متعالية - مُشركون ومشبّهون بشركٍ وتشبيهٍ خفيٍّ من حيث لا يشعرون ، ومشمولون ببيان قوله تعالى: ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ﴾^(١)؛ وذلك لاعتقادهم: (أنَّ الصفات الإلهية الذاتية عين الذات الإلهية الأزلية المقدسة تحقُّقاً)؛ فإنَّ لازمه - والعياذ بالله تعالى - حصول شرك وشراكة في داخل الذات الإلهية الأزلية المقدسة ، واكتناه المخلوق للذات المقدسة وتحديدها ، والتشبيه الخفي .

والحقُّ: أنَّها عين الذات المقدسة حكاية ومن وجهه ، ومن ثمَّ لا يُقام التَّوحيد ولا يتمُّ ولا يكمل إلا بالتوسُّل بالآيات والأسماء والصفات الإلهية وسائر مرادفاتها الإلهية العقلية ، وأعظم هدف وثمره يُحقِّقها التَّوسُّل بالآيات الإلهية ومرادفاتها العقلية: تنزيه الذات الإلهية الأزلية المقدسة عن الشرك والاكتناه والتحديد والتشبيه .

ثالثاً: ذهابهم أيضاً إلى تجرُّد العقل وعالمه تجرُّداً تاماً .

وغير خفي على النيقد البصير أنَّ جميع ذلك مخالف لصريح بيانات الوحي ، كما سيأتي (إن شاء الله تعالى) تحقيق ذلك ؛ واستعراض الأدلَّة في محالها . فانتظر .

(١) يوسف: ١٠٦ .

التنبيه السادس :

الحجج ظاهرة وباطنة

إِنَّ الْحُجَجَ تَارَةً تَكُونُ ظَاهِرِيَّةً ، وَأُخْرَى بَاطِنِيَّةً ، وَوَجْهَ التَّسْمِيَةِ وَاضِحٌ ؛ فَإِنَّ الْأُولَى ظَاهِرَةٌ لِلْعِيَانِ ، وَتُحَسُّ بِأَحَدِ الْحَوَاسِ الْخَمْسِ ، بِخِلَافِ الثَّانِيَةِ ؛ فَإِنَّهَا غَيْرُ مُحَسَّوْسَةٍ بِأَحَدِ الْحَوَاسِ الْخَمْسَةِ ، وَإِنَّمَا تُحَسُّ بِأَحَدِ الْحَوَاسِ الْبَاطِنَةِ كَالْعَقْلِ وَالْوَجْدَانِ ، وَطَبَقَاتِ حَقِيقَةِ الْإِنْسَانِ الْخَفِيَّةِ كَثِيرَةً جِدًّا ، وَهِيَ الَّتِي تُسَيِّرُهُ وَتُبْرِجُ حَيَاتِهِ وَمَسِيرَتَهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُ .

ثُمَّ إِنَّ هُنَاكَ تَعَاوُدًا أَيْدٍ بَيْنَ هَذَيْنِ النُّحُومِ مِنَ الْحُجَجِ .

التنبيه السابع :

القوى العقلية المزود بها الإنسان

إِنَّ الْقَوَى الْعَقْلِيَّةَ الْمَزُودَ بِهَا الْإِنْسَانَ تَفُوقُ الْقَوَى الْعَقْلِيَّةَ الْمَزُودَ بِهَا الْجَنِّ ؛ بَلْ إِذَا اسْتَقَامَ الْإِنْسَانُ صَارَتْ قَوَاهُ الْعَقْلِيَّةَ فَوْقَ الْقَوَى الْعَقْلِيَّةَ الْمَزُودَ بِهَا جَمَلَةً مِنْ طَبَقَاتِ الْمَلَائِكَةِ ، بَلْ لَوْ كَانَ مِنْ كُمَّلِ الْبَشَرِ لَفَاقَتْ قَوَاهُ الْعَقْلِيَّةَ الْقَوَى الْعَقْلِيَّةَ لِكَافَةِ الْمَلَائِكَةِ .

ومعناه: أَنَّ الْعَقْلَ وَإِدْرَاكَاتِهِ وَرُؤْيَاهُ عَلَى مَرَاتِبٍ وَطَبَقَاتٍ .

التنبيه الثامن:

حقيقة الرؤية العقلية

مَنْ يُرَكِّزُ عَلَى رُؤْيَةِ الْعَقْلِ فَسِيرَاهَا مِنْ عَالَمٍ يَخْتَلِفُ عَنْ عَوَالِمِ قَوَاهِ الْأُخْرَى ، وَمِنْ سِنَخِ مَوْجَاتٍ وَذَبْذَبَاتٍ أُخْرَى ، وَالْبَشَرُ يَتَعَاطَى بِهَا فِي الْأَقْلِّ مِنَ اللَّحْظَةِ ، لَكِنَّهُ لَا يَسْتَشْعِرُ بِهَذَا التَّعَاطَى .

وهذه الرؤية العقلية هي المتحكِّمة وغرفة التَّحَكُّمِ فِي حَسِّ وَخِيَالٍ وَوَهْمٍ صَاحِبِهَا .

التنبيه التاسع:

الحاسة السادسة

المراد من (الحاسة السادسة) في اصطلاح علم الفيزياء وعلم النفس والعلوم التجريبية وما شاكلها من العلوم الحديثة: قوى حس غير مرئية ، أي: كُلُّ مَا لَيْسَ مِنَ الْحَوَاسِ الْخَمْسَةِ ، وَإِنْ بَلَغَ عَدْدُهَا الْمِليَارَاتِ .

التنبيه العاشر:

دمج المعاني وتحليلها

إِنَّ دَمَجَ الْمَعَانِي وَتَرْكِيْبَهَا وَتَحْلِيلَهَا وَبَسْطَهَا وَتَفْكِيقَهَا - وَمَا يُعْبَرُ عَنْهُ قَدِيمًا بـ «صناعة التحليل والتركيب» - قدرة عظيمة وعجيبة ، أودعتها يد السَّاحَةِ الْإِلَهِيَّةِ فِي عَقْلِ الْإِنْسَانِ وَخِيَالِهِ ، بَلْ وَفِي قَوَاهِ الْوَاهِمَةِ .

التنبيه الحادي عشر:

العقول وارتباطها بالنفوس

إنَّ العقل الكُلِّيَّ يُؤثِّرُ على النَّفس الكُلِّيَّةِ ويُدِيرُ ويُدبِّرُ أمورها وشؤونها وتوابعها. والنَّفْس الكُلِّيَّة هي النَّفس المرتبطة بأرفع الأَجسام وأعلاها وأوسعها.

وهكذا العقول المتوسِّطة ؛ فإنَّها تُؤثِّرُ على النَّفس المتوسِّطة وتُدِيرُ وتُدبِّرُ أمورها وشؤونها وتوابعها. والنَّفوس المتوسِّطة هي النَّفس المرتبطة بأجسام متوسِّطة.

وكذا العقول الجزئية ؛ فإنَّها تُؤثِّرُ على النَّفس الجزئية وتُدِيرُ وتُدبِّرُ أمورها وشؤونها وتوابعها. والنَّفوس الجزئية هي النَّفس المرتبطة بأجسام جزئية.

[النَّفوس وارتباطها بالأجساد]

ومنه يتَّضح: حال النَّفس الكُلِّيَّة ؛ فإنَّها تُؤثِّرُ على الأَجسام الكُلِّيَّة والنَّفوس المتوسِّطة وتُدِيرُ وتُدبِّرُ أمورها وشؤونها وتوابعها.

وهكذا النَّفس المتوسِّطة ، فإنَّها تُؤثِّرُ على الأَجسام المتوسِّطة والنَّفوس الجزئية وتُدِيرُ وتُدبِّرُ أمورها وشؤونها وتوابعها.

وكذا النَّفس الجزئية ؛ فإنَّها تُؤثِّرُ على الأَجسام الجزئية فحسب وتُدِيرُ وتُدبِّرُ أمورها وشؤونها وتوابعها.

ثُمَّ إِنَّ الْعُقُولَ وَالنُّفُوسَ وَالْأَجْسَامَ الْمُتَوَسِّطَةَ عَلَى مَرَاتِبٍ وَطَبَقَاتٍ لَا حَصْرَ لَهَا ، فَمِثْلًا: الْأَرْضُ وَمَا يُحِيطُ بِهَا مِنْ مَجَرَّاتٍ وَكَوَاكِبٍ ، وَالسَّمَاءَ الْأُولَى وَتَوَابِعَهَا إِلَى السَّمَاءِ السَّابِعَةِ وَتَوَابِعَهَا وَالْجَنَّةَ وَالنَّارَ وَهَلُمَّ جَرًّا أَجْسَامَ مُتَوَسِّطَةَ .

[النَّفْسُ الْكُلِّيَّةُ طَبَقَةٌ مِنْ طَبَقَاتٍ حَقِيقَةُ فَاطِمَةَ الزَّهْرَاءِ عَلَيْهِ السَّلَامُ] [الصَّاعِدَةُ]

ثُمَّ إِنَّ النَّفْسَ الْكُلِّيَّةَ الْأُولَى وَأَكْبَرَ النَّفُوسِ عَلَى الْإِطْلَاقِ - بَعْدَ نَفْسِ سَيِّدِ الْأَنْبِيَاءِ وَنَفْسِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ (صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهَا وَعَلَى آلِهَا) - وَالَّتِي تَقُومُ بِدَوْرٍ إِثْبَاتٍ جَمَلَةٌ التَّقَادِيرِ وَأَلْوَابِ الْقَدْرِ لِمَا دُونَهَا لَيْسَتْ هِيَ إِلَّا نَفْسٌ وَاحِدَةٌ ، وَهِيَ الْمُعَبَّرُ عَنْهَا فِي بَيَانَاتِ الْوَحْيِ بِ: (لَيْلَةُ الْقَدْرِ) ، وَهِيَ نَفْسُ الْبُضْعَةِ الطَّاهِرَةِ فَاطِمَةَ الزَّهْرَاءِ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهَا ، وَمِنْ ثَمَّ وَرَدَ فِي حَقِّهَا فِي بَيَانَاتِ الْوَحْيِ: أَنَّ رَوَادِ الْقُرُونِ الْأُولَى - وَفِي الْعَوَالِمِ السَّالِفَةِ وَمِنْ بَدَايَةِ الْخَلْقَةِ - مِنْ كُمَّلِ الْمَخْلُوقَاتِ كَالْأَنْبِيَاءِ وَالْمُرْسَلِينَ وَالْأَوْصِيَاءِ وَالْأَصْفِيَاءِ عَلَيْهِ السَّلَامُ دَارَتْ إِمْتِحَانَاتِهِمْ وَاجْتِبَارَ مَعْرِفَتِهِمْ وَمَعَارِفِهِمْ وَاعْتِقَادَاتِهِمْ عَلَى قَطْبِ مَحْوَرِيٍّ مَعْرِفِيٍّ ، وَهُوَ: مَعْرِفَةُ حَقِيقَتِهَا صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهَا ؛ لِيُعْطَى كُلُّ مَخْلُوقٍ حَقَّهُ وَمَسْئُولِيَّاتِهِ الْإِلَهِيَّةَ الْمُسْتَقْبَلِيَّةَ وَفِي جَمَلَةٍ عَوَالِمِ الْمَارِّ بِهَا ، وَأَحَدِ الْمَهَامِ الْإِلَهِيَّةِ الْمُلْقَاةِ عَلَى عَاتِقِ إِحْدَى مَرَاتِبِ حَقِيقَتِهَا صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهَا الصَّاعِدَةَ - وَهِيَ: مَرْتَبَةُ النَّفْسِ الْكُلِّيَّةِ -: قِيَامُهَا بِجَمَلَةِ تَقَادِيرِ عَالَمِ الْإِمْكَانِ وَالْوُجُودِ وَجَمَلَةِ عَوَالِمِ وَمَخْلُوقَاتِهِ غَيْرِ الْمُنْتَاهِيَةِ مِنْ بَدَايَةِ الْخَلْقَةِ إِلَى مَا لَا نِهَايَةَ لَهُ .

وإلى كُلِّ هذا أشارت بيانات الوحي ، منها:

١- بيان الحديث القدسي ، عن أبي عبد الله عليه السلام ، قال: «قال الله تبارك وتعالى: يا مُحَمَّد ، إِنِّي خَلَقْتُكَ وَعَلِيًّا نُورًا - يَعْنِي: رُوحًا - بِلَا بَدَنٍ قَبْلَ أَنْ أَخْلُقَ سَمَاوَاتِي وَأَرْضِي وَعَرْشِي وَبِحَرِي ، فَلَمْ تَزَلْ تَهْلِنِي وَتَمَجِّدُنِي ، ثُمَّ جَمَعْتُ رُوحَيْكُمَا فَجَعَلْتُهُمَا وَاحِدَةً ، فَكَانَتْ تَمَجِّدُنِي وَتَقَدِّسُنِي وَتَهْلِنُنِي ، ثُمَّ قَسَّمْتُهَا ثَلَاثِينَ ، وَقَسَّمْتُ الثَّلَاثِينَ ثَلَاثِينَ ، فَصَارَتْ أَرْبَعَةً: مُحَمَّدٌ وَاحِدٌ ، وَعَلِيٌّ وَاحِدٌ ، وَالْحَسَنُ وَالْحُسَيْنُ ثَلَاثَانِ ، ثُمَّ خَلَقَ اللَّهُ فَاطِمَةَ مِنْ نُورٍ ابْتَدَأَ بِهَا رُوحًا بِلَا بَدَنٍ ، ثُمَّ مَسَحْنَا بِيَمِينِهِ ، فَأَفْضَى نُورَهُ فِينَا»^(١).

٢- بيان سيّد الأنبياء صلى الله عليه وآله: «... إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى خَلَقَنِي وَخَلَقَ عَلِيًّا وَالْحَسَنَ وَالْحُسَيْنَ مِنْ نُورٍ قَدْسِهِ ، فَلَمَّا أَرَادَ أَنْ يَنْشِئَ خَلْقَهُ فَتَقَ نُورِي ... فَضَجَّتِ الْمَلَائِكَةُ وَنَادَتْ: إِلَهْنَا وَسَيِّدُنَا بِحَقِّ الْأَشْبَاحِ الَّتِي خَلَقْتَهَا إِلَّا مَا فَرَّجَتْ عَنَّا هَذِهِ الظُّلْمَةُ ، فَعِنْدَ ذَلِكَ تَكَلَّمَ اللَّهُ بِكَلِمَةٍ أُخْرَى فَخَلَقَ مِنْهَا رُوحًا ، فَاحْتَمَلَ النُّورَ الرُّوحَ ، فَخَلَقَ مِنْهُ الزَّهْرَاءَ فَأَقَامَهَا أَمَامَ الْعَرْشِ ، فَازْهَرَتِ الْمَشَارِقُ وَالْمَغَارِبُ...»^(٢).

ودلالته - كدلالة سابقه - واضحة ، بعد الإلتفات: أَنَّ حَقِيقَةَ النَّفْسِ وَالرُّوحِ وَاحِدَةٌ - كَمَا دَلَّتْ عَلَى ذَلِكَ بَيِّنَاتُ الْوَحْيِ - وَهِيَ عَلَى مَرَاتِبٍ

(١) بحار الأنوار ، ١٥: ١٨ - ١٩ / ح ٢٨ . الأصول ، ١: ٤٤٠ .

(٢) بحار الأنوار ، ٣٦: ٧٣ - ٧٤ / ح ٢٤ . كنز جامع الفوائد (مخطوط).

وطبقات ، طبقاتها الصاعدة تُسَمَّى روح من التروُّح والتَلَطُّف ، وطبقاتها النازلة تُسَمَّى نفس .

٣- بيان الإمام الباقر عليه السلام: «إِنَّ فَاطِمَةَ هِيَ لَيْلَةُ الْقَدْرِ ، مَنْ عَرَفَ فَاطِمَةَ حَقَّ مَعْرِفَتِهَا فَقَدْ أَدْرَكَ لَيْلَةَ الْقَدْرِ ، وَإِنَّمَا سُمِّيَتْ فَاطِمَةَ لِأَنَّ الْخَلْقَ فَطَمُوا عَنْ مَعْرِفَتِهَا ، مَا تَكَامَلَتِ النُّبُوَّةُ لِلنَّبِيِّ حَتَّى أَقَرَّ بِفَضْلِهَا وَمَحَبَّتِهَا ، وَهِيَ الصَّدِيقَةُ الْكُبْرَى ، وَعَلَى مَعْرِفَتِهَا دَارَتِ الْقُرُونُ الْأُولَى»^(١) .

٤- بيانه عليه السلام أيضاً: «... ولقد كانت صلوات الله عليها طاعتها مفروضة على جميع من خلق من الجن والإنس ، والطير والبهائم ، والأنبياء والملائكة»^(٢) .

٥- بيان تفسير الإمام الصادق عليه السلام ، قال: «إِنَّمَا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ»^(٣) الليلة: فاطمة ، والقدر: الله ؛ فَمَنْ عَرَفَ فَاطِمَةَ حَقَّ مَعْرِفَتِهَا فَقَدْ أَدْرَكَ لَيْلَةَ الْقَدْرِ ، وَإِنَّمَا سُمِّيَتْ فَاطِمَةَ ؛ لِأَنَّ الْخَلْقَ فَطَمُوا عَنْ مَعْرِفَتِهَا»^(٤) .

٦- بيان تفسيره عليه السلام أيضاً: «... وَأَمَّا قَوْلُهُ: ﴿لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ﴾^(٥) يعني: فاطمة عليها السلام ، وقوله: ﴿تَنْزِيلُ الْمَلَائِكَةِ وَالرُّوحِ فِيهَا﴾^(٦) ... وَالرُّوحُ:

(١) بحار الأنوار ، ٤٣ : ١٠٥ . تفسير فرات الكوفي ، سورة القدر .

(٢) دلائل الإمامة ، الطبري : ١٠٦ .

(٣) القدر : ١ .

(٤) بحار الأنوار ، ٤٣ : ٦٥ / ح ٥٨ .

(٥) القدر : ٣ .

(٦) القدر : ٤ .

روح القدس ، وهو في فاطمة عليها السلام «...»^(١).

ودلالة الجميع واضحة.

التنبيه الثاني عشر:

عدم اختصاص صور العقل النظري بالجسمانية

إنَّ ما ورد في بيان أمير المؤمنين صلوات الله عليه^(٢): «... والفكرُ مرآةٌ صافيةٌ...»^(٣) برهانٌ وحيائيٌّ مُشيرٌ لقوَّةِ الفكرِ والعقلِ النظريِّ ، وهو انعكاسٌ لصورٍ ؛ فإنَّه وإنَّ كان المراد منه في بحث التصوُّر من الباحث العقلية اختصاصه بالصُّورِ المقداريةِ الجسمانيةِ ، لكنَّ الحقَّ عدم الاختصاص بذلك ، فكما أنَّ الفكرَ والعقلَ النظريَّ يتعلَّقُ بالصُّورِ الجسمانيةِ يتعلَّقُ أيضاً بغيرها ، كصورة ومفهوم: (الحبِّ) ، و(الكراهية) ، و(الخوف) ؛ فإنَّ هذه وما شاكلها صور ومفاهيم ، لكنَّها ليست جسمانيةً ؛ لانتهاء مقدارها

(١) بحار الأنوار ، ٢٥: ٩٧/ح ٧٠.

(٢) ينبغي الالتفات: أنَّ أمير المؤمنين (صلوات الله عليه) سُمِّيَ بذلك لكونه يُمِرُّ العلم على المخلوقات ويُقسِّمها على النفوس والأرواح. بعد الالتفات: أنَّ حصول حقيقة العلم لا تقتصر على الأمواج الصوتية وما شاكلها فحسب ، بل وعلى الفهم من خلال عالم الرُّوح وما وراء الأثير.

(٣) بحار الأنوار ، ١: ١٦٩/ح ٢٠. نهج البلاغة ، المختار من حِكَم أمير المؤمنين عليه السلام / الحكمة رقم (٢): ٤٨٩.

وأبعادها الثلاثة - الطول ، والعرض ، والعمق - .

إذَنْ: الفكر قوَّة عقلية ، لكن ليست بالضرورة أن تكون صورها صوراً
جسمانية . وهذه توسعة في عالم الإثبات .

التنبيه الثالث عشر :

عدم إحصار العلم بقوَّة العقل النظري

ما تثرَّ به البشرية في العصر الرَّاهن منْ أزمات ناشئة من إعتقادها بـ:
إحصار العلم بقوَّة الفكر والعقل النظري .

لكنَّ الحقَّ وما عليه بيانات الوحي الوافرة الباهرة: أنَّ العلم على
طبقات ودرجات ، أحدها: المحبَّة في الجانب الرُّوحي والوجداني
والعاطفي ، وهذه أعظم شأنًا من العلم الفكري والعقل النظري ، بل ليس
هو إلا مُقدِّمة لها ، وللعقل العملي .

وهذا بند وركن مهمُّ في حقيقة العقل العملي وبُناه ، ينبغي للإنسان
تفقُّده دائماً .

إذَنْ: البناء الفكري وإنْ كان أمراً راجحاً ، وثروة عظيمة ، لكنْ لا
يصحُّ العكوف عليه ، بل لا بُدَّ للعاقل من الانتقال إلى عرصات وعالم العقل
العمليِّ والرُّوح ؛ لينظر من خلال برج المراقبة إلى ميول وجذبات النَّفس
ونفرتها ، فإذا كانت في غير محلِّها وجب عليه ترويضها .

التنبيه الرابع عشر:

التفرقة بين آثار العقل النظري والعملي

إنَّ البحث والتفرقة بين أفعال العقل النظري وأفعال العقل العملي ذو آثار وثمار مترامية الأطراف: في المعرفة ، وفي المنهج المعرفي ، وفي اختلاف المدارس والمشارب المعرفية.

وهذا الأخير^(١) بحث حسَّاس للغاية.

التنبيه الخامس عشر:

للعقل العملي جهات وآليات وبنود

إنَّ للعقل العملي عدَّة صفات ومُميَّزات ، وله عدَّة آليات وبنود وجهات وفصول وأقسام ، وقد يكون بعضها نشيطاً ومُفعَّلاً والآخر مُجمَّداً ؛ فيكون صاحبه عاقلاً أو أعقل من جهة ، وليس بعاقل أو أعقل من جهة أو جهات أُخرى.

نعم ، فعَلَّ جميع صفاته ومُميَّزاته وآلياته وبنوده وجهاته وفصوله وأقسامه كُمَلَّ المخلوقات: الأنبياء والأوصياء والأصفياء والأولياء ، ومنَّ ثمَّ تجتمع في حقِّهم جملة العلوم من جميع الجهات والأقسام ؛ فلذا كانوا

(١) أي: آثار وثمار البحث والتفرقة بين أفعال العقل النظري وأفعال العقل العملي ، تظهر في اختلاف المدارس والمشارب المعرفية والتفرقة بينها.

الأعقل في كافة الاتجاهات.

ومن جملة خصال العقل العملي: أن جملة من بنوده ليست فكرية فحسب ، بل إدراكية ووجدانية ، وعليه: فقد يُدرك الإنسان الأمور والقضايا بفكره ، لكنَّ وجدانه في حالة غفلةٍ وسباتٍ ، فيكون أعمى قلباً وروحاً ووجداناً وإن كان يقظاً فكراً ومفهوماً ، ويُعبَّر عنه في بيانات الوحي بـ: (عليم اللسان).

وبالجملة: مهما بلغ غير المعصوم فلا بُدَّ أن تكون أُمِّيَّة في بعض طبقات ذاته ومراتبها.

وهذه الأُمِّيَّة أزمة البشر ومشكلتهم في العصر الرَّاهن.

التنبيه السادس عشر:

القوى الإدراكية المسلَّحة لدى الإنسان

إنَّ للعقل عين مُسلَّحة وثاقبة تُدرك ما لا تُدركه العين الحسيَّة الدُّنيويَّة المرئيَّة ، بل تُدرك ما لا يُدركه الحسَّ الجسَماني - أي: العين الدُّنيويَّة غير المرئيَّة - بل وتُدرك ما لا يُدركه أهل البرزخ بعين الجسم البرزخي ، بل وتُدرك ما لا يُدركه أهل الآخرة الأبديَّة بعين الجسم الأخروي الأبدي.

ومعناه: أن للإنسان أجساماً وأعضاءً وحواساً مختلفة ، ومُجهَّز بأدوات إدراك ضخمة ، تتلَطَّف وتشتدُّ وتقوى كلما لطفت واشتدَّت وقويت عوالمها الصَّاعدة ، فهناك عين عقليَّة فوق عين العقل النظري ، وعين قلبية فوق عين

العقل العملي ، وعين السرّ فوق عين القلب ، وعين الخفي فوق عين السرّ ،
وعين الأَخْفَى فوق عين الخفي .

وقد يُطلق (عنوان العقليّة بالمعنى الأعم) في بيانات المعارف على جميع
هذه الطبقات .

التنبيه السابع عشر :

عالم رؤية العقل

إِنَّ مَنْ يُرَكِّزُ عَلَى رُؤْيَةِ الْعَقْلِ فسيرها من عالم آخر ؛ غير عالم الحسّ
وعالم الخيال وما شاكلهما ، ومن سنخ وموجات وذبذبات أخرى ، والبشر
يتعاطاها ويتعامل بها كلمح البصر ، ومن ثمّ لا يُرَكِّزُ ولا يستشعر بتلك
الحركة .

وهذه الرؤية العقليّة هي المتحكّمة ؛ وغرفة التّحكّم بعالم حسّ
صاحبها وخياله وما شاكلها .

التنبيه الثامن عشر :

قوى الإنسان العقليّة تفوق قوى سائر المخلوقات العاقلة

إِنَّ الْقُوَى الْعَقْلِيَّةَ الْمُوَدَّعةَ فِي ذَاتِ الْإِنْسَانِ تفوق القوى العقليّة المزوّدة
بها الجن ، بل وتفوق القوى العقليّة المزوّدة بها جملة الملائكة ، فإذا استقام
الإنسان تحطّت قواه العقليّة بالفعل القوى العقليّة التي زوّدت بها جملة من
طبقات الملائكة ، بل لو كان من كُمل المخلوقات - كأهل البيت عليهم السلام -

فاقت قواه العقلية بالفعل جملة قوى الملائكة العقلية منهم المقربين كجبرئيل وإسرافيل عليه السلام؛ وسجدوا له.

ومعناه: أَنَّ الإدراك العقلي والرؤية العقلية على درجات وطبقات ومراتب غير متناهية.

التنبيه التاسع عشر:

عين العقل المسلحة

إِنَّ الدِّقَّةَ الْعَقْلِيَّةَ عَيْنٌ مُسَلَّحَةٌ ، أَشْرَسُ قُوَّةً ، وَأَبْعَدُ غُورًا ، وَأَعْظَمُ وَغُولًا مِنَ الدِّقَّةِ الرَّيَاضِيَّةِ وَالْهَنْدَسِيَّةِ ؛ لِإِعْتِمَادِهِمَا عَلَى قُوَّةِ الْخِيَالِ ، بِخِلَافِ الْأُولَى ؛ فَإِنَّهَا تَعْتَمِدُ عَلَى قُوَّةِ الْعَقْلِ ، وَهِيَ الْأَرْفَعُ .

وهذه نتفة معرفية نفيسة.

وَمِنْ ثَمَّ لَا يُمْكِنُ رِيَاضِيًّا وَلَا هَنْدَسِيًّا وَلَا جُغْرَافِيًّا تَصَوُّرَ وَشَمِّ رَائِحَةٍ قَوَاعِدَ وَبَيَانَاتِ الْوَحْيِ الْمَعْرِفِيَّةِ وَالْعِلْمِيَّةِ الْوَارِدَةِ بَلْغَةَ الْعَقْلِ .

مثاله: بيان سيّد الأنبياء صلى الله عليه وآله ، عن أبي عبد الله عليه السلام ، قال: «إِنَّ يَهُودِيًّا يُقَالُ لَهُ: (سِيخْتُ) جَاءَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وآله فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! جِئْتُ أَسْأَلُكَ عَنْ رَبِّكَ ، فَإِنْ أَنْتَ أَجَبْتَنِي عَمَّا أَسْأَلُكَ عَنْهُ وَإِلَّا رَجَعْتُ ، قَالَ: «سَلْ عَمَّا شِئْتَ» ، قَالَ: أَيْنَ رَبُّكَ؟ قَالَ: «هُوَ فِي كُلِّ مَكَانٍ وَلَيْسَ فِي شَيْءٍ مِنَ الْمَكَانِ الْمَحْدُودِ...»^(١).

(١) أصول الكافي، ١: ٦٧/ح ٩.

وهذه قاعدة معرفية عقلية ، لا يمكن لعلم الرياضيات وعلم الهندسة وما شاكلهما ضربها وتقنينها ، وإنما يمكن ذلك لناها الأكبر: (العقل الوحياني)^(١).

التنبيه العشرون:

تفعيل قوة العقل

إِنَّ مَنْ يُعَمِّلُ قُوَّةَ الْعَقْلِ وَالْفِكْرَ لَدَيْهِ سَيَنْظُرُ تَلَقَّائِيًّا فِي مَا يَصْدُرُ عَنِ الطَّرْفِ إِلَى مَا قِيلَ ، وَلَا يَنْظُرُ إِلَى مَنْ قَالَ.

وهذه القضية شاملة لبيانات المعصومين عليهم السلام. وإلى هذا تُشير بيانات الوحي الباهرة ، منها :

بيان الإمام الباقر عليه السلام: «إِذَا حَدَّثْتُمْ بِشَيْءٍ فَسَأَلُونِي عَنْهُ فِي كِتَابِ اللَّهِ ...»^(٢).

التنبيه الحادي والعشرون:

قوة العقل تدرك الأشياء بصورتها الواقعية

إِنَّ تَكَامُلَ: (الرؤية العقلية) ، و(العلم العقلي) ، و(العقل) لا يقف ولا ينتهي في عالم من العوالم ، بل الآن رؤيتها تخترق الحُجُب ، فترى

(١) العقل - كما مرَّ في بيان سيّد الأنبياء صلى الله عليه وآله - ملك مهول ، أعظم من جبرئيل وميكائيل عليهما السلام.

(٢) بحار الأنوار ، ٨٩ : ٩٠ - ٩١ / ح ٣٦.

الأشياء بصورتها الحقيقية والواقعية ، بخلاف قوى النفس الإدراكية النازلة - كقوة: (الحس) ، و(الخيال) - ؛ فإنها ترى وجهاً من وجوه الحقيقة والواقعية ، بل هناك طاقات وحقائق وواقعات مهولة ؛ بعضها تتمتع بها ذات الإنسان ، لا يراها ولا يحسها ولا يشم رائحتها حس ولا خيالاً ، لكنها تُنال بصورتها الواقعية بقوى ذات الإنسان الأخرى كقوة العقل ، فحقيقة: (الحب) و(البغض) - مثلاً - وسائر الأحاسيس النفسانية الأخرى لا تُدرك تمام حقيقتها قوتاً الحس والخيال ، ومُدركها: قوة العقل وما فوقها.

التنبيه الثاني والعشرون :

بث المعلومات قائم على قدم وساق

إن جملة الدين: علم ومعارف ، وعملية البث المعلوماتي قائمة على قدم وساق في طرّ العوالم والنشآت.

وعليه: فلا بُدَّ أن يكون العقل ولاقطه فعلاً في اليقظة والنام ، وحينئذٍ تصير في العبادة رُوح ونور ونبض وهَّاج.

التنبيه الثالث والعشرون :

الموازنة بين قوى النفس وتجاذباتها

إنَّ عمل الرُوح وموازنة قوى النفس مؤثّرٌ جدّاً في قوّة إدراك الإنسان وحسن عقله وبصيرته.

ومعناه: أن لعقل الإنسان القابليّة على الإزدياد ، والإشْتداد ،
والنَّقْص ، والتَّسافل غير المتناهي .

وإلى هذا أشارت بيانات الوحي ، منها:

بيان الإمام موسى بن جعفر عليه السلام: « ... مَنْ سَلَطَ ثَلَاثًا عَلَى ثَلَاثٍ
فَكَأَنَّمَا أَعَانَ عَلَى هَدْمِ عَقْلِهِ: مَنْ أَظْلَمَ نُورَ تَفَكُّرِهِ بِطُولِ أَمَلِهِ ، وَحَا طَرَائِفَ
حِكْمَتِهِ بِفُضُولِ كَلَامِهِ ، وَأَطْفَأَ نُورَ عِبْرَتِهِ بِشَهَوَاتِ نَفْسِهِ ، فَكَأَنَّمَا أَعَانَ هَوَاهُ
عَلَى هَدْمِ عَقْلِهِ ، وَمَنْ هَدَمَ عَقْلَهُ أَفْسَدَ عَلَيْهِ دِينَهُ وَدُنْيَاهُ... »^(١) .

وهذه من بدائع معارف بيانات الوحي الإلهي الشريف .

وعليه: فلا يُجَيَّلُ للإنسان أن عقله على وتيرة واحدة ، بل بقدر ما
يستقيم الإنسان يزداد عقله بريقاً ، والعكس بالعكس .

ومنه يتّضح: أن الإدراك ليس هو حركة الفكر من المعلوم إلى المجهول
فحسب ، بل هناك أمر آخر ، له مدخليّة في الإدراك أعظم من حركة الفكر ،
وهو: الموازنة بين قوى النَّفس وتجاذباتها .

التَّنبِيه الرَّابِعُ والعِشْرُونَ :

الخلط بين المعاني العقليّة والمعاني الذّهنيّة

ينبغي أن لا يُخلط بين المعاني العقليّة وبين المعاني الذّهنيّة والفكريّة

(١) أصول الكافي ، ١ : ١٣ / ح ١٢ .

المتبادرة في الأذهان ؛ لأنَّ العالم العقلي ليس ما نتوهمه ويتبادر إلى أذهان عامَّة البشر ؛ من أنَّه صقع وموجود فكري وإدراك ذهني ، وإنَّما هو جوهر وحقيقة تكوينيَّة ، مُنْفَكَّة ومُنْحَاذة عن ذواتنا ، وله عالمه الخاص ، وهو فوقَ عَالَمِ الجَنَّةِ الأبدية ، ومهمين على ما دونه من العوالم ، فهو داخل فيها ، لكن لا بالممازجة والمزاولة ، وخارج عنها ، لكن لا بالمباينة والمزايلة ، ومعناه: أنَّه آية من آيات هيمنة الذَّاتِ الإلهيَّةِ الأزليَّةِ المُقدَّسة ، فتكون معانيه: جواهر ووجودات تكوينيَّة خارجة ومُنْحَاذة ومُنْفَكَّة عن ذواتنا.

فأعدِ الكَرَّةَ ، ولاحظ ما تقدَّم من بيانات الوحي وغيرها فستجد صدق ما ذكرناه واضحا.

ومنها يتَّضح: أنَّ العين العقليَّة والإدراك العقلي: جوهر وأمر تكويني ، وليس هو الفكر والصُّورُ الذهنيَّة ، فإنَّ الفكر والتفكُّر آليَّة العين العقليَّة ، وواقع المرئي بها^(١): صقع عقلي واسع وشاسع ومهيمن على ما دونه. نعم لا يمكنها إدراك كُنه العالم العقلي والإحاطة به ، وإنَّما إحاطتها بمساحات وبُقع منه.

وهذه القضية من أوليَّات بحوث المعارف ، لا يمكن للباحث في أبواب المعارف تخطيها.

(١) مرجع الضمير في كلمة: (بها) و (لا يمكنها): العين العقليَّة.

التنبيه الخامس والعشرون:

المخلوق قابل لأفعاله وليس فاعلاً لها

هناك بحثٌ معرفيٌ لطيفٌ ينبغي صرف النظر إليه ، حاصله: «أنَّ المخلوق بالدقَّة العقلية قابل ومنفعل دائماً ، سواء أكان في مقام الجسم والأفعال الجسائية أو في مقام الأفعال النفسية والروحية ، والفاعل الحقيقي ليس هو إلاَّ الله - المسمَّى - تقدَّس ذكره».

وليس لهذه القضية صلة بالجبر.

وبالجملة: كُـلُّ عملٍ يقوم به المخلوق ليس هو المفيض له حقيقة وفاعله استقلالاً ، بل تقابل ، والفاعل حقيقة وصاحب المشيئة والتقدير ليس هو إلاَّ الباري - المسمَّى - جلَّ وتقدَّس.

وإلى هذا تُشير بيانات الوحي ، منها:

بيان قوله تعالى: ﴿وَإِنْ تُصِيبُهُمْ حَسَنَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ رَبِّ عِنْدِ اللَّهِ وَإِنْ تُصِيبُهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِكَ قُلْ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ فَمَالِ هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا﴾^(١).

ودلالته واضحة.

نعم ، الشرور والسَّيِّئَات بعدما كانت إعدام للخير كانت من المخلوق.

وهذا ما تُشير إليه بيانات الوحي الأخرى، منها:

بيان قوله عزّ من قائل: ﴿مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ وَمَا أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِنْ نَفْسِكَ﴾^(١).

ودلالته واضحة أيضاً.

التنبيه السادس والعشرون:

حقيقة العلم: تذكر

التَّذكُّر - بحسب ما يُستفاد من بيانات الوحي - أعظم فعل يقوم به المخلوق.

وقد وقع خلاف في حقيقة العلم بين قدماء الفلاسفة ، فذهب افلاطون إلى أنه تذكر ، واستفاد ذلك - بحسب الظاهر - من بيانات الأنبياء السابقين.

والمناسب وما عليه بيانات الوحي والتَّحقيق: أنَّ للعلم جنبتين:

إحداهما: اكتساب.

والأخرى: تذكر.

والعلم الكسبي ليس بعلم حقيقي ، وإنما إعدادي للعلم التذكيري ، وهو العلم الحقيقي. والتَّذكُّر علم حضوري.

وإلى هذا أشارت بيانات الوحي ، منها:

بيان خطبة أمير المؤمنين عليه السلام: «... فبعث فيهم رُسُلَهُ ، ووَاتِرَ إِلَيْهِمْ أَنْبِيَاءَهُ ، لِيَسْتَأْذُوهُمْ مِيثَاقَ فِطْرَتِهِ ، وَيَذَكِّرُوهُمْ مَنْسِيَّ نِعْمَتِهِ ... وَيُثِيرُوا لَهُمْ دَفَائِنَ الْعُقُولِ ، وَيُرُوهُمْ آيَاتِ الْمَقْدِرَةِ ...»^(١).

فأمير المؤمنين (صلوات الله عليه) يصف العقل كأنه كثر مدفون ، ودور الرُّسل والأنبياء عليهم السلام إظهاره وإثارة جواهره ولآلؤه.

وهذا ما يوضح كثير من بيانات الوحي ، منها:

بيان قوله تعالى مُحَاطَبًا النَّبِيَّ مُوسَى وَأَخَاهُ النَّبِيَّ هَارُونَ عليهما السلام: ﴿اذْهَبَا إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى * فَقَوْلَا لَهُ قَوْلًا لَيْنًا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى﴾^(٢).

فإنه برهانٌ وحيانيٌّ دالٌّ على أَنَّ لفرعون مع ما يعيشه من غطرسةٍ وعتوٍّ وتكبرٍ لکنه لازال يتمتع بفطرة إلهية وخزين إلهيٍّ إن فعله واستثمره طار به إلى الخلد والرِّضوان.

التنبيه السابع والعشرون:

وجود ترابطات وثيقة في دخيلة ذات الإنسان

هناك ترابط في دخيلة ذات الإنسان وثيق ودائم وأكيد ، وامتزاج

(١) نهج البلاغة ، خ ٤٥ : ٤٦ .

(٢) طه : ٤٣-٤٤ .

حيوي بين التنظير والتطبيق ، وبين العلم والعمل ، وبين العواطف والأفكار ، وبين الخواطر والهمم والغرائز وهلمَّ جرّاً في أبعاد مُتعدّدة ، ومن تلك الأبعاد: التّرابط بين التواضع والحقّ والعقل ، وهذا ما تُشير إليه بيانات الوحي منها:

بيان الإمام الكاظم (صلوات الله عليه) ، عن هشام بن الحكم ، قال: «قال لي أبو الحسن موسى بن جعفر عليه السلام ... يا هشام: إنّ لقمان قال لابنه: تواضع للحقّ تكن أعقل النَّاسِ...»^(١).

ومعناه: أنّ للتواضع صلة وطيدة بالعقل ، وهذا سير ومسير علميّ.

إذن: هناك جنبه عمل في التواضع ، لكنّها ليست بهيميّة أو حيوانيّة أو نباتيّة ، وإنّما عقليّة وعقلائيّة ؛ فما يصدر من التواضع عمل لكنّه ليس عمل بدنيّ محض ولا نفسانيّ بحت ولا غرائزيّ فحسب ، وإنّما على مراتب بعضها جوارحيّة بدنيّة ، والأخرى جوارحيّة عقليّة وقلبيّة ومعرفيّة وعقائديّة يتعقّب بعضها أثر الآخر ، ومن ثمّ ورد في بيانات الوحي: أنّ ذات الإنسان في حالة سير دائم لن يتوقّف أبداً ، تطوي من خلاله مساحات أنفسيّة وعوالمية شاسعة ومهولة وخطيرة جداً ؛ ومترامية الأطراف لا تُقاس أبداً بسير البدن ، بل ولا تقاس بمسافات ومساحات السّموات والأرضين السبع والآخرة الأبدية.

(١) أصول الكافي ، ١: ١٣ - ١٧ / ح ١٢.

التنبيه الثامن والعشرون:

العقوبة العقلية أعظم خسارة يُصاب بها العاصي

إنَّ ما ورد في بيانات الوحي ، منها:

١- بيان سيّد الأنبياء ﷺ: «مَنْ قَارَفَ ذَنْبًا فَارَقَهُ عَقْلٌ لَا يَرْجِعُ إِلَيْهِ أَبَدًا»^(١).

٢- بيان الإمام الباقر عليه السلام: «مَا مِنْ عَبْدٍ إِلَّا وَفِي قَلْبِهِ نَكْتَةٌ بِيضَاءَ ، فَإِذَا أَذْنَبَ ذَنْبًا خَرَجَ فِي النُّكْتَةِ نَكْتَةٌ سُودَاءَ ، فَإِنْ تَابَ ذَهَبَ تِلْكَ السُّودُ ، وَإِنْ تَمَادَى فِي الذُّنُوبِ زَادَ ذَلِكَ السُّودَ حَتَّى يُغَطِّيَ الْبِيضَ ، فَإِذَا غَطَّى الْبِيضَ لَمْ يَرْجِعْ صَاحِبُهُ إِلَى خَيْرٍ أَبَدًا ، وَهُوَ قَوْلُ اللَّهِ ﷻ: ﴿كَلَّا بَلْ رَأَىٰ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾^(٢)»^(٣).

٣- بيان الإمام الصادق عليه السلام: «إِذَا أَذْنَبَ الرَّجُلُ خَرَجَ فِي قَلْبِهِ نَكْتَةٌ سُودَاءَ فَإِنْ تَابَ انْمَحَتْ ، وَإِنْ زَادَ زَادَتْ حَتَّى تَغْلِبَ عَلَى قَلْبِهِ فَلَا يَفْلَحُ بَعْدَهَا أَبَدًا»^(٤).

(١) المحجّة البيضاء ، ٨ : ١٦٠ .

(٢) المطففين : ١٤ .

(٣) بحار الأنوار ، ٧٠ : ٣٣٢ / ح ١٧ . الكافي ، ٢ : ٢٧٣ .

(٤) بحار الأنوار ، ٧٠ : ٣٢٧ / ح ١٠ . الكافي ، ٢ : ٢٧١ .

براهين وحيائية دالة على أن أعظم خسارة يُصاب بها العاصي: العقوبة العقلية، لا الأخروية الجسدية.

ودالة أيضاً على وجود ترابط بين ارتكاب الكبائر ونقص وقلة العقل.

وهذا ما تُشير إليه بيانات الوحي الأخرى، منها:

بيان الإمام الصادق عليه السلام، عن المُفضَّل بن عمر، قال: «...» ﴿لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسَاءُوا بِمَا عَمِلُوا وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى﴾^(١)؛ عدلاً منه تقدّست أسماؤه وجلّت آلاؤه، ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ النَّاسَ شَيْئًا وَلَكِنَّ النَّاسَ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾^(٢)، يشهد بذلك قوله جلّ قدسه: ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ * وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾^(٣)؛ في نظائر لها في كتابه الذي فيه تبيان كل شيء، ﴿لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٍ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾^(٤)؛ ولذلك قال سيّدنا مُحَمَّد (صلوات الله عليه) وآله: «إنّما هي أعمالكم تردّ إليكم». ثمّ أطرق هنيئة، ثمّ قال: يا مُفضَّل، الخلق حيارى عمهون سكارى في طغيانهم يتردّدون، وشياطينهم وطواغيتهم

(١) النجم: ٣١.

(٢) يونس: ٤٤.

(٣) الزلزلة: ٧-٨.

(٤) فصلت: ٤٢.

يقتدون ، بصراء عمي لا يُبصرون ، نطقاء بكم لا يعقلون ، سمعاء صم لا يسمعون ، رضوا بالدون ، وحسبوا أنهم مهتدون ، حادوا عن مدرجة الأكياس ، ورتعوا في مرعى الأرجاس والأنجاس ، كأنهم من مفاجأة الموت آمنون ، وعن المجازات مزحزون ، يا ويلهم ما أشقاهم وأطول عناءهم ، وأشدّ بلاءهم ، يوم لا يُعني مولى عن مولى شيئاً ولا هم ينصرون إلا من رحم الله. قال المُفَضَّل: فبكِيتٍ لَمَّا سمعتُ منه ، فقال: لا تبك ، تخلّصت إذ قبلت ، ونجوت إذ عرفت...»^(١).

ودلالته واضحة.

التنبيه التاسع والعشرون:

التجاذبات بين العقل العملي وسائر قوى النفس

إنَّ ما ورد في بيان الإمام موسى بن جعفر عليه السلام: «... إِنَّ العاقل الَّذي لا يَشغَلُ الحلالُ شُكرَهُ ، وَيَغلبُ الحرامُ صَبْرَهُ...»^(٢) برهانٌ وحيانيٌّ تُصوِّرُ فيه حالة الصراعات والتجاذبات الموجودة في دخيلة ذات الإنسان بين العقل العملي - من جهة - ، والشهوات واللذائذ من جهة أخرى. وقوَّة العقل وهيمته تكمن في أن لا تلهيه الشهوات واللذائذ المحللة فضلاً عن المحرمة ، ولا تضععه ، بل لا يُشغله شأن عن القيام بشكر الله تعالى والتوجُّه إليه ،

(١) بحار الأنوار ، ٣ / الخبر المشتهر بتوحيد المُفَضَّل: ٩٠.

(٢) أصول الكافي ، ١ : ١٣ - ١٧ / ح ١٢.

وهذه علامة قوّته .

ثُمَّ إِنَّهُ إِذَا حَصَلَتْ لَدَى ذَاتِ الْإِنْسَانِ قُوَّةٌ تَوَجُّهُ فَوْقِيَّةً نَحْوَ بَارِيهِ تَقَدَّسَ ذِكْرُهُ اِتِّصَفَ صَاحِبِهَا بِصِفَةٍ مِنْ صِفَاتِهِ (عَظُمَتِ آلَاؤُهُ) ، فَإِنَّهُ (عَزَّ ذِكْرَهُ) لَا يَشْغَلُهُ شَأْنٌ عَنِ شَأْنٍ ؛ فَكَذَا الْعَبْدُ إِذَا وَصَلَ إِلَى هَذِهِ الْمَرْتَبَةِ ؛ فَإِنَّهُ مَأْمُورٌ بِالتَّخَلُّقِ بِأَخْلَاقِ اللَّهِ (تَعَالَى ذِكْرَهُ) ، وَمِنْ ثَمَّ وَرَدَ فِي الْحَدِيثِ الْقُدْسِيِّ : «عَبْدِي أَطْعَمَنِي حَتَّى أَجْعَلَكَ مِثْلِي (أَوْ مِثْلِي) ؛ أَقُولُ لِلشَّيْءِ كُنْ فَيَكُونُ وَتَقُولُ لِلشَّيْءِ كُنْ فَيَكُونُ»^(١) .

وهذا بيان وتعريف للعقل العملي ؛ فَإِنَّ طَبِيعَتَهُ وَطَبِيعَةَ عِبَادَتِهِ : عَمَلٌ وَحَرَكَةٌ رُوحِيَّةٌ دَوَّابَةٌ مَمْرُوجَةٌ بِالْعِلْمِ .

لكنَّ : أصحاب المدارس المعرفية البشرية - كالمناطق والفلاسفة - لم يأخذوا هذه الطبيعة في تعريفه .

التنبيه الثالثون :

لحالة الكفر والشرب بالغ التأثير على العقل

إِنَّ مَا وَرَدَ فِي بَيَانِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ (صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ) «... مَا تَمَّ عَقْلُ أَمْرِي حَتَّى يَكُونَ فِيهِ خِصَالٌ شَتَّى : الْكُفْرُ وَالشَّرُّ مِنْهُ مَأْمُونَانِ ، وَالرُّشْدُ وَالْخَيْرُ مِنْهُ مَأْمُولَانِ ...»^(٢) بَرَهَانٌ وَحِيَانِيٌّ دَالٌّ عَلَى أَنَّ لِحَالَةَ الْكُفْرِ تَأْثِيرٌ بَالِغٌ

(١) بحار الأنوار ، ١٠٢ : ٦٦٥ .

(٢) المصدر نفسه ، ١ : ١٤٠ . أصول الكافي ، ١ : ١٣ - ١٧ / ح ١٢ .

على عقل الإنسان ؛ لنكرانه لأعظم معلومة على الإطلاق ، وهي العلم بالتوحيد ، وهذا ما تُشير إليه بيانات الوحي الأخرى ، منها:

بيان قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾^(١).

ودالٌّ أيضاً على أنّ لحالة الشرِّ بالغ التأثير على عقل صاحبها ، بل وتكشف عن حالة نقص وعوار في عقله.

بخلاف حالة الخير ؛ فإنّها تولّد لدى صاحبها كمال^(٢) ورقي ذاته وروحه وعقله وجوهره ، ومن ثمّ اشترطت مدرسة أهل البيت عليهم السلام في الإمام أن يكون ذا عقل راجح على جميع أهل زمانه.

التنبيه الحادي والثلاثون:

الإنسان هو الصانع لجوهر ذاته والحائِك لها

إنّ ما ورد في بيان الإمام الكاظم صلوات الله عليه: «... إن الله تبارك وتعالى بشر أهل العقل والفهم في كتابه فقال: ﴿فَبَشِّرْ عِبَادَ * الَّذِينَ سَمِعُوا الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُولَئِكَ هُمُ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾^(٣)... ثمّ ذمّ الذين لا يعقلون فقال: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ

(١) النساء: ١١٦.

(٢) الكمال أمر وجودي وتكويني.

(٣) الزمر: ١٧ - ١٨.

تَتَّبِعُ مَا الْفَيْئَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوْ لَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ ﴿١﴾ ،
 وقال: ﴿وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَاءً وَنِدَاءً صُمُّ بِكُمْ
 عُمِّي فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾ (٢) ، وقال: ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ سَمِعَ عَنِّي لَوْلَا إِيَّاكَ أَفَانْتَ
 تَسْمَعُ الصَّمَّ وَلَوْ كَانُوا لَا يَعْقِلُونَ﴾ (٣) ، وقال: ﴿أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ
 يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا﴾ (٤) ... (٥) براهين
 وحيانية مشيرة لسبب خسران الإنسان لعقله وذاته ، ويتولد منه عدم
 تعقله ، وكُلُّ هذا وغيره حاصل باختياره ، ومن ثمَّ يكون الإنسان هو
 الصَّانع لجوهر ذاته ، فلذا ورد في بيان سيِّد الأنبياء ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ لَا يَنْظُرُ إِلَى
 صُورِكُمْ وَأَعْمَالِكُمْ ، وَإِنَّمَا يَنْظُرُ إِلَى قُلُوبِكُمْ» (٦) .

إِذَنْ: حقيقة الإنسان ومصنع صنع ذاته ولباسه الدائم: أعماله
 الإختيارية وما يحوكه بيده.

وعليه: فعملية التعقل ، بل ومحاولتها تُنمِّي في صاحبها جوهر عقله ،
 وهذا بخلاف الإعراض عنها والإغماس في الشهوات.

(١) البقرة: ١٧٠ .

(٢) البقرة: ١٧١ .

(٣) يونس: ٤٢ .

(٤) الفرقان: ٤٤ .

(٥) أصول الكافي ، ١ / كتاب العقل والجهل: ١٣ / ح ١٢ .

(٦) بحار الأنوار ، ٦٧ : ٢٤٨ / ح ٢١ . جامع الأخبار: ١١٧ .

التنبيه الثاني والثلاثون:

حركات الإنسان وسكناته تؤثر على عقله

إنَّ ما ورد في بيان الإمام موسى بن جعفر عليه السلام: «... مَنْ سَلَطَ ثَلَاثًا عَلَى ثَلَاثٍ فَكَأَنَّمَا أَعَانَ عَلَى هَدْمِ عَقْلِهِ: مَنْ أَظْلَمَ نُورَ تَفَكُّرِهِ بِطَوْلِ أَمَلِهِ ، وَمَحَا طَرَائِفَ حِكْمَتِهِ بِفُضُولِ كَلَامِهِ ، وَأَطْفَأَ نُورَ عِبْرَتِهِ بِشَهَوَاتِ نَفْسِهِ ؛ فَكَأَنَّمَا أَعَانَ هَوَاهُ عَلَى هَدْمِ عَقْلِهِ ، وَمَنْ هَدَمَ عَقْلَهُ أَفْسَدَ عَلَيْهِ دِينَهُ وَدُنْيَاهُ ...»^(١) برهانٌ وحيانيٌّ دالٌّ على أَنَّ يَوْمِيَّاتِ الْإِنْسَانِ ، بِلِجْمَةِ حَرَكَاتِهِ وَسُكْنَاتِهِ ، وَالْأَحْدَاثِ وَالظُّوَاهِرِ الْمَارَّةِ عَلَيْهِ مُؤَثِّرَةٌ عَلَى عَقْلِهِ: أَمَّا إِيْجَابًا وَتَزِيدٌ فِي كِمَالِهِ وَرَقِيَّةٍ وَتَطَوُّرِهِ ، أَوْ سَلْبًا وَتَحْطُّ مِنْهُ وَتُجْمَدُهُ .

وعليه: فينبغي للإنسان كما يتكئ على ماضيه أن يتكئ على حالته الفعلية وزمانه الراهن ، فهو وإن كان ابن ماضيه لكنَّه ابن حاضره أيضاً .

التنبيه الثالث والثلاثون:

العقل العملي منبع الحيوية في الإنسان

إنَّ ما ورد في بيان الإمام موسى بن جعفر عليه السلام: «... إِنْ الْعَاقِلَ نَظَرَ إِلَى الدُّنْيَا وَإِلَى أَهْلِهَا ؛ فَعَلِمَ أَنَّهَا لَا تُنَالُ إِلَّا بِالْمَشَقَّةِ ، وَنَظَرَ إِلَى الْآخِرَةِ فَعَلِمَ أَنَّهَا لَا تُنَالُ إِلَّا بِالْمَشَقَّةِ ؛ فَطَلَبَ بِالْمَشَقَّةِ أَبْقَاهُمَا ...»^(٢) برهانٌ وحيانيٌّ من قوَّةِ الْعَقْلِ

(١) أصول الكافي ، ١ : ١٥ / ح ١٢ .

(٢) أصول الكافي ، ١ : ١٦ / ح ١٢ .

العملي ، دالٌّ: على ضرورة لزوم الدين والطاعة ، بل وعلى ضرورة التوحيد والنبوة والإمامة والمعاد.

ودالٌّ أيضاً: على أنّ في الوصول إلى الغاية الأبقى والأدوم مرارة - كالوصول إلى حلاوة الدنيا - لا بُدَّ للمرء من تجرُّعها ؛ لأنَّها الأعظم حكمة وإتقاناً.

وهذا التَّرجيح يلتفت إليه ويقوم به العقل العملي من دون ريب ولا تردُّد منه ، والمشكلة إنَّ كانت فهي في غفلة صاحبه أو نسيانه.

وإلى كُلِّ هذا أشارت بيانات الوحي الأخرى ، منها :

بيان قوله تعالى: ﴿يَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدًى﴾^(١).

وهذه نتفة مهمّة جدًّا ؛ فإنَّ منبع الحيوية في الإنسان: عقله العملي^(٢) ،

(١) القيامة: ٣٦.

(٢) ينبغي الالتفات في المقام إلى الأمرين التاليين:

الأوّل: أنّه بعد أن وصلت النوبة إلى ابن سينا تحوّلت الحكمة والفلسفة من نظريّة وعملية إلى نظريّة فحسب ، وهو تحوُّل خطير ؛ صيرَّ مسارها أضعف من سابقه ؛ لأنَّه أفصى العقل العملي ودليله.

وقد سدَّ المتكلِّمون هذا النقص الطارئ على الأدلّة العقلية ، لإعتمادهم غالباً على براهين أخذت موادّها من قوّة العقل العملي ، فهادّتا الحسن والقبح - وهما أساس العقل العملي - موادُّ برهانية.

وهو لغة الأنبياء والأوصياء والأصفياء والأولياء عليهم السلام ؛ لأنَّ فيه مسألة ومدائنة.

التنبيه الرابع والثلاثون:

كلما تزايدت مراحل الاستنتاج كلما ابتعدت النتيجة عن البداهة

إنَّ العلم الرياضي من أقوى العلوم البرهانية باعتراف أصحاب المدارس البشرية المعرفية والعقلية - ك: المناطقة والفلاسفة والمتكلمين - ؛ فإنَّهم يعترفون: أنَّ من أبدَه العلوم سهولة في البرهان علم الرياضيات.

لكن: ينبغي الالتفات: أنَّه كُلمًا توغَّل البحث الرياضي ترامياً في الخطوات تبدَّل - البحث الرياضي البرهاني - من برهانٍ بديهيٍّ إلى برهانٍ نظريٍّ.

→ وما ذهبت إليه الأشاعرة من التَّفكيك بين الكمال والنقص ، والمدح والذَّم ، والملائم وغير الملائم ، وقالوا: إنَّ الحسن يُطلق على معانٍ ثلاثة مغالطة في غير محلِّها ، لكنَّها انطلت على ابن سينا ومن جاء من بعده إلى يومنا هذا ، والحال أنَّه لا يوجد مدح صادق من دون كمال ، ولا ذمَّ صادق من دون نقص ، وهل يوجد فعل في الكون لا يلائمه الكمال ولا ينافره النقص؟!!

الثاني: تعتمد الفلسفة الغربية في العصر الرَّاهن على قوَّة العقل النَّظري في التَّوصُّل إلى النتائج من دون الإِعتماد على قوَّة العقل العملي ؛ وذلك إغراءً للشعوب واستعبادها بعد شلِّ الضمائر وإماتتها ؛ من خلال بثِّ ثقافتهم المسمومة ، لاسيما في الوسط الشَّبابي ، فَيُرُوِّجون بينهم المطالبة بالحقوق مع عدم تحمُّل المسؤولية والوظائف والواجبات.

إِذْنُ: كُلَّمَا تَزَادَ مَرَاهِلَ الْاِسْتِتَاجِ كُلَّمَا ابْتَعَدْتَ النَتِيْجَةَ عَنِ الْبِدَاهَةِ
وَصَارَ وَغَوْلٌ وَتَوَعَّلُ فِي النَّظَرِيَّةِ أَكْثَرَ فَاكْثَرَ.

وهذه القضية تأتي في جملة علوم البشر المعرفية والعقلية وغيرها - ك:
علم: الفلسفة ، والكلام ، والعرفان - فما كانت مادته وصورته برهاناً يقينياً
إذا ازدادت مراحل الاستتاج وتوَعَّل الاستدلال أكثر ابتعد عن عاصمة
البداهة ودخل دائرة النظريات وصار واقعه ظناً عقلياً.

وبالجملة: أي علم يترامى فيه الاستدلال بعيداً عن عاصمة البداهة إلى
ضواحي أرياف وقصبات بعيدة في البحث العلمي فلا بُدَّ أَنْ تشوبه ظلمة
الظنّ بدل نور اليقين والقطع ، وكلّما ترامت مراحل الاستدلال كلّما ازدادت
ظلمة الظنّ وخبث نور اليقين ليتحوّل مع ترامي وازدياد مراحل الإستدلال
إلى شكٍّ ووهم واحتمال.

وهذه أزمة معرفية وعلمية وعقلية ارتطم بها أصحاب المدارس
البشرية المعرفية والعلمية والعقلية - كالفلاسفة والمتكلمين والعرفاء -
فيحسبون ما صورته يقين: عيون صافيه ، ودلائل ظاهرة ، وبراهين تفوح
دلالة واضحة باهرة ، وحجج يقينية عقلية بالغة قاطعة ساطعة ، لكن مَنْ
يَطَّلِعُ عَلَى واقعها يراها ظنون لا تُسْمِنُ ولا تُغْنِي من جوع في مقام
الاستدلالات العقلية.

وهذا ما يوضح نكته اختلاف مدارس البشر المعرفية والعقلية
- كالمدارس الفلسفية ؛ مشاء ، وإشراق ، وحكمة متعالية وغيرها - ؛ فإنَّ

أصحابها يُقيمون براهين يدَّعونها عقليةً يقينيةً وقطعيةً على حقانية مسلكهم ومدرستهم ، وفساد ما عداها ، لكن يجد واقعها الناقد البصير عندما يعمل نظره في ملحمة التحليل وسندان التعمق أنَّها ظنون للعقل منها نبوة.

وهذه من أزمت المناهج ، وقضيةٌ مُهمَّة لأبدٍ من الالتفات إليها ، وتكون حاضرة دائماً في ساحة مَنْ يبغي الوصول إلى الحقيقة ، وتكون طريّة في العقل والفكر البشري دائماً.

التنبيه الخامس والثلاثون :

قاعدة: (التوقيتية والتوقفية)

إنَّ قاعدة: التوقيتية والتوقفية والتعبديّة لا تعني ما تحيِّله وتوهِّمه الكثير ؛ منهم بعض الإخباريين والأصوليين ، فإنَّ التقييد بالنصّ الوحياني في قبّال مدرسة الإستحسان والرأي لا يعني: الجمود على سطح وظاهر ألفاظ بيانات الوحي ، وإنَّما يعني: التمسك بقوالبها ؛ والغور والغوص في بطونها وبحور معانيها وحقائقها غير المتناهية ؛ والوغل في بحار معارف الدِّين والحقيقة والعوالم الغيبية المكوّنة غير المتناهية ؛ بالشواهد والدلائل والموازن الوحيانية والعلمية.

وهذا أحد المعاني الخفية والرقيقة واللطيفة جداً لقاعدة: «لا جبر ولا تفويض ، إنَّما أمر بين أمرين».

التنبيه السادس والثلاثون :

هوية الراوي مؤثرة في فهم الرواية

هناك أمرٌ مهمٌّ في تفسير بيانات الوحي الصّادرة عن المعصوم عليه السلام ، ينبغي الالتفات إليه ومراعاته ، حاصله: أنّ هويّة الرّاوي ، واتّجاهه الفكري ، وذهنيّته مؤثّرةٌ في فهم بيانات المعصوم عليه السلام ، لأنّه عليه السلام حينما يُخاطب الطّرف يُلاحظ عقليّته ونزعتَه واتّجاهه .





المسألة: (٥)

[قراءة المطالب المعرفية]

هناك أبواب ومباحث معرفية - كمبحث: الأديان والمذاهب والملل والنحل ، وخلق الأرواح ، والمعراج بتفاصيله ، والرّجعة بتفاصيلها^(١) - لم

(١) يجدر الالتفات في المقام إلى القضايا التالية:

الأولى: أنّ الرّجعة وعالمها وإن كان من ضروريات مدرسة الإمامية ومتواترة في بيانات أهل البيت صلوات الله عليهم ، بل ضرورة روائية ، لكن من يُراجع كثير من كتب عقائد الإمامية لم يجد لها عين ولا أثر.

الثانية: أنّه تحصل في دولة وعالم الرّجعة - آخرة الدنيا - جملة من التغيرات الفيزيائية وغيرها من الأمور والطبيعة العامة للحياة الأرضية المعهودة في نشأتنا الأرضية هذه ؛ نشأة عالم الدنيا الأولى.

وقدرات أصحاب عالم الرّجعة وإمكاناتهم وكما لا تتم وشؤونهم أعظم هولاً ، بل من دون قياس من قدرات وإمكانات وكلمات وشؤون أصحاب عالمنا ونشأتنا الأرضية هذه.

وهذا ما تُشير إليه بيانات الوحي ، منها:

→ بيان الإمام الصادق عليه السلام الحاكي لبعض أحوال وشؤون ما يجري في الدولة المهدوية ، وهي مقدمة لعالم الرجعة ، قال: «إذا قام القائم عليه السلام إستنزل المؤمن الطير من الهواء فيذبحه فيشويه ، ويأكل لحمه ولا يكسر عظمه ، ثم يقول له: إحي يا ذن الله ؛ فيحيي ويطير ، وكذلك الطباء من الصحاري ، ويكون ضوء البلاد نوره ، ولا يحتاجون إلى شمس ولا قمر ، ولا يكون على وجه الأرض مؤذ ولا شر ؛ ولا إثم ولا فساد أصلاً ؛ لأنّ الدعوة ساءية ، وليست بأرضية ، ولا يكون للشيطان فيها وسوسة ولا عمل ، ولا حسد ولا شيء من الفساد ، ولا تشوك الأرض والشجر ، وتبقى زروع الأرض قائمة ، كلّما أخذ منها شيء نبتت من وقته وعاد كحاله ، وإنّ الرّجل ليكسو ابنه الثوب فيطول معه كلّما طال ، ويتلون عليه أيّ لون أحبّ وشاء ، ولو أنّ الرّجل الكافر دخل جحر ضب أو توارى خلف مدرة أو حجر أو شجر لأنطق الله ذلك السّتر الذي يتوارى فيه ؛ حتّى يقول: يا مؤمن ، خلفي كافر ، فيأخذه ويقتله ، ولا يكون لإبليس هيكل يسكن فيه ، ويصافح المؤمنون الملائكة ، ويوحى إليهم ، ويحيون الموتى بإذن الله». دلائل الإمامة للطبري: ٤٦٢ - ٤٦٣ / ح ٤٨. نوادر المعجزات: ١٩٨. حلية الأبرار ، ٢: ٦٣٥.

ودلالته واضحة ؛ فإذا كان هذا هو حال مُقدّمة عالم الرجعة فكيف به.

الثالثة: لكلّ إنسان عدّة رجعات ، والذي يُحاسب فقط من محض الإيثار ومن محض الكفر.

الرابعة: أنّ عملية البعث والنشر والخروج من عالم البرزخ والقبر إلى عالم الرجعة تتمّ - بعدما يُخيّر المؤمن - من خلال تعلق الرّوح بالبدن بعد تنشيطه.

وإلى هذا تُشير بيانات الوحي الأخرى ، منها:

بيان الإمام الصادق عليه السلام أيضاً ، عن المُفضّل بن عمر ، قال: «ذكرنا القائم عليه السلام ، ومن مات من أصحابنا ينتظره ، فقال لنا أبو عبدالله عليه السلام: إذا قام أيّ المؤمن في قبره ←

→ قِيلَ له: يا هذا ، إِنَّه قد ظهر صاحبك ، فَإِنْ تشأ أَنْ تلحق به فالحق ، وَإِنْ تشأ أَنْ تُقيم في كرامة ربك فأقم». كتاب الغيبة ، للشيخ الطوسي : ٢٨٢ .
ودلالته واضحة .

الخامسة: هناك شأن من شؤون سيّد الأنبياء ﷺ ؛ يأتي في عالم الرجعة ، عظيم جداً ، بل محيّر للعقول والألباب ، ومن الأمور الغامضة والمبهمة جداً ، أشارت إليه بيانات الوحي ، وهو: أَنَّ ما قام به سيّد الأنبياء ﷺ من مسؤوليات وإدارة وبشارة ونذارة وتربية وتكميل للبشرية في دار الدنيا الأولى - عالمنا ونشأتنا الأرضية هذه - أمورٌ صغرى بالقياس إلى ما سيقوم به ﷺ من مسؤوليات ملقاة على عاتقه وبشارة ونذارة كبرى وتربية وتكميل للبشرية في عالم الرجعة .

فلاحظ: بيانات الوحي ، منها:

١- بيان تفسير الإمام الباقر عليه السلام: «في قوله ﷻ: ﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ * قُمْ فَأَنْذِرْ﴾ [المدثر: ١-٢] يعني بذلك محمداً ﷺ وقيامه في الرجعة ينذر فيها ، وقوله: ﴿إِنهَا لِأَجْدَى الْكَبْرِ * نَذِيرًا لِلْبَشَرِ﴾ [المدثر: ٣٥-٣٦] ، يعني محمداً ﷺ «نذيراً للبشر» في الرجعة ، وفي قوله: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ﴾ [سبأ: ٢٨] في الرجعة». بحار الأنوار ، ٥٣ : ٤٢/ح ١٠ .

٢- بيان تفسيره عليه السلام أيضاً: «... وقوله: ﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ * قُمْ فَأَنْذِرْ﴾ ، يعني بذلك محمداً ﷺ قيامه في الرجعة ينذر فيها ، وقوله: ﴿إِنهَا لِأَجْدَى الْكَبْرِ * نَذِيرًا لِلْبَشَرِ﴾ ، يعني محمداً ﷺ نذير للبشر في الرجعة. وقوله: ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾ [التوبة: ٣٣] قال: يظهره الله ﷻ في الرجعة...». بحار الأنوار ، ٥٣ : ٦٤/ح ٥٥ .

ودلالته واضحة .

→ وَكَانَ أَنْ تَقُولَ: إِنَّ سَيِّدَ الْأَنْبِيَاءِ ﷺ هُوَ أَوَّلُ مُعَلِّمٍ وَحَيَاتِيَّ ، وَآخِرُ مُعَلِّمٍ وَحَيَاتِيَّ تَسْتَأْهِلُ لَهُ الْبَشَرِيَّةُ وَتَسْتَحَقُّهُ ، وَيُظْهِرُ كِمَالِ ذَلِكَ فِي آخِرَةِ الدُّنْيَا (عَالَمِ الرَّجْعَةِ) ، وَهِيَ دَوْلَةُ آلِ مُحَمَّدٍ ﷺ .

وَإِلَى كَوْنِ سَيِّدِ الْأَنْبِيَاءِ ﷺ أَوَّلُ مُعَلِّمٍ وَمُزَكِّيٍّ وَحَيَاتِيَّ وَأَوَّلُ مَبْعُوثٍ إِلَهِيٍّ فِي بَدَايَةِ الْخَلْقَةِ إِلَى جَمَلَةِ الْمَخْلُوقَاتِ أَشَارَتْ بَيَانَاتِ الْوَحْيِ ، مِنْهَا:

١- بَيَانِ الْإِمَامِينَ الْبَاقِرِ وَالصَّادِقِ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ: «إِنَّ اللَّهَ خَلَقَ الْخَلْقَ وَهِيَ أَظْلَمَةٌ ، فَأَرْسَلَ رَسُولَهُ مُحَمَّدًا ﷺ فَمَنْهُمْ مَنْ آمَنَ بِهِ ، وَمِنْهُمْ مَنْ كَذَّبَهُ ، ثُمَّ بَعَثَهُ فِي الْخَلْقِ الْآخِرِ فَأَمَّنَ بِهِ مَنْ كَانَ آمَنَ بِهِ فِي الْأَظْلَمَةِ ، وَجَحَدَهُ مِنْ جَحَدِهِ بِهْ يَوْمَئِذٍ ، فَقَالَ: ﴿ مَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا بِمَا كَذَّبُوا بِهِ مِنْ قَبْلٍ ﴾ [يُونُسُ: ٧٤] . بحار الأنوار ، ٥ : ٢٥٩ / ح ٦٤ .

٢- بَيَانِ الْإِمَامِ الصَّادِقِ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، عَنِ عَلِيِّ بْنِ مَعْمَرٍ ، عَنِ أَبِيهِ ، قَالَ: «سَأَلْتُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ ﷺ عَنْ قَوْلِ اللَّهِ ﷻ: ﴿ هَذَا نَذِيرٌ مِنَ النَّذْرِ الْأَوَّلِيِّ ﴾ [النَّجْمُ: ٥٦] قَالَ: إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى مَا ذَرَأَ الْخَلْقَ فِي الدَّرِّ الْأَوَّلِ فَأَقَامَهُمْ صَفْوًا قَدَامَهُ بِعَثِ اللَّهِ مُحَمَّدًا ﷺ فَأَمَّنَ بِهِ قَوْمٌ ، وَأَنْكَرَهُ قَوْمٌ ، فَقَالَ اللَّهُ: ﴿ هَذَا نَذِيرٌ مِنَ النَّذْرِ الْأَوَّلِيِّ ﴾ يَعْنِي بِهِ مُحَمَّدًا ﷺ حَيْثُ دَعَاهُمْ إِلَى اللَّهِ ﷻ فِي الدَّرِّ الْأَوَّلِ . بحار الأنوار ، ٥ : ٢٣٤ / ح ٧ .

٣- بَيَانُهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَيْضًا عَنِ الْمُفَضَّلِ بْنِ عَمْرِو ، قَالَ: «... يَا مُفَضَّلُ ، أَمَا عَلِمْتَ أَنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى بَعَثَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ رُوحٌ إِلَى الْأَنْبِيَاءِ وَهُمْ أَرْوَاحٌ قَبْلَ خَلْقِ الْخَلْقِ بِأَلْفِي عَامٍ؟ قُلْتُ: بَلَى ، قَالَ: أَمَا عَلِمْتَ أَنَّهُ دَعَاهُمْ إِلَى تَوْحِيدِ اللَّهِ وَطَاعَتِهِ وَأَتْبَاعَ أَمْرِهِ وَوَعَدَهُمُ الْجَنَّةَ عَلَى ذَلِكَ وَأَوْعَدَ مَنْ خَالَفَ مَا أَجَابُوا إِلَيْهِ وَأَنْكَرَهُ النَّارَ؟ قُلْتُ: بَلَى ...» . بحار الأنوار ، ٣٩ : ١٩٤ - ١٩٥ / ح ٥ . علل الشرائع : ٦٥ .

٤- بَيَانُهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَيْضًا: «مَا بَعَثَ اللَّهُ نَبِيًّا أَكْرَمَ مِنْ مُحَمَّدٍ ﷺ ، وَلَا خَلَقَ اللَّهُ قَبْلَهُ أَحَدًا ، وَلَا أَنْذَرَ اللَّهُ خَلْقَهُ بِأَحَدٍ مِنْ خَلْقِهِ قَبْلَ مُحَمَّدٍ ، فَذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ هَذَا نَذِيرٌ مِنَ النَّذْرِ الْأَوَّلِيِّ ﴾ ... فَلَمْ يَكُنْ قَبْلَهُ مُطَاعٌ فِي الْخَلْقِ ، وَلَا يَكُونُ بَعْدَهُ إِلَى أَنْ تَقُومَ ←

→ السَّاعَة فِي كُلِّ قَرْنٍ إِلَى أَنْ يَرِثَ اللَّهُ الْأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا». بحار الأنوار ، ١٦ :
٣٧١/ح ٨٢ . مجالس الشَّيْخ : ٦٣ .

ودلالة الجميع واضحة .

وعلى هذا قس أحوال وشؤون سائر أهل البيت عليهم السلام .

لكن: ما يُقدِّمونه من أدوار وإنجازات عظيمة ومهولة - من ظهور الحُجَّة بن الحسن عَجَّلَ اللهُ تَعَالَى فرجه وإقامة دولته المباركة ، مروراً برجعة سائر الأئمة الأطهار عليهم السلام وإقامة دولهم ، ك: (الدولة العلوية ، والدولة الحسينية ، والدولة الحسينية ، والدولة السَّجَّادِيَّة ...) - تهيئة وتمهيد وإعداد البشريَّة لأكمل الكمالات ، وأسعد السَّعادات التي لم تشم رائحتها وجه الطبيعة قَطُّ ، وهي: رجعة المُعَلِّم الأوَّل ، والباب الأعظم ، والغيب الأكبر: سيِّد الأنبياء عليهم السلام ، وسينفلق الكون بضياء نور محياه الأبلج ، ويفوح من الأجواء شذى عنصره الأقدس بإقامة دولته الإلهية العظمى الموعودة ، والتي ستشهداها البشريَّة لا محالة في آخرة عالم الرجعة ، وهي أطول عمراً ، وأعظم شأناً وهولاً وقدرةً من سائر دول المعصومين عليهم السلام الإلهية ، وحينئذٍ يصير دينه مُستعلياً على سائر الأديان ، غالباً لأضداده ، قاهراً المنكره .

وهذا ما تُشير إليه بيانات الوحي ، منها:

أَوَّلًا: بيان قوله تعالى: ﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾ * هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ ﴿ [الصف: ٨-٩] .

ثانيًا: بيان قوله تقدَّس ذكره: ﴿وَيُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتَضَعُّوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ﴾ [القصص: ٥] .

يستوعبها ويفي بتنقيحها علم من علوم البشر المعرفية ، فإنهم وإن تطرّقوا إليها ، لكنّه بنحو مجمل .

بل ويزاد في الطين بلة أنّ هناك أبواباً ومباحث معرفية مؤثرة في الفكر المعرفي لم يوجد لها عين ولا رائحة أثر ؛ ولم يلتفت ويُتطرق إليها بنبرة شفة ؛ إمّا تناسياً أو نسياناً أو لم تخطر ببال أحد ، كمباحث الطبيعيات^(١) المرتبطة

→ السادسة: الثابت والمُتَرَرّ في بيانات الروايات: أنّ (دابة الأرض) من أخطر حلقات مسلسل الرجعة ، وقد وصف هذا الحدث في بيانات روايات الفريقين المُستفيضة والمتواترة: أنّه طامة وهول عظيم ؛ بحيث إذا قيس حدث ظهور الإمام المهدي ﷺ إليه لكان كالقطرة في البحيرة ، ومن ثمّ أُطلق عليه - بالقياس إلى ما تقدّمه من أحداث - ب: (الطامة الكبرى).

(١) ينبغي الالتفات في المقام إلى الأمور التالية:

الأوّل: أنّ العلوم الطبيعية - كعلم الفيزياء - مؤثرة جداً في علوم المعارف الإلهية ، وتروّض الباحث فيه بشكل أعظم ، وهذا ما أكّدت عليه بيانات الوحي ، منها: بيان الإمام الصادق عليه السلام في توحيد المُفَضَّل ؛ فإنّه عليه السلام بدأ في البحوث الطبيعية - كتشريح بدن: الإنسان ، والحيوان ، والنبات ، ووظائف الأعضاء - ليصل إلى دفي التدبير الملوكوتي.

ومعناه: أنّ الإطلاع الثقافي على باب الطبيعيات والمُعَبَّر عنه حديثاً ب: (العلوم التجريبية) - والتي جرت سيرة الفلاسفة في أبحاثهم وتصانيفهم من التعرّض إليه - والإطلاع على لباب علوم هذا الباب نافع جداً.

بالمعارف الإلهية ، ومبحث نشأة الإنسان وأنه من أين ، ومباحث الروح ، ومبحث الوراثة الجينية والطفرة الوراثية وهلمَّ جرّاً من المباحث المتولدة بعد رحيل العلامة الطباطبائي رحمته الله.

ومعناه: وقوع نتاج البشرية - مهما بلغ - في عرضة ورطة الإخفاق ^(١).
وعليه: فيخطئ مَنْ يظنُّ إمكانيةً إستقصاء بابٍ أو مطلبٍ أو مبحثٍ من مباحث المعارف من مشربٍ واحدٍ.

→ إذن: الإِطْلَاع على نتائج البحوث الطبيعية ومتابعتها ، والإِطْلَاع والأُنْس بالعلوم الطبيعية إجمالاً مفيد ومؤثر في علوم المعارف الإلهية ؛ لأنّها - العلوم الطبيعية - فعل من أفعال السّاحة الإلهية المقدّسة.

ثمَّ إنَّ الباحث حينما يتعرّف على طبائع العلوم والطّبائع المُختلفة تبدأ أبواب المعرفة بالله ؛ ومعرفة توحيده وأسماءه وصفاته وأفعاله جلّ قدسه ومعرفة سائر أبواب ومباحث التّوحيد تنفتق لديه شيئاً فشيئاً.

الثّاني: أنّ علم الفيزياء قديماً وحديثاً مفيد لبحوث التّوحيد ، بل لبحوث مُطلق المعارف الإلهية ؛ فإنّه لغةٌ علميّةٌ.

الثّالث: أنّ علم الفيزياء: عبارة عن خواص الأجسام أو المواد.

(١) بنى ابن عربي في جملة موارد معرفيّة على وفق الفرضيّة البطلميوسية في الهيئة ، وتعامل معها على أنّها من البديهيّات ، لكن العلم الحديث حكم بطلانها.

وهذا يدلُّ على أنّ المشاهدات والمكاشفات لدى غير المعصوم نحو مسير لا يُدرى أيصيب بها الإنسان أمّ يخيب.

وَلَكَّ أَنْ تَقُولَ: تُسَجَّلُ عَلَى مَشَارِبِ وَمَدَارِسِ الْبَشَرِ الْمَعْرِفِيَّةَ بِمَخْتَلَفِ
إِتْجَاهَاتِهَا مَلاحِظَاتٍ وَأُمُورٍ، مِنْهَا:

١- إِنَّ فِي جَمَلَةِ مَدَارِسِ الْبَشَرِ: مَسَاحَاتٍ بَعْضُهَا بَدِيهِيَّةٌ وَبَيْنَةٌ وَمَحْكَمَةٌ،
وَالْأُخْرَى نَظْرِيَّةٌ فِي عَرْضَةِ الْخَطَأِ وَالْإِخْفَاقِ.

٢- لَا تَوْجِدُ مَدْرَسَةَ بَشَرِيَّةٍ قَطُّ أَسْتَوْعَبَتْ مَطْلُقَ أَبْوَابِ الْمَعَارِفِ، بَلْ
وَكَذَا لَا تَوْجِدُ مَدْرَسَةَ مِنْهَا أَسْتَوْعَبَتْ كَافَّةَ اللُّغَاتِ الْعِلْمِيَّةِ.

وعليه: فعلى مَنْ يبتغي التنوع والتلون والأفق الشاسع، وقراءة بيانات
الوحي: عدم الانحباس بمشربٍ ومدرسةٍ خاصة، بل يُراجع وَيَطَّلِعُ عَلَى
المدارس المعرفية واللغات العلمية كافة؛ كيما يكون أقرب للحق والصواب؛
فإن لكل علمٍ من العلوم - كالهندسة، والطب، والكيمياء، والفيزياء،
والرياضيات - لغته المعرفية؛ فالمتخصص بعلم الهندسة - مثلاً - يمكنه
قراءة دلائل توحيدية لا يقرؤها المتكلم والفيلسوف والحكيم؛ لأن النظام
الرياضي الهندسي في الكون أحد آيات عظمة الخلق الإلهية؛ ولا يمكن
للمتكلم والفيلسوف والحكيم من حيث هو قراءتها بقراءته.

وعلى هذا فقس غيرها من التخصصات^(١)؛ فإنهم يقرؤون دلائل في

(١) يجدر الالتفات في المقام إلى الأمرين التاليين:

الأول: أن المتخصص - في كل العلوم - إذا لم يطلع على الأمور والمباحث والبحوث
المستجدة فسيختلف لا محالة عن الركب شعر بذلك أم لا. وهذه قضية مهمة يجدر
الالتفات إليها.

التوحيد - من خلال المعاجز المذهلة في عظمة خلقه نسيج الإنسان أو المكوّنات الحيوانية في الحيوان أو في عالم النبات أو البيئة - لم يقرءها المتكلم والفيلسوف.

وبالجملة: كلُّ تخصُّصٍ يمكن أن تكون لغته العلميّة في المساحات البديهيّة ، بل والنظريّة لغة من لغات المعارف.

بل ، كلُّ قوّةٍ من قوَى الإنسان يمكن استخدامها لإدراك آيات ربانيّة باهرة دالّة على عظمة القدرة الإلهيّة ، بل ولعائنة عظمة غيب الغيوب سبحانه وتعالى عياناً.

وخذ على ذلك المثالين التاليين:

الأوّل: ما أدركه (سحرة فرعون) ؛ فإنّهم آمنوا بالنبيّ موسى عليه السلام ؛ لتمتّعهم بقدرة رويّة ، وهي: (قدرة الخيال)^(١) ؛ فلكونهم نخبة وأصحاب خبرة في التصرّف في الصور الكونيّة الماديّة أدركوا من خلال ستار قدرة

→ الثاني: أنّ تضحّم العلوم - ك: علم: أصول الفقه ، والفلسفة ، والكلام - تعمقاً وتضحّم مضرّاً وأمرّاً سلبياً ، بل وجهلاً وذلك إن كان خوضاً في التفرّيعات فحسب ؛ فإنّه يُنسي المحاور الأصليّة.

نعم ، إن تضحّم محورياً كان مفيداً ونموّاً للعلم ؛ لأنّه يُصير البحث والباحث أكثر إحاطة بالمحاور.

هذان منهجان مُتّشابهان ، لكن بينهما كمال البينونة.

(١) قدرة الخيال تختلف عن قدرة العقل.

الغيب: أن ما أتى به ﷺ ليس من عالم الخيال قط، بل لمعان غيب ومعجزة، وتجلي لقدرة الغيب القاهرة، فأدركوا ما لم يدركه الحكماء والفلاسفة وأصحاب الرياضات والمعنويات والعرفان في زمانهم، وسبقوهم للإيمان، فسجدوا بخشوع وخضوع من دون مهلة، فأصبحوا سحرة كفره، وأمسوا شهداء بررة.

فلاحظ: بيانات الوحي، منها:

بيان الإمام الصادق ﷺ: «... ثُمَّ قَالَ فَرَعُونَ لِلْمَلَأِ الَّذِي حَوْلَهُ: ﴿إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ * يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ﴾ إلى قوله: ﴿لَمِيقَاتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ﴾^(١) وكان فرعون وهامان قد تعلما السحر وإنما غلبا الناس بالسحر، وادعى فرعون الربوبية بالسحر، فلما أصبح بعث في المدائن حاشرين، مدائن مصر كلها، وجمعوا ألف ساحر، واختاروا من الألف مائة ومن المائة ثمانين، فقال السحرة لفرعون: قد علمت: أنه ليس في الدنيا أسحر منا، فإن غلبنا موسى فما يكون لنا عندك؟ قال: ﴿إِنَّكُمْ إِذَا لَمِنَ الْمُعْرَبِينَ﴾^(٢) عندي، أشارككم في ملكي... فلما أرتفع النهار في ذلك اليوم، وجمع فرعون الخلق والسحرة، وكانت له قبة طولها في السماء ثمانون ذراعاً، وقد كانت لبست الحديد الفولاذ^(٣)، وكانت

(١) الشعراء: ٣٤-٣٨.

(٢) الشعراء: ٤٢.

(٣) خ. ل: (لبست بالفولاذ المصقول).

إذا وقعت الشمس عليها لم يقدر أحدٌ أن ينظر إليها من لع الحديد ووهج الشمس ، وجاء فرعون وهامان وقعدا عليها ينظران ، وأقبل موسى ينظر إلى السماء ، فقالت السحرة لفرعون: إِنَّا نرى رجلاً ينظر إلى السماء ولم يبلغ سحرنا السماء ، وضمنت السحرة مَنْ في الأرض ، فقالوا لموسى: ﴿إِنَّمَا أَنْتَ تَلْقَىٰ وَإِنَّمَا أَنْتَ نَكُوزٌ نَحْنُ الْمُتَلَقِينَ﴾^(١) قال لهم موسى: ﴿أَلْقُوا مَا أَنْتُمْ مُلْقُونَ﴾ * فآلقوا حبالهم وعصيهم^(٢) فأقبلت تضطرب مثل الحيات وهاجت ، فقالوا: ﴿بِعِزَّةِ فِرْعَوْنَ إِنَّا لَنَحِبُّ الْعَالِيُونَ﴾^{(٣)(٤)} ﴿فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةَ مُوسَىٰ﴾^(٥) فنودي: ﴿لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنْتَ الْأَعْلَىٰ﴾ * وألق ما في يمينك تلقف ما صنعوا إنما صنعوا كيد ساحر ولا يفلح الساحر حيث أتى^(٦) فألقى موسى العصا فذابت في الأرض مثل الرصاص ثم طلع رأسها وفتحت فاها ووضعت شدقها العليا على رأس قبة فرعون ، ثم دارت^(٧) والتقمت عصي السحرة وحبالها ، وغلب كلهم وانهمزم الناس ، حين رأوها وعظمتها وهولها مما لم تر العين ولا وصف الواصفون مثله قبل ، فقتل في الهزيمة من وطء الناس بعضهم بعضاً عشرة آلاف رجلاً وامرأة وصبي ،

(١) الأعراف: ١١٥ .

(٢) الشعراء: ٤٣ - ٤٤ .

(٣) الشعراء: ٤٤ .

(٤) خ . ل: (فهاج الناس ذلك).

(٥) الأعراف: ٦٧ .

(٦) الأعراف: ٦٨ - ٦٩ .

(٧) خ . ل: (وأرخت شفتها السفلى) .

ودارت على قبة فرعون ، قال: فأحدث فرعون وهامان في ثيابهما ، وشاب رأسهما ، وغشي عليهما من الفزع ، ومَرَّ موسى في الهزيمة مع النَّاس فناداه الله: ﴿خُذْهَا وَلَا تَخَفْ سُنْعِيدُهَا سِيرَتَهَا الْأُولَى﴾^(١) فرجع موسى وَلَفَّ على يده عباءة كانت عليه ثُمَّ أَدخَلَ يده في فمها فإذا هي عصا كما كانت ، وكان كما قال الله: ﴿فَالْقِيَمَ السَّحْرَةَ سَاجِدِينَ﴾^(٢) لَمَّا رَأَوْا ذَلِكَ ﴿قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ * رَبِّ مُوسَى وَهَارُونَ ﴿فَغَضِبَ فِرْعَوْنُ عِنْدَ ذَلِكَ غَضَبًا شَدِيدًا ، وَقَالَ: ﴿أَمِنْتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ أُذِنَ لَكُمْ إِنَّهُ لَكَبِيرِكُمْ﴾ يعني: موسى ﴿الَّذِي عَلَّمَكُمُ السَّحْرَ﴾^(٤) ﴿فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ * لَأَقْطَعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خَلْفٍ ثُمَّ لَأَضِلَّ بَنَاتِكُمْ أَجْمَعِينَ﴾^(٥) فقالوا له كما حكى الله ﷻ: ﴿لَا ضَيْرَ إِنَّا إِلَى رَبِّنَا مُنْقَلِبُونَ﴾ * إِنَّا نَنْظِعُ أَنْ يُعْفِرَ لَنَا رَبُّنَا خَطَايَانَا أَنْ كُنَّا أَوَّلَ الْمُؤْمِنِينَ﴾^(٦) ...»^(٧).

المثال الثاني: معجزة النبي عيسى ﷺ في إحياء الموتى وإبراء الأكمه والأبرص ، فإنَّ أَوَّلَ مَنْ أَدْرَكَهَا وَسَبَقَ لِلإِيمَانِ بِهَا: أطباء زمانه ﷺ قبل الفلاسفة والعرفاء وأصحاب الرياضات والمعنويات في ذلك الزمان.

(١) طه: ٢١ .

(٢) الشعراء: ٤٦ .

(٣) الشعراء: ٤٧ - ٤٨ .

(٤) الشعراء: ٤٩ .

(٥) الأعراف: ١٢٣ - ١٢٤ .

(٦) الشعراء: ٥٠ - ٥١ .

(٧) بحار الأنوار ، ١٣ : ١٢٠ / ح ٢١ .

المسألة: (٦)

[ظاهر الإسلام وواقعه]

هناك قضايا أربع وقعت مورداً للاتفاق بين المسلمين ، ينبغي الالتفات إليها :

الأولى: هناك فارق بين أصول الدين بمعنى: (ظاهر الإسلام) ، وأصول الدين بمعنى: (واقع الإيمان).

قال تعالى: ﴿قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ﴾^(١).

الثانية: أَنَّ أصول الدين بمعنى: (ظاهر الإسلام) أربعة: الشهادتان ، والإقرار بالمعاد ، وعدم إنكار ضروري من ضروريات الإسلام.

الثالثة: أَنَّ أصول الدين بمعنى: (واقع الإيمان) هي: أصول ظاهر

(١) الحجرات: ١٤ .

الإسلام وزيادة^(١).

وهذه من أبجديات علم كلام المذاهب الإسلامية.

وعليه: يكون منكرها منكر ضروري من ضروريات المسلمين.

عن سفيان بن السمط ، قال: «سأل رجل أبا عبد الله عليه السلام عن الإسلام والإيمان ؛ ما الفرق بينهما ؟ ... فقال: الإسلام: هو الظاهر الذي عليه الناس: شهادة أن لا إله إلا الله ، وأن محمداً رسول الله ، وإقام الصلاة ، وإيتاء الزكاة ، وحج البيت ، وصيام شهر رمضان ، فهذا الإسلام. وقال: الإيمان معرفة هذا الأمر مع هذا ؛ فإن أقر بها ؛ ولم يعرف هذا الأمر كان مسلماً ، وكان ضالاً»^(٢).

هذا ، ولكن: كثيراً ممن يُدير طاولات الحوار في القنوات الفضائية ، بل وأصحاب التقريب بين المذاهب^(٣) ، بل وجملة من أصحاب المدارس الكلامية منهم من الخاصة نتيجة الجهل بهذه البحوث أنكروا التعدد والمغايرة ، بل ذهب آخر إلى تباينها ؛ والحال أن للدين مراتب ، ولكل

(١) ينبغي الالتفات: أن تقرير الأصول الاعتقادية بالخمس المعهود - التوحيد ، والعدل ، والنبوة ، والإمامة ، والمعاد - ليس هو إلا مجرد تنظيم تبويبي فني وتدريري وتعليمي محض ، وإلا فعند القدماء لا تنحصر - أصول الاعتقاد - بذلك ، بل هي أكثر بكثير.

(٢) بحار الأنوار ، ٦٨: ٢٤٦ / ح ٦. الكافي ، ٢: ٢٤.

(٣) التقريب بين المسلمين ومذاهبهم وإن كان أمراً محموداً ، بل وعظيماً ، لكن ينبغي أن يُبنى على أسس منهجية وعلمية متفق عليها بين المسلمين.

مرتبة أحكامها الخاصّة ، فهناك أحكام فقهية وغيرها لظاهر الإسلام ، وهناك أحكام أخرى فقهية وغيرها لواقع الإيمان .

الرابعة: أنّه لا بُدَّ من بناء أصول الإيمان على الحقيقة اليقينية المُستندة على الأدلّة القطعية اليقينية ، فإنّها وإن لم تترتب عليها الآثار الدنيوية ، لكنّها المدار للنّجاة الأخروية الأبدية .

وهذه قضية وقع الإتفاق عليها ؛ وأنّ الأحكام والآثار الدنيوية منوطة بأصول ظاهر الإسلام ، والآثار الأخروية منوطة بأصول الإيمان .

وعليه: فلا يمكن بناء أُسس أصول الإيمان - بعد ما كان عليها مدار النّجاة الأخروية - على الأدلّة الظنّية ؛ لكونها في عرضة الخطأ .

نعم ، وقع الخلاف في مُؤدّي الأدلّة اليقينية ؛ وأنها أيّ أُسس إيمانية تنتج؟ لكنّه بحثٌ آخر .

وعليه: فيجب على مَنْ يبغى الإتّصاف بالإيمان بأهل البيت عليهم السلام: أن يعتمد في ذلك على الأدلّة اليقينية ، ويقطع ويُسلم بها ، ويعتقها ، وإلا فليس بمؤمنٍ ، بل مرتاب .

وهذا بخلاف (ظاهر الإسلام) ، فيمكن بناء أُسسه وأصوله على الأدلّة الظنّية ؛ فالتفت .

وبالجملة: هناك فارقٌ بين آثار الحُجّية الباطنة ، وآثار الحُجّية الظاهرة .

وسبب خلط أصحاب التفرّيب وغيرهم بين المطلبين ارتطامهم بغفلة

علمية ومنهجية خطيرة جداً ، حاصلها: أن الاختلاف يساوق دائرة الاجتهاد الظني ؛ فمعنى الاختلاف في شيء هو ظنية الأدلة المقامة عليه ؛ وإلا فلم هذا الاختلاف ، وحيث إنه وقع الاختلاف بين المذاهب الإسلامية في أصول واقع الإسلام كظاهرة كانت الأدلة المقامة عليهما ظنية ، وبحوثها اجتهادية .

ويردّها: منع الملازمة ؛ فإن هناك جملة قضايا بديهية ، ثبتت بالأدلة القطعية اليقينية ، لكنه وقع فيها الاختلاف .

مثالها:

- ١- أصل وجود الباري سبحانه وتعالى ، فقد أنكره الملحدون .
- ٢- نبوة سيد الأنبياء ﷺ ، بل وثواب المسلمين ؛ فقد أنكرها غيرهم .
- ٣- خلقه النبي عيسى عليه السلام كسائر البشر ؛ فقد أنكرها النصارى .
- ٤- نبوته عليه السلام ؛ فقد أنكرها اليهود .
- ٥- نبوة أنبياء أولي العزم عليهم السلام ؛ فقد أنكرها الموحدون من غير هذه الديانات .

إذن: صرف الاختلاف لا يجعل الأدلة المقامة أدلة ظنية ، ولا ينفي وجود الدليل القطعي اليقيني المقام على ما اختلف فيه .



المسألة: (٧)

[أساسيات وأصول وضروريات الدين وواجباته]

هناك فوارق بين أساسيات الدين ، وأصول الدين ، وأركان الدين ، وضروريات الدين ، والواجبات اليقينية في الدين التي تحوم في ضواحي البدهة والضرورة ، والواجبات الدينية اليقينية النظرية ، والواجبات الدينية المثبتة بالدليل الظني المُعتبر ؛ حاصلها:

أولاً: أساسيات الدين - بمعنى: ظاهر الدين - فتطلق ويُراد منها: خصوص الأصول الدينية التي يدخل بركتها المُكلف إلى حظيرة الإسلام ، والمُتمثلة بالشهادتين ؛ فَمَنْ نطق بهما دخل في أمان الدين الإسلامي ، وحُقن دمه ، وحفظ عرضه وماله ، وحلَّ نكاحه ، وحلَّت ذبيحته .

إذن: أساسيات الدين - بمعنى: ظاهر الدين - بمثابة الجنسية الإسلامية ، ومن ثمَّ ليس لمخلوقٍ قطُّ - عدا سيّد الأنبياء ﷺ - إقحام صلاحياتها إلاَّ أن يدَّعي النبوة ، فَمَنْ يُريد إضافة شيء جديد للشهادتين

فعليه أن يدعي النبوة أولاً ويأتي بدين جديد.

ثانياً: أصول الدين في مرتبة الإسلام الظاهري - وهي: التوحيد والنبوة والمعاد والتي إن أظهرها المكلف أصبح مسلماً في الظاهر - فتطلق ويراد منها: تلك الأمور الدينية التي من ينكرها يكون خارجاً عن حريم الدين ؛ فدور أصول الدين وصلاحتها ليست هي بوابة مدخلة للدين ، وإنما بوابة مخرجة من الدين ، فمن أنكرها يكون خارجاً عن الدين.

ثالثاً: أركان الدين فتطلق ويراد منها: تلك الأمور الدينية التي هي من أصول الدين وأعلى من ضرورياته ؛ فإنها وإن كانت من الضروريات لكنها ليست على نمط مطلق الضروريات ، وإنما هي ضرورة من نمط خاص.

رابعاً: ضروريات الدين - وهي: ما قام الدليل القطعي البديهي أو القريب من البدهة عليها - ؛ وهي على أقسام ، منها:

١- ضروريات عموم المسلمين.

٢- ضروريات عموم الأديان الإبراهيمية الثلاثة.

٣- ضروريات عموم الأديان.

٤- ضروريات الإنسانية.

٥- ضروريات الفطرة.

٦- ضروريات المؤمنين.

٧- ضروريات المسلمين العامة.

٨- ضروريات علماء المؤمنين - الفقهاء ، والمفسرين ، والمحدثين -.

خامساً: الواجبات اليقينية في الدين والتي لم تصل إلى درجة الضرورة ، وإنما تحوم في ضواحي البداهة والضرورة: فلها آثار تختلف عن الضروريات فضلاً عن أساسيات الدين ، وهي واجبة الاعتقاد بها ، وانكارها يوجب الضلال وإن لم يوجب الارتداد.

سادساً: الواجبات الدينية اليقينية النظرية ؛ فإنها تلك الواجبات الدينية التي لم تتوغل في النظرية ، وإنما تظهر بالنظر والتدبر ، ومن ثم الاعتقاد بها مُعلق على العلم بها.

سابعاً: الواجبات الدينية المثبتة بالدليل الظني المُعتبر.

وهذه الأقسام السبعة تأتي أيضاً في حقيقة الدين - أي: واقع الدين

الإسلامي وواقع الإيمان - ؛ فهناك:

أولاً: أساسيات الإيمان ؛ بمعنى: واقع الدين الإسلامي ، والمتمثلة بمعرفة الشهادات الثلاثة بما فيها الحُجج الأربعة عشر معصوماً من أهل البيت (صلوات الله عليهم) والإقرار بها ، ويدخل المُكلف بركة هذا الإقرار إلى بيعة الإيمان ، وهذه بمثابة الهوية الإيمانية ، ومن ثم ليس لمخلوق البتة - عدا سيّد الأنبياء وسائر أهل البيت صلوات الله عليهم - اقتحام صلاحياتها.

ثانياً: أصول الدين في مرتبة الإيمان وواقع الإسلام ، وهي: التوحيد والنُّبوة والإمامة والمعاد ، وهي البوابة التي يدخل المكلف الإيمان بالدين من خلال الاعتقاد والاقرار بها واطهارها ويصبح مؤمناً.

ثالثاً: أركان الإيمان.

رابعاً: ضروريات الإيمان.

خامساً: واجبات يقينية في الإيمان والتي تحوم في ضواحي البداهة والضرورة.

سادساً: واجبات الإيمان الدينية اليقينية النظرية.

سابعاً: واجبات الإيمان الدينية المثبتة بالدليل الظني المعتمد.

[أدنى المعرفة في الإسلام الظاهري والواقعي]

ثم إن أدنى المعرفة في الإسلام الظاهري والإيمان الواقعي تتحقق إذا التفت المخلوق إلى أمرين:

الأول: التمييز بين أساسيات الإسلام الظاهري والإيمان الواقعي من جهة وسائر أقسام الاعتقادات - أصول الدين ، وضروريات الدين ، ويقينيات الدين - من جهة أخرى.

وأساسيات الإسلام الظاهري: الشهادتان ، وأساسيات الإيمان

الواقعي: الشَّهادَات الثلاث. وبقِي الأُمُور المُتعلِّقَة بالإِسلام الظَّاهري والإِيمان الواقعي تدخُل إِمَّا في أُصول الدِّين أو في ضروريَّات الدِّين أو في يقينيَّات الدِّين.

الثَّاني: يكفي المُكَلَّف للدخول في الإِسلام الظَّاهري أو الإِيمان الواقعي التَّسليم الإِجمالي بأُساسِيَّات الدِّين - سواء أكان ظاهِر الدِّين أم واقعه -.

بخلاف أُصول الدِّين - سواء أكان ظاهِر الدِّين أم واقعه فدخول المُكَلَّف بالدِّين غير مرهون بالإِعتقاد والتَّسليم بها ، لكن إنكارها وإن لم تستبين له توجب الخروج عن الدِّين.

أمَّا ضروريَّات الدِّين - سواء أكان ظاهِر الدِّين أم واقعه - فيوجب إنكارها مع العلم بها تفصيلاً الخروج عن الدِّين.

وعلى هذا قس البقيَّة ؛ فإنَّ حكمها مشروع بالعلم والتَّفصيل.





المسألة: (٨)

[ضرورة اطلاع الباحث على كلمات وآراء عقول البشر]

من المهمّ اطلاع الباحث في أبواب المعارف الإلهية على كلمات وعقول البشر - فلاسفة كانوا أم مُتكلِّمون وعرفاء وصوفيّة أو غيرهم - واستفادة الدربة والمراس والحواريّات العلميّة منهم ، بل هذا أمرٌ ضروريٌّ دعت إليه بيانات الوحي ، منها:

١- بيان قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْقُرَىِّ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا قُرَىِّ ظَاهِرَةً وَقَدَرْنَا فِيهَا السَّيْرَ سَيَرُوا فِيهَا لَيَالِيًّ وَأَيَّامًا آمِنِينَ﴾^(١).

بتقريب: أنّ المراد من (القرى الظاهرة): العلماء ؛ فإنّهم السبيل والواسطة ، وبعد أن يتعلّم طالب الحقيقة منهم ويطلّع على آرائهم ينطلق إلى القرى التي بارك فيها الباري تقدّس ذكره ، وهم: كُملّ المخلوقات ورجالات الوحي ؛ أهل البيت (صلوات الله عليهم).

وهذا ما تُشير إليه بيانات أهل البيت عليهم السلام المُفسّرة لهذا البيان الوحياني الشريف ، فلاحظ :

أولاً: بيان تفسير الإمام الباقر عليه السلام مُحطاباً الحسن البصري: «... إني أعرض عليك آية وأنهي إليك خطباً ، ولا أحسبك إلا وقد فسّرتَه على غير وجهه ؛ فإن كنتَ فعلتَ ذلك فقد هلكت وأهلكت ، فقال له: ما هو؟ قال: رأيتَ حيث يقول: ﴿وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْقُرَى الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا قُرًى ظَاهِرَةً وَقَدَرْنَا فِيهَا السَّيْرَ سِيرُوا فِيهَا لِيَالِي وَأَيَّامًا آمِنِينَ﴾ ، يا حسن ، بلغني أنك أفيتت النَّاسَ فقلت: هي مَكَّة ، فقال أبو جعفر عليه السلام: ... بل فينا ضرب الله الأمثال في القرآن ، فنحن القرى التي بارك الله فيها ، وذلك قول الله تعالى ، فَمَنْ أَقْرَبَ بِفَضْلِنَا حَيْثُ أَمَرَهُمُ اللَّهُ [في المصدر: حيث أمر الله] أَنْ يَأْتُونَنَا فَقَالَ: ﴿وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْقُرَى الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا﴾ أي: جعلنا بينهم وبين شعيتهم القرى التي باركنا فيها (قرى ظاهرة) ، والقرى الظاهرة: الرُّسل والنقطة عنّا إلى شعيتنا ، وفقهاء شعيتنا إلى شعيتنا...»^(١).

ثانياً: بيان تفسيره عليه السلام أيضاً ، عن الإمام الصادق عليه السلام قال: «دخل الحسن البصري على مُحَمَّد بن عَلِيٍّ عليه السلام فقال له: يا أبا أهل البصرة ، بلغني أنك فسّرتَ آية من كتاب الله على غير ما أنزلت ، فإن كنتَ فعلتَ فقد هلكت واستهلكت ، قال: وما هي جعلتُ فداك ؟ قال: قول الله تعالى:

(١) بحار الأنوار ، ٢٤ : ٢٣٢ - ٢٣٣ / ح ١ . الاحتجاج للطبرسي : ١٧٨ .

﴿وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْقَرْيَةِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا قَرْمِي ظَاهِرَةً وَقَدَرْنَا فِيهَا السَّيْرَ سَيْرُوا فِيهَا لَيَالِيًا وَأَيَّامًا آمِنِينَ﴾ ، ويحك ، كيف يجعل الله لقوم أماناً ومتاعهم يسرق بمكة والمدينة وما بينهما ؟ ... ثم مكث ملياً ، ثم أومأ بيده إلى صدره وقال: نحن القرى التي بارك الله فيها ... فقال: جُعِلَتْ فداك ، فأخبرني عن القرى الظاهرة. قال: هم شيعتنا ، يعني: العلماء منهم^(١).

٢- بيان أمير المؤمنين صلوات الله عليه: «مَنْ استقبل وجوه الآراء عرف مواقع الخطأ»^(٢).

ودلالته واضحة.

لكن: على الباحث أن لا يجس نفسه على أفق كلمات وآراء ما رسمه علماء البشر ، بل عليه - بعد الإطلاع على آرائهم ؛ للتقريب بها عن البراهين - الإنطلاق في أفق بحور بيانات الوحي المهولة غير المتناهية ، والغور في براهينها ومحيطات معانيها وحقائقها الطمطامة غير المتناهية.

وبالجملة: على الباحث أن لا ينظر إلى مَنْ قال ؛ وهل هذا الكلام مُسند أو لا ، وإنما يجب عليه النَّظَرُ إلى ما قيل ، وهذا ما هو معمول به مع كلمات البشر ، فلا يُنظرون إلى سندها ، هكذا ينبغي أن يكون الحال مع بيانات الوحي والتعامل مع رجالته ؛ أهل البيت (صلوات الله عليهم).

(١) بحار الأنوار ، ٢٤ : ٢٣٥ / ح ٤ . كنز الفوائد : ٢٤٦ - ٢٤٧ .

(٢) بحار الأنوار ، ٧٢ : ١٠٤ / ح ٣٨ . نهج البلاغة ، ٢ : ١٥٥ . ط: عبده .

وهذا ما تشير إليه بيانات الوحي ، منها:

بيان أمير المؤمنين صلوات الله عليه: « لا تنظر إلى مَنْ قال ، وانظر إلى ما قال»^(١).

ودلالته واضحة.

وهذه ليست دعوى للمنهج الإخباري ، كما قد يتخيَّله البعض ، بل دعوى لمنهج دراية وتمحيص واستنباط علميٍّ وحياتيٍّ ، ودعوى للغور والغوص في قواعد ومعادلات منظومة بيانات الوحي غير المتناهية.

وبالجملة: ليست الضَّابطة في التَّفَرُّقَة بين المنهج الإخباري الحشوي والقشري والمنهج الأصولي والتَّحْقِيقِي: أَنَّ مَنْ يَتَعَبَّدُ وَيَأْخُذُ ببيانات الوحي ويتعامل معها فإخباريٌّ حشويٌّ وقشريٌّ ، وَمَنْ يَتَعَبَّدُ وَيَأْخُذُ بكلمات علماء البشر ويتعامل معها فمُحَقِّقٌ وَأُصُولِيٌّ ، وَإِنَّمَا الضَّابطة في التَّفَرُّقَة: أَنَّ مَنْ يَغُوصُ وَيَغُورُ وَيُجَلِّلُ وَيُنظِّمُ قواعد ومعادلات بيانات الوحي أو كلمات علماء البشر بالموازين والثَّوابت والأُصول العلميَّة فهذا هو المنهج التَّحْقِيقِي ، وصاحبه مُحَقِّقٌ ومُدَقِّقٌ ونيقدٌ صناعي ، وإِلَّا - أَي: مَنْ لا يعتني بذلك ويأخذ ببيانات الوحي أو كلمات علماء البشر ويجمد عليها من دون غوص وغور وتحقيق - فحشويًّا قشريًّا ؛ سواءً أَكان ذلك تَمَسُّكاً ببيانات الوحي أو بكلمات علماء البشر.

(١) كنز العمال: ح ٤٤٢١٨.

المسألة: (٩)

[قصور مدارس البشر المعرفية]

[ما ذكرته مدارس البشر المعرفية لا يُمثل جملة المعارف]

هناك أمر مهمٌ جداً في منهج العقائد ، وقضيةٌ مهمّةٌ جداً لا بُدَّ من الالتفات إليها ، ووعايتها بكلِّ يقظة ، وإلا فسُتطَمَس معالم مُبدهة في الدين ، وتندرس عن الثقافة الدنيّة في وعي المؤمنين والمسلمين ، ونكون نحن المُقصرين والمسؤولين عنها يوم القيامة: أمام الله ﷻ وأمام سيّد الأنبياء وسائر أهل البيت (صلوات الله عليهم) ، حاصلها: أنّ ما ذُكر وكتِبَ وقرّر وألّف ، وما جُعِلَ منظومة مفهرسة من عقائد ومعارف في كُتُب علم الكلام لدى كُلِّ مدرسةٍ وطائفةٍ ومذهبٍ لا يُمثّل جملة المنظومة العقائديّة والمعرفيّة التي تعتنقها وتعتقد بها تلك المدرسة والطائفة والمذهب .

وللتوضيح خذ الأمثلة التّالية:

الأوّل: (إمامة سيّد الأنبياء ﷺ) ؛ فإنّه من يُراجع كُتُب علم الكلام

لدى الفريقين فسيجد أنّها لم تذكرها بشكل وقولبة صريحة ، ولم تُركّز عليها ، نعم ذكرتها ضمناً ، لكنّه بحث آخر . مع أنّ بحثها كأحد مقاماته صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أمرٌ مهمٌّ جدّاً ؛ فإنّ نظرة الوحي لسيد الأنبياء صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ليست كنظرة العلمانية الغربية والنصرانية المحرّفة من أنّه داعي تنظيري ، أو داعي رسولي للقضايا الروحية بين الفرد والملكوت فحسب ، وليست له صلة بالمجتمع ، لكن من يُراجع كُتُب محدّثي ومفسّري الفريقين فسيجد أنّ إمامته صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أمر تسالمت عليه الكلمة ، وهي أرفع مقاماً ، وأعلى شأنًا ، وأبلغ خطراً من مقام وشأن وخطر النبوة والرسالة الإلهيتين .

وعليه: فإمامة أهل البيت عليهم السلام الإلهية لا تبتدأ بأمر المؤمنين وبعد استشهاد سيد الأنبياء (صلوات الله عليهما وعلى آلهما) ، وإنّما تبدأ من سيد الأنبياء صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حال حياته في هذه النشأة الأرضية ، بل قبلها .
ومنه يتّضح: أنّ سيد الأنبياء صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وإن كان خاتم النبوة ، لكنّه ليس بخاتم الإمامة الإلهية .

المثال الثاني: (حُجَّة فاطمة الزهراء صلوات الله عليها) ؛ فإنّه من يُراجع كُتُب علماء كلام الإمامية - ك: كتاب: الباب الحادي عشر ، والتجريد، وشرحه ، وعقائد الإمامية للشيخ المظفر - فسيجد أنّ هذا الموقع والمقام الإلهي للسيدة الزهراء صلوات الله عليها لم يُسطر ويُبحث بعنوانٍ أو فصلٍ أو بابٍ مُستقلٍ ، ولم يراع أصحاب تلك الكُتُب قولبة منظومة بيانات الوحي الإلهي ، نعم ، ذكروها ضمناً ، لكنّه بحث آخر .

وهذه مؤاخذه أديانِيَّة حضاريَّة خطيرة ؛ تُسجَّل على مُتكلِّمي الإمامِيَّة .
 المثال الثالث: (الرَّجعة) ؛ فمع أنَّها من ضروريَّات مدرسة الإمامِيَّة ،
 ومتواترة في بيانات أهل البيت (صلوات الله عليهم) ، بل ضرورة روائيَّة ،
 لكن: مَنْ يُراجع كثير من كُتُب عقائد الإمامِيَّة لم يجد لها عين ولا أثر .

المثال الرَّابِع: مقام وموقع: (المُحدِّث) و(المُلهَم) ؛ فَإِنَّ مَنْ يُراجع
 كُتُب علم كلام المذاهب المخالفين فسيجد أنَّها لم تتعرَّض لهما ، لكن: مَنْ
 يُراجع كُتُب حديثهم وكُتُب مُحدِّثيهم وُشْرَاح: البخاري ومسلم وسائر
 صحاحهم فسيجد أنَّهم يعتقدون ويؤمنون بهما ، وأنَّهما من مقامات الشريعة ،
 بل من الأمور المُبدَّهة عندهم . وهذا مؤشِّر على أَنَّ ما كُتِبَ ورُقِّمَ في كُتُب
 كلام المخالفين لا يُمثِّل جملة منظومة عقائدهم ؛ الثابتة في أحاديثهم
 وتفاسيرهم . فالتفت .

ومن كلِّ هذا يتَّضح: أَنَّ الباحث إِذا بنى خريطة بحوثه المعرفِيَّة
 والعقائديَّة على ما رَقِّمه المُتكلِّمون فسيرتطم لا محالة بمازق معرفِيَّة وعقائديَّة
 كثيرة جدًّا ؛ لأنَّ الخريطة والفهرسة المعرفِيَّة والعقائديَّة التي رسمها جملة من
 علماء كلام الإمامِيَّة ؛ وساروا عليها نشئت نتيجة إنشغالهم بالجدل والحوار
 الكلامي مع المذاهب الإسلاميَّة ، فألجأتهم هذه الحواريات التي لا انقطاع لها
 إلى نوع تبويب ؛ ورسم خارطة للمعارف والعقائد الإلهِيَّة ؛ يفهمها ويلتفت
 إليها الطرف الآخر . ومعناه: أنَّهم اضطروا إلى تنزيل الخطاب الكلامي
 والخطاب العقائدي إلى مستوى معارف وعقائد الطرف ، مع أَنَّهُ ليس لديه

من الإسلام إلا استقبال الكعبة قَطُّ.

وهذا ما صرّحت به بيانات الوحي ، منها:

بيان الإمام الصادق صلوات الله عليه: «... لا والله ، ما هم على شيءٍ مِمَّا جاء به رسول الله ﷺ إلا استقبال الكعبة فقط»^(١).

وعليه: فكيف يمكن رسم خارطة وثقافة للمعارف والعقائد الحقّة المصحّرة في بيانات الوحي الإلهي على وفق هذه الوضعيّة التجاذبيّة الكلاميّة؛ وإلاّ فستحصل لا محالة لأصحاب هذه الخرائط والثقافات مشاكل وأزمات معرفيّة وعقائديّة لا حصر ولا منتهى لها. بل سبّبت وتُسبّب هذه المنهجية وهذه الثقافات طامّات معرفيّة وعقائديّة أشدّ خطراً وضرراً وفتكاً بأهل البيت (صلوات الله عليهم) من خطر وضرر وفتك يزيد بن معاوية وجيشه (عليهم لعائن الله) وما فعلوه بسيد الشهداء (صلوات الله عليه) وبأهل بيته وصحبه ؛ لأنّ تلك قتلت الأبدان ، وحرمت أصحابها الحياة الدنيويّة الزائلة ، بخلاف هذه ؛ فإنّها تقتل: أرواح أهل البيت (صلوات الله عليهم)؛ وعلومهم وعقائدهم ومعارفهم ، وتحرم أتباعهم ، بل جملة البشريّة، بل طرّ المخلوقات الحياة الأخرويّة الأبديّة ، ومن ثمّ لا قياس بين الخطيرين والضرّرين والفتكين. وكانت هذه القضية هي السبب في إعراض أو غفلة مُتكلّمي الإماميّة ؛ وأصحاب العقائد والمعارف عن كثير من أبواب وأبحاث

(١) بحار الأنوار ، ٦٥: ٩١/ح ٢٦. المحاسن: ١٥٦.

العقائد والمعارف الثابتة في بيانات الوحي الوافرة الباهرة.

وعلى هذا قس: علم الفلسفة ؛ فإنَّ تبويبه وفهرسته ورسم خارطته جرت على وفق نتاج بشري ، بل اعترف أصحابها^(١) بذلك ؛ فقالوا: إنَّ الفلسفة تعني: معرفة حقائق الأشياء بقدر الطَّاقة البشريَّة.

وبين المعرفة على قدر الطاقة البشريَّة ؛ والتي مهما علت لأبَدَّ أن تكون محدودة ومتناهية ، وبين المعرفة على وفق طاقة الوحي غير المتناهية وغير المحدودة فارق من دون قياس ؛ فإنَّ الثابت في محله أنَّه لا توجد نسبة رياضيَّة بين المحدود وغير المحدود ، فإنَّه مهما علت ووضعت للمحدود من قيم وأرقام إذا قيس لغير المحدود لأبَدَّ أن تكون قيمة المحدود صفرًا على جهة الشمال ؛ وإلا - أي: إذا جُعِلَ للمحدود قيمة وإن كانت ضئيلة جدًّا كالواحد مقابل الترليون - لانقلبت ماهيَّة غير المتناهي وغير المحدود وصارت متناهية ومحدودة ، وبطلان إنقلاب الماهيَّة ، بل واستحالتها من الواضحات ، بل خلف الفرض أيضًا.

ومن ثمَّ التبويبات الجارية في علم الفلسفة - سواء أكانت فلسفة: مشاء أو إشراق أو حكمة متعالية أو فلسفات غربيَّة حديثة أو فلسفات ألسنيَّة أو فلسفات الهرمونطيقيا (الهرمونتيكيا) التعددية أو فلسفات الكلام الجديد - وحسب المباحث المعرفيَّة والعقائديَّة ؛ وحشر مواد الوحي في هذه التبويبات

(١) مرجع الضمير: (الفلسفة).

البشرية كارثة علمية. وليس في هذا التعبير رجزٌ حماسيٌّ ، بل بكلُّ هدوءٍ وبكلِّ قناعةٍ أنَّه: كارثة علميةٌ ومعرفيةٌ وعقائديةٌ.

وهذه القضية لا بُدَّ من التنبُّه إليها دائماً ؛ فإنَّ أصلَ الفهرسة في علم: (الفقه) و(الأصول) و(الكلام) و(الفلسفة) و(التفسير) و(العرفان) وغيرها، بل وفي أيِّ أيْدولوجيةٍ حديثةٍ أو قديمةٍ نتاجِ بشريٍّ محدودٍ، وتبويباتها لا تشمل عالمَ الحقيقة غير المتناهية ، ولا تتسع لِمَا هو موجود في تراث الوحي أبداً ، بل قوالب وبنود أبواب معارف وعقائد النتاج البشري في علم: (الكلام) و(الفلسفة) و(العرفان) و(التفسير) تختلف عن قوالب وبنود بيانات الوحي ، ومن ثمَّ يُحاول الكثير من الباحثين في المعارف والعقائد لِيَّ أعناق العباثر والقوالب الوحيانية ذات السعة والقوة والمتانة والرَّصانة اللامتناهية ؛ ليستبدلها أو يحشرها في قوالب النتاج البشري ؛ الهزيلة والهشة والضئيفة.

وبالجملة: أنَّ الأطر والقوالب التي ينبغي أن يُسبح بها في عالم المعاني غير المتناهية ، واستكشاف الحقائق العيانية غير المحدودة: أطر وقوالب وحيانية ، وهي تختلف عن أطر البشر ؛ فإنَّ قوالب المعاني الوحيانية أطر تكوينية غير متناهية ، تُباين قدرة أطر وقوالب المعاني البشرية وسعتها ودقتها ، فإنَّها إعتبارية متناهية. وهذه قضية بالغة الأهمية والثمره والخطورة. فالتفت تربت يدك.

وإلى هذا تشير بيانات الوحي ، منها:

١- بيان قوله جلّ وتقدّس: ﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ
وَالْبَحْرِ يَمْدُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ﴾^(١).

٢- بيان قوله تقدّس ذكره: ﴿مَا عِنْدَكُمْ يَنْفَدُ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ بَاقٍ﴾^(٢).

ودلالاتها واضحة.

والإضطراب يجرّنا للتوسّع في هذه القضية ؛ لنبيّن كيفية بُعد الثقافة الإسلامية المنتشرة بين المؤمنين فضلاً عن المسلمين عن حقيقة معارف وعقائد وثقافة الوحي الأصيلة والوسيلة والشقافة. بل أحياناً يكون النتاج المعرفي والعقائدي البشري حجاباً ومانعاً عن الوصول إلى سعة الحقيقة. نعم الشبهات والإثارات على النتاج البشري تُنبّه الإنسان إلى أنّ النتاج الوحياني شيء آخر غير النتاج البشري.

ومن كلّ هذا يتّضح: أنّ الإعتماد على تعاريف النبوة والإمامة الإلهية المسطورة في كُتب المتكلمين أو الفلاسفة أو العرفاء وغيرهم من أصحاب كُتب معارف وعقائد المدارس البشرية ؛ والتعامل معها على أنّها الحقّ ونهج الصدق طامّة كبرى ، وخَصْد لشوكة الإسلام والمسلمين.

(١) لقمان: ٢٧.

(٢) النحل: ٩٦.

وعليه: يجب تصحيح كثير من التعاريف المُعتمَدة في كُتُب معارف
البشر ، وربطها ببيانات الوحي المعرفية.



الفائدة: (١)

[خطورة البحث المنهجي]

يَجْدُرُ الْإِلْتِفَاتُ : أَنَّ البحث المنهجي هو السبب المؤدّي لإختلاف وتشتت مدارس ومذاهب البشر الفكرية والمعرفية.

الفائدة: (٢)

[أهمية إطلاع المتخصص على البحوث الحديثة]

إِنَّ الْمُتَخَصِّصَ ^(١) إِذَا لَمْ يَطَّلِعْ عَلَى الْأُمُورِ وَالْمُبَاحِثِ وَالْبَحُوثِ الْمُسْتَجِدَّةِ فسيُتَخَلَّفُ لَا مَحَالَةَ عَنِ الرَّكْبِ شَعْرَ بِنْدِكَ أَمْ لَا .
وهذه قضية مهمّة يجدر الالتفات إليها.

(١) هذه القضية شاملة لكافة العلوم .

الفائدة : (٣)

[مزار الخوض في التفرعات وترك المحاور الأصلية]

[فائدة تضحما الأبحاث محورياً]

إِنَّ تَضَحُّمَ الْعُلُومِ - ك : علم : أصول الفقه ، والفلسفة ، والكلام -
تعمقاً وتضحُّماً مضر وأمر سلبي ، بل وجهل وذلك إن كان خوضاً في
التفرعات حسب ؛ فإنه يُنسي المحاور الأصلية .

نعم ، إن تَضَحُّمَ مَحَوْرِيّاً كان مفيداً ونمواً للعلم ؛ لأنه يُصير البحث
والباحث أكثر إحاطة بالمحاور .

هذان منهجان مُتشابهان ، لكن بينهما كمال البينونة .

الفائدة : (٤)

[تقرير الأصول الاعتقادية بالخمسة تنظيم تبويبي]

[عدم انحصار الأصول الاعتقادية بالخمسة المعهودة]

يَنْبَغِي الْإِلْتِفَات : أَنَّ تَقْرِيرَ الْأُصُولِ الْإِعْتِقَادِيَّةِ بِالْخَمْسَةِ الْمَعْهُودِ -
التَّوْحِيدِ ، وَالْعَدْلِ ، وَالنُّبُوَّةِ ، وَالْإِمَامَةِ ، وَالْمَعَادِ - لَيْسَ هُوَ إِلَّا مُجَرَّدُ تَنْظِيمِ
تَبْوِيْبِيٍّ فَنِّيٍّ وَتَدْرِيبِيٍّ وَتَعْلِيمِيٍّ مَحْضٍ ، وَإِلَّا فَعِنْدَ الْقَدَمَاءِ لَا تَنْحَصِرُ - أُصُولُ
الْإِعْتِقَادِ - بِذَلِكَ ، بَلْ هِيَ أَكْثَرُ بِكَثِيرٍ .

الفائدة : (٥)

[ضرورة بناء التقريب بين المذاهب على أسس منهجية وعلمية
متفق عليها]

إنَّ التقريب بين المسلمين ومذاهبهم وإن كان أمراً محموداً ، بل وعظيماً ، لكن ينبغي أن يُبنى على أسس منهجية وعلمية متفق عليها بين المسلمين .

الفائدة : (٦)

[الفارق بين الدين والشريعة]

يجدر الإلتفات : أن هناك فوارقاً بين الدين والشريعة ، حاصلها :
أنَّ الدين يُطلق ويُراد منه مجموع العقائد - أسس واصول وتفصيل - ،
وأركان الفروع - كالصلاة والصوم - ، وأصول الأخلاق والآداب -
كالكرم والبخل - ، وأصول الواجبات والمحرمات - كحرمة الخمر
والزنا - ، وهو شامل لكافة العوالم ولجملة المخلوقات ، ومن ثمَّ يكون
دين الأنبياء ﷺ واحداً لدى الجميع ، وهو دين الاسلام .

وهذا ما أشارت إليه بيانات الوحي ، منها :

١ - بيان قوله تعالى: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾^(١).

٢- بيان قوله ﷺ: ﴿أَغْيَرُ دِينَ اللَّهِ يُغَوِّفُ وَلَهُ أَسْلَمَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ﴾^(١).

بخلاف الشريعة ؛ فإنها تُطلق ويُراد منها : تفاصيل الفروع ، وهي مُختصة بالإنس والجن ، وبِعَالَمِ الدُّنْيَا بِنَشَاتِهِ الثَّلَاثِ - عَالَمِ الدُّنْيَا الْأُولَى ، وَعَالَمِ الْبَرزَخِ ، وَعَالَمِ آخِرَةِ الدُّنْيَا (الرَّجْعَةِ) - ، وَلِكُلِّ نَبِيٍّ شَرِيعَتَهُ الْخَاصَّةُ.

وهذا ما تُشير إليه بيانات الوحي ، منها :

بيان قوله عزَّ من قائل: ﴿لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شَرِيعَةً وَمِنْهَا جَا﴾^(٢).

الفائدة : (٧)

[توظيف علم فقه الفروع لقراءة العقائد والمعارف الإلهية]

هناك نُكْتَةٌ منهجيةٌ يجدرُ صرفُ النَّظَرِ إليها ، حاصلها : أَنَّ التَّضَلُّعَ فِي فقه الفروع مُؤَثِّرٌ جِدًّا فِي علومِ المعارفِ الدِّينِيَّةِ ؛ لِأَنَّ أَبْوَابَ فقه الفروع مَفَاتِيحُ نَازِلَةٌ لِلْمَعَارِفِ الْإِلَهِيَّةِ لَا سِوَا الْعَقَائِدِيَّةِ ، بَلِ الْعَقَائِدُ مِنْ دُونِ فقه الفروع تَوَلَّدَتْ أَزْمَةٌ وَطَامَّةٌ كُبْرَى ، وَكَذَا الْعَكْسُ.

وبالجُمْلَةِ : كُلُّ بَابٍ فِقْهِيٍّ يَنْفَتِحُ عَلَى دِهَالِيْزٍ وَسَرَادِقَاتٍ وَعَرْشِيَّاتٍ عَقَائِدِيَّةٍ وَمَعْرِفِيَّةٍ ، وَتَكُونُ تِلْكَ الْأَبْوَابُ مَفَاتِيحَ لِتِلْكَ الدِّهَالِيْزِ وَالسَّرَادِقَاتِ

(١) آل عمران : ٨٣.

(٢) المائدة : ٤٨.

والعرشيات.

ومن ثم ذكر كبار الفقهاء وأصحاب المعارف الإلهية : أن من يتمرس ويتصلع في علم فقه الفروع ويوظفه لقراءة العقائد والمعارف الإلهية سيخرج لا محالة بنتائج عقلية ومعرفية مبهرة وعجبية جداً.

هذه هي الغاية الأهم من علم فقه الفروع ، فهو أحد لغات تفاسير العقائد والمعارف الإلهية ، وأشرف الوظائف العلمية لفقه الفروع.

ومن مباحث علم فقه الفروع المتعلقة بالعقائد مبحث : الفرق بين بحث الولاية والملكية. ومبحث : الفرق بين الخلافة والولاية والنيابة والوكالة. ومبحث : الفرق بين الحق والملكية والولاية والخلافة والنيابة والوكالة.

وهذه طبقات من السيطرة تصير ولاية ما أن تقوى كماً وكيفاً. ومن ثم قالوا : إن الملكية ما أن تتسع بلحاظ المملوك تبدل تلك الملكية إلى ولاية ، ولا تبقي على حالها كملكية بسيطة.

مهر الزهراء عليها السلام سعد من ولايتها

ومنه يتضح : ما ورد في بيانات الوحي الواردة في حق مهر فاطمة الزهراء صلوات الله عليها ؛ وأنه نصف ملك الأرض ؛ فإنها مُشيرة إلى ولايتها ، وأن عقد مهرها سعد من ولايتها عليها السلام.

الفائدة : (٨)

[حقيقة التواتر السندي]

[التواتر السندي لا ينفع في أبحاث العقائد]

يجدر الإلتفات : أن التواتر السندي لا ينفع في أبحاث العقائد ؛ لأنه لا يُورث إلا اليقين الحسي ، والمطلوب في أبحاث العقائد تحصيل اليقين العقلي ، وفيه ^(١) لا يُفرّق بين الرواية المتواترة والضعيفة سنداً ، لأنّ البيان والبرهان العقلي المُستفاد من المتون والمضامين هو المطلوب في هذه الأبحاث.

ويُضاف إليه : أنّ الخبر المتواتر سنداً قد يكون متنه ظنيّ الدلالة فعاد إلى الظنّ ، وهو لا ينفع في أُسس وأصول العقائد. فالتفت.

ثمّ إنّّه يجب على الذي ليس له باع عقليّ في صناعة و أبحاث العقائد ترك أبحاث وتحقيقات هذا الباب ، ولا يلججه ولا يتصدى له ، وليترك المجال لأهله.

بعد الإلتفات : أنّ لغة بيانات الوحي المعرفيّة : لغة عقلية وحيائية ، وهي أعظم من نتاج العقل البشري الأرضي بما لا يتناهى .

(١) مرجع الضمير: اليقين العقلي.

الفائدة : (٩)

[تفوق الشيخ الطوسي على النجاشي في باب الجرح والتعديل]

ذهب البعض إلى أن النجاشي أقوى علماء الإمامية في علم الرجال.

والحق : أنه وإن كان كذلك في علم الأنساب والتراجم والتأريخ وعلم الأسماء والكنى ، لكنه ليس كذلك في علم العقائد ؛ والذي هو أخطر وأهم العلوم لتنقيح المفردات الرجالية وتوثيق الرواة ، ومن ثم لا يعتمد على جرحه وتعديله.

ثم إن من لم يلتفت إلى هذه القضية فسيجني على تراث الوحي ، وعلى باب الجرح والتعديل عند الإمامية وغيرهم ، فالتفت.

الفائدة : (١٠)

[نسيان أو تناسي ما أسس]

هناك ظاهرة موجودة في الحياة العلمية لكبار العلماء من الفقهاء والمتكلمين والفلاسفة والعرفاء وأصحاب أسرار المعارف وغيرهم ؛ فإنهم يدركون أموراً ويؤسسون عليها مبانيهم ، لكنهم تصيبهم بعد ذلك الغفلة عنها ، ولا يلتفتون إليها ، ولا يراعونها في مباحث أخرى ، وكأنهم نسوا بالمرّة ما أسسوه ، وأسسوا بناءً آخر على طرف النقيض من سابقه.

الفائدة : (١١)

[خطورة الهوية العقائدية]

إنَّ أكبر مُجَنِّدٍ وأكبر مُسَخَّرٍ للمخلوق على الإطلاق : الهوية العقائدية ؛
فإنَّها تُجَنِّدُ جملة طبقات المخلوق .

الفائدة : (١٢)

[خطورة العقيدة]

العقيدة أكبر ميزان لتجنيد المخلوقات وانتهاؤها إلى أيِّ مسيرٍ كان .

الفائدة : (١٣)

[أعظم أنواع التواضع]

ينبغي صرف النظر إلى أنَّ أعظم أنواع تواضع المخلوق لباريه (تقدَّس
ذكره) : تعظيمه لمن عظمه (جلَّ قدسه) بقدره .

الفائدة : (١٤)

[أعظم أنواع الصدق والكذب]

ينبغي الإلتفات : أنَّ أعظم الصدق : الصدق في الحقائق الأزليَّة ،
وأعظم الكذب والجحود والغش : الكذب والجحود والغش في الحقائق
الأزليَّة أيضاً .

وهذه أخطر من دون قياس من الصدق والكذب والجحود والغش في عالم السياسة والأُمور العامّة ؛ لِإِرتِبَاطِهَا بِالْحَيَاةِ وَالنَّشْأَةِ الْأُخْرَوِيَّةِ الْأَبَدِيَّةِ ، وبالمصير الأبدي للمخلوقات .

الفائدة : (١٥)

[المعرفة الإلهية والسعي إليها]

ينبغي الإلتفات : أنّ المعرفة الإلهية ناموس مُقدّس ، والسعي إليها ناموس مُقدّس أيضاً يقض مضجع فطر المخلوقات .

الفائدة : (١٦)

[قلعة الفكر والرؤية العقائدية أخطر قلعة يداهما العدو]

إنَّ أخطرَ قلعةٍ يغير عليها العدو : قلعة الفكر والرؤية العقائدية ؛ فإنَّ أمكنه زحزحة المخلوق عن الورع في العقيدة فسوف يتنجس باطنه وظاهره بكُلِّ نجاسةٍ ورجاسةٍ .

ثُمَّ إِنَّ أَطْهَرَ الطَّهَارَاتِ فِي التَّعَقُّلِ .

الفائدة : (١٧)

[عتاب بيانات الوحي لمن قصر في جملة علوم إلهية]

إنَّ ما ورد في بيان قوله عزّ من قائل : ﴿ أَوَلَمْ يَنْظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ وَأَنْ عَسَى أَنْ يَكُونَ قَدِ اقْتَرَبَ أَجْلُهُمْ

فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ ﴿١﴾ برهانٌ وحيانيٌّ يحمل في طياته عتاباً لجملة البشر - إلا أصحاب البصيرة واليقين - ؛ لتقصيرهم في علوم إلهيةٍ مُهمّةٍ وعظيمةٍ وخطيرةٍ ومهولةٍ جداً.

الفائدة : (١٨)

إِقْصَاءُ أَهْلِ الْبَيْتِ عَلَيْهِ السَّلَامُ عَنْ دَوْرِهِمُ الْعِلْمِيِّ وَالْمَعْرِفِيِّ

إِنَّ أَعْظَمَ ظَلَمٍ جَرَى عَلَى الْبَشَرِيَّةِ لَا يَكْمُنُ فِي إِقْصَاءِ أَهْلِ الْبَيْتِ (صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ) عَنْ الْحُكْمِ وَدَوْرِهِمُ السِّيَاسِيِّ ؛ وَإِقَامَتِهِمُ لِلْعَدْلِ الْإِلَهِيِّ بَيْنَ بَنِي الْبَشَرِ - سِوَاءَ كَانَ عَدْلًا اِقْتِصَادِيًّا أَوْ تِجَارِيًّا أَوْ أَمْنِيًّا أَوْ مَجْتَمَعِيًّا أَوْ غَيْرَهَا - بَلْ فِي إِبْعَادِهِمْ عَنْ أَنْ يَكُونُوا مُعَلِّمِينَ وَهَدَاةَ وَمُرَبِّينَ وَمَزَكِّينَ إِلَهِيِّينَ لِلْبَشَرِيَّةِ جَمْعًا.

بعد الْإِلْتِفَاتِ : أَنَّ الْمَخْلُوقَ يَصْبِحُ حَيْوَانًا وَبَهِيمَةً ، بَلْ أَضَلُّ سَبِيلًا مِنْ دُونَ نُورِ الْعِلْمِ ، فَأَعْظَمُ شَيْءٍ فِي كِمَالِ الْمَخْلُوقِ تَنْمِيَةُ رُوحِهِ وَعَقْلِهِ وَقَلْبِهِ وَنُورِهِ.

فانظر : بيانات الوحي ، منها :

١- بيان أمير المؤمنين (صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ) في وصيته لكميل بن زياد رضي الله عنه : «... ياكميل ، احفظ عني ما أقول لك: الناس ثلاثة : عالم رباني ،

ومتعلم على سبيل نجاة ، وهمج رعا ع أتباع كل ناعق يميلون مع كل ربح ، لم يستضيئوا بنور العلم^(١) ولم يلجأوا إلى ركن وثيق ...»^(٢).

٢ - بيان الإمام الصادق (صَلَوَاتُ اللّهِ عَلَيْهِ) : «النَّاسُ إِثْنَانُ : عَالِمٌ ، وَمُتَعَلِّمٌ ، وَسَائِرُ النَّاسِ هَمَجٌ ، وَالهَمَجُ فِي النَّارِ»^(٣) .
والمراد : من (سائر النَّاسِ) : باقي النَّاسِ ، باتِّفَاقِ أَهْلِ اللُّغَةِ ، كما فِي اللِّسَانِ .

والمراد : من (الهَمَجِ) - بالتَّحْرِيكِ - جَمْعُ هَمَجَةٍ ، وَهِيَ : ذَبَابٌ صَغِيرٌ كَالْبَعُوضِ يَسْقُطُ عَلَى وَجْهِ الْغَنَمِ وَالْحَمِيرِ وَأَعْيُنُهَا . ذَكَرَهُ الْجَوْهَرِيُّ .

وبالجملة : مقام سيّد الأنبياء وسائر أهل البيت (صَلَوَاتُ اللّهِ عَلَيْهِمْ) فِي كَوْنِهِمْ مُعَلِّمِينَ وَهَدَاةً وَمُرَبِّينَ وَمُرَكِّبِينَ إِهْيِينَ أَعْظَمَ مِنْ مَقَامِ الْوَلَايَةِ السِّيَاسِيَّةِ ، وَمَقَامِ الْقِيَادَةِ وَالْقُدْرَاتِ الْمَالِيَّةِ وَالْعَسْكَرِيَّةِ .

الفائدة : (١٩)

[إِمَامَةُ أَهْلِ الْبَيْتِ عَلَيْهِ السَّلَامُ مُفَعَّلَةٌ فِي الْعَوَالِمِ السَّابِقَةِ وَاللَّاحِقَةِ]

إِنَّ إِمَامَةَ أَهْلِ الْبَيْتِ (صَلَوَاتُ اللّهِ عَلَيْهِمْ) بَعْدَمَا أُسْنَدَتْ لَهُمْ قَبْلَ وِلَادَتِهِمْ دَلٌّ ذَلِكَ عَلَى تَفْعِيلِ دَوْرِهَا قَبْلَ الْوِلَادَةِ وَفِي الْعَوَالِمِ السَّابِقَةِ كَعَالَمِ

(١) وفي نسخة: لم يستضيئوا بنور العلم فيهدون.

(٢) بحار الأنوار ، ١ : ١٨٧ - ١٨٨ / ح ٤ .

(٣) المصدر نفسه : ١٨٧ / ح ٣ .

الذّر والميثاق ، بل وسيبقى دورها مُفَعَّلًا في العوالم اللاحقة ، كعالم البرزخ ، والرّجعة ، والقيامة ، والآخرة الأبديّة وبعدها.

وهذا ما تُشير إليه بيانات الوحي ، منها:

١- بيان أمير المؤمنين (صلوات الله عليه) : «إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى أَحَدٌ وَاحِدٌ ، تَفَرَّدَ فِي وَحْدَانِيَّتِهِ ، ثُمَّ تَكَلَّمَ بِكَلِمَةٍ فَصَارَتْ نُورًا ، ثُمَّ خَلَقَ مِنْ ذَلِكَ النُّورِ مُحَمَّدًا ﷺ وَذُرِّيَّتِي ... فَبِنَا احْتَجَّ عَلَى خَلْقِهِ ... وَذَلِكَ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ الْخَلْقَ ، وَأَخَذَ مِيثَاقَ الْأَنْبِيَاءِ بِالْإِيمَانِ وَالنُّصْرَةِ لَنَا ، وَذَلِكَ قَوْلُهُ ﷻ: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ﴾^(١) ، يعني: لتؤمنن بمُحمَّد ﷺ ، ولتنصرن وصيّه ، وسينصرونه جميعاً ... ولم ينصرنني أحدٌ من أنبياء الله ورسله ، وذلك لما قبضهم الله إليه ، وسوف ينصرونني ، ويكون لي ما بين مشرقها إلى مغربها ، وليبعثن الله أحياءً من آدم إلى مُحمَّد ﷺ كُلُّ نَبِيٍّ مَرْسَلٌ ، يَضْرِبُونَ بَيْنَ يَدَيِ السَّيْفِ هَامَ الْأَمْوَاتِ وَالْأَحْيَاءِ وَالثَّقَلَيْنِ جَمِيعًا ... وَأَنَا صَاحِبُ الرَّجَعَاتِ وَالْكَرَّاتِ ... وَالدَّوَلَاتِ الْعَجِيبَاتِ ... وَأَنَا الْحَاشِرُ إِلَى اللَّهِ ... وَأَنَا أَسْمَاءُ اللَّهِ الْحَسَنِي ، وَأَمْثَالُهُ الْعَلِيَا ، وَأَيَاتُهُ الْكِبْرِي ، وَأَنَا صَاحِبُ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ ، أُسْكِنُ أَهْلَ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ ، وَأُسْكِنُ أَهْلَ النَّارِ النَّارَ ، وَإِلَيَّ تَزْوِيجُ أَهْلِ الْجَنَّةِ ، وَإِلَيَّ عَذَابُ أَهْلِ النَّارِ ، وَإِلَيَّ إِيَابُ الْخَلْقِ جَمِيعًا ، وَأَنَا الْإِيَابُ الَّذِي يُوُوبُ إِلَيْهِ كُلُّ شَيْءٍ بَعْدَ الْقَضَاءِ ، وَإِلَيَّ حِسَابُ الْخَلْقِ جَمِيعًا ،

وَأَنَا صَاحِبُ الْهَبَاتِ ، وَأَنَا الْمُؤَدِّنُ عَلَى الْأَعْرَافِ ، وَأَنَا بَارِزُ الشَّمْسِ ...
وَالْحُجَّةَ عَلَى أَهْلِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِينَ ، وَمَا فِيهَا وَمَا بَيْنَهُمَا ، وَأَنَا الَّذِي
احْتَجَّ اللَّهُ بِهِ عَلَيْكُمْ فِي ابْتِدَاءِ خَلْقِكُمْ ، وَأَنَا الشَّاهِدُ يَوْمَ الدِّينِ ...»^(١).

٢ - بيان الإمام الصادق (صلوات الله عليه) ، عن صفوان الجمال ،
قال: «دخلت على أبي عبد الله عليه السلام فقلت: ... سمعتك تقول: شيعتنا في
الجنة ، وفيهم أقوام مذنبون ... فقال عليه السلام : هم في الجنة ... قلت: فذاك أبي
وأمي ، فمن يردُّ المظالم؟ قال: الله تعالى يجعل حساب الخلق إلى محمد
وعلي عليهما السلام ؛ فكلُّ ما كان على شيعتنا حاسبناهم ممّا كان لنا من الحقِّ في
أموالهم ، وكلُّ ما بينه وبين خالقه استوهبناه منه ، ولم نزل به حتّى ندخله
الجنة برحمة من الله ، وشفاعة من محمدٍ وعلي عليهما السلام ...»^(٢).

٣ - بيان زيارتهم (صلوات الله عليهم): «... وإياب الخلق إليكم ،
وحسابهم عليكم ...»^(٣).

الفائدة: (٢٠)

[الحاكم والإمام لا بد أن يكون مزوداً بالعلم اللدني]

اشترطت مدرسة أهل البيت (صلوات الله عليهم) في الحاكم
والإمام أن يكون مزوداً بعلم لدني ، وهو مقام إصطفائي إلهي يُغاير مقام

(١) بحار الأنوار ، ٥٣ : ٤٦ - ٤٩ / ح ٢٠ .

(٢) المصدر نفسه ، ٦٨ : ١١٤ - ١١٥ / ح ٣٣ .

(٣) المصدر نفسه ، ٩٧ : ٣٤٤ .

النُّبُوَّةُ ومقام الرِّسَالَةِ .

وهذا ما تُشير إليه بيانات الوحي ، منها :

بيان قوله (عزَّ من قائل) الحاكبي لخبر النبيِّ موسى والخضر عليهما السلام :
 ﴿قَالَ ذَلِكَ مَا كُنَّا نَبِغُ فَارْتَدَّا عَلَىٰ آثَارِهِمَا قَصَصًا * فَوَجَدَا عَبْدًا مِنْ عِبَادِنَا آتَيْنَاهُ
 رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْمًا﴾^(١).

ودلالته واضحة ؛ فإنَّ الباري (جَلَّ قدسه) لم يُعرِّف مقام الخضر عليه السلام بمقام النُّبُوَّةِ ، ولا بمقام الرِّسَالَةِ ، بل بِالْعِلْمِ اللَّدُنِيِّ ؛ وأنَّ لديه أَدْوَاراً حكوميَّةً ضمن جهاز يقوم بأنشطةٍ مُفصَّلةٍ لمسار النظام البشري .

الفائدةُ : (٢١)

[عقلية المعصوم عليه السلام وحي لدني]

[العلم الوحياني أرقى العلوم]

[أهل البيت عليهم السلام أهل الحكمة والبصيرة الإلهية الثاقبة]

إنَّ عقلية المعصوم عليه السلام وحي ، لكنَّه ليس نبويًّا ، وإنَّما لدنيٌّ ، والعِلْمُ الوحيانيُّ أرقى وأكمل أصناف العِلْمِ ورأس هرمها . ومن ثمَّ من الخطأ الفاحش التَّعبير من حسن تصرُّف المعصوم بـ : (الدهاء) وما شاكلة ؛ لكونه - والعياذ بالله - ليس أهل تحايل ، بل أهل حكمة وبصيرة إلهية ثاقبة .

الفائدة : (٢٢)

[أوصاف أهل البيت عليهم السلام دورات معارف إلهية]

إن أوصاف سيّد الأنبياء وسائر أهل البيت (صلوات الله عليهم) ليست مديح شعري ، بل دورات معارف وعقائد إلهية خطيرة .

الفائدة : (٢٣)

[دور العلم الدني في نزول الأحكام الإلهية التفصيلية]

إنه لكون الإمام عليه السلام زودته يد السّاحة الإلهية بالعلم الدني وعلم التأويل أصبح مؤهلاً لهبوط الأحكام الإلهية التفصيلية ونزولها عليه ، ومن ثمّ كان مهبطاً ومحطّة لهبوط الأحكام الإلهية التفصيلية والتنفيذية عليه .

الفائدة : (٢٤)

[كل شريعة إلهية لا بدّ أن تُقرن بمطبّق إلهي]

[جهاز تطبيق الأحكام الإلهية اختيار إلهي]

المستفاد من بيانات الوحي - منها : بيانات سورة الكهف^(١) ، الحاكية لما جرى بين النبي موسى والخضر عليهما السلام - : أن كلّ شريعة إلهية لا بدّ أن تقرن بتطبيق إلهي أيضاً . وجهاز تطبيق الأحكام الإلهية ؛ وجهاز تنفيذها ؛

(١) الكهف: ٦٠-٨٢ .

وجهاز الحاكمية والحكومة الإلهية لا بُدَّ أن يكون باختيار الباري تعالى واصطفائه.

الفائدة: (٢٥)

[طَوَاقِمُ التَّعْلِيمِ الْبَالِيَّ]

لَا بَأْسَ بِالْإِلْتِفَاتِ إِلَى الْقَضِيَّةِ التَّالِيَةِ : أَنَّ الْبَارِي (جَلَّ شَأْنُهُ) نَصَّبَ جُمْلَةَ طَوَاقِمٍ مِنَ الْمُعَلِّمِينَ :

أحدها : الأنبياء والأوصياء والأصفياء عليهم السلام ، رأس هرمهم سيّد الأنبياء وسائر أهل البيت من أصحاب الدائرة الإصطفائية الأولى (صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ) ؛ ثُمَّ الثَّانِيَةَ عليهم السلام ؛ فَإِنَّهُمْ يُجَدِّثُونَ عِلْمًا لَيْسَ بِمَقْدُورٍ وَمُكَنَّةٌ سَائِرِ الْبَشَرِ - لَوْلَاهُمْ - التَّوَصَّلُ إِلَيْهِ .

وهذا مقامٌ عظيمٌ لأهل البيت (صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ) غفلت عنه مدارس البشر المعرفية. وهذا ما يُوضِّح سبب انكفاء الفلاسفة ومن جرى على شاكلتهم عن بيانات الوحي.

ثانيها : عموم المؤمنين المُشارِ إليهم في بيانات الوحي ، منها :

إطلاق بيان قوله (جَلَّ قَوْلُهُ) : ﴿وَلَتَكُنَّ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾^(١).

(١) آل عمران: ١٠٤.

والمصداق الأجل لهذا البيان الوحي الشريفي أهل البيت (صلوات الله عليهم) من أصحاب الدائرة الإصطفائية الأولى ثم أصحاب الدائرة الإصطفائية الثانية .

ثالثها : الفقهاء المشار إليهم في بيانات الوحي الأخرى ، منها :

بيان قوله (عز من قائل) : ﴿ وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا كَافَّةً ۚ فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴾ (١)

الفائدة : (٢٦)

[استِحالة استِغناء المخلوقات عن سيد الأنبياء وسائر أهل

البيت عليهم السلام]

إن ما يثار من صيحات من أن البشرية إذا تكاملت عقولها أمكنها الاستغناء عن سيد الأنبياء ﷺ وعن دين الإسلام نابع عن قصور نظر في معرفة بحقيقة سيد الأنبياء ﷺ ؛ فإن طبقات حقيقته ﷺ غير المتناهية بحور علوم زخارة لا تنضب أبداً ، ومن ثم تجد أعظم مخلوق على الإطلاق صدر من ساحة القدس الإلهية بعد سيد الأنبياء ﷺ وسلم أمير المؤمنين (صلوات الله عليه) يصف نفسه تابع ، بل عبد من عبده ﷺ .

فانظر : بياناته عليه السلام ، منها :

أولاً : بيان خُطْبَتِهِ (صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ) : «... وَإِنِّي مِنْ أَحَدٍ بِمَنْزِلَةِ الضَّوِّ مِنَ الضَّوِّ...» (١).

ثانياً : بيانه (صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ) في جوابه على سُؤال حَبْرٍ مِنَ الْأَحْبَارِ ، قال : «... يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ! أَفَنَبِيٌّ أَنْتَ؟ قال : وَيْلَكَ ، إِنَّهَا أَنَا عَبْدٌ مِنْ عَبِيدِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ» (٢).

والتُّكْتَةُ : علمه (صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ) بخطرورة وهول بحور طبقات حقيقة سَيِّدِ الْأَنْبِيَاءِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الطَّمْطَامَةِ غير المتناهية ، وَأَمْوَاجِهَا النُّورِيَّةِ الْمُتَلَاطِمَةِ .
وعلى هذا قس سائر أَهْلِ الْبَيْتِ (صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ).

الفائدة : (٢٧)

[لِحَقَائِقِ أَهْلِ الْبَيْتِ عليهم السلام ظواهر وبواطن وأسرار]

مَنْ أَرَادَ تَدْوِينَ دَوْرَةَ عَقَائِدِيَّةٍ فَعَلَيْهِ ذِكْرُ نُكْتَةٍ مُهِمَّةٍ تَأْتِي فِي بَابِ : (النُّبُوَّةِ) ، وَبَابِ (الإِمَامَةِ الإِلَهِيَّةِ) لَمْ تُذَكَرْ مِنْ قَبْلِ ، مَعَ أَنَّهَا طَافِحَةٌ فِي أَبْجَدِيَّاتِ بَيَانَاتِ الْوَحْيِ الإِلَهِيِّ الْوَافِرَةِ الْبَاهِرَةِ ، حَاصِلُهَا : أَنَّ لِحَقَائِقِ أَهْلِ الْبَيْتِ (صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ) ظَاهِرًا وَبَاطِنًا ، وَلِبَوَاطِنِهِمْ بَوَاطِنًا وَأَسْرَارًا ،

(١) بحار الأنوار ، ٦٤ : ١٠٠ .

(٢) أصول الكافي ، ١ : ٦٤ / ح ٥ .

ولأسرارهم أسراراً ومستسراً.

وهذه نُكْتَةُ عَقَائِدِيَّةٍ مُهِمَّةٌ جِدًّا ، وفائدة معرفيَّة جليلة وخطيرة ومهولة جِدًّا ، أُرْتَشِفَتْ من بيانات الوحي ، لاسيما بيانات أدعيتهم وزياراتهم (صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ) المتواترة .

الفائدة : (٢٨)

[أَضَلَّتْ جَمَلَةَ الْإِتِّجَاهَاتِ أَتْبَاعَهَا إِذَا مَدْرَسَةُ أَهْلِ الْبَيْتِ]

يَجْدُرُ الْإِلْتِفَاتُ : أَنَّ كُلَّ الْأُمَمِ وَالْمَدَارِسِ وَالْمَذَاهِبِ وَالْمَلَلِ وَالنَّحْلِ وَكَافَّةِ الْإِتِّجَاهَاتِ أَضَلَّتْ أَتْبَاعَهَا إِلَّا مَدْرَسَةَ أَهْلِ الْبَيْتِ (صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ).

الفائدة : (٢٩)

[تَطَوَّرَتِ التَّحْقِيقَاتُ لَدَى أَتْبَاعِ مَدْرَسَةِ أَهْلِ الْبَيْتِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ بَيْنَ فِتْرَةٍ وَأُخْرَى]

تنشأ في كل فترة زمنية لدى علماء أتباع مدرسة أهل البيت (صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ) في المنهج الكلامي والمنهج الفلسفي والعرفاني وما شاكلها حالة تدقيق وتحقيق وتجديد ، وتحصل من خلالها تجاذبات ومعارك علمية تتطور على إثرها التَّدْقِيقَاتُ وَالتَّحْقِيقَاتُ أَكْثَرَ فَأَكْثَرَ .

الفائدة : (٣٠)

[ضحالة استجداء بطاقة الإيمان والإسلام من غير مدرسة أهل البيت عليهم السلام]

ينبغي الالتفات: أنه عار على مَنْ يُريد استجداء بطاقة الإيمان والإسلام من غير مدرسة أهل البيت (صلوات الله عليهم) ؛ فإن ما عداهم مغلوب على أمره .

وهذا ما تُشير إليه بيانات الوحي ، منها :

١- بيان سيّد الأنبياء ، مخاطباً أمير المؤمنين (صلوات الله عليهما وعلى آلهما) : «... يا عليّ ، أنتَ بابي الذي أُوتى منه ، وأنا باب الله ، فمَنْ أتاني من سواك لم يصل ، ومَنْ أتى سواي لم يصل ...»^(١).

٢- بيان أمير المؤمنين عليه السلام : «... فإنما ذهب النَّاسُ إلى عيون كدرة يفرغ بعضها في بعض ، وذهب مَنْ ذهب إلينا إلى عيون صافية تجري عليهم بإذن الله تعالى لا انقطاع لها ولا نفاذ»^(٢).

٣- بيان أمير المؤمنين عليه السلام أيضاً ، مخاطباً كميل بن زياد رضي الله عنه : «... يا كميل ، لا تأخذ إلّا عنّا تكن منّا. يا كميل ، ما من حركة إلّا وأنت محتاج فيها

(١) بحار الأنوار ، ٤٠ : ٢٠٤ / ح ١٠ . تفسير فرات : ١٢ .

(٢) بحار الأنوار ، ٢٤ : ٢٤٩ - ٢٥٠ / ح ٤ . تفسير فرات : ٤٥ . بصائر الدرجات :

١٤٦ . مختصر البصائر : ٥٢ .

إلى معرفة ... يا كُمَيْل ، إِنَّمَا الْمُؤْمِنُ مَنْ قَالَ بِقَوْلِنَا ، فَمَنْ تَخَلَّفَ عَنَّا قَصَرَ عَنَّا ، وَمَنْ قَصَرَ عَنَّا لَمْ يَلْحَقْ بِنَا ، وَمَنْ لَمْ يَكُنْ مَعْنَا فِي الدَّرِكِ الْأَسْفَلَ مِنَ النَّارِ ... يَا كُمَيْل ، لَا تَغْتَرِ بِأَقْوَامٍ يُصَلُّونَ فَيَطِيلُونَ ، وَيَصُومُونَ فَيِدَاوُمُونَ ، وَيَتَصَدَّقُونَ فَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ مَوْقُوفُونَ ... يَا كُمَيْل ، إِنَّمَا تَسْتَحِقُّ أَنْ تَكُونَ مُسْتَقَرًّا إِذَا لَزِمْتَ الْجَادَّةَ الْوَاضِحَةَ الَّتِي لَا تَخْرُجُ إِلَّا إِلَى عَوْجٍ ، وَلَا تَزِيلُكَ عَنْ مَنَهِجٍ مَا حَمَلْنَاكَ عَلَيْهِ وَمَا هَدَيْنَاكَ إِلَيْهِ ...»^(١)

٤- بيان الإمام الباقر عليه السلام : «مَنْ دَانَ اللَّهَ بغير سَمَاعٍ عَنْ صَادِقٍ أَلْزَمَهُ اللَّهُ التَّيْبَةَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ»^(٢).

٥- بيانه عليه السلام أيضاً : «كُلُّ مَا لَمْ يَخْرُجْ مِنْ هَذَا الْبَيْتِ فَهُوَ بَاطِلٌ»^(٣).

٦- بيانه عليه السلام الوارد في حَقِّ مَنْ يَعْرِضُ عَنْ عِلْمِ أَهْلِ الْبَيْتِ (صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ) ، وَيَأْخُذُ بِعِلْمِ مَا عَدَاهُمْ : «يَمْصُونُ الشَّادِ ، وَيَدْعُونَ النَّهْرَ الْعَظِيمَ ، قِيلَ لَهُ : وَمَا النَّهْرُ الْعَظِيمُ؟ قَالَ : رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَالْعِلْمُ الَّذِي آتَاهُ اللَّهُ ، إِنَّ اللَّهَ جَمَعَ لِمُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سُنْنَ النَّبِيِّينَ مِنْ آدَمَ هَلَمَّ جَرًّا إِلَى مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . قِيلَ لَهُ : وَمَا تِلْكَ السُّنَنُ؟ قَالَ : عِلْمُ النَّبِيِّينَ بِأَسْرِهِ ، وَإِنَّ اللَّهَ جَمَعَ لِمُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عِلْمَ النَّبِيِّينَ بِأَسْرِهِ ، وَإِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صَيَّرَ ذَلِكَ كُلَّهُ عِنْدَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام ...»^(٤).

(١) بحار الأنوار ، ٧٤ : ٢٦٦ - ٢٧٧ / ح ١ . بشارة المصطفى : ١٧١ .

(٢) بصائر الدرجات ، ١ : ٤٩ / ح ٦٢ - ٢ .

(٣) بحار الأنوار ، ٢ : ٩٤ / ح ٣٢ . بصائر الدرجات : ٥١١ / ح ٢١ . مختصر البصائر :

١٩٨ / ح ١٧٩ - ٢٠ .

(٤) بحار الأنوار ، ٢٦ : ١٦٦ - ١٦٧ / ح ٢١ . بصائر الدرجات : ٣٢ .

والمراد من التَّمَدُّد : الماء القليل لا مادَّة له ، أو ما يبقى في الجلد ، أو ما يظهر في الشتاء ويذهب في الصيف . ذكره الفيروزآبادي .

٧- بيان الإمام الصادق عليه السلام الوارد في حقِّ المخالفين لأهل البيت (صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ) : «... لا والله ما هم على شيء مما جاء به رسول الله صلى الله عليه وآله إِلَّا استقبال الكعبة فقط»^(١) .

٨- بيانه عليه السلام أيضاً : «... وكذب مَنْ قال : إِنَّه معنا وهو مُتعلِّق بفروع غيرنا»^(٢) .

٩- بيانه عليه السلام أيضاً : «... فما جعل الله لأحدٍ خيراً في خلاف أمرنا»^(٣) .

١٠- بيان زيارة أهل البيت (صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ) : «... الرَّابِعُ عنكم مارق ، واللازم لكم لاحق ، والمُقَصَّرُ عنكم زاهق ، والحقُّ معكم وفيكم ومنكم وإليكم ، وأنتم أهلُه ومعدنه ، وميراث النبوة عندكم ... ونوره معكم ، وبرهانه منكم ، وأمره إليكم ، مَنْ والاكم فقد والى الله ، ومَنْ أطاعكم فقد أطاع الله ... وَمَنْ اعتصم بكم فقد اعتصم بالله ...»^(٤) .

(١) بحار الأنوار ، ٦٥ : ٩١ / ح ٢٦ . المحاسن : ١٥٦ .

(٢) بحار الأنوار ، ٢٤ : ٣٠٣ - ٣٠٤ / ح ١٥ . كنز الفوائد : ٢ - ٣ .

(٣) بحار الأنوار ، ١٧ : ٣ / ح ١ . بصائر الدرجات ، ٢ : ٢٣٨ / ح ١٣٦٧ - ٤ . الكافي ،

١ : ٢٦٥ / ح ١ . تفسير العياشي ، ١ : ٢٥٩ / ح ٢٠٣ .

(٤) بحار الأنوار ، ٩٩ : ١٥٠ - ١٥١ .

ودلالة الجميع واضحة.

إذَنْ : لأبَدَّ من استعطاء بطاقة الإيمان والإسلام من مدرسة أهل البيت (صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ) حصراً.

الفائدة : (٣١)

[طريق ونهج أهل الخلاف لإبادة السنة الشريفة]

توجد لدى أهل الخلاف كُتُبٌ حديثية وكُتُبٌ تفسيرية - كتفسير الثعلبي - وكُتُبٌ دورات رجالية مخطوطة كثيرة ، ختموا عليها بعدم الطبع ؛ لإحتوائها على ذكر وفضائل وتراجم أهل البيت (صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ) ورواة وفقهاء مدرستهم (صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ) ، وهذا من الأمور الخطيرة (والعياذ باللَّهِ تَعَالَى) لإبادة السنة الشريفة.

الفائدة : (٣٢)

بعض خصائص مبحث «حسبنا كتاب الله»

من خصائص مبحث : (مدى فضاة وانحطاط مقولة «حسبنا كتاب الله») : أنه يوقف الباحث على مباحث أخرى مهمة وخطيرة جداً ، منها :

مبحث النزاع الدستوري ، وهو من أعقد النزاعات الحاصلة بين سلطات الدولة الثلاث - التشريعية ، والتنفيذية ، والقضائية - فإنه لأبَدَّ من الإلتجاء في حله : الإحتكام لجهةٍ عليا ، لها سيادة الحسم لِموثُل هذه القضايا والمواقف والنزاعات والصِّراعات ، وهي : (المحكمة الدستورية) ؛ فإنَّ

أصحابها يتمتعون بمُكِنَّةٍ وقدرةِ الوقوف على بواطنِ قوالبِ ألفاظٍ ومعانيٍ وحقائقِ دستوريةٍ لم تكن عند غيرهم - ك: رئيس الدولة ، ورئيس البرلمان ، ورئيس السلطة القضائية ، وأصحاب الخبرة من الكتل البرلمانية - مع أنَّهم من أبناء اللُّغة التي كُتِبَ بها الدُّستور ، ومن ثمَّ يُضطرُّ - بعدما كانت حقيقة الدستور ليست قائمة في الألفاظ ، بل في معانيه وحقائقه التي لا يُجبرها إلاَّ الخير الدستوري - في الأمور الشائكة المتعلِّقة به إلى مُفسِّرٍ ومُترجمٍ لغوامضه ومبهماتهِ ، وصاحب علمٍ ومعرفةٍ أرفع في قراءته وتفسيره . ويُصطلح على مَنْ يتمتَّع بهذه المُكِنَّةِ والقدرة ب: (الترجمان) ، والمراد منه : مَنْ يتمتَّع بعلمٍ ومعرفةٍ وإحاطةٍ بمنظومة العلم ، يتمكَّن من خلالها : معرفة أصول تشريع ذلك العلم وفروعه .

وعليه : فهل يحقُّ في مثلِ تلك الخلافات والنزاعات والصِّراعات أن يقول قائلهم : «حسبنا دستور الدولة» !! فإنَّ نقوش وألفاظ فقراته بعدما كانت صمًا لا تنطق بنبذة شفة ، وكان المتجاذبون كلُّ يجرِّ النَّارِ إلى قرصه فلا تشفع - تلك النقوش والألفاظ - في حلِّ مسائله وقضاياه المُعقَّدة ، لاسيما الشائكة ، وحينئذٍ لا تكون يد الحلِّ إلاَّ عند من يُحيط بعمق وجذور وبواطن : قوالب ألفاظه ، ومعانيه ، وحقائقه ليس إلاَّ .

هكذا حال الإختلافات الشرعية والدينية لاسيما المعرفة منها ، بل والعقائدية ، والنزاعات والصِّراعات بين أصحاب المذاهب والأديان والملل ، فلا تُحلُّ إلاَّ بيد مَنْ كان مُحيطاً بعمق وجذور وبواطن قوالب التَّشريعات

والمعارف والعقائد الإلهية ، وبواطن معانيها وحقائقها ، ولا يوجد ذلك إلا في أهل البيت الأطهار (صلوات الله عليهم).

وهذا ما أشارت إليه بيانات الوحي ، منها :

بيان خطبة فاطمة الزهراء صلوات الله عليها^(١) : «... وطاعتنا نظاماً

(١) لا بأس في المقام بالالتفات إلى القضايا الأربع التالية :

الأولى : المعروف : أن لفاطمة (صلوات الله عليها) خطبتين ، لكنه ثبت بالتتبع الناقص أن لها أربع خطب في أربعة مواطن ، وليست لها أربع نسخ لخطبة واحدة ، وأحد هذه المواطن : في المسجد النبوي. وهي الخطبة المعروفة. الأخرى : عندما أتمتها (صلوات الله عليها) نساء المهاجرين والأنصار. وهذه أيضاً خطبة معروفة. ثالثها : حينما أتمتها عائشة بنت طلحة ، فخطبت (صلوات الله عليها) ، ونشرتها ابنة طلحة. رابعها : عند قبر حمزة عليه السلام أو في مكان آخر.

الثانية : أن حُطِبَ فاطمة الزهراء (صلوات الله عليها) كانت تشريح وتحليل للأوضاع دقيق ورقيق.

الثالثة : أن أمير المؤمنين والبتول فاطمة (صلوات الله عليها) جناحان وفرسان نوران نبويان إلهيان في مواجهة تربية هذه الأمة وتمردتها ، لكن الأمة لم تتحمل ولم تخضع ولم تنصاع تربوياً لهما (صلوات الله عليهما) ، ولا زالت إلى الآن.

الرابعة : المعروف - بحسب تدبر كثير من أكابر الفريقين - : أن فاطمة الزهراء (صلوات الله عليها) حينما احتجت في قضية فدك احتجت بحجج لا تدافع بينها ؛ بل بينها تمام الموافقة والموائمة والمؤازرة ؛ فإنه يمكن للإنسان تملك الشيء الواحد بأسباب متعددة لا تضارب بينها.

للملّة ، وإمامتنا أماناً من الفرقة ...»^(١).

→ الحُجَّةُ الأُولَى: أمّها وارثة أبيها (صَلَّى اللهُ عَلَيْهَا وَعَلَى آلِهَا) وراثه اصطفايَّة. وقد اعترف علماء العامة والجمهور ب: أَنَّ وراثه النَّبِيِّ سَلِيمَانَ مِنْ أَبِيهِ النَّبِيِّ دَاوُدَ عَلَيْهِ السَّلَامُ الواردة في بيان قوله تعالى: ﴿وَوَرِثَ سَلِيمَانُ دَاوُدَ وَقَالَ يَا أَيُّهَا النَّاسُ عَلِمْنَا مَطْنِقَ الطَّيْرِ وَأَوْتَيْنَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ إِنْ هَذَا لَهُوَ الْفَضْلُ الْمُبِينُ﴾ [النمل: ١٦] وراثه اصطفايَّة. وحيث إِنَّ لِسَيِّدِ الْأَنْبِيَاءِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ولاية على الفيء شاملة لكل الأرض ؛ انتقل هذا الإرث بالوراثه الإصطفائيَّة من ضمنه أرض فدك - بنصّ بيان قوله تعالى الْمُتَقَدِّمُ وغيره - بعد استشهاده عَلَيْهِ السَّلَامُ إِلَى قَرْبَاهُ : فَاطِمَةُ الزَّهْرَاءُ وَأَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ وَسَائِرُ أَهْلِ الْبَيْتِ عَلَيْهِ السَّلَامُ.

لكن : هذه القضية غفل عنها الكثير من الخاصّة ، وحصروا وراثتها عَلَيْهِ السَّلَامُ مِنْ أَبِيهَا عَلَيْهِ السَّلَامُ بِالْوَرَاثَةِ الْمَالِيَّةِ الْمَادِيَّةِ.

والحقُّ : أَنَّ إِرْثَ فِيءِ الْأَرْضِ وَإِنْ كَانَ مَالِيًّا مَادِيًّا ، لَكِنَّ مَالِيَّتَهُ لَيْسَتْ مَالِيَّةً مَادِيَّةً فَرْدِيَّةً فَقَطْ ؛ لِأَنَّهُ لَمَّا كَانَتْ - هَذِهِ الْمَالِيَّةُ - لَهَا سَعَةٌ شَامِلَةٌ لِحُمْلَةِ الْأَرْضِ كَانَتْ وَلايَةِ إِصْطِفَائِيَّةً.

الحُجَّةُ الثَّانِيَّةُ : أَنَّ أَبِيهَا عَلَيْهِ السَّلَامُ وَهَبَ أَرْضَ فَدَكٍ لَهَا.

الحُجَّةُ الثَّالِثَةُ : أَنَّ أَرْضَ فَدَكٍ كَانَتْ تَحْتَ يَدِهَا حِينَ اسْتِشْهَادِ أَبِيهَا عَلَيْهِ السَّلَامُ ؛ فَتَكُونُ دَاخِلَةً فِي مَلِكِهَا ؛ لِقَاعِدَةِ الْيَدِ مِنْ دُونِ حَاجَةِ إِلَى بَيْتِهِ.

الحُجَّةُ الرَّابِعَةُ : أَنَّ أَرْضَ فَدَكٍ سَدَادُ دَيْنِ مَهْرِ أُمِّهَا خَدِيجَةَ ، وَهَذَا إِرْثُ إِصْطِفَائِيٍّ وَرِثْتُهُ مِنْ أُمِّهَا (صَلَوَاتُ اللهِ عَلَيْهَا).

(١) بحار الأنوار ، ٢٩ : ٢٢٣.

الفائدة : (٣٣)

[المشاهدات والمكاشفات لدى غير المعصوم في عرضة الخطأ والاشتباه]

إِنَّ إِبْنَ عَرَبِي جَرَى فِي جَمَلَةِ مَوَارِدِ مَعْرِفِيَّةٍ عَلَى وَفْقِ فَرَضِيَّةِ بَطْلِيْمُوسَ فِي الْهَيْئَةِ ، وَبَنَى عَلَيْهَا ، وَتَعَامَلَ مَعَهَا عَلَى أُمَّهَا مِنَ الْبَدِيهِيَّاتِ ، لَكِنِ الْعِلْمَ الْحَدِيثَ حَكَمَ بِبَطْلَانِهَا .

وهذا يدلُّ على أنَّ المشاهدات والمكاشفات لدى غير المعصوم نحو مسير لا يدري أيصيب بها الإنسان أم يجيب .

الفائدة : (٣٤)

تَلَبُّدٌ فِي الرُّؤْيَةِ وَقِنَاعَاتُ مَنَشَاؤِهَا الْغَفْلَةُ وَالسُّبَاتُ الْمُنْهَجِيُّ

يَجْدُرُ الْإِلْتِنَاتُ : أَنَّ الْبَعْضَ مِنَ الَّذِينَ يَتَوَشَّحُونَ بِالْفَضْلِ وَالْفَضِيلَةِ مِنَ الْخَاصَّةِ فَضْلًا عَنِ الْعَامَّةِ رَبَّمَا يَحْصِلُ لَدَيْهِمْ تَلَبُّدٌ فِي الرُّؤْيَةِ وَقِنَاعَاتُ ؛ مَنَشَاؤِهَا الْغَفْلَةُ وَالسُّبَاتُ الْمُنْهَجِيُّ .

الفائدة : (٣٥)

[مراد الفقهاء والمتكلمين من أن تفاصيل العقائد من الفروع]

لَا بَأْسَ بِالْإِلْتِنَاتِ إِلَى أَنَّ مَقْصُودَ الْفُقَهَاءِ وَالْمُتَكَلِّمِينَ مِنْ أَنَّ تَفَاصِيلَ الْعُقَائِدِ مِنَ الْفُرُوعِ : أَنَّهَا لَا تُخْرَجُ مَنْ لَا يَعْتَقِدُ بِهَا مِنْ حَوْمَةِ الْإِيمَانِ .

نعم ، قد يجرّم نفسه ويُفوّت عليها في الآخرة الأبدية مراتب وكمالات وفضائل أبدية صاعدة.

فانظر: بيانات الوحي ، منها :

بيان أبي جعفر (صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ) : «فضل إيمان المؤمن بحمله: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ﴾^(١) وبتفسيرها على من ليس مثله في الإيمان بها كفضل الإنسان على البهائم. وإنَّ الله تعالى ليدفع بالمؤمنين بها عن الجاحدين لها في الدنيا لكمال عذاب الآخرة لمن علم أنَّه لا يتوب منهم ما يدفع بالمجاهدين عن القاعدين، ولا أعلم في هذا الزمان جهاداً إلاَّ الحجَّ والعمرة والجوار»^(٢).

الفائدة : (٣٦)

[الكُفْرُ بِرُتَبٍ وَمَرَاتِبِ الْحُجَجِ الْإِلَهِيَّةِ كُفْرٌ عَظِيمٌ]

يجدر الإلتفات : أَنَّ الْكُفْرَ وَالْإِلْحَادَ بِرُتَبٍ وَمَرَاتِبِ الْحُجَجِ الْإِلَهِيَّةِ كُفْرٌ عَظِيمٌ وَمَحْذُورٌ خَطِيرٌ ، وَهُوَ الَّذِي أَوْقَعَ إِبْلِيسَ (عَلَيْهِ اللَّعْنَةُ) فِي وَرَطَّتِهِ ؛ فَإِنَّهُ لَمَّا لَمْ يَحْفَظِ الْمَرَاتِبَ تَطَاوَلَ عَلَى حُجِّيَّةِ اللَّهِ وَوَلِيِّهِ ، وَأُورِثَهُ النَّدَامَةَ الْأَبَدِيَّةَ .

وَمَنْ ثَمَّ مَنْ يُؤَخَّرُ حُجِّيَّةَ فَاطِمَةَ الزَّهْرَاءِ (صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهَا) عَنْ مَوْقِعَيْتِهَا الَّتِي نَصَبَهَا اللَّهُ تَعَالَى لَهَا ، الْمُتَقَدِّمَةَ عَلَى حُجَجِ وَمَوْقِعِيَّاتِ الْأُمَّةِ

(١) القدر : ١ .

(٢) بحار الأنوار ، ٢٥ : ٧٤ / ح ٦٣ . كنز الفوائد : ٣٩٥ - ٣٩٨ .

الاحد عشر (صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ) فقد وقع في أمرٍ جسيم ، وتطاول على المولى ﷺ ، وعلى رسوله وسائر أهل البيت (صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ) ، وتطاول على بيانات الوحي .

الفائدة : (٣٧)

[تقدمُ المسيرة العلمية يكشف عن علوم وحيانية كانت البشرية ترميها بالناكير]

ينبغي الالتفات : أنه كلما تقدمت المسيرة العلمية والعلوم كلما التفتت البشرية إلى حقائق وأمرٍ خطيرة ومهولة ؛ مذكورة في بيانات الوحي الإلهي الشريف ؛ كان البشر يتلقاها - ويتعامل معها ويطعنها بعقله القاصر والمحدود والمتناهي بتناهي عالم العقل - ب : الاستهزاء والسخرية ، والرمي ب : المناكير ، وما لا يتعقل صدورها ، وأنه كلام عجوز مُحرفّة ، وما لا يمكن صدورها من أصغر الطلبة فضلاً عن الأفاضل وما شاكلة ، ومن ثمَّ يُحاول بكلِّ ما أوتي من صنعة وقوة ومهارة علمية إسقاط حُججيتها واعتبار سندها ، وإلا - أي : إذا لم يتمكّن من ذلك كما لو كان سندها مُعتبراً ولا غبار عليه - توجه إلى دلائلها وأسقط اعتبارها وحُججيتها بدم بارد من دون احتياط وتقيّة وإحالتها إلى أهلها ؛ وذلك من خلال التّأويل والحمل على معانيها المجازية وما شاكلها.

الفائدة : (٣٨)

[المراد من قاعدة التَّعْبُدِيَّةِ الواردة في بيانات الوحي]

ليس المراد من قاعدة التَّعْبُدِيَّةِ والتَّوْفِيقِيَّةِ والتَّوْفِيقِيَّةِ الواردة في بيانات الوحي تحجير وحبس للعقول والأفكار - كما ظنَّه الفلاسفة ، بل والعرفاء كنظرة إجمالية - ، وإنَّها المراد ترشيد لسير وفكر البشر لِحُطْيِ غير متناهية في التَّكامل ، ومن ثَمَّ مدحت بيانات الوحي وحثَّت على التَّعْقُلِ والتَّفَكُّرِ وطلب العِلْمِ ، وذمَّت الجهل والشكَّ والرَّيبَةَ والتَّرَدُّدَ ؛ لكونها توقف حركة الفكر وسيره .

الفائدة : (٣٩)

[طبيعة القواعد الوحيانية المعرفية شمولها لموارد مُتعدِّدة]

ينبغي أن لا يُظنَّ أَنَّ قاعدة من القواعد المعرفية التَّوْحِيدِيَّةِ الوحيانية مُختَصَّة بمقام فارد ، بل تجري في مقامات ومنازل مُتعدِّدة .

الفائدة : (٤٠)

[اِخْتِلافُ قوالب بيانات الوحي عن قوالب كلمات البشر]

إنَّ الأُطر والقوالب التي ينبغي أن يُسبَّح بها في عالم المعاني غير المتناهية ، واستكشاف الحقائق العيانية غير المحدودة : أُطر وقوالب وحيانية ، وهي تختلف عن أُطر البشر ؛ فإنَّ قوالب المعاني الوحيانية أُطر تكوينية غير

متناهية ، تُباين قدرة أطر وقوالب المعاني البشرية وسعتها ودقتها ؛ فإنَّها
اعتباريةٌ متناهيةٌ. وهذه قضيةٌ بالغة الأهمية والثمره والخطورة. فالتفت تربت
يداك.

وإلى هذا تشير بيانات الوحي ، منها :

١- بيان قوله جلّ وتقدّس : ﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ
وَالْبَحْرِ يَمْدُهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ﴾^(١).

٢- بيان قوله تقدّس ذكره : ﴿مَا عِنْدَكُمْ يَنْفَدُ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ بَاقٍ﴾^(٢).

ودلالاتها واضحة.

والإضطرارُ يجُرُّنا للتوسّع في هذه القضية ؛ لنبيّن كيفية بُعد الثقافة
الإسلامية المنتشرة بين المؤمنين فضلاً عن المسلمين عن حقيقة معارف
وعقائد وثقافة الوحي الأصيلة والوسيلة والشقافة . بل أحياناً يكون النتاج
المعرفي والعقائدي البشري حجاباً ومانعاً عن الوصول إلى سعة الحقيقة. نعم
الشُّبُهَات والإثارات على النتاج البشري تُنبّه الإنسان إلى أنّ النتاج الوحياني
شيء آخر غير النتاج البشري.

ومن كلّ هذا يتّضح : أنّ الإعتياد على تعاريف النبوة والإمامة الإلهية
المسطورة في كتّيب المتكلّمين أو الفلاسفة أو العرفاء وغيرهم من أصحاب

(١) لقمان : ٢٧.

(٢) النحل : ٩٦.

كُتِبَ معارف وعقائد المدارس البشرية ؛ والتعامل معها على أَنَّهَا الحقّ ونهج الصدق طامّة كُبرى ، وخَصَدَ لشوكة الإسلام والمسلمين .

وعليه : يجب تصحيح كثير من التعاريف المُعتمَدة في كُتُب معارف البشر ، وربطها ببيانات الوحي المعرفية .

الفائدة : (٤١)

[خطورة كلمات المعصوم عليه السلام]

يَجْدُرُ الإلتفات : أَنَّ كُلَّ كلمة يقولها المعصوم عليه السلام يُستخرج منها قواعد وفوائد إلى ما شاء الله تعالى .

الفائدة : (٤٢)

[تعامل بيانات الوحي غالباً بالتعريض]

يَنْبَغِي صَرْفَ النَّظَرِ إلى القُضية التالية ، وهي : أَنَّ كثير من أسرار المعارف تُذكرُ في بيانات الوحي بالكناية والتعريض ، وهو أبلغ من التصريح .

الفائدة : (٤٣)

شمول بيانات الوحي المعرفية لجملة العوالم وكافة المخلوقات

إِنَّ مَعَارِفَ أَهْلِ البَيْتِ (صَلَوَاتُ اللّهِ عَلَيْهِمْ) أبعاداً منظومة خطيرة من بداية الخلق والوجود إلى مالا نهاية ، وشاملة لجملة العوالم وكافة المخلوقات

غير المتناهية. ودورها ، بل ودورهم (صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ) في أواخر عوالم الخُلُقَة أعظم وأخطر من دون قياس من دورها ودورهم في عوالم الدُّنْيَا - عَالَمِ الدُّنْيَا الْأَوَّلَى ، وعَالَمِ البرزخ^(١) ، وعَالَمِ آخِرَةِ الدُّنْيَا (الرَّجَعَةَ) .-

الفائدة : (٤٤)

[حقيقة الوجودات الذهنية]

إنَّ الموجودات الذهنية وما يأخذه الذهن وما يُدركه من التَّحَقُّقِ الخارجي ووجودات حقيقية ، لكن قوامها أمَّها حاكية عن الخارج حكاية صدق.

الفائدة : (٤٥)

[احتواء بيانات الوحي على القواعد العقلية]

إنَّ كثير من القواعد العقلية التي لا يمكن لعقول البشرية الوصول إليها وشَمَّ رائحتها موجودة في بيانات الوحي .

الفائدة : (٤٦)

[يجدر بطالب الحقيقة الغور في بحور الوحي لاستخراج درره]

[للوحي هيمنة لا يمكن لعقول البشر الإحاطة به]

يَنْبَغِي الْإِلْتِفَات : أَنَّ مَا قَرَّرَهُ الْبَاحِثُونَ فِي أَبْوَابِ الْمَعَارِفِ عَلَى اخْتِلَافِ

(١) عَالَمِ البرزخ : يقع في حاشية عَالَمِ الدُّنْيَا .

مشاربهم ومدارسهم ليس بوحى مُنزل ، ومن ثمَّ يَنْبَغِي على المُحَقِّق - ومن خلال القراءة العقلية والذوقية - الغوص بتتبع دقيق في بيانات الوحي ؛ لإستخراج درره ولآلؤه ، فإنَّ للوحي هيمنة لا يمكن لعقول البشر مهما بلغت الإحاطة به .

وهذا ما تُشير إليه بيانات الوحي ، منها :

١- بيان قوله تعالى : ﴿ قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدادًا لِكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفَذَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تُنْفَذَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مِدادًا ﴾^(١) .

٢- بيان قوله تقدّس ذكره : ﴿ وَكَلَّمْنَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقلامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَا نَفَذْتُ كَلِمَاتُ اللَّهِ إِنْ لَمْ يَكُنْ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ حَكِيمًا ﴾^(٢) .
ودلالاتها واضحة .

الفائدة : (٤٧)

[تملص الفلاسفة عن شعارهم الأوّل]

[الوحي ترشيد للسير والفكر الى خطى غير متناهية في التكامل]

هناك إشكال جذريٌّ وأساسيٌّ يُسَجَّل على الفلاسفة ومن جرى على شاكلتهم ؛ فإنَّ ما يرفعونه من شعارهم أوّل مَنْ يتملص منه منهجياً ، فإنَّهم

(١) الكهف : ١٠٩ .

(٢) لقمان : ٢٧ .

إدعوا في حَقِّ بيانات الوحي والميزان والمنهج الوحياني أو التعبُّد الوحياني أو التَّوقِيفِيَّةِ أو التَّوقِيفِيَّةِ على قوالب بيانات الوحي : أمَّها حبوسيةٌ وتحجير وسلب لحرية الفكر وحرية الإنسان ، وإرهاب وترهيب .

لكنه : توهم فاسد .

والحقُّ : أنَّ معناها : ترشيد للسَّيرِ والفِكرِ البشري إلى خُطَى غير متناهية في التَّكامل^(١) ، وتعصم مَنْ يَتَمَسَّكُ بها من الإفراط والتَّفريط ، وتبحر به في بحور عوالم المعاني والحقائق غير المتناهية أبد الآباد ودَهْر الدُّهور ، وتعطيه قوالب وبراهين ولغات وأنظمة ونظم وموازين وحيانية وعقلية ؛ أعظم من دون قياسٍ مِمَّا يُعْطِيهِ الجهد البشري المحدود والمتناهي بمحدودية وتناهي قوَى البشر وإمكانيَّاته .

وهذا ما تُشير إليه بيانات الوحي ، منها :

بيان الإمام الباقر عليه السلام الموجه لطالبي العلم من غير أهل البيت عليهم السلام :
 «يمصون الشاد ويدعون النَّهر العظيم ، قيل له : وما النَّهر العظيم ؟ قال : رسول الله صلى الله عليه وآله والعلم الذي آتاه الله ، إنَّ الله جمع لمُحمَّد صلى الله عليه وآله سنن النَّبيِّين من آدم هلمَّ جرّاً إلى محمَّد صلى الله عليه وآله . قيل له : وما تلك السنن ؟ قال : علم النَّبيِّين بأسره ، إنَّ الله جمع لمُحمَّد صلى الله عليه وآله علم النَّبيِّين بأسره ، وإنَّ رسول الله صلى الله عليه وآله صير ذلك كله عند أمير المؤمنين عليه السلام . فقال له رَجُلٌ : يا بن رسول الله صلى الله عليه وآله فأمر

(١) ومن ثمَّ مدحت بيانات الوحي العقل والتَّفكر وطلب العلم ، وذمَّت الجهل والشكَّ والرَّيبة والتَّردُّد ؛ لكونها تُوقِف حركة الفكر وسيره .

المؤمنين عليه السلام أعلم أو بعض النبيين؟ فقال أبو جعفر عليه السلام: اسمعوا ما يقول!!
 إِنَّ اللَّهَ يَفْتَحُ مَسَامِعَ مَنْ يَشَاءُ ، إِنِّي حَدَّثْتُ : أَنَّ اللَّهَ جَمَعَ لِمُحَمَّدٍ عِلْمَ النَّبِيِّينَ ،
 وَإِنَّهُ جَعَلَ ذَلِكَ كُلَّهُ عِنْدَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ، وَهُوَ يَسْأَلُنِي هُوَ أَعْلَمُ أَمْ بَعْضُ
 النَّبِيِّينَ؟! ^(١).

ودلالته واضحة .

والمراد من الثمد : الندى الذي يتكوّن على الأحجار .

إِذَنْ : الفلاسفة ومن جرى على شاكلتهم وإن كانوا يتشدّقون ب :
 (التحرُّر عن الضيق ، والحبوسية ، والتقليد ، والتسالمية) ، لكنها مجرد
 شعارات تنظيرية ، وإلا فعلم الفلسفة بعدما قصره أصحابه عملاً على نتاج
 العقل البشري كان محبوساً وضيقاً بضيق العقل البشري ، ولم يفتح على أفق
 الوحي غير المتناهي ، والمتخطي لسعة العقل البشري بما لا يتناهى ؛ والمعطي
 مواداً علمية وعقلية ومعرفية للبشرية أعظم وأخطر من دون قياس ممّا
 تُعطيهِ العلوم والمعارف البشرية فلسفية كانت وعقلية أم غيرهما .

نعم ، لضيق أفق الباحث في علوم ومعارف بيانات الوحي يُؤوّل
 ويلوي أعناق دالاتها على وفق سعة أفقه وفهمه وأفق وفهم البشر .

وبالجملة : الفلسفة ولغتها لغة عقلية بشرية ، وهي محدودة ، بخلاف
 بيانات الوحي المعرفية ؛ فإن لغتها عقلية وحيانية وقلبية وذوقية : (وجدانية
 وحيانية) غير متناهية أبد الآباد ودهر الدهور .

(١) بحار الأنوار ، ٢٦ : ١٦٦ - ١٦٧ / ح ٢١ . بصائر الدرجات : ٣٢ - ٣٣ .

الفائدة : (٤٨)

[مدارس البشرية المعرفية مدارس جمودية وقشرية وحبوسية]

[مدرسة الوحي صمام أمان مترامي في عدم التناهي وعدم المحدودية]

إنَّ مَدْرَسَةَ الرَّأْيِ ، وَمَدْرَسَةَ الْفَلَسْفَةِ ، وَمَدْرَسَةَ الْعِرْفَانِ وَغَيْرَهَا مِنَ الْمَدَارِسِ الْبَشَرِيَّةِ جَمُودِيَّةٌ وَقَشْرِيَّةٌ وَحَبُوسِيَّةٌ ، وَصَاحِبَةُ نَتَاجِ بَشَرِيٍّ ضَيِّقٍ ، فَمِنْ جِهَةٍ هُوَ : نَتَاجِ بَشَرِيٍّ فِي عُرْضَةِ الْخَطَا وَالضَّلَالِ وَالزَّيْغِ وَالْإِنْحِرَافِ ، وَمِنْ جِهَةٍ أُخْرَى : نَتَاجِ مَحْدُودٍ وَمَتْنَاهِيٍّ حَبُوسِيٍّ قَشْرِيٍّ حَشْوِيٍّ .

بِخِلَافِ نَتَاجِ مَدْرَسَةِ الْوَحْيِ الْإِلَهِيِّ - وَهِيَ : مَدْرَسَةُ أَهْلِ الْبَيْتِ (صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ) - ؛ فَإِنَّهُ مِنْ جِهَةٍ هُوَ : صَمَامُ أَمَانٍ ، وَمِنْ جِهَةٍ أُخْرَى : مَتْرَامِيٍّ فِي عَدَمِ التَّنَهِائِيِّ وَعَدَمِ الْمَحْدُودِيَّةِ ؛ وَحَيْثُ يُكُونُ الْإِلْتِصَاقُ بِهِ نَجَاةً مِنَ الضَّلَالِ وَالزَّيْغِ وَالْإِنْحِرَافِ ، وَنَجَاةً مِنْ ضَيِّقٍ وَحَبْسٍ الْقُدْرَةِ الْبَشَرِيَّةِ وَالضَّيِّقِ وَالْمَحْدُودِيَّةِ . وَعَلَيْهِ : تَكُونُ الْعِبُودِيَّةُ بِهَذَا الْمَعْنَى : تَحُرُّرٌ وَحَرِّيَّةٌ وَانْطِلَاقٌ فِي رِحَابِ غَيْرِ الْمَحْدُودِ وَغَيْرِ الْمَتْنَاهِيِّ .

إِذَنْ : وَاقِعٌ مَا يُقَالُ مِنْ حَرِّيَّةِ الرَّأْيِ وَمَا شَاكَلَهُ فِي الْمَدَارِسِ الْبَشَرِيَّةِ هُوَ : حَبْسٌ وَسَجْنٌ ؛ لِاعْتِمَادِهَا عَلَى الْقُدْرَةِ الْبَشَرِيَّةِ ، وَهِيَ ضَيِّقَةٌ وَمَحْدُودَةٌ وَمَتْنَاهِيَّةٌ بَضِيْقٌ وَمَحْدُودِيَّةٌ وَتْنََاهِيُّ الْبَشْرِ وَقَوَاهُ ، بِخِلَافِ السِّيْحِ وَالسِّيَاحَةِ فِي بَحُورِ عُلُومِ الْوَحْيِ غَيْرِ الْمَحْدُودَةِ وَغَيْرِ الْمَتْنََاهِيَّةِ ؛ فَإِنَّهَا حَرِّيَّةٌ وَتَحُرُّرٌ مِنْ قِيُودِ الْمَحْدُودِ وَالتَّنَهِائِيِّ إِلَى رِحَابِ بَحُورِ الْأَنْوَارِ الْخِصْمِ الزَّآخِرَةِ غَيْرِ الْمَحْدُودَةِ

وغير المتناهية.

وإلى هذا أشارت بيانات الوحي ، منها :

١- بيان قوله جلّ قوله : ﴿ قُلْ لَوْ كَانِ الْبَحْرُ مَدَادًا لَكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفَذَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تُنْفَذَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا ﴾^(١).

٢- بيان قوله جلّ قدسه : ﴿ وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ ﴾^(٢).

٣- بيان قوله تقدّس ذكره : ﴿ مَا عِنْدَكُمْ يُنْفَدُ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ بَاقٍ ﴾^(٣).

ودلالاتها واضحة ؛ فإنّ ألفاظ بيانات الوحي الإلهي الشريف وعالم التنزيل مهما بلغت محدودة ومتناهية ، لكنّ الغور فيها وفي قوالب معانيها وحقائقها وعالم التأويل بحور نور طمطامة غير محدودة وغير متناهية أزلاً وأبداً.

وما ذكر من عدد في بيان قوله جلّ قدسه - [سَبْعَةُ أَبْحُرٍ] - ليس المراد منه حقيقة العدد ، بل لبيان مُطلق الكثرة ؛ وأنّه مهما بلغ مدد الأقلام فكلمات الله ومعانيها وحقائقها لا تنفذ أبداً عبر طرّ العوالم ، كحال بيان قوله تقدّست أسماؤه : ﴿ إِنْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ ﴾

(١) الكهف: ١٠٩.

(٢) لقمان: ٢٧.

(٣) النحل: ٩٦.

ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴿١﴾ ، فَذَكَرُ السَّبْعِينَ كناية عن مُطلق الكثرة من دون أن تكون هناك خصوصية للعدد ، ومن ثمَّ عُلِّلَ : بقوله تعالى : ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ وهو لا يختلف بالاستغفار وعدمه ، وبالإستغفار قَلَّ أم كَثُرَ .

وقد ورد في تفسير: ﴿كَلِمَاتُ اللَّهِ﴾ أَنَّهَا حَقَائِقُ أَهْلِ الْبَيْتِ (صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ) الصَّاعِدَةُ وَتَتَّبِعُهَا طَبَقَاتُ حَقَائِقِهِمُ الْمُتَوَسِّطَةُ وَالنَّازِلَةُ ، فَتَكُونُ عِلْمُ مَدْرَسَةِ أَهْلِ الْبَيْتِ (صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ) وَمَعَارِفُهَا وَشُؤْنُهَا وَفَضَائِلُهَا وَكِمَالَاتُهَا وَمَقَامَاتُهَا غَيْرُ مَحْدُودَةٍ وَغَيْرُ مُتَنَاهِيَةٍ أَبَدَ الْأَبَادِ وَدَهْرَ الدُّهُورِ عِبْرَ جَمَلَةِ عَوَالِمِ الْخَلْقَةِ غَيْرِ الْمُتَنَاهِيَةِ .

فانظر: بيانات الوحي ، منها :

بيان تفسير الإمام الهادي (صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ) : « ... وَأَمَّا قَوْلُهُ : ﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِنَ شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ﴾ فَهُوَ كَذَلِكَ ؛ لَوْ أَنَّ أَشْجَارَ الدُّنْيَا أَقْلَامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ وَانْفَجَرَتِ الْأَرْضُ عِيونًا لِنَفِدَتْ قَبْلَ أَنْ تَنْفِدَ كَلِمَاتُ اللَّهِ ... وَنَحْنُ كَلِمَاتُ اللَّهِ الَّتِي لَا تَنْفَدُ وَلَا تُدْرِكُ فَضَائِلُنَا ... » (٢) .

٤ - بيان الإمام الرضا (صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ) ، عن عَلِيِّ بْنِ أَبِي حمزة ، قال : « لا تعجب ، فما خفي عليك من أمر الإمام أعجب وأكثر ، وما هذا من

(١) التوبة: ٨٠ .

(٢) بحار الأنوار ، ١٠ : ٣٨٦ - ٣٩٠ / ح ١ . تحف العقول : ٤٧٦ - ٤٨١ .

الإمام في علمه إلا كطير أخذ بمنقاره من البحر قطرة من ماء ، أفترى الذي أخذ بمنقاره نقص من البحر شيئاً ؟ قال : فإنَّ الإمام بمنزلة البحر لا ينفد ما عنده ، وعجائبه أكثر من ذلك ، والطير حين أخذ من البحر قطرة بمنقاره لم ينقص من البحر شيئاً ، كذلك العالم لا ينقصه علمه شيئاً^(١) ، ولا تنفذ عجائبه^(٢) .

ودلالته واضحة .

وهذه الحقيقة^(٣) - كسائر حقائق المعارف والعقائد الإلهية - ستجلى في عالم البرزخ ، وعالم الرجعة ، وعالم القيامة ، وعالم الآخرة الأبدية وبعدها . فالتفت ، واغتنم تربت يداك .

الفائدة : (٤٩)

[انقطاع الباحث عن بيانات الثقلين يوقعه في الزيغ والضلال]

إنَّ استبداد الباحث بالأدلة العقلية في أبواب العقائد والمعارف من دون الاستعانة ببيانات الوحي يجعله في عريضة الزيغ والزلل والضلال والانحراف والهلاك والخطر الدائم ، ويجرّه إلى اعتقادات باطلة يخلد بسببها

(١) في نسخة: (شيء).

(٢) بحار الأنوار ، ٢٦ : ١٩٠ - ١٩١ / ح ٢ . قرب الإسناد : ١٤٤ .

(٣) إشارة إلى ما تقدّم من أنَّ حرّية الرأي المدّعاة في مدارس البشر هي حبس وسجن ، بخلاف السّباحة في بحور الوحي ؛ فإنّها حرّية وتحرّر في غير المتناهي .

(والعياذ بالله تعالى) في نار جهنم وبأس المصير .

والنُّكْتَة : محدودية العقل وقدرته ومُكْنَتَه .

إِذْنُ : يجب على الباحث التَّمَسُّك والتَّشَبُّثُ بِكُلِّ ما أُوتِيَ من قوَّةٍ بمنهج الثقلين ، والإِعْرَاضُ عن المناهج المعرفية البشرية التي لم يقم عليها دليلٌ وحياتيٌّ ، لا سيما المستوردة من المخالفين .

الفائدة : (٥٠)

[اِرْتِطَامُ مَدَاسِ الْبَشَرِ الْمَعْرِفِيَّةِ بِالضَّلَالِ لِابْتِعَادِهَا عَنْ بَيِّنَاتِ الْوَحْيِ]

إِنَّ مَنْ يَنَاقِ بِنَفْسِهِ مِنْ عُلَمَاءِ الْبَشَرِ - كَالْفَلَّاسِفَةِ وَالْمُتَكَلِّمِينَ وَالْعُرَفَاءِ - عَنْ تَعَالِيمِ بَيِّنَاتِ الْوَحْيِ فَقَدْ اِرْتِطَمَ فِي أَخْطَرِ اشْتِبَاهٍ ، وَمِنْ ثَمَّ حَكَمَ الْفَلَّاسِفَةُ وَالْمُتَكَلِّمُونَ وَالْعُرَفَاءُ - نَتِيجَةَ اِبْتِعَادِهِمْ عَنْ تَعَالِيمِ بَيِّنَاتِ الْوَحْيِ - عَلَى بَعْضِ مَخْلُوقَاتِ عَوَالِمِ الْاَجْسَامِ ب : (التَّجَرُّدُ التَّامُ) .

والحال أنَّ الثَّابِتَ فِي صَرِيحِ بَيِّنَاتِ الْوَحْيِ : أَنَّهَا مِنْ عَوَالِمِ الْاَجْسَامِ .

مثاله :

أَوَّلًا : (الملائكة) ؛ فقد حكموا عليها ب : (التَّجَرُّدُ التَّامُ) .

وجوابه : أَنَّ الثَّابِتَ فِي صَرِيحِ بَيِّنَاتِ الْوَحْيِ : أَنَّهَا مِنْ عَوَالِمِ الْاَجْسَامِ ؛ فَلِهَا اَجْسَامٌ ، وَأَجْنَحَةٌ ، وَحَرَكَةٌ .

فانظر : بيانات الوحي ، منها :

بيان قوله تقدّس ذكره : ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ جَاعِلِ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا أُولِي أَجْنِحَةٍ مَثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبَاعٍ ﴾^(١).

ثانياً: (العقل) ؛ فقد أطبقت كلمة جلّ الفلاسفة والمتكلمين والعرفاء على تجرّده تجرّداً تاماً عن الجسميّة والجسم .

وجوابه : أنّ الثابت أيضاً في بيانات الوحي : أنّه من عوالم الاجسام .

فلاحظ : بيانات الوحي ، منها :

بيان الإمام الصادق (صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ) في حديث جنود العقل والجهل : « ... إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ خَلَقَ الْعَقْلَ وَهُوَ أَوَّلُ خَلْقٍ مِنَ الرُّوحَانِيِّينَ عَنْ يَمِينِ الْعَرْشِ مِنْ نُورِهِ ، فَقَالَ لَهُ : أَدْبِرْ فَأَدْبَرَ ، ثُمَّ قَالَ لَهُ : أَقْبِلْ فَأَقْبَلَ ... »^(٢).

والرّوح كما هو الثّابت في بيانات الوحي أنّها جسم ، لكنّه من الأّجسام اللّطيفة .

فانظر :

بيان الإمام الصادق (صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ) أيضاً في أجوبته على مسائل

(١) فاطر : ١ .

(٢) أصول الكافي ، ١ : ١٧ / ح ١٤ .

الزنديق : « ... والرُّوح جسم رقيق ، قد ألبس قالباً كثيفاً ... »^(١) (٣) .

وبالجملّة : الثّابت في بيانات الوحي أنّ هذه المخلوقات وما شاكلها مخلوقات جسمانيّة ، نعم ، هي مجرّدة تجرّداً نسبيّاً عن غلظة ومادّة ما تحتها من الأجسام ، فهي أجسامٌ ، لكنّها ألطف بالقياس إلى ما تحتها والأكثر غلظة .

بعد الالتفات : أنّ مراتب الجسميّة ونسبيّتها لا حصر لها .

[استقصاء عوالم الخلقّة ومنظومتها الواردة في بيانات الوحي]

ثمّ إنّّه لو أراد الباحث - بل لو كان شغله الشّاغل معرفياً - معرفة عوالم الخلقّة ؛ وجملّة خارطة منظومتها المتناسقة الواردة في لسان بيانات الوحي ؛ والتي لا تعلم بها أصحاب الآخرة الأبديّة - أهل الجنّة والنّار الأبديّتان - لعثر على عوالم رهيبّة أخطر من دون قياس من عالم البرزخ وعالم القيامة وعالم الآخرة الأبديّة ، ولعثر على معارف مهيبّة وخطيرة جداً لا يمكن حصرها وإحصاؤها .

الفائدة : (٥١)

[خطورة الاعتماد على ما رسمته المدارس البشريّة المعرفيّة]

إنّ الباحث إذا بنى خريطة بحوثه المعرفيّة والعقائديّة على ما رَقمه

(١) بحار الأنوار ، ٦ : ٢١٦ / ح ٨ . الاحتجاج ، ٢ : ٩٦ .

المُتكلِّمون فسيرتطم لا محالة بمآزق معرفية وعقائدية كثيرة جداً ؛ لأنَّ الخريطة والفهرسة المعرفية والعقائدية التي رسمها جملة من علماء كلام الإمامية ؛ وساروا عليها نشئت نتيجة إنشغالهم بالجدل والحوار الكلامي مع المذاهب الإسلامية ، فألجأتهم هذه الحواريات التي لا انقطاع لها إلى نوع تبويب ؛ ورسم خارطة للمعارف والعقائد الإلهية ؛ يلتفت إليها ويفهمها الطرف الآخر. ومعناه: أنَّهم اضطروا إلى تنزيل الخطاب الكلامي والخطاب العقائدي إلى مستوى معارف وعقائد الطرف ، مع أنَّه ليس لديه من الإسلام إلا استقبال الكعبة فقط .

وهذا ما صرَّحت به بيانات الوحي ، منها :

بيان الإمام الصادق (صلوات الله عليه) : « ... لا والله ، ما هم على شيءٍ ممَّا جاء به رسول الله ﷺ إلا استقبال الكعبة فقط »^(١).

وعليه : فكيف يمكن رسم خارطة وثقافة للمعارف والعقائد الحقة المصحرة في بيانات الوحي الإلهي على وفق هذه الوضعية التجاذبية الكلامية ؛ وإلا فستحصل لا محالة لأصحاب هذه الخرائط والثقافات مشاكل وأزمات معرفية وعقائدية لا حصر ولا منتهى لها. بل سببت وتُسبب هذه المنهجية وهذه الثقافات طمات معرفية وعقائدية أشدَّ خطراً وضرراً وفتكاً بأهل البيت (صلوات الله عليهم) من خطر وضرر وفتك يزيد بن معاوية وجيشه (عليهم لعائن الله) وما فعلوه بسيد الشهداء

(١) بحار الأنوار ، ٦٥ : ٩١ / ح ٢٦ . المحاسن : ١٥٦ .

(صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ) وبأهل بيته وصحبه ؛ لأنَّ تلك قتلت الأبدان ، وحرمت أصحابها الحياة الدنيويَّة الزائلة ، بخلاف هذه ؛ فَإِنَّهَا تَقْتُلُ : أرواح أهل الْبَيْتِ (صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ) ؛ وعلومهم وعقائدهم ومعارفهم ، وتحرم أتباعهم ، بل جملة البشريَّة ، بل طُرَّ المخلوقات الحياة الأُخرويَّة الأبدية ، ومن ثمَّ لا قياس بين الخطرين والضَّرين والفتكين .

وكانت هذه القضية هي السبب في إعراض أو غفلة مُتكلِّمي الإماميَّة ؛ وأصحاب العقائد والمعارف عن كثير من أبواب وأبحاث العقائد والمعارف الثابتة في بيانات الوحي الوافرة الباهرة .

وعلى هذا قس : علم الفلسفة ؛ فَإِنَّ تبويبه وفهرسته ورسم خارطته جرت على وفق نتاج بشري ، بل اعترف أصحابها ^(١) بذلك ؛ فقالوا : إِنَّ الفلسفة تعني : معرفة حقائق الأشياء بقدر الطَّاقة البشريَّة .

وبين المعرفة على قدر الطاقة البشريَّة ؛ والتي مهما علت لا بُدَّ أَنْ تكون محدودة ومتناهية ، والمعرفة على وفق طاقة الوحي غير المتناهية وغير المحدودة فارق من دون قياس ؛ فَإِنَّ الثابت في محلِّه أَنَّهُ لا توجد نسبة رياضيَّة بين المحدود وغير المحدود ، فَإِنَّه مهما علت ووضعت للمحدود من قيمٍ وأرقامٍ إذا قيس لغير المحدود لا بُدَّ أَنْ تكون قيمة المحدود صفراً على جهة الشمال ؛ وإلَّا - أي : إذا جُعِلَ للمحدود قيمة وإن كانت ضئيلة

(١) مرجع الضمير : (الفلسفة).

جدّاً كالواحد مقابل التريون - لانقلبت ماهية غير المتناهي وغير المحدود وصارت متناهية ومحدودة ، وبطلان انقلاب الماهية ، بل واستحالتها من الواضحات ، بل خلف الفرض أيضاً .

ومن ثمّ التبويبات الجارية في علم الفلسفة - سواء كانت فلسفة : مشاء أو إشراق أو حكمة متعالية أو فلسفات غريبة حديثة أو فلسفات ألسنية أو فلسفات الهرمونطيقيا (الهرمونتيكيا) التعددية أو فلسفات الكلام الجديد - وحبس المباحث المعرفية والعقائدية ؛ وحشر مواد الوحي في هذه التبويبات البشرية كارثة علمية . وليس في هذا التعبير رجزٌ حماسيٌّ ، بل بكلّ هدوء وبكلّ قناعة أنّه : كارثة علمية ومعرفية وعقائدية .

وهذه القضية لأبد من التنبه إليها دائماً ؛ فإن أصل الفهرسة في علم : (الفقه) و(الأصول) و(الكلام) و(الفلسفة) و(التفسير) و(العرفان) وغيرها ، بل وفي أيّ أيّدولوجية حديثة أو قديمة نتاج بشريّ محدود ، وتبويباتها لا تشمل عالم الحقيقة غير المتناهية ، ولا تتسع لِمَا هو موجود في تراث الوحي أبداً ، بل قوالب وبنود أبواب معارف وعقائد نتاج البشري في علم : (الكلام) و(الفلسفة) و(العرفان) و(التفسير) تختلف عن قوالب وبنود بيانات الوحي ، ومن ثمّ يُحاول الكثير من الباحثين في المعارف والعقائد ليّ أعناق العبارات والقوالب الوحيانية ذات السعة والقوة والمتانة والرّصانة غير المتناهية ؛ ليستبدلها أو يحشرها في قوالب نتاج البشري ؛ الهزيلة والهشة والضّيقة .

الفائدة (٥٢)

[ترابط وثيق بين البحوث الكلامية وبحوث سائر المعارف]

يَجْدُرُ الْإِلْتِمَاتُ : أَنَّ كَثِيرَ مِنْ بَحُوثِ الْفِقْهِ وَأُصُولِهِ وَالتَّفْسِيرِ وَعِلْمِ الرِّجَالِ وَغَيْرِهَا مِنْ الْعُلُومِ وَالبَحُوثِ الدِّينِيَّةِ وَالشَّرْعِيَّةِ مَبْتَنِيَةٌ عَلَى الْبَحُوثِ الْكَلَامِيَّةِ ، وَمِنْ ثَمَّ مَنْ يَحْصِلُ لَهُ ضَعْفٌ فِي الْبَحُوثِ الْكَلَامِيَّةِ فَلَا بُدَّ أَنْ يَنْعَكِسَ ذَلِكَ الضَّعْفُ عَلَى تِلْكَ الْعُلُومِ وَالأَبْحَاثِ ؛ وَيَحْصِلُ لَهُ تَلَقُّائِيًّا ضَعْفًا فِيهَا.

الفائدة (٥٣)

[الإيمان بالغيب باعث لتحصيل الفضائل والكمالات]

إِنَّ الْإِيمَانَ بِالْغَيْبِ أَسَاسُ أُسُسِ الْعِلْمِ وَالمَعْلُومَاتِ الْحَقَّةِ ، بَلْ لَوْلَا الْإِيمَانُ بِالْغَيْبِ لَمَا كَانَ هُنَاكَ بَاعِثٌ لِتَحْصِيلِ الْعِلْمِ وَسَائِرِ الْفَضَائِلِ وَالكَمَالَاتِ ، وَلَمَا كَانَتْ هُنَاكَ بَوَاعِثٌ لِلْحَرَكَةِ فِي أَيِّ عِلْمٍ مِنَ الْعُلُومِ ، سِوَاءَ أَكَانَ ذَلِكَ الْمَخْلُوقَ مَلْتَفِتًا إِلَى هَذِهِ الْقَضِيَّةِ أَمْ لَا .

وَلَعَلَّ هَذَا هُوَ مَا يُشِيرُ إِلَيْهِ بَيَانُ قَوْلِهِ تَقَدَّسَ ذِكْرُهُ : ﴿ ذَلِكِ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ * الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ ﴾^(١) .

الفائدة : (٥٤)

[لا بُدَّ من إعطاء العلوم الدينية حقها]

إنَّ العلوم المعرفية الدينية الوحيانية بعد ما كانت علوم ملكوتية
وجب النظر إليها ، والتعامل معها ، وعدم الإستهانة (والعياذ بالله تعالى)
بها .

الفائدة : (٥٥)

[تحوُّلٌ خطيرٌ في الفلسفة من زمن ابن سينا]

يَجْدُرُ الْإِلْتِفَاتُ : أَنَّهُ بَعْدَ أَنْ وَصَلَتِ النُّوبَةُ إِلَى ابْنِ سِينَا تَحَوَّلَتْ
الحكمة والفلسفة من نظرية وعملية إلى نظرية حَسْبُ ، وهذا تحوُّلٌ خطيرٌ ؛
صيرَ مسارها أضعف من سابقه ؛ لأنَّه أَقْصَى الْعَقْلِ الْعَمَلِيِّ وَدَلِيلِهِ .

وقد سَدَّ الْمُتَكَلِّمُونَ هَذَا النِّقْصَ الطَّارِئَ عَلَى الْأَدَلَّةِ الْعَقْلِيَّةِ ؛
لِإِعْتِمَادِهِمْ غَالِبًا عَلَى بُرَاهِينِ أُخِذَتْ مَوَادِّهَا مِنْ قُوَّةِ الْعَقْلِ الْعَمَلِيِّ ، فَمَادَّتَا
الحسن والقبح - وهما أساس العقل العملي - موادَّ برهانية .

وما ذهب إلى الأشاعرة من التفكيك بين الكمال والنقص ، والمدح
والذم ، والملائم وغير الملائم ، وقالوا : إِنَّ الْحَسْنَ يُطْلَقُ عَلَى مَعَانٍ ثَلَاثَةٍ
مغالطة في غير محلِّها ، لكنَّها انطلت على ابن سينا ومن جاء من بعده إلى
يومنا هذا ؛ فَإِنَّهُ لَا يَوْجَدُ مَدْحٌ صَادِقٌ مِنْ دُونِ كَمَالٍ ، وَلَا ذَمٌّ صَادِقٌ مِنْ

دون نقص ، بل هل يوجد فعل في الكون لا يلائمه الكمال ولا ينافره
النقص؟!!

الفائدة : (٥٦)

[غاية الفلسفة الغربية من تهميش العقل العملي]

تعتمد الفلسفة الغربية في العصر الراهن على قوة العقل النظري في
التوصل إلى النتائج من دون الإعتياد على قوة العقل العملي ؛ وذلك إغراءً
للشعوب ؛ واستعبادها بعد شلّ الضمائر وإماتتها ؛ من خلال بثّ ثقافتهم
المسمومة ، لاسيما في الوسط الشّبابي ، فيرؤجون بينهم - مثلاً - المطالبة
بالحقوق مع عدم تحمل المسؤولية والوظائف والواجبات .

الفائدة : (٥٧)

[بين ما تعرّض إليه المتكلمون والفلاسفة العموم من وجه]

لا بأس بالالتفات : أنّ النسبة المنطقية بين ما تعرّض إليه المتكلمون
من أبحاث ، وما تعرّض إليه الفلاسفة هي العموم والخصوص من وجه ؛
فهناك أبحاث وأبواب مؤثرة في المعارف تطرّق إليها علماء الكلام ، لكن لم
يتطرّق إليها الفلاسفة ، وهناك أبحاث وأبواب تطرّق إليها الفلاسفة ، لكن
لم يتطرّق إليها علماء الكلام .

الفائدة : (٥٨)

[نظرة حوزة النجف اتجاه الفلسفة]

إنَّ حوزة النجف ليست لها نظرة سلبية اتجاه الفلسفة - حديثة كانت أم قديمة ، إسلامية كانت أم يونانية أو علمانية ومادية أم غيرها - ، وإنما مرادها : عدم صحّة اعتكاف مُتعلّمها عليها ؛ وأن لا يجعلها قبلة وكعبة يحوم حومها ، وآية كُبرى ، ووحى لا يُدانيه ريب ؛ فإنّه نحو إفراط وغلوّ صارخ ، بل يجعل اتجاهه بعد تحصيل هذه العلوم البشريّة وغيرها في صراط الوحي ؛ فإنّ الاطلاع على آراء ونتائج البشر شيء ممدوح وراجح شرعاً ، وحثّ عليه بيانات الوحي .

فلاحظ :

بيان أمير المؤمنين ، عن أبي عبدالله (صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِمَا) قال : «سُئِلَ أمير المؤمنين عليه السلام عن أعلم النَّاسِ ، قال : مَنْ جَمَعَ عِلْمَ النَّاسِ إِلَى عِلْمِهِ»^(١) .

وإنّما الإشكال في الاعتكاف عليها ؛ فإنّه بدل سوء ، ونظرة خاطئة تؤدّي إلى الحرمان ، وتحجير للعقول وإماتة للحقائق ، وغلوّ وتطرّف مقيت في الفلسفة ونتائج البشر ، و تقصير خطير في حقّ بيانات الوحي .

وهذا ليس خطأً لمقام الفلسفة والعلوم البشريّة وأصحابها ، وإنّما بيان

(١) بحار الأنوار ، ١ : ١٦٧ / ح ١٠ .

حقيقة وتنبية على شيءٍ جسيم جرى على غير أصلٍ فنيٍّ وقاعدة صناعيةٍ ؛ فيكون منهج خُدعةٍ مخالف لصريح ما قامت عليه بيانات الوحي البحور الخضم الزّآخرة ، والتي يعب عباها وتصطخب أمواجها ، وفيها درر زاهرة وجواهر ناصعة ، ونور ساطع في العقل البشري يتجلّى كالشمس الضّاحية ، وهناك يخسر المبطلون ، ويعرف الباطلون غبّ ما أسّسه الأوّلون ؛ فإنّ معارف وكلمات ومعاني وحقائق نتاج الفلاسفة ، بل جملة البشر مهما علا شأنها وشأوها تبقى محدودة ، بخلاف معارف وكلمات ومعاني وحقائق بيانات الوحي ، فإنّها غير متناهية ، ولا توجد نسبة رياضية بين المتناهي وغير المتناهي ؛ فإنّه مهما أضيف إلى المتناهي من قيم يبقى متناهياً ، بخلاف غير المتناهي ، فإنّه مهما أخذ منه يبقى غير متناهي فتكون نسبة المتناهي إلى غير المتناهي لا شيء وشفراً على جهة الشمال ، وإلّا - أي : لو جعل للمتناهي قيمة ولو واحد بالمليار - لانقلبت النسبة ؛ وصار غير المتناهي متناهياً ، وبطلان انقلاب النسبة من أوضح الواضحات ، بل وخلف الفرض .

وعليه : كيف يصغي الفلاسفة ومن جرى على شاكلتهم إلى كلمات البشر ونظرياتهم ويتأمل ويتدبّر فيها بترويٍّ ومحاولة استخراج أبعادها ، ولا يُتروى ولا يُعتنى ببيانات الوحي وأحكامه ومعارفه ، فأيّ قسمةٍ ضيّزى ؛ ومنهجٍ وعلمانيةٍ وعمايةٍ هذه ، وأيُّ قضيةٍ مثيرةٍ للتعجب والغرابة والشناعة هذه ؛ فإنّه بعدما كان شعار أصحاب الفلسفة - مشاء أو اشراق أو حكمة متعالية كانوا أم ماديون أم غيرهم - وشعار بحوثهم : عقلية حيادية ؛ تدور

وراء كُلِّ واقعية وحقيقة ووراء كُلِّ شاردة وواردةٍ منها ، لكنَّهم أَوَّل مَنْ يُخالفه من دون برهانٍ ولا مبررٍ عقليٍّ أو نقليٍّ إِلَّا دعوى: أَنَّ الأخذ بالوحي تعبُدٌ ظنيٌّ ومن مقولة الإنقياد المُبهم ، لكنَّها أعظم ظلامه وقطيعة بين بني البشر وبيانات الوحي ورجالاته ؛ فَإِنَّ معنى التَّعبُدِ بِالْفَظ الوحي هو: التَّمسُّك بقوالب بياناته والغور في بحور معانيها وحقائقها الطَّمطامة غير المتناهية.

إِذَنْ: ليس معنى التَّعبُدِ ببيانات الوحي الجمود على ألفاظها وعناوينها؛ فَإِنَّ ذَلِكَ حَشَوِيَّةٌ وقشريَّةٌ مذمومة شرعاً وعقلاً ، بل التَّمسُّك بقوالب بيانات الوحي والغور في بحور معانيها وحقائقها الطَّمطامة المتلاطمة غير المتناهية أبد الأباد ودهر الدهور ، وهنا تكمن الصعوبة ، وتظهر حذاقة الفقيه المتضلع وقوة فقاوته.

وبالجملة : لم يتعامل الفلاسفة مع نتاج الوحي ورجالاته - الأنبياء والأوصياء والأصفياء عليهم السلام - وسدُّوا أبوابهم من هذه الجهة ، مع أَنَّهُ ينبغي لهم أَنْ يتعاملوا معه ومعهم على أدنى التقادير كتعاملهم مع نتاج البشر ورجالاته وأتَّهم أصحاب علم ومعلومة ، فما بال (باء) هؤلاء تجر (باء) بيانات الوحي ورجالاته لا تجر ، وما بال صاحب كتاب (نهاية الحكمة) ينقل عن أرسطو وهيكُل وكانت (Kant) وغيرهم ويتعامل مع كلماتهم ونتائجهم ولا ينقل ولا يتعامل البتَّة مع كلمات أهل البيت (صلوات الله عليهم) وبياناتهم وعلومهم ومعارفهم؟! ولماذا اللُّغة العقلية والذوقية متوفرة

في كلمات أولئك البشر وغير متوفرة في كلمات أهل البيت عليهم السلام وبياناتهم وعلومهم ومعارفهم؟! فهل أئمتهم (صلوات الله عليهم) لم يخوضوا - والعياذ بالله تعالى - في البحوث والعلوم العقلية والذوقية؟ لكن بياناتهم (صلوات الله عليهم) ، بل وبيانات القرآن الكريم طافحة بتلك الأبحاث والعلوم .

ولا توجد ردود وأجوبة برهانية وعقلية ونقلية لدى الفلاسفة وغيرهم على جملة هذه الأسئلة وغيرها .

وعليه : فلا يَتَمَسَّكُ بمثل هذه المناهج إلا من تدهور في هوة الضلالة ، وقذف به تعصبه في أرحبة الجهالة ، بل هي كفر وخروج عن حوزة الإيمان وحيطة الإسلام ، وفيها استجابة لهتاف الشيطان الغوي ، وإطفاء لنور الدين الجلي ، وفيها من الظلم والجور ما لا يتحمّله أحد . وهذه حقيقة ناصعة اصفقت على إثباتها بيانات الوحي التي يفوتها العد والحصر ، المتجلية كالشمس الضاحية بأوضح دلالة وأبين ظهور في ذمها وذم أصحابها ، فمن شاء فليؤمن ، ومن شاء فليكفر ، إن يوم الفصل كان ميقاتاً ، يوم تشخص فيه الأبصار ، وتظلم له الأقطار ، ويعطل فيه حروم العسار ، وينفخ فيه الصور فتزهق كل مهجة ، وتبكم كل لهجة ، وتذل الشم الشوامخ ، والصم الرواسخ ؛ فيصير صلدها سراياً رقرقاً ، ومعهدا قاعاً سملقاً ، فلا شفيع يشفع ولا حميم ينفع ، ولا معذرة تدفع ، فهلمّ معي لنكشف نقاب جملة من تلك البيانات الوحيانية ، ونطلع على لبابها :

١- بيان قوله جلّ قوله : ﴿ قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ

الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تُتَفَدَّ كَلِمَاتُ رَبِّي وَتُوجَّحَنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا»^(١).

٢- بيان قوله عزَّ قوله : ﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ﴾^(٢).

٣- بيان قوله عزَّ من قائل : ﴿مَا عِنْدَكُمْ يُنْفَدُ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ بَاقٍ﴾^(٣).

٤- بيان خطبة سيّد الأنبياء ﷺ : «... معاشر النَّاسِ ، ما من علمٍ إلَّا وقد أحصاه الله فيّ ، وكلُّ علمٍ علمته فقد أحصيته في إمام المتّقين ، وما من علمٍ إلَّا وقد علّمته عليّاً ، وهو الإمام المبين ، معاشر النَّاسِ ، لا تضلُّوا عنه ، ولا تنفروا منه ، ولا تستنكفوا من ولايته ، فهو الذي يهدي إلى الحقِّ ، ويعمل به ، ويزهق الباطل وينهى عنه ... فاحذروا أن تُخالفوه فتصلوا ناراً وقودها النَّاسُ والحجارة أُعدَّت للكافرين ...»^(٤).

٥- بيان وصيّة أمير المؤمنين صلوات الله عليه لكميل بن زياد رحمه الله : «... يا كميل ، لا تأخذ إلَّا عنّا تكن منّا ، يا كميل ، ما من حركةٍ إلَّا وأنّت محتاج فيها إلى معرفةٍ ... إنّها المؤمن من قال بقولنا ، فمن تخلف عنّا قصر عنّا ، ومن قصر عنّا لم يلحق بنا ، ومن لم يكن معنا ففي الدّرك الأسفل

(١) الكهف : ١٠٩.

(٢) لقمان : ٢٧.

(٣) النحل : ٩٦.

(٤) بحار الأنوار ، ٣٧ : ٢٠١ - ٢١٨ / ح ٨٦ . اليقين : ١١٣ - ١٢٥ .

من النَّارِ...»^(١).

٦- بيانه صلوات الله عليه أيضاً : «... ذهب النَّاسُ إلى عيونِ كدرَةٍ يفرغ بعضها في بعض ، وذهب مَنْ ذهب إلينا إلى عين صافية تجري بأُمور^(٢) لا نفاذ لها ولا انقطاع»^(٣).

٧- بيان الإمام الباقر صلوات الله عليه : «مَنْ دان الله بغير سماع عن صادق ألزمه الله التيه إلى يوم القيامة»^(٤).

٨- بيانه صلوات الله عليه أيضاً : «كُلُّ ما لم يخرج من هذا البيت فهو باطل»^(٥).

٩- بيانه صلوات الله عليه أيضاً : «أَمَّا إِنَّه ليس عند أحد علم ولا حَقٌّ ولا فتياً إِلَّا شيءٌ أخذ عن عَلِيِّ بن أَبِي طالب عليه السلام وعنا أهل البيت ... فإذا اختلف عليهم أمرهم قاسوا وعملوا بالرأي ، وكان الخطأ من قبلهم إذا قاسوا ، وكان الصَّواب إذا اتَّبَعوا الآثار من قبل عَلِيِّ عليه السلام»^(٦).

(١) بحار الأنوار ، ٧٤ : ٢٦٦ - ٢٧٧ / ح ١.

(٢) في المختصر : (تجري بأمر ربها).

(٣) بحار الأنوار ، ٢٤ : ٢٥٣ / ح ١٤ . بصائر الدرجات : ١٤٦ . مختصر البصائر : ٥٥ .

(٤) بصائر الدرجات ، ١ : ٤٩ / ح ٦٢ - ٢ .

(٥) مختصر البصائر : ٩٨ / ح ١٧٩ - ٢٠ .

(٦) بحار الأنوار ، ٢ : ٩٥ / ح ٣٦ .

١٠- بيانه صلوات الله عليه أيضاً : «... ألا تأخذون الذهب من الحجر؟ ألا تقتبسون الضياء من النور الأزهر؟ ألا تأخذون اللؤلؤ من البحر؟ خذوا الكلمة الطيبة ممن قالها وإن لم يعمل بها ؛ فإن الله يقول : ﴿الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ﴾ (١) ...» (٢).

١١- بيان الإمام الصادق صلوات الله عليه : «... والله لحسبكم أن تقولوا إذا قلنا ، وتصمتوا إذا أصمتنا ، ونحن فيما بينكم وبين الله ؛ فما جعل الله لأحدٍ خيراً في خلاف أمرنا» (٣).

١٢- بيانه صلوات الله عليه أيضاً : «نحن أصل كل خير ، ومن فروعنا كل برّ... وكذب من قال : إنه معنا وهو مُتعلّق بفرع غيرنا» (٤).

١٣- بيانه صلوات الله عليه أيضاً : «... تمصّون الرواضع وتدعون النهر العظيم. فقيل : ما تعني بذلك ؟ قال : إن الله تعالى أوحى إلى رسول الله ﷺ علم النبيين بأسره ، وعلمه الله ما لم يعلمهم ، فأسرّ ذلك كله إلى

(١) الزمر : ١٨ .

(٢) بحار الأنوار ، ٧٥ : ١٧٠ / ح ٤ . تحف العقول : ٢٩١ .

(٣) بحار الأنوار ، ١٧ : ٣ / ح ١ . بصائر الدرجات ، ٢ : ٢٣٨ / ح ١٣٦٧ - ٤ .

(٤) بحار الأنوار ، ٢٤ : ٣٠٣ - ٣٠٤ / ح ١٥ . كنز الفوائد : ٢ - ٣ .

أمير المؤمنين عليه السلام (...)^(١).

١٤- بيانه صلوات الله عليه : «... لم نزل أنواراً حول العرش نُسَبِّح فيُسَبِّح أهل السماء لتسييحنا ، فلمَّا نزلنا إلى الأرض سَبَّحنا فسَبَّح أهل الأرض ، فكلُّ علمٍ خرج إلى أهل السماوات والأرض فمَنَّا وعنَّا...»^(٢).

١٥- بيانه صلوات الله عليه أيضاً : «... ما من شيءٍ يحتاج إليه ولد آدم إلا وقد خرجت فيه السُّنة من الله ومن رسوله ، ولولا ذلك ما احتجَّ علينا بما احتجَّ ... ﴿إِیَوْمَ اكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي﴾^(٣) - حتَّى فرغ من الآية - ؛ فلو لم يكمل سنَّته وفرائضه وما يحتاج إليه النَّاس ما احتجَّ به»^(٤).

ودلالة الجميع واضحة.

وعصارة القول: أنَّ مسير البحث عند الفلاسفة - ومن جرى على شاكلتهم - غير منفتح على آفاق الوحي ، بل محبوس على نتاج البشر ، وهو محدود ومتناهي ، بل جملة كبيرة وكثير ممَّا يعتمدون عليه وإن كانت صورته قطعاً و يقيناً لكن واقعه ظناً ؛ بدليل : اختلاف وتباين أقوالهم وآراؤهم في جلِّ المسائل ، والأولى بالشعار الذي يرفعه الفلاسفة - وهو : معرفة الحقيقة

(١) بحار الأنوار ، ٤٠ : ٢١١ - ٢١٢ / ح ١١ . مختصر البصائر : ١٠٨ .

(٢) بحار الأنوار ، ٢٥ : ٢٤ / ح ٤١ .

(٣) المائدة : ٣ .

(٤) بصائر الدرجات ، ٢ : ٤٨١ - ٤٨٢ / ح ١٨٥٢ - ٥١ .

على قدر وسع الطّاقة البشريّة - أن لا يجسوا مسير البحث ويجعلوه ضيقاً ، بل توسعته لأفق الوحي غير المتناهي أبداً ؛ لاستخراج ما فيه من براهين وحقائق علمية ومعرفية .

بعد الإلتفات : أنّ لغة بيانات الوحي المعرفيّة لغة علميّة وعقليّة ومعرفيّة تكوينيّة ، وليست ظنيّة.

الفائدة : (٥٩)

[إقصاء الفلاسفة ومن شاكلهم لرجالات الوحي]

[إنكفاء أصحاب المذاهب الإسلاميّة عن أهل البيت عليهم السلام]

إنّه بعدما لم يكن الأنبياء والأوصياء عليهم السلام خارجين عن دائرة البشريّة فلماذا يقصي كلامهم الفلاسفة ومن جرى على شاكلتهم ، بل هذه المؤاخذه تُسجّل أيضاً على أصحاب المذاهب الإسلاميّة ؛ فإنّهم إنكفؤوا ولم يتعاطوا مع أهل البيت الأطهار (صلوات الله عليهم) كما تعاطوا مع غيرهم^(١) ، مع أنّ مدرسة أهل البيت عليهم السلام منفتحة على الجميع ، وتلك كُتُبنا مملوءة بأقوال أصحاب المذاهب ، بل هناك أقوال لهم لم تُحفظ إلّا في كُتُب أصحابنا ، ك :

(١) توجد لدى أهل الخلاف كُتُب حديثيّة وكُتُب تفسيريّة - كتفسير الثعلبي - وكُتُب دورات رجاليّة مخطوطة كثيرة ختموا عليها بعدم الطبع ؛ لإحتوائها على ذكر فضائل وتراجم أهل البيت عليهم السلام ورواة وفقهاء مدرستهم عليهم السلام ، وهذا من الأمور الخطيرة (والعياذ بالله تعالى) لإبادة السنّة الشريفة.

كتاب : (الخلاف) ، و (التبيان) للشيخ الطوسي ، و (مجمع البيان) للطبرسي ، وهذا خير دليل على انفتاح مدرسة أهل البيت عليهم السلام وأتباعهم .

الفائدة : (٦٠)

[أعظم ظلم جرى على أهل البيت والمخلوقات إقصائهم عليهم السلام عن دورهم التعليمي]

إنَّ أعظم ظلم جرى على البشرية ، بل على جملة المخلوقات لا يكمن في إقصاء أهل البيت (صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ) عن الحُكْم ودورهم السياسي ؛ وإقامتهم للعدل الإلهي بين بني البشر - سواء كان عدلاً اقتصادياً أو تجارياً أو أمنياً أو مجتمعياً أو غيرها - ، بل في إبعادهم عن أن يكونوا مُعَلِّمين وهداة ومرشدين ومزكّين إلهيين للبشرية جمعاء .

بعد الالتفات : أنَّ المخلوق يصبح حيواناً وبهيمةً ، بل أضلّ سبيلاً من دون نور العِلْم ، فأعظم شيء في كمال المخلوق تنمية : (روحه) ، و(عقله) ، و(قلبه) ، و(نوره) .

فانظر : بيانات الوحي ، منها :

١- بيان أمير المؤمنين (صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ) في وصيته لكميل بن زياد عليه السلام : « ... يا كميل ، احفظ عني ما أقول لك : الناس ثلاثة : عالم رباني ، ومُتعلِّم على سبيل نجاة ، وهمج رعا ، أتباع كل ناعق ؛ يميلون مع كل

ريح ، لم يستضيئوا بنور العلم ، ولم يلجأوا إلى ركن وثيق ...»^(١).

٢- بيان الإمام الصادق (صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ) : «النَّاسُ إِثْنَانٌ : عَالِمٌ ،
وَمُتَعَلِّمٌ ، وَسَائِرُ النَّاسِ هَمَجٌ ، وَهَمَجٌ فِي النَّارِ»^(٢).

والمراد : من (سائر الناس) : باقي الناس ، باتِّفاق أهل اللُّغة ، كما في
اللِّسان .

والمراد : من (الهَمَج) - بالتَّحريك - جمع هَمَجَة ، وهي : ذباب صغير
كالبَعُوض يسقط على وجوه الغنم والحمير وأعينها . ذكره الجوهري .

وبالجملة : مقام سيِّد الأنبياء وسائر أهل الْبَيْتِ (صَلَوَاتُ اللَّهِ
عَلَيْهِمْ) في كونهم مُعَلِّمين وهداة ومرَبِّين ومُزَكِّين إلهيين أعظم من مقام
الولاية السياسيَّة ، ومقام القيادة والقدرات الماليَّة والعسكرية .

[معنى عنوان (المظلومية) الوارد في منهج الوحي]

ثُمَّ إِنَّهُ يَجِدُرُ الْإِلْتِفَاتِ : أَنَّ (المظلومية) في منهج الوحي الإلهي ليس
معناها : (استضعاف الإنسان لنفسه ، وانكفائه وانكساره وتخاذله) - كما
عليه منهج النصرانية المنحرفة ، وما تُرَوِّجُ إليه الثقافة الغربية تحت عنوان :
(التَّسامح والتَّساهل) ؛ لضعفة الشُّعوب المحرومة - بل معناه : الإيعاز

(١) بحار الأنوار ، ١ : ١٨٨ / ح ٤ .

(٢) المصدر نفسه : ١٨٧ / ح ٣ .

للمظلوم أن يكون عفواً وغفوراً ، وأن لا يستوفي من الظالم - إن تمكّن منه - أكثر من حقه .

وهذا المعنى ظهر جلياً في تعامل أهل البيت - سيّد الأنبياء وسائر أهل البيت - (صلوات الله عليهم) مع مَنْ ظلمهم بعد التمكّن منه ، والنصوص الوحيانيّة والتأريخيّة مشحونة بتلك السيرة فاطرها تسمع الجواب واضحاً وجليّاً .

الفائدة : (٦١)

[الترابط في إدارة الأرض والملكوت]

[آدم عليه السلام خليفة بالوكالة عن أهل البيت عليه السلام]

إنّ ما ورد في بيانات الوحي ، منها :

١- بيان قوله تعالى : ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِيهَا مِنَ الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ * وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ * قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ * قَالَ يَا آدَمُ أَنْبِئْهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ فَلَمَّا أَنْبَأَهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ الْغَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَعْلِمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ * وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ

وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ ﴿١﴾

٢- بيان سيّد الأنبياء ﷺ ، مخاطباً أمير المؤمنين صلوات الله عليه :
 «... يا عَلِيُّ ، إِنَّ الله تبارك وتعالى فَضَّلَ أنبياءه المرسلين على ملائكته
 الْمُقَرَّبِينَ ، وَفَضَّلَنِي على جميع النَّبِيِّينَ والمرسلين ، والفضل بعدي لك يا
 عَلِيُّ ولِلْأَيْمَّةِ من بعدك ، وَإِنَّ الملائكة لَخَدَّامُنَا ... لِأَنَّ أَوَّلَ ما خلق الله ﷻ :
 خلق أرواحنا ، فَأَنطَقْنَا بتوحيده وتحميده ثُمَّ خلق الملائكة فَلَمَّا شاهدوا
 أرواحنا نوراً واحداً استعظموا أَمْرُنَا فَسَبَّحُنَا ؛ لتعلم الملائكة أَنَّا خلق
 مخلوقون ، وَأَنَّهُ مُنَزَّهٌ عن صفاتنا ، فَسَبَّحَتِ الملائكة بتسبيحنا ونزّهته عن
 صفاتنا ... فبنا اهتدوا إلى معرفة توحيد الله وتسبيحه وتهليله وتحميده
 وتمجيده. ثُمَّ إِنَّ الله تبارك وتعالى خلق آدم فأودعنا صلبه وأمر الملائكة
 بالسجود له تعظيماً لنا وإِكْرَاماً ، وكان سجودهم لله ﷻ عبوديةً ، ولآدم
 إِكْرَاماً وطاعةً لكوننا في صلبه ... وقد سجدوا لآدم كُلِّهِمْ أَجْمَعُونَ ...» (٢).

براهين وحياتية دالة - بقرينة سجود الملائكة وما شاكله - على أَنَّهُ لا
 يصلح مَنْ يُدِيرُ الأَرْضَ إِلاَّ أَنْ يكون هو المدير للملكوت.

ودالة أيضاً على أَنَّ خليفة الله ﷻ العادل في الأَرْضِ ليس آدم ﷻ ؛

(١) البقرة: ٣٠ - ٣٤.

(٢) بحار الأنوار ، ١٨ : ٣٤٥ - ٣٤٧ / ح ٥٦ . علل الشرائع : ١٣ - ١٤ . عيون أخبار

الرِّضَا ﷻ : ١٤٤ - ١٤٦ .

فإنه خليفة بالوكالة ، بل قادة إلهيون أرفع مقامات وأخطر أحوالاً وشؤوناً ومسؤوليات إلهية ، وهم أهل البيت (صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ) ، المشار إليهم في عديد من بيانات الوحي ، منها: آية المودّة ^(١) ، وآية الفياء ^(٢) .

ومنه تتضح: نُكْتة ربط الأحكام الإلهية في النشأة الأرضية بمنظومة ملائكة ومخلوقات السموات والأرضين والآخرة الأبدية وما بعدها من عوالم غير متناهية.

وهذا هو معنى: ' أن هناك نُظم في ولاية أمير المؤمنين ، وولاية فاطمة الزهراء وسائر أهل البيت (صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ) في جملة عوالم الخلقة ، ومن ثم جعلت يد ساحة القدس الإلهية إدارتها بأيديهم بعد سيد الأنبياء (صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ). وهذا منطوق وحياني.

الفائدة: (٦٢)

[علمُ الكلام لم يكن حرباً وقلعة مهمة للدفاع عن المنهج الحق]

إنَّ الطَّرح الكلامي لمباحث ومقامات الوصايا والإمامة الإلهية لأهل البيت (صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ) في علم الكلام أدنى مستوى من الطَّرح الفلسفي والعرفاني ؛ فإنه يتناول وصايتهم (صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ) وإمامتهم الإلهية وينتهي إلى أنهم بشرٌ عاديون ، نعم ، مفترضو الطاعة ،

(١) الشورى: ٢٣ .

(٢) الحشر: ٧ .

وَمُسَدَّدُونَ مِنَ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى ، وَمَعَهُمْ مَلَائِكَةٌ يُسَدِّدُونَهُمْ وَيُوجِّهُونَهُمْ ،
 وَيَفْتَحُونَ (صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ) أَوْ رِاقاً وَصَحْفاً وَرِثُوهَا عَنْ سَيِّدِ
 الْأَنْبِيَاءِ ﷺ ، وَيَقْرَؤْنَهَا وَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهَا . وَقَدْ غَفَلَ الْبَحْثُ الْكَلَامِي عَنْ
 عُلُومِهِمْ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَمَعَارِفِهِمُ الرُّوحِيَّةَ وَالنُّورِيَّةَ وَالْمَلَكُوتِيَّةَ الْإِلَهِيَّةَ ، وَانْشَغَلُوا
 بِهَذَا الْمَسْتَوَى وَالطَّرْحَ الْهَابِطَ وَالْبَحْثَ الْقَشْرِي ، وَلَمْ يَلْتَفِتُوا لَوَاقِعِ الْبَحْثِ
 وَخَطُورَتِهِ .

بَلِ الْبَحْثِ الْفَلَسْفِيِّ وَالْعُرْفَانِيِّ لِأَتْبَاعِ مَدْرَسَةِ أَهْلِ الْبَيْتِ (صَلَوَاتُ
 اللَّهِ عَلَيْهِمْ) وَإِنْ كَانَ أَرْقَى مِنْ هَذَا الطَّرْحِ الْكَلَامِيِّ ، لَكِنَّهُ لَمْ يَرْتَقِ لَوَاقِعَ
 بَحْثِ الْوَصَايَا وَالْإِمَامَةِ الْإِلَهِيَّةِ الْوَارِدِ فِي بَيَانَاتِ الْوَحْيِ الْقَطْعِيَّةِ ، وَتَاهَتْ
 أَبْحَاثُهُمْ عَنْ بَلُورَةِ وَهَنْدَسَةِ مَا وَرَدَ فِي تِلْكَ الْبَيَانَاتِ الْوَحْيَانِيَّةِ ؛ فَإِنَّهُمْ
 قَالُوا: إِنَّ الْوَصَايَا وَالْإِمَامَةَ الْإِلَهِيَّةَ عَصْمَةٌ رُوحِيَّةٌ وَنُورٌ مَلَكُوتِي ، لَكِنَّهُ لَا
 زَالَ دُونَ وَاقِعِ الْبَحْثِ الَّذِي تَرَسَّمَهُ بَيَانَاتُ الْوَحْيِ .

وَهَذِهِ قَضِيَّةٌ وَاضِحَةٌ ، بَلِ هَذِهِ الْأَبْحَاثُ مُوَلَّدَةٌ لِانْطِبَاعَاتٍ عَنْ مَقَامِ
 الْوَصَايَا وَالْإِمَامَةِ الْإِلَهِيَّةِ كَانْطِبَاعَاتٍ جَمْهُورِ الْعَامَّةِ عَنْهَا .

وَهَذَا لَيْسَ سَبَباً وَحَطّاً مِنْ مَقَامِ أَوْلَيْكَ ، وَلَا ذِمّاً لِعِلْمِ الْكَلَامِ ، وَإِنَّمَا
 بَيَانٌ وَاقِعٌ ؛ وَأَنَّ عِلْمَ الْكَلَامِ لَمْ يَكُنْ حَرْبَةً وَقَلْعَةً مُهْمَةً مِنْ حَرَابِ وَقِلَاعِ
 الدِّفَاعِ عَنِ الْمَنْهَجِ الْحَقِّ ؛ مِنْهَجِ أَهْلِ الْبَيْتِ (صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ) ، بَلِ لِأَبَدِّ
 أَنْ يَبْقَى حَيّاً وَمَتَنَامِيّاً وَمُتَطَوِّراً ، وَمَعَ هَذَا لَا يُجْبَسُ وَاقِعُ الْمَعَارِفِ بِمَا تَوْصَلُ
 إِلَيْهِ ، وَمَا تَوْصَلُ إِلَيْهِ عِلْمُ الْفَلَسْفَةِ وَالْعُرْفَانِ ؛ لِكُونَ الْجَمِيعِ قِرَاءَةً وَنَتَاجَ

بشريّ محدود بمحدوديّة قوى وإمكانيّات البشر ، والوقوف على تلك القراءات وذلك النتاج تحجير للعقول وإماتة للحقائق ، بخلاف نتاج الوحي ؛ فإنّه نظام لا يختل ولا يتبدّل ولا يختلف ولا يتخلف أبداً ، حاوي على قوالب وعلوم ومعلومات ومعارف ومعاني وحقائق غير متناهية أبد الآباد ودهر الدهور ، وَمَنْ آتَاهُ عَرَفَ مِنْ أَيْنَ تَوَكَّلَ الْكَتِفَ ، ووجد أنّ كلّ الصيّد في جوف الفراء ، بل من تقدّمه غرق في بحر الإفراط ، وَمَنْ تَأَخَّرَ عَنْهُ زَهَقَ فِي بَرِّ التفریط ، ويتنشل من يتمسك به من الظلمات والغواشي ، ويُخرجه من الحُجُب الظلمانيّة ، ويُقرّ به في عالم النور والبهاء والسرور والحبور ، وهذا ما تشير إليه بيانات الوحي ، منها :

١- بيان قوله عزّ من قائل : ﴿ قُلْ لَوْ كَانِ الْبَحْرُ مَدَادًا لَكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تُنْفَذَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا ﴾^(١).

٢- بيان قوله جلّ قوله : ﴿ وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ ﴾^(٢).

٣- بيان قوله عزّ قوله : ﴿ مَا عِنْدَكُمْ يُنْفَذُ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ بَاقٍ ﴾^(٣).

ودلالاتها واضحة.

(١) الكهف: ١٠٩.

(٢) لقمان: ٢٧.

(٣) النحل: ٩٦.

بل بيانات الوحي حاوية وشاملة لجملة العلوم والمعارف والحقائق غير المتناهية ، ولا يشذُّ عنها شيئاً أبداً .

فانظر :

بيان قوله جلَّ شأنه : ﴿وَزُلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ بُيُوتًا لِكُلِّ شَيْءٍ﴾^(١) .

وهذه ضابطة وحيائية عامة ، جامعة مانعة .

وعليه : فينبغي للمخلوق أن لا يتوهم بوقوف معارف بيانات الوحي وعلومها ومعانيها وحقائقها عند حدٍّ مُعَيَّن ، وإلا ارتطم بالتقصير الجارِّ إلى الغلوِّ ، على وفق القاعدة : « أن في كلِّ تقصيرٍ غلوًّا ، وفي كلِّ غلوِّ تقصيراً » ، فتدبَّر جيِّداً ؛ فإنَّهما - أي : الغلوِّ والتقصير - وجهان لعملةٍ وحقيقةٍ واحدةٍ ، وخطورة أحدهما عين خطورة الآخر ، والنَّجاة في سلوك المنزلة الوسطى (الأمر بين الأمرين) ، جادة أهل البيت (صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ) ، التي لا تُخْرَجُ إلى عَوْجٍ ، ولا تُزِيلُ عن منهج الحقِّ ، نعم هي دقيقة الوزن ، حادة اللسان ، صعبة التَّرْقِي حتى على الحاذق اللَّيِّب .

وهذا ما تُشير إليه بيانات الوحي ، منها :

بيان زيارتهم (صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ) الجامعة : « ... فالرَّاغِبُ عنكم مارق ، واللازم لكم لاحق ، والمُقَصِّرُ في حقِّكم زاهق ، والحقُّ معكم وفيكم

ومنكم وإيكم ، وأنتم أهله ومعدنه ...»^(١).

ودلالته واضحة.

لكن : يحتاج السائر على نهج أهل البيت (صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ) إلى سيرٍ مُبْرَهَنٍ وموزونٍ بالضوابط والقواعد العلميّة والمعرفيّة الوحيانيّة والعقليّة.

وإلى هذا تُشير بيانات الوحي ، منها :

بيان سيّد الأنبياء في وصيّته لأَمير المؤمنين (صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهَا وَعَلَى آلِهِمَا) : «... يَا عَلِيُّ ، إِنَّ هَذَا الدِّينَ مَتِينٌ فَأَوْغَلْ فِيهِ بَرَفَقٍ ...»^(٢).

وعصارة القول : يحتاج مَنْ يبغى إِبصار الحقيقة إلى الغوص والغور في بطون بحور علوم ومعارف الوحي غير المتناهية ؛ على وفق الموازين العلميّة والمعرفيّة الوحيانيّة والعقليّة ، وإلّا لارتطم بالخبط والخلط ، والوقوع في الزيغ والضلال والانحراف.

والوقوف والجمود على استنتاجات البشر في عِلْم الكلام والفلسفة والعرفان وغيرها حَسْبُ للوصول إلى الحقيقة من دون الاتِّكاء على بيانات الوحي حوالة على مُفلس ، وكَمَن يتعلّق بنسيج العنكبوت للعروج إلى أسباب السّموات ، بل تُسبّب له الوقوع في الهلكة. والحقُّ يكمن في

(١) بحار الأنوار ، ٩٩ : ١٢٩ .

(٢) المصدر نفسه ، ٦٨ : ٢١٣ - ٢١٤ / ح ٨ . الكافي ، ٢ : ٨٧ .

استخراج ثوابت بيانات الوحي والسير على وفقها.

الفائدة : (٦٣)

[لأبَدٍ مِنَ التَّحَرُّرِ مِنْ ضَيْقِ الْمَشْرَبِ فِي مِتَابَعَةِ الْحَقِيقَةِ]

إِنَّ مَنْ يُرِيدُ تَحَرُّي الْحَقِيقَةِ فَعَلَيْهِ التَّحَرُّرُ مِنْ ضَيْقِ الْمَشْرَبِ وَالْمَدْرَسَةِ الَّتِي يَنْتَمِي إِلَيْهَا ، لَكِنِ الْوَاقِعُ يَشْهَدُ عَكْسَ ذَلِكَ ، وَإِلَّا فَلِمَاذَا لَا يَأْخُذُ الْفَلَسَفَةُ وَمَنْ جَرَى عَلَى شَاكِلَتِهِمْ بَيَانَاتِ الْوَحْيِ وَكَلَامِ رَجَالَاتِهِ ، وَمَا يَذْكُرُونَهُ مِنْ حُجَجٍ وَاهِيَةٍ جِدًّا . مَعَ أَنَّ الْكَثِيرَ مِنَ الْمَدَارِسِ الْبَشَرِيَّةِ - كَالْمَدْرَسَةِ الْفَلَسَفِيَّةِ - مَأْخُوذٌ فِي شِعَارِهَا عَدَمُ التَّعَصُّبِ فِي الْأَبْحَاثِ الْعِلْمِيَّةِ لِلْوَصُولِ إِلَى الْحَقِيقَةِ وَالنَّتَائِجِ الْحَقَّةِ .

وَمِنْ ثَمَّ كَثِيرٌ مِنَ الْإِشْكَالَاتِ وَالْإِعْتِرَاضَاتِ وَالشُّبْهَاتِ الْوَارِدَةِ وَالنَّاسِئَةِ عَلَى مَشْهَدِ الثَّقَافَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ وَالْإِيمَانِيَّةِ حَصَلَتْ نَتِيجَةُ الْبِنَاءِ عَلَى قَنَاعَاتٍ مَرْسُومَةٍ فِي الْمَدَارِسِ الْمَعْرِفِيَّةِ الْبَشَرِيَّةِ - ك : الْمَدْرَسَةِ : الْفَلَسَفِيَّةِ وَالْكَلامِيَّةِ وَالْعَرَفَانِيَّةِ وَالتَّفْسِيرِيَّةِ - .

الفائدة : (٦٤)

[لِكُلِّ عِلْمٍ لَغْتُهُ الْعِلْمِيَّةُ وَالْمَعْرِفِيَّةُ التَّوْحِيدِيَّةُ]

[لِكُلِّ قُوَّةٍ مِنْ قُوَى الْمَخْلُوقِ إِمْكَانِيَّةُ إِدْرَاكِ الْآيَاتِ الرَّبَّانِيَّةِ]

يَجْدُرُ الْإِلْتِفَاتُ : أَنَّهُ تُسَجَّلُ عَلَى مَشَارِبِ وَمَدَارِسِ الْبَشَرِ الْمَعْرِفِيَّةِ

بمختلف اتجاهاتها ملاحظات وأمور ، منها :

١- إنَّ في جملة مدارس البشر : مساحات بعضها بديهيةً وبيئةً ومُحَكِّمةً، والأخرى نظريةً في عُرْضَةِ الخطأ والإخفاق .

٢- لا توجد مَدْرَسَة بشرية قطُّ اسْتَوْعَبَتْ مطلق أبواب المعارف ، بل وكذا لا توجد مَدْرَسَة منها اسْتَوْعَبَتْ كافة اللُّغات العِلْمِيَّة.

وعليه : فعلى مَنْ يبتغي التنوع والتَّلَوُّن والأفق الشاسع ، وقراءة بيانات الوحي : عدم الانجباس بمشربٍ ومَدْرَسَة خاصَّة ، بل يُراجع ويَطَّلِع على المدارس المعرفية واللُّغات العِلْمِيَّة كافة ؛ كيما يكون أقرب للحقِّ والصَّواب ؛ فإنَّ لكلِّ عِلْمٍ من العلوم - كعِلْمِ : الهندسة ، والطب ، والكيمياء ، والفيزياء ، والرياضيات - لغته المعرفية الخاصة ؛ فالْمُتَخَصِّص بعِلْمِ الهندسة - مثلاً - يمكنه قراءة دلائل توحيدية لا يقرؤها المتكلم والفيلسوف والحكيم ؛ لأنَّ النظام الرياضي الهندسي في الكون أحد آيات عظمة الخلق الإلهية ؛ ولا يمكن للمتكلم والفيلسوف والحكيم من حيث هو قراءتها بقراءته.

وعلى هذا فقس غيرها من التَّخْصُّصَات^(١) ؛ فإنَّهم يقرؤون دلائل في

(١) يَجْدُرُ الْإِلْتِفَاتُ فِي الْمَقَامِ إِلَى الْأَمْرَيْنِ التَّالِيَيْنِ:

الأوَّلُ : أَنَّ الْمُتَخَصِّص - فِي كُلِّ الْعُلُومِ - إِذَا لَمْ يَطَّلِعْ عَلَى الْأُمُورِ وَالْمُبَاحِثِ وَالْبَحُوثِ الْمُسْتَجَدَّةِ فَسَيَتَخَلَّفُ لَا مَحَالَةَ عَنِ الرَّكْبِ شَعْرَ بَدَلِكِ أَمْ لَا.

التوحيد - من خلال المعاجز المذهلة في عظمة خلقة نسيج الإنسان أو المكوّنات الحيوانية في الحيوان أو في عالم النبات أو البيئـة - لم يقرءها المتكلم والفيلسوف.

وبالجملة : كُلُّ تَخْصُّصٍ يُمْكِنُ أَنْ تَكُونَ لُغْتُهُ الْعِلْمِيَّةُ فِي الْمَسَاحَاتِ الْبَدِيهِيَّةِ ، بَلِ وَالنَّظَرِيَّةُ لُغَةٌ مِنْ لُغَاتِ الْمَعَارِفِ .

بَلِ ، كُلُّ قُوَّةٍ مِنْ قُوَى الْإِنْسَانِ ، بَلِ مِنْ قُوَى جَمَلَةِ الْمَخْلُوقَاتِ يُمْكِنُ اسْتِخْدَامُهَا لِإِدْرَاقِ آيَاتِ رَبَانِيَّةٍ بَاهِرَةٍ دَالَّةٌ عَلَى عِظْمَةِ الْقُدْرَةِ الْإِلَهِيَّةِ ، بَلِ وَلِعَايِنَةِ عِظْمَةِ غَيْبِ الْغُيُوبِ سَبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَيَانًا .

وخذ على ذلك المثالين التاليين :

الأوّل : ما أدركه (سحرة فرعون) ؛ فَإِنَّهُمْ آمَنُوا بِالنَّبِيِّ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ ؛ لِمَتَّعَهُمْ بِقُدْرَةٍ رُوحِيَّةٍ ، وَهِيَ : (قدرة الخيال)^(١) ؛ فلكونهم نخبة وأصحاب

→ وهذه قضية مهمّة يَنْبَغِي الْإِلْتِفَاتُ إِلَيْهَا .
الثاني : أَنْ تَضَخَّمَ الْعُلُومَ - ك : عِلْمٍ : أَصُولِ الْفِقْهِ ، وَالْفَلَسَفَةِ ، وَالْكَلامِ - تَعَمَّقًا وَتَضَخُّمًا مُضْرًا وَأَمْرًا سَلْبِيًّا ، بَلِ وَجَهْلًا وَذَلِكَ إِنْ كَانَ خَوْضًا فِي التَّفَرِيغَاتِ حَسْبُ ؛ فَإِنَّهُ يُنْسِي الْمَحَاوِرَ الْأَصْلِيَّةَ .
 نعم ، إِنْ تَضَخَّمَ مَحْوَرِيًّا كَانَ مَفِيدًا وَنَمَوًّا لِلْعِلْمِ ؛ لِأَنَّهُ يُصَيِّرُ الْبَحْثَ وَالْبَاحِثَ أَكْثَرَ إِحْاطَةً بِالْمَحَاوِرِ .

هذان منهجان مُتَشَابِهَانِ ، لَكِنْ بَيْنَهُمَا كَمَالُ الْبَيْنُونَةِ .

(١) قدرة الخيال تختلف عن قدرة العقل .

خبرة في التَّصَرُّفِ في الصور الكونيَّة الماديَّة أدركوا من خلال ستار قدرة الغيب : أنَّ ما أتى به ﷺ ليس من عالم الخيال قَطُّ ، بل لمعان غيب ومعجزة ، وتجلِّي لقدرة الغيب القاهرة ، فأدركوا ما لم يُدرکه الحكماء والفلاسفة ، وأصحاب الرِّياضات والمعنويَّات والعرفان في زمانهم ، وسبقوهم للإيمان ، فسجدوا بخشوعٍ وخضوعٍ من دون مهلة ، فأصبحوا سحره كفرة ، وأمَّسوا شهداء بررة .

فلاحظ : بيانات الوحي ، منها :

بيان الإمام الصادق ﷺ : « ... ثُمَّ قَالَ فَرَعُونَ لِلْمَلَأِ الَّذِي حَوْلَهُ : ﴿إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ * يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ﴾ إلى قوله : ﴿لَمِيقَاتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ﴾^(١) وكان فرعون وهامان قد تعلَّما السِّحْرَ وَإِنَّمَا غَلَبَا النَّاسَ بِالسِّحْرِ ، وادَّعى فرعون الرُّبوبيَّة بالسِّحْرِ ، فلمَّا أصبح بعث في المدائن حاشرين ، مدائن مصر كلَّها ، وجمعوا ألف سَاحِرٍ ، واختاروا من الألف مائة ومن المائة ثمانين ، فقال السِّحْرَةُ لفرعون : قَدْ عَلِمْتَ : أَنَّهُ لَيْسَ فِي الدُّنْيَا أَسْحَرُ مِنَّا ، فَإِنْ غَلِبْنَا مُوسَى فَمَا يَكُونُ لَنَا عِنْدَكَ ؟ قَالَ : ﴿إِنَّكُمْ إِذَا لَمِنَ الْمُقْرَبِينَ﴾^(٢) عندي ، أشارككم في ملكي ... فلمَّا أرتفع النَّهَارُ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ ، وجمع فرعون الخلق والسِّحْرَةَ ، وكانت له قَبَّة

(١) الشعراء: ٣٤ - ٣٨ .

(٢) الشعراء: ٤٢ .

طولها في السماء ثمانون ذراعاً، وقد كانت لبست الحديد الفولاذ^(١)، وكانت إذا وقعت الشمس عليها لم يقدر أحدٌ أن ينظر إليها من لمع الحديد ووهج الشمس، وجاء فرعون وهامان وقعدا عليها ينظران، وأقبل موسى ينظر إلى السماء، فقالت السحرة لفرعون: إِنَّا نرى رجلاً ينظر إلى السماء ولم يبلغ سحرنا السماء، وضمنت السحرة مَنْ في الأرض، فقالوا لموسى: ﴿إِنَّمَا أَنْتَ تُلْقِي وَوَمَا أَنْتَ بِمُلْقُونَ﴾ * فآلقوا حبالهم وعصيهم^(٢)، فقالوا لهم موسى: ﴿الْقَوْمَ مَا أَنْتُمْ مُلْقُونَ﴾ * فآلقوا حبالهم وعصيهم^(٣) فأقبلت تضرب مثل الحيات وهاجت، فقالوا: ﴿بِعِزَّةِ فِرْعَوْنَ إِنَّا لَنَحْنُ الْعَالِيُونَ﴾^(٤) ﴿فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةَ مُوسَى﴾^(٥) فنودي: ﴿لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنْتَ الْأَعْلَى﴾ * وآلق ما في يمينك تلقف ما صنعوا إنما صنعوا كيدٌ ساحرٌ ولا يفلح الساحر حيث أتى^(٦) فألقى موسى العصا فذابت في الأرض مثل الرصاص ثم طلع رأسها وفتحت فاهها ووضعت شدقها العليا على رأس قبة فرعون، ثم دارت^(٧) والتقت عصي السحرة وحبالها، وغلب كلهم وانهمز الناس،

(١) خ. ل: (لبست بالفولاذ المصقول).

(٢) الأعراف: ١١٥.

(٣) الشعراء: ٤٣ - ٤٤.

(٤) الشعراء: ٤٤.

(٥) خ. ل: (فهاج الناس ذلك).

(٦) الأعراف: ٦٧.

(٧) الأعراف: ٦٨ - ٦٩.

(٨) خ. ل: (وَأَرخَتْ شَفْتَهَا السُّفْلَى).

حين رأوها وعظمتها وهولها بما لم تر العين ولا وصف الواصفون مثله قبل ،
 فقتل في الهزيمة من وطء الناس بعضهم بعضاً عشرة آلاف رجل وامرأة
 وصبي ، ودارت على قبة فرعون ، قال: فأحدث فرعون وهامان في ثيابهما ،
 وشاب رأسهما ، وغشي عليهما من الفرع ، ومَرَّ موسى في الهزيمة مع الناس
 فناداه الله: ﴿خُذْهَا وَلَا تَخَفْ سُنْعِيدُهَا سِيرَتَهَا الْأُولَى﴾^(١) فرجع موسى ولفَّ
 على يده عباءة كانت عليه ثم أدخل يده في فمها فإذا هي عصا كما كانت،
 وكان كما قال الله: ﴿فَأَلْقَى السَّحَرَةَ سَاجِدِينَ﴾^(٢) لَمَّا رَأَوْا ذَلِكَ ﴿قَالُوا
 آمَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ * رَبِّ مُوسَى وَهَارُونَ﴾^(٣) فغضب فرعون عند
 ذلك غضباً شديداً، وقال: ﴿أَمْتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ أَدْنِي لَكُمْ إِنَّهُ لَكَبِيرِكُمْ﴾ يعني:
 موسى ﴿الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ﴾^(٤) ﴿فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ * لَأَقْطَعَنَّ أَيْدِيَكُمْ
 وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خَلْفٍ ثُمَّ لَأَقْبِرَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ﴾^(٥) فقالوا له كما حكى الله ﷻ:
 ﴿لَا ضَيْرَ إِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا مُتَقَلِّبُونَ * إِنَّا نَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لَنَا رَبُّنَا خَطَايَا أَنَا وَمَنْ
 أَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ﴾^(٦) «...»^(٧)

المثال الثاني: معجزة النبي عيسى عليه السلام في إحياء الموتى وإبراء الأكفمه

-
- (١) طه: ٢١ .
 (٢) الشعراء: ٤٦ .
 (٣) الشعراء: ٤٧ - ٤٨ .
 (٤) الشعراء: ٤٩ .
 (٥) الأعراف: ١٢٣ - ١٢٤ .
 (٦) الشعراء: ٥٠ - ٥١ .
 (٧) بحار الأنوار، ١٣: ١٢٠ / ح ٢١ .

والأبرص، فإنَّ أوَّل من أدركها وسبق للإيمان بها: أطباء زمانه عليه السلام قبل الفلاسفة والعرفاء وأصحاب الرياضات والمعنويات في ذلك الزمان.

الفائدة: (٦٥)

[الأصالة للحقيقة، والوجود ظهور لها]

يَجْدُرُ الإِلْتِفَاتُ: أَنَّ الأصالة هي للحقيقة والواقعية، والوجود ظهور لها - أي: للحقيقة والواقعية - وليس عيناها.

وتترتب على هذه القضية في أبحاث المعارف والعقائد آثار كثيرة وكبيرة ومهمّة جداً.

[خطورة مبحث أصالة الواقعية أو الوجود أو الماهية]

وبعبارة أخرى: أَنَّ مبحث أصالة الواقعية والحقيقة أو الوجود أو الماهية له زوايا عديدة وكثيرة صعبة ومُعَقَّدة، ولا يُستوفى بحثها في موطن واحد، بل مواطن عديدة.

وهذا مبحثٌ مهمٌّ وخطيرٌ في مباحث عديدة من أبواب المعارف، لا بل له صلة وطيدة بأخطر مباحث التوحيد على الإطلاق، بل وأعقدها، شبيه بمبحث نفي الجبر والتفويض.

[الأصالة للواقعية والوجود والماهية تجليات لها في عالم الذهن]

والمختار: أَنَّ الأصل ليس هو الوجود والموجود أو الماهية، وإنما هو الحقيقة والواقعية، والوجود والموجود والماهية ليست إلا تجليات وظهورات

ترتبط بالإدراك الذهني ، وُخِلِطَتْ - هذه الثلاثة - بتلاوين الذهن مع الخارج ؛ فَوَجِدُ الشيء إدراكة .

إِذَنْ : شأن الوجود شأن المعنى والمفهوم ، ومن الواضح أَنَّ الذي يأتي الى الذهن من الحقيقة الخارجية حصّة من العين الخارجية ، وهي التي يُطلق عليها عنوان : (وجود وموجود) ، لا أَنَّ الآتي إلى الذهن جملة العين الخارجية بما لها من وسع ، ومن ثمَّ لا بُدَّ أَنْ يكون الأصيل في العين هو حقيقتها وواقعيتها دون وجودها .

وعليه : فحصر الحقيقة والواقعية والعينية الخارجية وحدها بالوجود والموجود غفلة معرفية خطيرة جداً ؛ وقع في ورطتها من ذهب إلى أصالة الوجود .

والحقُّ : أَنَّ الأصالة للحقيقة والواقعية أعمُّ من الوقوف عليها والالتفات إليها أو عدم ذلك .

[خطورة الخلط بين أحكام الذهن والعين الخارجية]

ثُمَّ إِنَّ الخلط بين أحكام الذهن والعين الخارجية من أخطر المخاطر بصحة وسداد المعرفة في العلوم العقلية ، وهذا ما أكّدت وشدّدت عليه بيانات الوحي ؛ وأنّه يجب على المؤمن والمسلم والباحث والمستنبط أن لا يسحب الأحكام الذهنية إلى العين الخارجية .

الفائدة : (٦٦)

[إراءة الحقيقة والوصول إليها على مراتب]

إنَّ ما ورد في بيان قوله تعالى - الحاكي لأحداث معركة بدر الكبرى -:
 ﴿وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ التَّمِيمُ فِيكُمْ قَلِيلًا وَيُقَلِّلُكُمْ فِي أَعْيُنِهِمْ لِيَقْضِيَ اللَّهُ
 أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ﴾^(١) برهانٌ وحيانيٌّ دالٌّ على نُكْتِ
 عجيبة ودقيقة في المعرفة والمعارف ، ودرجات ومراتب^(٢) الإطلاع على
 الحقيقة والواقعية ؛ فإنَّ الاراءة في المقام وقعت على بعض الجُند
 وإمكانياتهم، وكشفت عن جزء الحقيقة ومرتبة من مراتبها.

ومنه يتَّضح : مدى الفرق الشاسع بين ما يطرحه الوحي الشريف وما
 يطرحه الفلاسفة والماديين والغربيين من نسبة ؛ فإنَّهم ذهبوا : إلى أنَّ الإنسان
 قد يصل إلى الحقيقة بنسبة ما ، وقد لا يصل أصلاً ، فالنسبة عندهم تدور بين
 الحقيقة والسراب ، ومعناه : عدم استقرار معرفة لدى الإنسان ، بخلافها
 لدى الوحي ، فإنَّ النسبة لديه هي : أنَّ إراءة الحقيقة والوصول إليها على
 مراتب ودرجات . وليس في هذا نحو سفسطة أو تشكيك ، بل حذر وفطنة ،

(١) الأنفال: ٤٤.

(٢) هذا عطف على كلمة : (نُكْتِ) ؛ فتكون العبارة كالتالي : (إنَّ ما ورد في بيان قوله
 تعالى ... برهانٌ وحيانيٌّ دالٌّ على درجات ومراتب (٢) الإطلاع على الحقيقة
 والواقعية).

فلا يحسب الواقف على حقيقة أتمها تمام الحقيقة ، بل بعضها ، ومشمول ببيان قوله تقدّس ذكره : ﴿وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ﴾^(١) ، وبيان قوله عزّ ذكره : ﴿وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾^(٢) .

ومنه يتّضح : أنّ جملة من المباحث الأساسية في أبواب المعارف تتولّد من هذا المبحث ، منها : أسرار البداء ؛ فإنّها تكمن في هذا المطلب ؛ فإن يد الغيب الإلهية قد لا تُري للمخلوق جملة الحقيقة وسائر التفاصيل ، فإذا كشفت بعد ذلك عن مراتب أخرى لتلك الحقيقة والتفاصيل تداعى إلى وهمه : عدم تحقُّق ما أخبر به سابقاً .

الفائدة : (٦٧)

[واقعية العَرَضِ في إظهار شؤون الجوهر]

إنّ للعَرَضِ واقعية ، لكن تمام واقعيته تكمن في تجلّي وإظهار شؤون الجوهر .

الفائدة : (٦٨)

[فارق بين تعدد مراتب الحقيقة والتشكيك]

إنّ تعدد مراتب الحقيقة كمنهج يختلف عن منهج التشكيك ؛ فإنّ

(١) يوسف: ٧٦ .

(٢) طه: ١١٤ .

منهج التشكيك ، يخلق دائماً تنافي وإصطكاك وتناقض وتضارب وتقاطع بين مراتب الحقيقة الواحدة ، بخلاف منهج تعدد مراتب الحقيقة الفاردة ؛ فإنه يُثبِتُ أن بين مراتب الحقيقة الواحدة : وحدة : (نُظْم) ، و(نِظَام) ، و(مَنْظُومَة مُتَنَاسِقَة).

وإلى هذا تُشير بيانات الوحي ، منها :

١- بيان قوله تعالى : ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلًا﴾^(١).

ومعناه : أن للصدق مراتب ودرجات ، بينها تمام الموائمة والملائمة والإنسجام ، أعلاها صدق الذات الإلهية الأزلية المقدسة .

٢- بيان قوله تقدس ذكره : ﴿وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ النَّبِيِّينَ عَلَى بَعْضٍ﴾^(٢).

ودلالته قد اتضح ؛ وأن حقيقة النبوة ذات مراتب ودرجات متفاوتة بين الأنبياء عليهم السلام ، أعلاها ما جعلت لسيد الأنبياء ﷺ^(٣) ، بينها

(١) النساء : ١٢٢ .

(٢) الإسراء : ٥٥ . يوسف : ٧٦ .

(٣) ينبغي الالتفات في المقام إلى الأمور التالية :
الأمر الأول :

نبوة سيد الأنبياء ﷺ تختلف عن سائر النبوات اختلافاً جوهرياً

→ إِنَّ نُبُوَّةَ سَيِّدِ الْأَنْبِيَاءِ ﷺ يَجِبُ أَنْ لَا تُعْرَفَ بِالتَّعْرِيفِ الْعَامِ لِلنُّبُوَّةِ ؛ فَإِنَّ النَّبُوَّةَ الْعَامَّةَ بِالنِّسْبَةِ لِنُبُوَّتِهِ ﷺ جِنْسٌ عَالِيٌّ ؛ فَنُبُوَّتُهُ ﷺ نُبُوَّةٌ أُخْرَى ، تَخْتَلِفُ عَنْ نُبُوَّاتِ سَائِرِ الْأَنْبِيَاءِ ﷺ اِخْتِلَافًا نَوْعِيًّا وَسَخِيًّا وَمَاهُوِيًّا وَجَوْهَرِيًّا مِنْ دُونِ قِيَاسِ بَيْنَهُمَا .
الأمر الثاني:

الإمتحانات التي تعرّض لها سيّد الأنبياء ﷺ لم يُمتحن بها مخلوق قطُّ
إِنَّ مَا تَمَتَّعَ بِهِ سَيِّدُ الْأَنْبِيَاءِ ﷺ مِنْ سُودِدٍ وَمَقَامَاتٍ إِلَهِيَّةٍ لَمْ تُعْطَ لَهُ إِلَّا بَعْدَ أَنْ تَجَاوَزَ أَشَدُّ الْإِبْتِلَاءَاتِ وَالْإِمْتِحَانَاتِ وَأَقْسَاهَا وَالَّتِي لَمْ يُمْتَحَنَ بِهَا مَخْلُوقٌ الْبَتَّةَ ، وَإِلَّا لَمْ يَثْبُتْ - وَإِنْ كَانَ مِنْ سَائِرِ أَنْبِيَاءِ أُولِي الْعِزْمِ ﷺ - عَلَى إِيْمَانِهِ فَضْلًا عَنْ سَائِرِ الْمَقَامَاتِ الْإِلَهِيَّةِ كَالنُّبُوَّةِ .

الأمر الثالث:

سَيِّدُ الْأَنْبِيَاءِ ﷺ حَاضِرٌ لَدَى الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ حُضُورٌ رُوحِيٌّ
أَثَبَتَ الْبَارِي تَقَدَّسَ ذِكْرُهُ فِي عَدَّةِ آيَاتٍ قُرْآنِيَّةٍ مِنْهَا : بَيَانُ قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِمْ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَى هَؤُلَاءِ ﴾ [النحل: ٨٩] : أَنَّ لِسَيِّدِ الْأَنْبِيَاءِ ﷺ كَيُنُونَةَ شَهَادَةٍ عَلَى الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ ، وَالْأَصْلُ فِي الشَّهَادَةِ الْحُضُورُ ، لَكِنْ حُضُورُهُ ﷺ فِي الْمَقَامِ لَيْسَ حُضُورًا بَدَنِيًّا ، بَلْ رُوحِيًّا .

الأمر الرابع:

كُتِبَ الْمُتَكَلِّمِينَ لَمْ تَسْتَوْعِبْ مَقَامَاتِ سَيِّدِ الْأَنْبِيَاءِ ﷺ الْإِلَهِيَّةِ
إِنَّ لِسَيِّدِ الْأَنْبِيَاءِ ﷺ مَقَامَاتٍ وَمَنَاقِبَ إِلَهِيَّةً كَثِيرَةً وَعَظِيمَةً وَخَطِيرَةً جِدًّا ، أَشَارَتْ إِلَيْهَا بَيَانَاتُ الْوَحْيِ ، وَأَوَّلُ مَقَامٍ وَمَنْصَبٍ إِلَهِيٍّ حَبَّاهُ اللَّهُ بِهِ مَقَامُ : (البشير النذير) ، وَمَقَامُ : (الدَّاعِي إِلَى اللَّهِ) .

فانظر : بَيَانَاتُ الْوَحْيِ ، مِنْهَا :

→ بيان قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا * وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا﴾ [الأحزاب: ٤٥-٤٦].

لكن: كُتِبَ الْمُتَكَلِّمِينَ لَمْ تَسْتَوْعِبْ جَمَلَةَ هَذِهِ الْحَقَائِقِ الْوَحْيَانِيَّةِ.

الأمر الخامس:

سَيِّدُ الْأَنْبِيَاءِ ﷺ طَبَقَاتُ حَقِيقَتِهِ النَّوْرِيَّةِ شَاهِدٌ عَلَى جَمَلَةِ الْمَخْلُوقَاتِ

إِنَّ مَا وَرَدَ فِي بَيَانَاتِ الْوَحْيِ ، مِنْهَا :

١- بيان قوله عزَّ قوله: ﴿وَمَا كُنْتَ بِجَانِبِ الْغُرِيِّ إِذْ قَضَيْنَا إِلَىٰ مُوسَى الْأَمْرَ وَمَا كُنْتَ مِنَ الشَّاهِدِينَ﴾ [القصص: ٤٤].

٢- بيان قوله جلَّ قوله: ﴿ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلقُونَ أَقْلَامَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرَّيْنًا وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ﴾ [آل عمران: ٤٤].

براهينٌ وحيانيةٌ ناظرةٌ إلى بدن سيِّد الأنبياء ﷺ في هذه النَّشْأَةِ الْأَرْضِيَّةِ الْغَلِيظَةِ والمولود في عام الفيل.

وما ورد في بيانات الوحي الأخرى، منها:

بيان قوله عزَّ من قائل - المتقدِّم - : ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾ [الأحزاب: ٤٥].

براهينٌ وحيانيةٌ ناظرةٌ إلى روح سيِّد الأنبياء ﷺ وطبقات حقيقته النَّوْرِيَّةِ الصَّاعِدَةِ، فجعل البارئ تقدَّس ذكره أولاً في طبقات حقيقته ﷺ الصَّاعِدَةِ :

الهيمنة والعلم الرُّوحي والنُّوري المُهَيِّمِ عَلَى الْأَزْمَانِ ، وَمِنْ تَمَّ أَرْسَلَهُ ﷺ شَاهِدًا عَلَى جَمَلَةِ الْمَخْلُوقَاتِ ، وَفِي كَافَّةِ الْعَوَالِمِ غَيْرِ الْمُتَنَاهِيَةِ مِنْ بَدَايَةِ الْخَلْقَةِ وَالْوُجُودِ إِلَى مَا لَانْهَائِيَةِ ، ثُمَّ جَعَلَهُ مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا لِجَمِيعِ الْمَخْلُوقَاتِ وَفِي طُرُقِ الْعَوَالِمِ غَيْرِ الْمُتَنَاهِيَةِ ، فَأَرْسَلَهُ تَعَالَى بِرِسَالَتِهِ قَبْلَ وِلَادَتِهِ ، بَلْ مِنْ بَدَايَةِ عَالَمِ الْإِمْكَانِ إِلَى مَا لَا نِهَائِيَةَ.

→ فانظر:

١- بيانه ﷺ: « كُنْتُ نَبِيًّا وَأَدَمُ بَيْنَ الْمَاءِ وَالطِّينِ » أو « بَيْنَ الرُّوحِ وَالْجَسَدِ ». بحار الأنوار، ١٨: ٢٧٨.

٢- بيان الإمامين الباقر والصادق عليهما السلام: « إِنَّ اللَّهَ خَلَقَ الْخَلْقَ وَهِيَ أَظْلَمَةٌ ، فَأَرْسَلَ رَسُولَهُ مُحَمَّدًا ﷺ فَمِنْهُمْ مَنْ آمَنَ بِهِ ، وَمِنْهُمْ مَنْ كَذَّبَهُ ، ثُمَّ بَعَثَهُ فِي الْخَلْقِ الْآخَرَ فَأَمَنَ بِهِ مَنْ كَانَ آمَنَ بِهِ فِي الْأَظْلَمَةِ ، وَجَحَدَهُ مَنْ جَحَدَ بِهِ يَوْمئِذٍ ، فَقَالَ: ﴿ مَا كُنَّا لِيُؤْمِنُوا بِمَا كَذَّبُوا بِهِ مِنْ قَبْلُ ﴾ » [يونس: ٧٤]. بحار الأنوار، ٥: ٢٥٩/ح ٦٤.

٣- بيان الإمام الصادق عليه السلام، عن المفضل بن عمر، قال: « ... يَا مَفْضَلُ ، أَمَا عَلِمْتَ أَنَّ اللَّهَ (تَبَارَكَ وَتَعَالَى) بَعَثَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ رُوحٌ إِلَى الْأَنْبِيَاءِ وَهُمْ أَرْوَاحٌ قَبْلَ خَلْقِ الْخَلْقِ بِالْفَنِيِّ عَامٍ ؟ قُلْتُ : بَلَى ، قَالَ : أَمَا عَلِمْتَ أَنَّهُ دَعَاهُمْ إِلَى تَوْحِيدِ اللَّهِ وَطَاعَتِهِ وَاتِّبَاعِ أَمْرِهِ وَوَعْدِهِمُ الْجَنَّةَ عَلَى ذَلِكَ وَأَوْعَدَ مَنْ خَالَفَ مَا أَجَابُوا إِلَيْهِ وَأَنْكَرَهُ النَّارَ ؟ قُلْتُ : بَلَى ... ». بحار الأنوار، ٣٩: ١٩٤ - ١٩٥/ح ٥. علل الشرائع: ٦٥.

٤- بيانه عليه السلام أيضاً: « مَا بَعَثَ اللَّهُ نَبِيًّا أَكْرَمَ مِنْ مُحَمَّدٍ ﷺ ، وَلَا خَلَقَ اللَّهُ قَبْلَهُ أَحَدًا ، وَلَا أَنْذَرَ اللَّهُ خَلْقَهُ بِأَحَدٍ مِنْ خَلْقِهِ قَبْلَ مُحَمَّدٍ ، فَذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ هَذَا نَذِيرٌ مِنَ النَّذِيرِ الْأُولَى ﴾ [النجم: ٥٦] ، وَقَالَ : ﴿ إِنَّمَا أَنْتَ مُنذِرٌ وَكُلُّ قَوْمٍ هَادٍ ﴾ [الرعد: ٧] ، فَلَمْ يَكُنْ قَبْلَهُ مُطَاعٌ فِي الْخَلْقِ ، وَلَا يَكُونُ بَعْدَهُ إِلَى أَنْ تَقُومَ السَّاعَةُ ، فِي كُلِّ قَرْنٍ إِلَى أَنْ يَرِثَ اللَّهُ الْأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا ». بحار الأنوار، ١٦: ٣٧١/ح ٨٢.

ودلالة الجميع واضحة.

→ الأمر السادس:

ذوات سيّد الأنبياء وسائر أهل البيت عليهم السلام بحور وحي زخّارة لانهاية لها أبداً
إنّ ما ورد في بيانات الوحي ، منها :

- ١- بيان قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ﴾ [الكهف: ١١٠].
- ٢- بيان قوله عزّ قوله: ﴿مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ * وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ * إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾ [النجم: ٢-٤].

براهين وحيانية دالة على أنّ ذات سيّد الأنبياء عليهم السلام كتلة وحيانية لا تنفد أبداً في هذا العالم وفي سائر عوالم الخلقة غير المتناهية ، في قيامه وقعوده ، وحلّه وترحاله ؛ فإنّها عبّرت عن ذاته عليه السلام بصيغة الفعل المضارع (يُوحَى) المفيدة للتجدّد والاستمرار التأييدي ، والدالة على أنّ ذاته عليه السلام بحر وحي زخّار لانهاية ولا انقطاع له أبداً ، من بداية الخلقة إلى ما لانهاية له.

وهذا النحو من الوحي أعظم وحي على الإطلاق ، وهو ارتباط فاعل ومستمر بين الباري - المسمّى - عليه السلام وسيّد الأنبياء عليهم السلام .
وعلى هذا قس وحي إمامة أهل البيت (صلوات الله عليهم).

الأمر السابع:

مقام (الرؤوف الرحيم) أحد مقامات سيّد الأنبياء عليهم السلام الإلهية
إنّ مقام (الرؤوف الرحيم) أحد مقامات سيّد الأنبياء عليهم السلام الإلهية ، الواردة في
بيانات الوحي ، منها :

بيان قوله تعالى: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة: ١٢٨].

→ فسيد الأنبياء ﷺ بمراتبه الصاعدة مظهر لرأفة البارئ ﷻ ورحمته ، وهو مضمون بيان قوله جلّ قوله : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴾ [الأنبياء: ١٠٧].
الأمر الثامن:

شمول الامتحانات الإلهية لمطلق العوالم وكافة المخلوقات

سيد الأنبياء ﷺ أكثر مخلوق يتعرّض لأشدّ الامتحانات الإلهية في كافة العوالم إنَّ المراد من عنوان (البلاء) الوارد في بيان الإمام الباقر (صلوات الله عليه): «أشدُّ النَّاسِ بلاءً هم الأنبياء ، ثُمَّ الأوصياء ، ثُمَّ الأمثل فالأمثل» [الكافي ، ٢: ١٦٨/ح ٤]: الامتحان ، وهو لا يقتصر على هذه النشأة الأرضية ، بل يأتي في سائر العوالم والنشآت ، وأشدُّ مَنْ يُمتحن فيها : الأنبياء والأوصياء والأصفياء ، وأشدَّهم على الإطلاق : سيد الأنبياء ﷺ ، ثُمَّ أمير المؤمنين ، ثُمَّ فاطمة الزهراء ، ثُمَّ الإمام الحسن ، ثُمَّ الإمام الحسين ، ثُمَّ التسعة المعصومين (صلوات الله عليهم) ، وشدة الإفتتان بالمحن تدور مدار قوّة عزيمة الممتحن.

ومن إطلاق بيانه عليه السلام يتضح : أنَّ المرارة والمحن التي يلاقيها الأنبياء والأوصياء والأصفياء أشدُّ وأعظم من دون قياس من المرارة والمحن التي يلاقيها أهل جهنم ؛ لأنَّ العناء الذي يواجهونه عليه السلام عناءً عقلياً ، وهو أشدُّ وأعظم من دون قياس من عناء جهنم ؛ لأنَّ عناءها بدنيٌّ أو نفسيٌّ ، لا سيباً إذا لم تكن لساكن جهنم كالمالات عقلية ، فيكون العذاب العقلي في حقه من باب السالبة بانتقاء موضوعها . نعم محنهم والمرارة التي يلاقونها محن ومرارة ذلٍّ وخزي وسوء عاقبة ، بخلاف محن ومرارة كُمل المخلوقات ؛ فإنَّها محن ومرارة عزٍّ ورفعة وسؤدد ؛ لكون عاقبتها السعادة الأبدية ، والقرب إلى ساحة القدس الإلهية . ومن ثمَّ ورد في بيان الدعاء: «... اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ خُشُوعَ الْإِيمَانِ قَبْلَ خُشُوعِ الذُّلِّ فِي النَّارِ ...». بحار الأنوار ،

وحدة نُظْم ونِظَام وَمَنْظُومَةٌ مُتَنَاسِقَةٌ .

وهكذا حقيقة الإمامة الإلهية ؛ فإنَّها على مراتب ودرجات متفاوتة أيضاً ، بعضها أعطيت للنبي إبراهيم عليه السلام ، لكن أعلاها ما مُتَّع به أهل البيت (صلواتُ الله عليهم) ، بينها وحدة نُظْم ونِظَام وَمَنْظُومَةٌ مُتَنَاسِقَةٌ أيضاً .

وعليه : قس مُطلق الخير وسائر الكمالات والفضائل ؛ اصطفايئة كانت أم غيرها ، فإنَّ ميادينها ومساحاتها تتسع إلى مراتب ودرجات غير

→ ومن كُلِّ ما تقدَّم تتَّضح : كثير من بيانات الوحي ، منها :

١- أحد تفاسير بيان سيّد الأنبياء عليه السلام : «ما أُوذِيَ نبيٍّ مثل ما أُوذيت». بحار الأنوار ، ٣٩ : ٥٦ .

ودلالته قد اتَّضحت ؛ فإنَّه دالٌّ على أنَّ المرارة التي عاناها وبعانها سيّد الأنبياء عليه السلام في عالم الدنيا للوصول إلى أعالي المراتب والدَّرجات أعظم من المرارة والعناء الذي يتدوَّقه جملة سكنة جهنم .

٢- بيان جواب الإمام الرضا (صلوات الله عليه) عن سؤال السائل - الناظر إلى بيان قوله تعالى : ﴿وَإِنْ مِنْكُمْ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ﴾ [مریم : ٧١] - : «هل أنتم واردوها: قال (صلوات الله عليه) : جزناها وهي خامدة». علم اليقين ، للفيض الكاشاني ، ٢ : ٩٧١ .

ودلالته قد اتَّضحت أيضاً ؛ فإنَّه دالٌّ على أنَّ جهنم الآخرة الأبدية بهاها من سعيير - وهو عبارة عن تجلِّي الشهوات ؛ فإنَّ الأعمال المرتبطة بالشهوات تتجسَّم وتتجلَّى في عالم الآخرة الأبدية بصورة النيران - تجاوزها أهل البيت عليهم السلام من خلال مكابدة الشهوات ، وتجرَّعوا مرارة جهنم من خلال هجران الشهوات .

متناهية.

نظيرها : (النور) ؛ فَإِنَّهُ عَلَىٰ مَرَاتِبٍ وَدَرَجَاتٍ فِي الْكَمِّ وَالْكَيفِ .
وكذا قس مُطلق الشُّرُورِ وَالرَّذَائِلِ ؛ فَإِنَّ مِيَادِينَهَا وَمَسَاحَاتَهَا تَتَّسِعُ إِلَىٰ
دَرَكَاتٍ غَيْرِ مَتْنَاهِيَّةٍ .

نظيرها : (الظلمة) ؛ فَإِنَّهَا عَلَىٰ مَرَاتِبٍ وَدَرَجَاتٍ فِي الْكَمِّ وَالْكَيفِ
أَيْضاً^(١) .

الفائدة : (٦٩)

[لكثير من الاشياء وجودين : حقيقي ، ومجازي عقلي]

لا بأس بِالْإِلْتِفَاتِ : أَنَّ لِكَثِيرٍ مِنَ الْأُمُورِ وَجُودَيْنِ : أَحَدُهُمَا : حَقِيقِي ،
الآخر : مَجَازِي عَقْلِي ، وَالْمَجَازُ الْعَقْلِي يَدُورُ مَدَارَ كَيْفِيَّةِ الْإِسْتِعْمَالِ .

ثُمَّ إِنَّ الْبَاحِثَ فِي أَبْوَابِ الْمَعَارِفِ لَا يَهْمُهُ كَثِيرًا التَّمْيِيزُ بَيْنَ الْحَقِيقَةِ
اللُّغَوِيَّةِ وَالْمَجَازِ الْعَقْلِي ؛ لِأَنَّ دَأْبَ الْبَاحِثِ فِي أَبْوَابِ الْمَعَارِفِ التَّحَرِّيُّ عَنِ
الْحَقَائِقِ الْعَقْلِيَّةِ وَالتَّكْوِينِيَّةِ ، دُونَ الْمَجَازَاتِ الْعَقْلِيَّةِ .

(١) أُكْتَشِفَ فِي الْبَحْثِ الْفِيْزِيَاءِيَّةِ الْحَدِيثَةِ : أَنَّ لِلظُّلْمَةِ مَرَاتِبَ وَدَرَجَاتٍ مِنَ النُّورِ ،
وَقَدْ أَشَارَ إِلَىٰ ذَلِكَ بِيَانِ دَعَاءِ الْإِمَامِ زَيْنِ الْعَابِدِينَ عليه السلام : « ... سَبَحَانَكَ تَعْلَمُ وَزِنَ
الظُّلْمَةِ ... » . بحار الأنوار ، ٨٣ : ٢٢٧ .
فالظلمة لها وزن ؛ لِأَنَّ فِيهَا نُورَ .

إذَنْ : البحث في علوم المعارف ينصبُّ أولاً وبالذات على الحقائق العقلية ، خلافاً لعِلْمِ (الأخلاق) وعِلْمِ (النفس و الرُّوح) ؛ فإنَّهما علمان إعتباريان ، نعم يُبحث في نهاياتهما عن الحقائق التكوينية . وخلافاً لعِلْمِ (السياسة) وعِلْمِ (الإجتِماع) والعلوم (الإنسانية) ؛ فإنَّها علوم إعتبارية .

لكن : هذا لا يعني عدم تأثير الإعتباريات في الحقائق التكوينية ، لا سيما على المبنى المختار القائل : أنَّ الإعتبار الصادق : إدراك تكويني مبهم ومن بُعد ، في قبال العلوم التكوينية التفصيلية ؛ فإنَّها تفصيل للحقائق وعليه : فتندرج - بشكل واضح - العلوم الإعتبارية في بحوث الحقائق التكوينية .

الفائدة : (٧٠)

[أحكام العقل على نحوين]

لا بأس بالالتفات الى أنَّ أحكام العقل على نمطين :
أحدهما : أحكام عقلية مُستقلة ، ويُعبَّر عنها بـ : (المستقلات العقلية) .
الأخرى : أحكام عقلية غير مُستقلة ، ويُعبَّر عنها بـ : (غير المُستقلات العقلية) .

والفارق بينها : أنَّه في النمط الأوَّل - أي : المُستقلات العقلية - العقل يحكم من دون أن يأخذ مُقدِّمة من الشرع ويعتمد عليها ، بل كافَّة المُقدِّمات

التي أخذت في الدليل عقلية. وهذا بخلافه في النمط الثاني - أي : غير المستقلات العقلية - فإن بعضها غير عقلية.

الفائدة : (٧١)

[التاريخ علم جم وحضارة متجسدة]

ينبغي صرف النظر إلى القضية التالية ، وهي : أن التاريخ علم جم ، ومواد خطيرة دائماً ؛ فإنه ليس سلسلة أحداث فحسب ، وإنما عبارة عن حقول متعددة ، وحضارة متجسدة ومتجسمة في كل أبعادها ، ومن ثم لا بد أن يقرأه ويدرسه المتخصصون بعلوم عديدة ، منها : علم : (أمني) و(عسكري) و(نفسى) و(سياسى) و(اقتصادى) و(تجارى) و(صناعى) و(زراعى) و(حضارى) و(قانونى) و(حقوقى) و(أخلاقى).

الفائدة : (٧٢)

[تاريخ العلم]

تاريخ العلم أمرٌ مزوجٌ بين التاريخ والعلم ، فليس هو تاريخ محض ، ولا علم محض ، وإنما أمر بين أمرين .

الفائدة : (٧٣)

[عدم التبرم من مقال عقائدي أو معرفي باطل ارتكاب كبيرة]

إن من لم يتبرم من مقال عقائدي أو معرفي باطل - ولو على مستوى

النفس وطبقات الروح فقد ارتكب كبيرةً ، ومن ثمَّ ورد في بيان إمضاء الإمام الصادق (صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ) الوارد في حَقِّ النَّبِيِّ عَيْسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ ، عن الحسين بن مُحَمَّد بن عامر بإسناده ، قال : « أَنَّ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ جَعْفَرَ بْنَ مُحَمَّدٍ الصَّادِقِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ اسْتَحْضَرَهُ الْمَنْصُورَ ... وَقَالَ لَهُ : يَا جَعْفَرُ ... وَلِعَمْرِي أَنَّ عَيْسَى بْنَ مَرْيَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ لَوْ سَكَتَ عَمَّا قَالَتْ فِيهِ النَّصَارَى لَعَذَّبَهُ اللَّهُ ... »^(١).

الفائدة : (٧٤)

[الْأَشْتِغَالُ بِالْجِدَالِ الْعِلْمِيِّ فِي أَفْقِ الْبَشَرِ حِجَابًا مَانِعًا]

لا بأس بالاشتغالات : أَنَّ المجلسي الابن ؛ صاحب كتاب البحار مع كونه طوداً ووتداً شامخاً ، ووفق لجمع تراث أهل البيت (صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ) ، لكن مَنْ يُدَقِّقُ فِي جَمَلَةٍ مِنْ أبحاثه فسيجد أَنَّهُ قد تورط - كغيره - بكلام البشر ، فانشغل بأقوال الفلاسفة والمتكلمين والمفسرين ، وقصر بيانات الوحي وفهمها على وفق إدراكات البشر وحبسها عليها. هذا هو حاله فما ظنك بمن دونه ، فتأخذهم سكرة الجدال العلمي مع أفق البشر لتصبح حجاباً مانعاً.

(١) بحار الأنوار ، ١٠ : ٢١٦ - ٢١٧ / ح ١٨ . أمالي الصدوق : ٢٤٧ .

الفائدة : (٧٥)

[كتاب الكشي يُعطي بصيرة عظيمة وثاقبة]

لا بأس بالإلتفات : أن كتاب الكشي كتابٌ عظيمٌ جداً ، ولا يختصُّ بعلمِ الرِّجال ، بل فيه معارف وعقائد ، ويُعطي بصيرة عظيمة وثاقبة ، وقد أوصى بقراءته كبار العلماء جيلاً بعد جيل ، ومن يُكرِّر قراءته ثلاث أو أربع مرَّات فسيقف على أسرارٍ في مدرسة ومنهاج أهل البيت (صلواتُ الله عليهم) ، ويقف على مذاقهم عليه السلام العلميِّ والمعرفيِّ .

الفائدة : (٧٦)

[المؤسسةُ الرَّاعيةُ للإرهاب]

[الحاكم في الدولِ الغَربيَّة]

إنَّ الدولَ العظمى هي المؤسسةُ والرَّاعيةُ للإرهاب .

ثمَّ إنَّ المعروف في الدولِ الغَربيَّة : أنَّ الحاكم يتبدَّل لديهم بعد دورة أو دورتين إنتخابيتين على أكثر التَّقارير ، وبعدها تتقلُّ السُّلطة والقدرة والقوَّة بكلِّ سلاسة ومن دون أن ينشب المُتقدِّمُ مخالفة في السُّلطة ، لكنَّها دعوى صُوريَّة ؛ لأنَّ حقيقة الحاكم في تلك البلدان ليس من يجلس على كرسي الرئاسة ، بل عوائل وعصابات المال المُتخفيَّة ؛ فإنَّها الدولة الخفيَّة الوارثة : (للسُّلطة) و(الإدارة) و(القوَّة) و(القدرة) ، بنظامٍ مُعقَّدٍ جارٍ بينهم ، وهذه

الدَّوْلَةُ الخَفِيَّةُ باقية تبدل الحاكم أم لا ، والحاكم تمثال في المسرح الأمامي ، نعم ، له نسبة من سُلْطَةِ الدَّوْلَةِ وإدارتها وقدرتها وقوتها ، وله نسبة من سبب ثبات أنظمتهم ، لكن ليس له تمام السُّلْطَةِ والإدارة والقدرة والقوَّة.

الفائدة : (٧٧)

[عدم حصر الحجج الشرعية بالأدلة الأربعة]

لاباس بالإلتفات الى أنَّ الحُجَجَ كانت محصورةً لدى المُتَقَدِّمِينَ بالأدلة الأربعة^(١) ، لكنَّها ومنذُ زمن الوحيد البهبهاني رحمته الله رُفِعَتْ اليد عن هذه الرُّبَاعِيَّةِ إلى مُطلق اليقين .

وهذه نقطةٌ تحوُّلٌ نَوْعِيَّةٌ في تغيير منهج الحُجَجِ .



(١) أي: الكتاب الكريم ، والسنة الشريفة ، والعقل ، والاجماع .

المصادر والمراجع

* القرآن الكريم.

١. الاحتجاج ، أبي منصور أحمد بن عليّ بن أبي طالب الطبرسي.
٢. الاختصاص ، الشيخ محمد بن محمد بن النعمان العكبري البغدادي المفيد.
٣. أصول الكافي ، الشيخ محمد بن يعقوب الكليني.
٤. الأمالي ، الشيخ ، أبي جعفر محمد بن الحسن الطوسي.
٥. بحار الأنوار ، الشيخ محمد باقر المجلسي.
٦. بشارة المصطفى لشيعة المرتضى ، الشيخ عماد الدين أبو جعفر محمد بن أبي القاسم الطبري.

٧. بصائر الدرجات ، الشيخ محمد بن الحسن الصفار.
٨. تأويل الآيات ، السيّد علي الحسيني الإسترابادي النجفي.
٩. تحف العقول ، الحسن بن عليّ بن شعبة الحراني.
١٠. تفسير العياشي ، محمد بن مسعود العياشي.
١١. التفسير المنسوب إلى الإمام العسكري عليه السلام.
١٢. تفسير فرات الكوفي ، فرات بن إبراهيم الكوفي.
١٣. تهذيب الأحكام ، أبي جعفر محمد بن الحسن الطوسي.
١٤. التوحيد ، الشيخ الصدوق محمد بن علي ابن بابويه القمي.
١٥. جامع الأخبار ، الشيخ الصدوق محمد بن علي ابن بابويه القمي.
١٦. الجامع لأحكام القرآن ، محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي.
١٧. دلائل الإمامة ، محمد بن جرير بن رستم ، الطبري.
١٨. صحيح البخاري ، أبي عبد الله ، محمد بن إسماعيل البخاري.
١٩. صحيفة الأبرار ، الميرزا محمد تقي الممقاني.
٢٠. علل الشرائع ، الشيخ الصدوق محمد بن علي ابن بابويه القمي.
٢١. عوالم العوالم ، الشيخ عبد الله البحراني.

٢٢. عيون أخبار الرضا عليه السلام ، الشيخ الصدوق محمد بن علي ابن بابويه القمي .

٢٣. غرر الحكم ، الشيخ عبد الواحد بن محمد التميمي الآمدي .

٢٤. الفضائل ، شاذان بن جبرئيل .

٢٥. الكافي ، الشيخ محمد بن يعقوب الكليني .

٢٦. كنز الفوائد ، الشيخ أبو الفتح محمد بن علي الكراجكي الطرابلسي .

٢٧. كنز العمال ، علاء الدين علي المتقى بن حسام الدين الهندي .

٢٨. المحاسن ، الشيخ أبي جعفر أحمد بن محمد بن خالد البرقي .

٢٩. المحتضر ، الشيخ عز الدين أبي محمد الحسن بن سليمان بن محمد الحلبي العاملي .

٣٠. المحجة البيضاء ، المولى محسن الفيض الكاشاني .

٣١. مختصر البصائر ، الشيخ عز الدين أبي محمد الحسن بن سليمان بن محمد الحلبي العاملي .

٣٢. مشارق أنوار اليقين ، الحافظ رجب البرسي .

٣٣. مناقب آل أبي طالب ، الشيخ أبي جعفر محمد بن عليّ بن شهر آشوب.

٣٤. ميزان الحكمة ، محمد الريشهري.

٣٥. نهج البلاغة ، المختار من حكم أمير المؤمنين عليه السلام ، الشريف أبو الحسن محمد بن الحسين الرضيّ.

٣٦. الهداية الكبرى ، الحسين بن حمدان الخصبيّ.

٣٧. اليقين في أمرة أمير المؤمنين ، رضي الدين أبي القاسم عليّ بن موسى بن جعفر بن محمد بن طاووس.





٧.....	[المُقدِّمة]
١٤	[خاتمة]
١٤	تنبيهات:
١٥	التنبيه الأول:
١٥	بيان واقع
١٦	التنبيه الثاني:
١٦	العقائد والمعارف الإلهية علوم تكوينية
١٨	[المراد من حجية المتن والمضمون]
٢٠	التنبيه الثالث:
٢٠	دين الله لا يُصاب بالعقول

٢٨٢	المسائل والفوائد والقواعد النجفية في المعارف الإمامية
٢٠	التنبيه الرابع:
٢٠	المطالب العقائدية أشق وأصعب من مطالب فقه الفروع
٢١	[لكل باب عقائدي لغته الخاصة]
٢١	التنبيه الخامس:
٢١	لا بد من التحرر من ضيق المشرب في متابعة الحقيقة
٢٢	التنبيه السادس:
٢٢	المعرفة الحقّة هي العملة الصعبة
٢٢	التنبيه السابع:
٢٢	خطورة آثار الهوية العقائدية
٢٣	التنبيه الثامن:
٢٣	العقيدة رؤية عامّة لجميع الأزمان
٢٣	التنبيه التاسع:
٢٣	خارطة المعارف والعقائد الإلهية
٢٨	التنبيه العاشر:
٢٨	حقيقة الدين
٢٨	الدين شامل لجملة العوالم وكافة المخلوقات اللامتناهية

٣٨٣	فهرست المحتويات
٣٠	التنبیه الحادي عشر:
٣٠	تَعَصَّى البعض عن قبول ما ورد في حقَّ أهل البيت <small>عليهم السلام</small>
٣٢	التنبیه الثاني عشر:
٣٢	أعظم ظُلامة لأهل البيت <small>عليهم السلام</small> جنوتهم في علومهم
٣٢	التنبیه الثالث عشر:
٣٢	زيادة المعرفة بأهل البيت <small>عليهم السلام</small>
٣٣	التنبیه الرابع عشر:
٣٣	تعظيم المخلوق
٣٣	التنبیه الخامس عشر:
٣٣	التعامل مع معارف أهل البيت <small>عليهم السلام</small>
٣٧	التنبیه السادس عشر:
٣٧	نكته عدم استيعاب عقول المخلوقات لشؤون أهل البيت <small>عليهم السلام</small>
٣٩	التنبیه السابع عشر:
٣٩	الإصلاح الأكبر يكمن في بث البصيرة
٤٠	التنبیه الثامن عشر:

٣٨٤	المسائل والفوائد والقواعد النجفية في المعارف الإمامية
٤٠	الإعاقة الفكرية والروحية أخطر من الإعاقة البدنية
٤٠	التنبيه التاسع عشر:
٤٠	فائدة وثمرة التعرف على ماهية الإمامة الإلهية والإمام
٤٥	الباب الأول
٤٥	أعظم ضرورة في العلم ضرورة اختيار نوع المنهج ضرورة تمهيد المنهج في البحث العقائدي والمعرفي
٤٥	وفيه: تسع مسائل وسبع وسبعون فائدة
٤٧	المسألة: (١)
٤٧	[البحث المنهجي وخطورته في أبواب المعارف]
٨١	المسألة: (٢)
٨١	[الفهرسة ودرج المعلومة]
٨٣	المسألة: (٣)
٨٣	[خطورة (تأريخ العلم)]
٩٩	[مجموع العلوم موازين لدراسة بيانات الوحي]
١٠١	المسألة: (٤)
١٠١	[المنهج المختار في قراءة بيانات الوحي]

٣٨٥	فهرست المحتويات
١٠١	[الأولى: اللغة والقراءة العقلية]
١١٢	[إحداث العلم والمعلومة الحقّة لأهل البيت <small>عليهم السلام</small>]
١٣٤	[ضحالة منهج: (حصر طريق المعرفة بالظنّ التعبدي)]
١٣٦	[الحجج والمُحكّمات على مراتب طويلة]
١٣٩	[حجّية الخبر]
١٤٤	[ضرورة التمسك بقوالب بيانات الوحي والغور في أعماقها غير المتناهية]
١٤٤	[قاعدة التوقيفية شاملة لكافة المعارف الإلهية]
١٤٤	[معنى قاعدة التوقيفية: التمسك بألفاظ الوحي والغور في بحور معانيها]
١٤٥	[خلاصة ما تقدّم]
١٤٧	[إشكال وجواب]
١٤٨	[المراد من الجهة الثانية من جهات الحجّية]
١٤٨	[مراد الفقهاء من صحّة وحجّية الكتاب]
١٤٩	[نكتة تقدّم الجهة الأولى والثانية على الثالثة]
١٥٣	[أدلة تراتب الحجج الثلاث]
١٦١	[عصارة ما تقدّم]
١٦١	[اللغة والقراءة الثانية: (اللغة والقراءة الذوقية)]

٢٠٣ [إستنباطات أهل المعرفة]

٢٠٥ [مراعاة القواعد المعرفية]

٢٠٥ [عصارة ما تقدم في اللغة والقراءة الذوقية]

٢٠٦ [لب لباب ما ذكرناه في القراءتين]

٢٠٦ تنبيهات:

٢٠٦ التنبية الأول:

٢٠٦ العقول مخلوقات جسمانية لطيفة

٢١٦ التنبية الثاني:

٢١٦ العقل متّصل ومُنفصل

٢١٧ التنبية الثالث:

٢١٧ العقل أحد مواليد العرش

٢١٧ التنبية الرابع:

٢١٧ تجرّد المعرفة عن الزّمان

٢١٧ التنبية الخامس:

٢١٧ تخطي الحدود الإمكانية لعالم العقلي

٢٢٠ التنبية السادس:

٣٨٧	فهرست المحتويات
٢٢٠	الحُجَجُ ظاهرة وباطنة
٢٢٠	التَّنبِيه السَّابع:
٢٢٠	القوى العقلية المزود بها الإنسان
٢٢١	التَّنبِيه الثَّامن:
٢٢١	حقيقة الرؤية العقلية
٢٢١	التَّنبِيه التَّاسع:
٢٢١	الحاسة السادسة
٢٢١	التَّنبِيه العاشر:
٢٢١	دمج المعاني وتحليلها
٢٢٢	التَّنبِيه الحادي عشر:
٢٢٢	العقول وارتباطها بالنفوس
٢٢٢	النفوس وارتباطها بالأجساد
٢٢٣	[النفس الكلية طبقة من طبقات حقيقة فاطمة الزهراء <small>عليها السلام</small> الصَّاعدة]
٢٢٦	التَّنبِيه الثَّاني عشر:
٢٢٦	عدم اختصاص صور العقل النَّظري بالجسمانية
٢٢٧	التَّنبِيه الثَّالث عشر:

٢٨٨	المسائل والفوائد والقواعد النجفية في المعارف الإمامية
٢٢٧	عدم إحصار العلم بقوة العقل النظري
٢٢٨	التنبيه الرابع عشر:
٢٢٨	التفرقة بين آثار العقل النظري والعملي
٢٢٨	التنبيه الخامس عشر:
٢٢٨	للعقل العملي جهات وآليات وبنود
٢٢٩	التنبيه السادس عشر:
٢٢٩	القوى الإدراكية المسلحة لدى الإنسان
٢٣٠	التنبيه السابع عشر:
٢٣٠	عالم رؤية العقل
٢٣٠	التنبيه الثامن عشر:
٢٣٠	قوى الإنسان العقلية تفوق قوى سائر المخلوقات العاقلة
٢٣١	التنبيه التاسع عشر:
٢٣١	عين العقل المسلحة
٢٣٢	التنبيه العشرون:
٢٣٢	تفعيل قوة العقل
٢٣٢	التنبيه الحادي والعشرون:

٢٨٩	فهرست المحتويات
٢٣٢	قُوَّةُ العِقلِ تُدرِكُ الأَشياءَ بِصورتِها الواقِعيَّةِ
٢٣٣	التَّنبِيهَ الثَّانِي والعِشْرُونَ :
٢٣٣	بث المعلومات قائم على قدم وساق
٢٣٣	التَّنبِيهَ الثَّالِثَ والعِشْرُونَ :
٢٣٣	الموازنة بين قوى النَّفس وتجاذباتها
٢٣٤	التَّنبِيهَ الرَّابِعَ والعِشْرُونَ :
٢٣٤	الخلط بين المعاني العقليَّةِ والمعاني الذَّهنيَّةِ
٢٣٦	التَّنبِيهَ الخَامِسَ والعِشْرُونَ :
٢٣٦	المخلوق قابل لأفعاله وليس فاعلاً لها
٢٣٧	التَّنبِيهَ السَّادِسَ والعِشْرُونَ :
٢٣٧	حقيقة العلم: تذكُّرٌ
٢٣٨	التَّنبِيهَ السَّابِعَ والعِشْرُونَ :
٢٣٨	وجود ترابطات وثيقة في دخيلة ذات الإنسان
٢٤٠	التَّنبِيهَ الثَّامِنَ والعِشْرُونَ :
٢٤٠	العقوبة العقليَّةِ أَعْظَمُ خسارة يُصاب بها العاصي
٢٤٢	التَّنبِيهَ الثَّاسِعَ والعِشْرُونَ :

- ٣٩٠ المسائل والفوائد والقواعد النجفية في المعارف الإمامية
- ٢٤٢ التَّجاذبات بين العقل العملي وسائر قوى النَّفس
- ٢٤٣ التَّنبيه الثالثون :
- ٢٤٣ لحالة الكفر والشَّرِّ بالغ التَّأثير على العقل
- ٢٤٤ التَّنبيه الحادي والثلاثون :
- ٢٤٤ الإنسان هو الصَّانع لجوهر ذاته والحائِك لها
- ٢٤٦ التَّنبيه الثاني والثلاثون :
- ٢٤٦ حركات الإنسان وسكناته تُؤثِّر على عقله
- ٢٤٦ التَّنبيه الثالث والثلاثون :
- ٢٤٦ العقل العملي منبع الحيويَّة في الإنسان
- ٢٤٨ التَّنبيه الرَّابع والثلاثون :
- ٢٤٨ كَلِمًا تزايدت مراحل الاستنتاج كَلِمًا ابتعدت النتيجة عن البداهة
- ٢٥٠ التَّنبيه الخامس والثلاثون :
- ٢٥٠ قاعدة: (التَّوقُّيتيَّة والتَّوقُّفيَّة)
- ٢٥١ التَّنبيه السَّادس والثلاثون :
- ٢٥١ هويَّة الرَّاوي مؤثِّرة في فهم الرَّوايَّة
- ٢٥٣ المسألة: (٥)

٣٩١	فهرست المحتويات
٢٥٣	[قراءة المطالب المعرفية]
٢٦٥	المسألة: (٦)
٢٦٥	[ظاهر الإسلام وواقعه]
٢٦٩	المسألة: (٧)
٢٦٩	[أساسيات وأصول وضروريات الدين وواجباته]
٢٧٢	[أدنى المعرفة في الإسلام الظاهري والواقعي]
٢٧٥	المسألة: (٨)
٢٧٥	[ضرورة اطلاع الباحث على كلمات وآراء عقول البشر]
٢٧٩	المسألة: (٩)
٢٧٩	[قصور مدارس البشر المعرفية]
٢٧٩	[ما ذكرته مدارس البشر المعرفية لا يُمثّل جملة المعارف]
٢٨٧	الفائدة: (١)
٢٨٧	[خطورة البحث المنهجي]
٢٨٧	الفائدة: (٢)
٢٨٧	[أهمية اطلاع المتخصص على البحوث الحديثة]
٢٨٨	الفائدة: (٣)

٢٨٨	المسائل والفوائد والقواعد النجفية في المعارف الإمامية
٢٨٨	[مضار الخوض في التفرعات وترك المحاور الأصلية]
٢٨٨	[فائدة تضحها الأبحاث محورياً]
٢٨٨	الفائدة: (٤)
٢٨٨	[تقرير الأصول الاعتقادية بالخمسة تنظيم تبويبي]
٢٨٨	[عدم انحصار الأصول الاعتقادية بالخمسة المعهودة]
٢٨٩	الفائدة: (٥)
٢٨٩	[ضرورة بناء التقريب بين المذاهب على أسس منهجية وعلمية متفق عليها]
٢٨٩	الفائدة: (٦)
٢٨٩	[الفارق بين الدين والشريعة]
٢٩٠	الفائدة: (٧)
٢٩٠	[توظيف علم فقه الفروع لقراءة العقائد والمعارف الإلهية]
٢٩١	[مهر الزهراء <small>عليها السلام</small> سعد من ولايتها]
٢٩٢	الفائدة: (٨)
٢٩٢	[حقيقة التواتر السندي]
٢٩٢	[التواتر السندي لا ينفذ في أبحاث العقائد]
٢٩٣	الفائدة: (٩)

٢٩٣	فهرست المحتويات
٢٩٣	[تَفْهُؤُ الشَّيْخِ الطُّوسِيِّ عَلَى النَّجَاشِيِّ فِي بَابِ الْجِرْحِ وَالتَّعْدِيلِ]
٢٩٣	الفَائِدَةُ : (١٠)
٢٩٣	[نَسِيَانٌ أَوْ تَنَاسِيٌّ مَا أُسِّسَ]
٢٩٤	الفَائِدَةُ : (١١)
٢٩٤	[خَطُورَةُ الْهُوِيَّةِ الْعَقَائِدِيَّةِ]
٢٩٤	الفَائِدَةُ : (١٢)
٢٩٤	[خَطُورَةُ الْعَقِيدَةِ]
٢٩٤	الفَائِدَةُ : (١٣)
٢٩٤	[أَعْظَمُ أَنْوَاعِ التَّوَاضُعِ]
٢٩٤	الفَائِدَةُ : (١٤)
٢٩٤	[أَعْظَمُ أَنْوَاعِ الصِّدْقِ وَالكُذْبِ]
٢٩٥	الفَائِدَةُ : (١٥)
٢٩٥	[الْمَعْرِفَةُ الْإِلَهِيَّةُ وَالسَّعْيُ إِلَيْهَا]
٢٩٥	الفَائِدَةُ : (١٦)
٢٩٥	[قَلْعَةُ الْفِكْرِ وَالرُّؤْيَا الْعَقَائِدِيَّةِ أَحْطَرُ قَلْعَةُ يَدَاهِمَا الْعَدُوِّ]
٢٩٥	الفَائِدَةُ : (١٧)

[عتاب بيانات الوحي لمن قصر في جملة علوم إلهية] ٢٩٥

الفائدة: (١٨) ٢٩٦

[إقصاء أهل البيت عليه السلام عن دورهم العلمي والمعرفي] ٢٩٦

الفائدة: (١٩) ٢٩٧

[إمامة أهل البيت عليه السلام مفعلة في العوالم السابقة واللاحقة] ٢٩٧

الفائدة: (٢٠) ٢٩٩

[الحاكم والإمام لا بد أن يكون مزوداً بالعلم اللدني] ٢٩٩

الفائدة: (٢١) ٣٠٠

[عقلية المعصوم عليه السلام وحي لدني] ٣٠٠

[العلم الوحياني أرقى العلوم] ٣٠٠

[أهل البيت عليه السلام أهل الحكمة والبصيرة الإلهية الثاقبة] ٣٠٠

الفائدة: (٢٢) ٣٠١

[أوصاف أهل البيت عليه السلام دورات معارف إلهية] ٣٠١

الفائدة: (٢٣) ٣٠١

[دور العلم اللدني في نزول الأحكام الإلهية التفصيلية] ٣٠١

٣٩٥	فهرست المحتويات
٣٠١	الفائدة: (٢٤)
٣٠١	[كلُّ شريعةٍ إلهيةٍ لا بدَّ أن تُقرنَ بمُطبِّقٍ إلهيٍّ]
٣٠١	[جهاز تطبيق الأحكام الإلهية اختيار إلهيٍّ]
٣٠٢	الفائدة: (٢٥)
٣٠٢	[طواقم التعليم الإلهيِّ]
٣٠٣	الفائدة: (٢٦)
٣٠٣	[استحالة استئناء المخلوقات عن سيِّد الأنبياء وسائر أهل البيت <small>عليهم السلام</small>]
٣٠٤	الفائدة: (٢٧)
٣٠٤	[لحقائق أهل البيت <small>عليهم السلام</small> ظواهر وبواطن وأسرار]
٣٠٥	الفائدة: (٢٨)
٣٠٥	[أضلت جملة الاتجاهات أتباعها إلّا مدرسة أهل البيت]
٣٠٥	الفائدة: (٢٩)
٣٠٥	[تطوُّر التَّحقيقات لدى أتباع مدرسة أهل البيت <small>عليهم السلام</small> بين فترةٍ وأخرى]
٣٠٦	الفائدة: (٣٠)
٣٠٦	[ضحالة استجداء بطاقة الإيمان والإسلام من غير مدرسة أهل البيت <small>عليهم السلام</small>]
٣٠٩	الفائدة: (٣١)

[طريق ونهج أهل الخلاف لإبادة السنّة الشريفة] ٣٠٩

الفائدة: (٣٢) ٣٠٩

[بعض خصائص مبحث «حسبنا كتاب الله»] ٣٠٩

الفائدة: (٣٣) ٣١٣

[المشاهدات والمكاشفات لدى غير المعصوم في عرضة الخطأ والاشتباه] ٣١٣

الفائدة: (٣٤) ٣١٣

[تلبّد في الرؤيه وقناعات منشأؤها الغفلة والسببات المنهجية] ٣١٣

الفائدة: (٣٥) ٣١٣

[مراد الفقهاء والمتكلمين من أنّ تفاصيل العقائد من الفروع] ٣١٣

الفائدة: (٣٦) ٣١٤

[الكفر برتب ومراتب الحجج الإلهية كفر عظيم] ٣١٤

الفائدة: (٣٧) ٣١٥

[تقدّم المسيرة العلمية يكشف عن علوم وحيانية كانت البشرية ترميها بالمناكير] ٣١٥

الفائدة: (٣٨) ٣١٦

[المراد من قاعدة التّعبدية الواردة في بيانات الوحي] ٣١٦

الفائدة: (٣٩) ٣١٦

٣٩٧	فهرست المحتويات
٣١٦	[طبيعة القواعد الوحيانية المعرفية شمولها لموارد متعددة]
٣١٦	الفائدة: (٤٠)
٣١٦	[اِخْتِلافُ قَوَالِبِ بَيَانَاتِ الْوَحْيِ عَنْ قَوَالِبِ كَلِمَاتِ الْبَشَرِ]
٣١٨	الفائدة: (٤١)
٣١٨	[خطورة كلمات المعصوم عليه السلام]
٣١٨	الفائدة: (٤٢)
٣١٨	[تعامل بيانات الوحي غالباً بالتعريض]
٣١٨	الفائدة: (٤٣)
٣١٨	[شمول بيانات الوحي المعرفية لجملة العوالم وكافة المخلوقات]
٣١٩	الفائدة: (٤٤)
٣١٩	[حقيقة الوجودات الذهنية]
٣١٩	الفائدة: (٤٥)
٣١٩	[احتواء بيانات الوحي على القواعد العقلية]
٣١٩	الفائدة: (٤٦)
٣١٩	[يجدرُ بطالب الحقيقة الغور في بحور الوحي لاستخراج درره]
٣١٩	[للوحي هيمنة لا يمكن لعقول البشر الإحاطة به]

الفائدة: (٤٧) ٣٢٠

تملص الفلاسفة عن شعارهم الأول] ٣٢٠

[الوحي ترشيد للسير والفكر الى خطى غير متناهية في التكامل] ٣٢٠

الفائدة: (٤٨) ٣٢٣

[مدارس البشرية المعرفية مدارس جمودية وقشرية وحبوسية] ٣٢٣

[مدرسة الوحي صمام أمان مترامي في عدم التناهي وعدم المحدودية] ٣٢٣

الفائدة: (٤٩) ٣٢٦

[انقطاع الباحث عن بيانات الثقلين يوقعه في الزيف والضلال] ٣٢٦

الفائدة: (٥٠) ٣٢٧

[ارتطام مداس البشر المعرفية بالضلال لابتعادها عن بيانات الوحي] ٣٢٧

[استقصاء عوالم الخلق ومنظومتها الواردة في بيانات الوحي] ٣٢٩

الفائدة: (٥١) ٣٢٩

[خطورة الاعتماد على ما رسمته المدارس البشرية المعرفية] ٣٢٩

الفائدة: (٥٢) ٣٣٣

[ترابط وثيق بين البحوث الكلامية وبحوث سائر المعارف] ٣٣٣

الفائدة: (٥٣) ٣٣٣

٣٩٩	فهرست المحتويات
٣٣٣	[الإيمان بالغيب باعث لتحصيل الفضائل والكمالات]
٣٣٤	الفائدة: (٥٤)
٣٣٤	[لا بُدَّ من إعطاء العلوم الدينيَّة حقَّها]
٣٣٤	الفائدة: (٥٥)
٣٣٤	[تَحَوُّلٌ خَطِيرٌ في الفلسفة من زمن ابن سينا]
٣٣٥	الفائدة: (٥٦)
٣٣٥	[غاية الفلسفة الغربيَّة من تهميش العقل العملي]
٣٣٥	الفائدة: (٥٧)
٣٣٥	[بين ما تعرَّضَ إليه المتكلِّمون والفلاسفة العموم من وجهٍ]
٣٣٦	الفائدة: (٥٨)
٣٣٦	[نظرة حوزة النجف اتِّجاه الفلسفة]
٣٤٤	الفائدة: (٥٩)
٣٤٤	[إقصاء الفلاسفة ومَن شاكلهم لرجال الوحي]
٣٤٤	[إنكفاء أصحاب المذاهب الإسلاميَّة عن أهل البيت <small>عليهم السلام</small>]
٣٤٥	الفائدة: (٦٠)
٣٤٥	[أعظم ظلم جرى على أهل البيِّتِ والمخلوقاتِ إقصائهم <small>عليهم السلام</small> عن دورهم التعليمي]

معنى عنوان (المظلومية) الوارد في منهج الوحي] ٣٤٦

الفائدة: (٦١) ٣٤٧

[الترباط في إدارة الأرض والملكوت] ٣٤٧

آدم عليه السلام خليفة بالوكالة عن أهل البيت عليه السلام] ٣٤٧

الفائدة: (٦٢) ٣٤٩

[علم الكلام لم يكن حرباً وقلعة مهمة للدفاع عن المنهج الحق] ٣٤٩

الفائدة: (٦٣) ٣٥٤

[لا بد من التحرر من ضيق المشرب في متابعة الحقيقة] ٣٥٤

الفائدة: (٦٤) ٣٥٤

[لكل علم لغته العلمية والمعرفية التوحيدية] ٣٥٤

[لكل قوة من قوى المخلوق إمكانية إدراك الآيات الربانية] ٣٥٤

الفائدة: (٦٥) ٣٦٠

[الأصالة للحقيقة، والوجود ظهورها] ٣٦٠

[خطورة مبحث أصالة الواقعية أو الوجود أو الماهية] ٣٦٠

[الأصالة للواقعية والوجود والماهية تجليات لها في عالم الذهن] ٣٦٠

[خطورة الخلط بين أحكام الذهن والعين الخارجية] ٣٦١

٤٠١	فهرست المحتويات
٣٦٢	الفائدةُ : (٦٦)
٣٦٢	[إِراءة الحقيقة والوصول إليها على مراتب]
٣٦٣	الفائدةُ : (٦٧)
٣٦٣	[واقعية العَرَض في إظهار شؤون الجوهر]
٣٦٣	الفائدةُ : (٦٨)
٣٦٣	[فارق بين تعدد مراتب الحقيقة والتشكيك]
٣٧١	الفائدةُ : (٦٩)
٣٧١	[لكثير من الاشياء وجودين : حقيقي ، ومجازي عقلي]
٣٧٢	الفائدةُ : (٧٠)
٣٧٢	[أحكام العقل على نحوين]
٣٧٣	الفائدةُ : (٧١)
٣٧٣	[التاريخ علمٌ جم وحضارةٌ متجسدة]
٣٧٣	الفائدةُ : (٧٢)
٣٧٣	[تاريخ العلم]
٣٧٣	الفائدةُ : (٧٣)
٣٧٣	[عدم التبرم من مقال عقائديٍّ أو معرفيٍّ باطلٍ ارتكابٌ كبيرة]

الفائدة: (٧٤) ٣٧٤

[الاشتغال بالجدال العلمي في أفق البشر حجاباً مانعاً] ٣٧٤

الفائدة: (٧٥) ٣٧٥

[كتاب الكشي يُعطي بصيرة عظيمة وثاقبة] ٣٧٥

الفائدة: (٧٦) ٣٧٥

[المؤسسة الراعية للإرهاب] ٣٧٥

[الحاكم في الدول الغربية] ٣٧٥

الفائدة: (٧٧) ٣٧٦

[عدم حصر الحجج الشرعية بالأدلة الأربعة] ٣٧٦

المصادر والمراجع ٣٧٧

فهرست المحتويات ٣٨١



